كتاب
الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
ومقابلة على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت

كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي　　غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثاني

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

PUBLISHED BY

Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -

ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

[توفي ٦٨ هـ/٦٨٨ م]

هو ـ على ما يقولُهُ مَنْ صَحَّحَ نَسَبَهُ وَحَدِيثَهُ ـ قَيْسٌ، وقيل: مَهْديّ، والصَّحيحُ أنه قيسُ بنُ المُلَوّح[١] بن مُزَاحِم بنِ عُدَسَ بنِ رَبِيعَةَ بن جَعْدَةَ بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ. ومن الدَّليل على أنَّ ٱسْمَهُ قيسٌ قولُ لَيْلَى صاحِبَتِه فيه: [الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْرِي والخُطُوبُ كثيرةٌ مَتَى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَرَاجِعُ[٢]

وأخبرني الحَسَن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: سمعتُ مَنْ لا أُحْصِي يقول: اسمُ المجنونِ قيسُ بن الملوّح.

وأخبرني هاشمُ بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدَّثنا الرِّيَاشِيّ، وأخبرني الجوهريّ عن عمر بن شَبَّةَ أنهما سمعا الأصمعيَّ يقول ـ وقد سُئل عنه ـ: لم يكن مَجْنُوناً، ولكن كانتْ به لُوثة[٣]، كلُوثةِ أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِي.

[اختلاف الرواة في وجود قيس]

وأخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ عن ابن شَبَّةَ عن الحِزَامِيّ قال: حدّثني أيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال: سألتُ بَني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه.

(١) لم نعثر على ضبط «الملوّح» هل هو بفتح الواو أو كسرها، ولكن صاحب القاموس قال بأن العرب سمّوا ملوّحاً بفتح الواو.
(٢) الخطوب: المصائب.
(٣) اللُّوثة: مسّ الجنون.

وأخبرني عمّي قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْبٍ قال: قلتُ لرجل من بني عامر: أتعرِف المجنونَ وتَرْوِي من شعره شيئاً؟ قال: أوَقد فَرَغنا من شعر العقلاء حتى نَروِيَ أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ فقلتُ: ليس هؤلاء أعني، إنما أعني مجنونَ بني عامر الشاعرَ الذي قتله العشقُ، فقال: هيهات! بنو عامر أغلَظُ أكباداً من ذاكَ، إنما يكون هذا في هذه اليَمَانِيَةِ الضِّعافِ قلوبُها، السَّخيفةِ عقولُها، الصَّعلةِ[1] رؤوسُها، فأما نِزَارُ فلا.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: سمعت الأصمعيّ يقول: رجلان ما عُرِفَا في الدنيا قَطُّ إلا بالاسم: مجنونُ بني عامر، وابنُ القِرِّيَّةِ[2]، وإنما وَضَعَهما الرُّوَاةُ.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال: حدّثني عبد الله ابن أبي سَعْد عن الحِزَاميّ قال: ولم أسمعه من الحزاميّ فكتبتهُ عن ابن أبي سعد قال أحمد: وحدّثنا به ابنُ أبي سعد عن الحزاميّ قال: حدّثنا عبدُ الجَبَّار بن سعيد بن سليمانَ بن نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال: سعيتُ[3] على بني عامر فرأيتُ المجنونَ وأُتِيتُ به وأنشدني.

[اختلاف الرواة في اسمه ونسبه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا أبو سَعِيد السُّكَّريّ قال: حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع عن المَدَائنيّ قال: المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ لَيْلى قَيْسُ بن مُعَاذ من بني عامر، ثم من بني عُقَيل، أحد بني نُمَير بن عامر بن عُقَيل، قال: ومنهم رجل آخر يقال له: مَهْدِيُّ بن المُلَوّح من بني جَعْدَة بنِ كَعْب بن رَبيعةَ بنِ عامر بن صَعْصَعَةَ.

وأخبرني عمّي عن الكُرَانِيّ قال: حدّثنا ابن أبي سَعْد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكَلْبيّ قال: حُدّثتُ أن حديثَ المجنونِ وشعرَه وضعه فتًى من بني أميَّةَ كان

(١) الصعلة: صغر الرأس.

(٢) إبن القِرِّيه: أحد بلغاء الدهر، خطيب يضرب به المثل. والقِرِّيَّة أمه. اتصل بالحجاج فأعجب بحسن منقطه فأورده على عبد الملك بن مروان. توفي سنة ٨٤ هـ/٧٠٣ م.

(٣) سعيت على بني عامر: مشيت إليهم لأخذ صدقاتهم.

يهوَى ابنَةَ عمّ له، وكان يكرَه أن يظهرَ ما بينه وبينها، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعارَ التي يرويها الناسُ للمجنون ونَسَبها إليه.

أخبرني الحُسَين بن يحيى وأبو الحَسَن الأسَدِيّ قالا: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: اسم المجنون قيسُ بن مُعَاذٍ أحدُ بَني جَعْدَةَ بنِ كَعْب بنِ رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة.

وأخبرني أبو سَعْد الحسنُ بن عليّ بن زَكَرِيّا العَدَوِيّ قال: حدّثنا حَمَّاد بن طَالُوتَ بن عَبَّاد: أنه سأل الأصمعيَّ عنه، فقال: لم يكن مجنوناً، بل كانت به لُوثَةٌ أحدثها العشقُ فيه، كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها لَيْلَى، وآسمه قيسُ بن مُعَاذ.

وذكر عَمْرو بن أبي عَمْرو الشَّيْبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعَاذ.

وذكر شُعَيبُ بن السكَن عن يُونُسَ النَّحْوِيّ أن اسمه قيسُ بن الملوّح، قال أبو عمرو الشَّيْباني: وحدّثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه، فذكر أنه قيسُ بن الملوّح.

وذكر هشام بن محمد الكَلْبيّ أنه قيسُ بن الملوّح، وحدّث أن أباه مات قبل اختلاطه[1]، فعقَر على قبره ناقَته وقال في ذلك: [الطويل]

عَقَرْتُ على قَبْرِ المُلَوّحِ ناقَتِي ... بذي السَّرْحِ لما أنْ جَفَاهُ الأقاربُ[2]
وقُلْتُ لها كُوني عَقِيراً فإنني ... غداً راجلٌ أمشِي وبالأمس رَاكِبُ[3]
فلا يُبْعِدَنْكَ الله يابْنَ مُزَاحِمٍ ... فَكُلٌّ بكأس الموت لا شَكَّ شارِبُ

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزاميُّ وأبو عُبَيدة معْمَرُ بن المُثَنَّى أن اسمه البُحتُرِيُّ بن الجَعْد.

وذكر مُصْعَب الزُّبَيرِيّ والرِّيَاشيّ وأبو العَالِية أن اسمَه الأقرعُ بن مُعاذ.

وقال خالدُ بن كُلْثوم: اسمه مهديُّ بن الملوّح.

(١) اختلاطه: فساد عقله.
(٢) ذو السرح: واد بين مكة والمدينة، (معجم البلدان ٣/٢٠٨).
(٣) العقير: من عقر الناقة: قطع قوائمها بالسيف. والراجل: الماشي على قدميه.

[ليلى صاحبة المجنون]

وأخبرني الأخفش عن السُّكَّريّ عن أبي زِيَاد الكِلاَبيّ، قال: لَيْلَى صاحبةُ المجنون هي ليلى بنتُ سَعْد بن مَهْدِيّ بن رَبِيعَة بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعَة.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ، قال: حدّثنا أبو قِلاَبَةَ الرَّقَاشِيّ، قال: حدّثني عبد الصَّمَد بن المُعَذَّلِ، قال: سمعتُ الأصمعيَّ وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول: لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لُوثَةٌ، وهو القائل: **[مجزوء الكامل]**

أَخَـذَتْ مـحـاسِـنَ كُـلِّ مـا ... ضَـنَّـتْ مَـحَـاسِـنُـهُ بِـحُـسْـنِـهْ
كـادَ الـغَـزَالُ يَـكُـونُـهـا ... لـولا الـشَّـوَى ونُـشُـوزُ قَـرْنِـهْ[١]

[تعدد المجانين وبعض أخبارهم]

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جَمِيلٍ العَتَكِيّ قال: حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: سألتُ أعرابيّاً من بني عامر بن صَعْصَعَة عن المجنون العَامِريّ فقال: عن أيّهم تسألُني؟ فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجُنون، فعن أيّهم تسألُ؟ فقلت: عن الذي كان يُشبِّب بلَيْلَى، فقال: كلُّهم كان يُشبِّب بلَيْلَى، قلتُ: فأنشِدْني لبعضهم، فأنشَدَني لمُزَاحِم بن الحارث المجنون: **[الطويل]**

ألا أيُّـهـا الـقَـلْـبُ الَّـذي لَـجَّ هـائـمـاً ... بـلَـيْـلـى وَلِـيـداً لـم تُـقَـطَّـعْ تـمـائِـمُـهْ[٢]
أَفِـقْ قـد أفـاقَ الـعـاشِـقُـونَ وقـد أَنَـى ... لَـكَ الـيـومَ أن تَـلْـقَـى طبيباً تُلائِمُهْ[٣]
أَجِـدَّكَ لا تُـنـسِـيـكَ لَـيْـلَـى مُـلِـمَّـةٌ ... تُـلِـمُّ ولا عـهـدٌ يَـطُـولُ تَـقَـادُمُـهْ

قلت: فأنشِدْني لغيره منهم، فأنشَدَني لمُعَاذ بن كُلَيبٍ المجنون: **[الطويل]**

ألا طَـالَـمـا لاعَـبْـتُ لَـيْـلَـى وَقَـادَنـي ... إلـى الـلَّـهْـوِ قَـلْـبٌ لـلـحِـسَان تَـبُـوعُ[٤]

---

(١) الشَّوَى: الأطراف.

(٢) التمائم جمع تميمة وهي خرزة كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح. ولم تقطع تمائمه. أي ما زال صغيراً.

(٣) أنى: حان، قرب.

(٤) تبوع: صيغة مبالغة من اسم الفاعل أي كثير التتبع.

وطال امتراءُ الشَّوْقِ عينِي كُلَّما نَزَفْتُ دُموعاً تستَجِدُّ دُموعُ[١]
فقد طال إمساكِي على الكَبِد التي بها مِن هَوَى لَيْلَى الغَدَاةَ صُدُوعُ[٢]

قلتُ: فأنشِدْني لغير هذين ممن ذكرتَ، فأنشَدَني لمَهْدِيّ بن المُلَوّح: [الطويل]

لوَ انَّ لَكَ الدُّنيَا وما عُدِلَتْ به سِوَاهَا ولَيْلَى بائِنٌ عَنْكَ بَيْنُها[٣]
لكنتَ إلى لَيْلَى فَقِيراً وإنما يقودُ إليها وُدَّ نفسِك حَيْنُها[٤]

قلتُ له: فأنشِدْني لمن بقي من هؤلاء فقال: حَسْبُك! فوالله إنّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكِيعٌ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال: قال ابن الأعرابيّ: كان مُعَاذ بن كُلَيب مجنوناً، وكان يُحبّ ليلى، وشَرِكَه في حبها مُزَاحِمُ بن الحارث العُقَيليّ، فقال مُزَاحمٌ يوماً للمجنون: [الوافر]

كِلانا يا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلَى بِفِيَّ وَفِيكَ من لَيْلَى التُّرَابُ
شَرِكْتُكَ في هَوَى مَنْ كانَ حَظِّي وَحَظُّكَ مِن مَوَدَّتِها العَذَابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادَك ثم ثَنَّت بقلبي فهو مخبولٌ مُصابُ[٥]

قال فيقال: إنه لما سمع هذه الأبياتَ الْتُبِس[٦] وخولِط في عقله.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ: أنه سمع في الليل هاتفاً يهتِفُ بهذه الأبياتِ، فكانت سببَ جنونه.

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَاميّ عن أيُّوبَ بنِ عَبَايَةَ: أنّ فتًى من بني مَرْوانَ كان يَهْوَى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون، وأنه عمِلَ له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشّعرَ، فحَمله الناس وزادوا فيه.

(١) امترى: استدرّ.
(٢) صدوع: شقوق.
(٣) بان: بعد، وبينها: هنا وصلها، وهو من أسماء الأضداد يطلق على الوصل وعلى الفراق.
(٤) حَيْنُها: هلاكها.
(٥) خبلت فؤادك: أصابته بالخبال، وهو المسّ. والمخبول والمختبل: المصاب بالجنون.
(٦) التبس: أصابه الجنون واختلط.

[إنكار وجود المجنون والقول ان شعره مولّد عليه]

وأخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن العُمَرِيّ عن العتْبيّ عن عَوَانةَ أنه قال: المجنون اسم مُستعارٌ لا حقيقةَ له، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ، فسئل مَنْ قال هذه الأشعار؟ فقال: فتىً من بني أمية.

وقال الجاحظُ: ما تركَ الناسُ شعراً مجهولَ القائل قِيل في لَيْلَى إلا نَسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيلُه قيل في لُبْنَى إلا نسَبوه إلى قَيْسِ بن ذَرِيح.

وأخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال: حدّثنا هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني أبو أيُّوب المَدِيني قال: حدّثني الحَكَم بن صالح قال: قِيلَ لرجل من بني عامر: هل تعرِفونَ فيكم المجنونَ الذي قتله العشقُ؟ فقال: هذا باطلٌ، إنما يقتلُ العشقُ هذه اليَمَانِيَةَ الضّعَافَ القلوبِ.

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال: حدّثنا إبراهيمُ بن المُنذِر الحِزَاميّ قال: حدّثني أيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال: حدّثني مَنْ سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجدَ فيهم أحداً يعرِفُه.

أخبرني محمدُ بن مَزْيد بن أبي الأَزْهَر قال: حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بني عامر أنهم سُئِلوا عن المجنون فلم يعرِفوه، وذكروا أنّ هذا الشعرَ كلَّه مولَّد(١) عليه.

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمّار قال: حدّثني أحمدُ بن سُلَيمانَ بنِ أبي شَيْخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانَةَ قال: ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا: ابن أبي العَقِب صاحبُ قصيدة المَلاَحم، وابن القِرِّيَّةِ، ومجنونُ بني عامر.

أخبرني أبو الحَسَن الأسَدِيّ، قال: حدّثنا الرِّيَاشيُّ قال: سمعتُ الأصمعيَّ. يقول: الذي أُلقِيَ على المجنون من الشعر وأُضِيفَ إليه أكثرُ مما قاله هو.

أخبرني عيسى بن الحُسَين الوَرّاقُ قال: حدّثنا عمرُ بن شبَّةَ قال: حدّثني إسحاقُ قال: أنشدتُ أيُّوبَ بنَ عَبَايَةَ هذين البيتين: [الطويل]

وَخَبَّرْتُمانِي أنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ ... لِلَيْلَى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَاسِيَا(٢)

(١) المولد: المفتعل.

(٢) تيماء: بليدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى. (معجم البلدان ٢/ ٦٧).

فَهٰذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنّا قد ٱنْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرمِي بِلَيْلَى المَرامِيَا(١)

وسألتُه عن قائلهما، فقال: جميلٌ، فقلتُ له: إنّ الناس يَرْوُونَهما للمجنون، فقال: ومَن هو المجنونُ؟ فأخبرتُه، فقال: ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به.

وأخبرني عمّي عن عبد الله بن شَبِيب عن هارونَ بن موسى الفَرْوِيّ قال: سألت أبا بكر العَدَوِيّ عن هذين البيتين فقال: هما لجَمِيل، ولم يَعرِف المجنونَ، فقلتُ: فهل معهما غيرُهما؟ قال: نعم، وأنشدني: [الطويل]

وإنّي لأَخْشَى أنْ أمُوتَ فُجَاءةً وَفِي النَّفْسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا
وإنّي لَيُنْسِينِي لِقاؤكِ كُلَّما لَقِيتُكِ يوماً أنْ أَبُثَّكِ ما بِيَا
وَقالوا به داءٌ عَيَاءٌ أصابَهُ وقد عَلِمَتْ نَفْسِي مكانَ دوائِيا(٢)

وأنا أذكر مما وقع إليّ من أخباره جُمَلاً مستحسنةً، مُتبرِّئاً من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورةِ في أخباره ينسبُها بعضُ الرُّوَاة إلى غيره وينسبُها مَنْ حُكِيتْ عنه إليه، وإذا قدّمتُ هذه الشريطةَ برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَتَبِّع للعيوب.

أخبرني بخبره في شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك في سِياقة خبره ما اتَّسَقَ ولم يختلِفْ، فإذا اخْتَلَفَ نَسَبتُ كلّ رواية إلى راويها.

[بدء حبه لها]

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبِيّ، قالا: حدّثنا عمرُ بن شبّةَ عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أيوبَ عن ابن قُتَيبة، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلْثُوم وأبي عَمْرو الشَّيْباني وابن دَأْبٍ وهِشَام بن محمد الكَلْبي وإسحاقَ بنِ الجَصَّاص وغيرِهم من الرُّوَاة.

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ وأبو عُبَيدَة: كان المجنونُ يهوَى ليلى بنتَ مَهْدِيّ بن سَعْد بن مهديّ بن رَبيعة بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ وتُكنَى أُمَّ مالكٍ، وهما حينئذٍ صبيان، فعَلِق(٣) كلٌّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ

(١) النوى: البعد.
(٢) داء عياء: داء عضال، شديد لا طب له ولا برء منه.
(٣) علقه: أحبه وعشقه.

مواشِيَ أهلِهما، فلم يزالا كذلك حتى كَبِرا فحُجِبتْ عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

صوت

[الطويل]

تَـعَـلَّـقْـتُ لَـيْـلَـى وَهْـيَ ذاتُ ذُؤَابَـةٍ وَلَـمْ يَبْدُ لـلأتْـرابِ من ثَـدْيِـها حَـجْـمُ[1]
صَغِيريْنِ نَرْعَى البَهْمَ يا لَيْتَ أننا إلى اليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ[2]

في هذين البيتين للأخضَر الجُدِّيّ لحنٌ من الثَّقِيل الثاني بالوُسْطى، ذكره هارونُ بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشاميّ.

أخبرنا الحسينُ بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أيُّوب بنِ عَبَايَةَ، ونسختُ هذا الخبرَ بعينه من خطِّ هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدّثنا عبدُ الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدّثنا الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني أبو عَتَّاب البصريّ عن إبراهيمَ بن محمد الشافعيّ قال: بيْنَا ابنُ مُلَيكةَ يؤذِّن إذ سمِع الأخضرَ الجُدِّيَّ يُغنِّي من دار العاص بن وائل: [الطويل]

وعُـلِّـقْـتُـهـا غَـرَّاءَ ذاتَ ذوائـبٍ وَلَـمْ يَـبْـدُ لـلأتْـرابِ مِـنْ ثَـدْيِـهـا حَـجـمُ
صَـغِـيـرَيْـن نَـرْعَـى الـبَـهْـمَ يـا لَـيْـتَ أنـنـا إلى الـيَـوْمِ لـم نَـكْـبَـرْ ولـم تَـكْـبَـرِ الـبَـهْـمُ

قال: فأراد أن يقول: حيَّ على الصلاة فقال: حَيَّ على البَهْم، حتى سمِعه أهلُ مكةَ، فغدا يعتذرُ إليهم.

وقال ابنُ الكلبيّ: حدّثني مَعْروف المَكّيّ والمُعَلَّى بن هِلاَل وإسحَاقُ بن الجَصَّاص قالوا:

[سبب حبه لها]

كان سببُ عشق المجنون ليلَى، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كَرِيمةٍ وعليه حُلَّتان من حُلَل المُلوك، فَمَرَّ بامرأة من قومه يقال لها: كريمةُ، وعندها جماعةٌ

(١) الذؤابة: شعر الناصية، وأراد أنها صغيرة السنّ. والأتراب: جمع ترب، وهو المماثل في السن. والشطر الأول في الديوان: تعلقت ليلى وهي غرّ صغيرة.
(٢) البهم: جمع بهمة، وهو الصغير من أبناء الضأن والماعز والبقر.

نسوةٍ يتحدَّثنَ فيهنَّ ليلى، فأعجبهنَّ جمالُه وكمالُه، فدعَوْنه إلى النزول والحديثِ، فنزل وجعل يُحدِّثهنّ وأمر عبداً له كان معه فعقَر لهنّ ناقَته، وظَلَّ يُحدّثهنَّ بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتىً عليه بُرْدةٌ من بُرَدِ الأعراب يقال له: «مُنازِلٌ» يَسُوق مِعْزَى له، فلما رأيْنَه أقبلْنَ عليه وتركْنَ المجنونَ، فَغَضِبَ وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول: [الطويل]

أأَعقِرُ مِنْ جَرّا كَرِيمَةَ ناقَتِي ... وَوَصْلِيَ مَفْرُوشٌ لِوَصْلِ مُنَازِلِ(١)
إذا جاء قَعْقَعْنَ الحُلِيَّ وَلَمْ أكُنْ ... إذا جِئْتُ أرْضَى صَوْتَ تِلْكَ الخَلاخِلِ(٢)
متى ما انْتَضَلْنا بِالسِّهام نَضَلْتُهُ ... وإن نَرْمِ رَشْقاً عِنْدَها فَهْوَ ناضِلي(٣)

قال: فلما أصبح لبِس حُلَّتَه وركب ناقة له أُخرى ومضى مُتعرِّضاً لهنّ، فألفَى لَيْلَى قاعدةً بِفناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهَوِيَتْه، وعندها جُوَيرِياتٌ يتحدّثْنَ معها، فوقفَ بهنّ وسلّم، فدَعَوْنَه إلى النُّزول وقلن له: هل لك في مُحادثةِ مَنْ لا يَشْغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غَيْرُه؟ فقال: إي لَعَمْرِي، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثلُ ما له عندها، فجعلتْ تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّث غيره، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبها إياه وشَغَفَتْه واستملحها، فبينا هي تُحدِّثه، إذ أقبل فتىً من الحي فدعته وسارّته(٤) سِرَاراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّر وانْتُقِع لونه(٥) وشَقَّ عليه(٦) فعلُها، فأنشأت تقول: [الوافر]

كِلانا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً ... وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ(٧)
تُبَلِّغُنَا العُيُونُ بِمَا أرَدْنا ... وَفِي القَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

فلما سمع البيتين شَهَقَ شَهْقةً شديدة وأُغمِيَ عليه، فمكث على ذلك ساعةً،

(١) من جَرّا كريمة: من أجل كريمة. ومفروش: ممهد. وفي بعض النسخ: مقرون بدلاً من مفروش.
(٢) قعقعن الحليّ: أظهرن لها صوتاً، كناية عن القيام والاهتمام. والخلاخل: جمع خلخال، وهو نوع من الحلي تلبسه المرأة في ساقها.
(٣) انتضلنا: ترامينا بالسهام، ونضلته: غلبته. والرشق: رمي السهام في جهة واحدة.
(٤) سارّته: تحدثت إليه سرّاً.
(٥) انتقع لونه: تغير من خوف أو همّ.
(٦) شق عليه: صعب عليه.
(٧) مكين: ذو مكانة.

ونضَحوا الماءَ على وجهه حتى أفاق، وتمكّن حبُّ كلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مَبلغ.

[خطبته إياها وزواجها من ورد]

أخبرني الحَسَن بن عليّ قال: حدّثني هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني عبدُ الرحمٰن بن إبراهيمَ عن هِشَام بن محمد بن موسى المكيّ عن محمد بن سَعِيد المَخْزوميّ عن أبي الهَيْثم العُقَيليّ قال: لما شُهِرَ أمرُ المجنون وليلى وتنشاد الناسُ شعرَه فيها، خطَبها وبذَل لها خمسين ناقةً حمراء، وخطَبها وَرْدُ بن محمد العُقَيليّ وبذَل لها عَشْراً من الإبل وراعِيهَا، فقال أهلُها: نحن مُخيِّروها بينكما، فَمنِ اختارَتْ تزوّجتْه، ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم تختارِي وَرْداً لنُمَثِّلَنّ بِك، فقال المجنونُ: [الوافر]

ألا يـا لَـيْـلَ إنْ مُـلِّـكْـتِ فـيـنـا ... خِـيـارَكِ فَـانْـظُـرِي لِـمَـنِ الـخِـيـارُ
وَلا تَـسْـتَـبْـدِلِـي مـنّـي دَنِـيّـاً ... ولا بَـرَمـاً إذا حُـبَّ الـقُـتـارُ[1]
يُـهَـرْوِلُ فـي الـصَّـغِـيـرِ إذا رآه ... وَتُـعْـجِـزُه مُـلِـمَّـاتٌ كِـبَـارُ
فَـمِـثْـلُ تَـأيُّـمٍ مِـنْـهُ نِـكـاحٌ ... وَمِـثْـلُ تَـمـوُّلٍ مِـنْـهُ افـتِـقَـارُ

فاختارَتْ وَرْداً فتزوجتْه على كُرْهٍ منها.

[حكاية أبيه عن جنونه بليلى]

وأخبرني أحمدُ بن عبد العزيز وحَبِيبُ بن نَصْر قالا: حدّثنا عمرُ بن شبَّةَ قال: ذكر الهَيْثَمُ بن عَدِي عن عثمان بن عِمَارةَ بن حُرَيم المُرِّي قال: خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنونَ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّتِه، فلَقيتُ أباه شيخاً كبيراً وحَوْلَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالاً؛ فسألتُهم عنه فَبَكَوْهُ، وقال الشيخ: أمَا والله لهو كان آثرَ عندي[2] من هؤلاء جميعاً، وإنه عَشِقَ امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله، فلما فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَه إياها بعد ما ظهر من أمرهما، فزوّجها غيرَه، وكان أوّلَ ما كَلِف بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما

(١) البَرَم: اللئيم، والقتار: ريح اللحم المشويّ.
(٢) آثر عندي: أحب إليّ.

يتحدّثُ الفِتيانُ، وكان أجملَهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب، فيُفِيضونَ في الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً، فتُعرِضُ عنه وتُقبِلُ على غيره، وقد وقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه، فظنَّتْ به ما هو عليه من حبها، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَتْ فقالت:

صوت

[الوافر]

كِلانا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً وَكُلٌّ عِنْدَ صاحِبِهِ مَكِينُ
وَأسْرارُ المَلاَحِظِ لَيْس تَخْفَى إذا نَطَقَتْ بِما تُخْفِي العُيونُ

ـ غَنَّتْ في الأوّل عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ، وقيل: إنّ هذا الغناء لشارِيَةَ، والبيتُ الأخير ليس من شعره ـ قال: فَخَرَّ مَغْشياً عليه ثم أفاق فاقداً عقلَه، فكان لا يلبَسُ ثوباً إلا خَرَّقه، ولا يمشِي إلا عارياً، ويلعب بالتراب، ويجمعُ العظامَ حولَه، فإذا ذُكِرتْ له ليلى أنشأ يحدِّث عنها عاقلاً ولا يُخطيء حرفاً، وترك الصلاةَ، فإذا قيل له: ما لكَ لا تُصلّي! لم يَرُدَّ حرفاً، وكنا نحبسه ونُقيّده، فيَعَضُّ لسانَه وشفتَه، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيلَه فهو يَهِيمُ.

[قصة المجنون مع عُمَر بن عبد الرحمٰن بن عوف]

قال الهيثمُ: فولّى مروانُ بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمٰن بن عَوْف صدقات بني كعبٍ وقُشَير وجَعْدَةَ والحَريش وحَبِيبَ وعبدِ الله، فنظر إلى المجنون قبل أن يَسْتحكمَ جُنُونه فكلَّمه وأنشده فَأُعجِبَ به، فسأله أن يخرجَ معه، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى، وأنّ أهلها ٱستَعْدَوا السلطانَ عليه، فأهدرَ دَمه إن أتاهم، فأضربَ عما وعده وأمر له بقَلاَئصَ[1]، فلما عَلم بذلك وأُتِي بالقلائص ردّها عليه وٱنصرف.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة: أنّ المجنون هو الذي سأل عمر بنَ عبد الرحمٰن أن يخرج به، قال له: أكون معك في هذا الجَمْع الذي تَجمعه غداً، فَأُرى في أصحابك، وأتجمل في عشيرتي بك، وأفخرُ بقربك، فجاءه

(١) قلائص: جمع قلوص، وهي الناقة الطويلة القوائم الشابة القوية على السير.

رَهْطٌ من رهط لَيْلى وأخبروه بقصته، وأنه لا يريد التَّجَمُّلَ به، وإنما يريد أن يدخلَ عليهم بيوتَهم ويفضحَهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شَكَوْه إلى السلطان فأهدرَ دَمَه إن دخل عليهم، فأعرضَ عما أجابه إليه من أخذِه معه وأمرَ له بقلائص، فردّها وقال في ذلك: [الوافر]

رَدَدْتُ قَـلائِـص الـقُـرَشِـيِّ لَـمَّـا ... بَـدَا لِـي الـنَّـقْـضُ مِـنْـهُ لِـلْـعُـهُـودِ
وَرَاحُـوا مُـقْـصِـرِيـنَ وَخَـلَّـفُـونِـي ... إلَـى حُـزنٍ أُعَـالِـجُـهُ شَـدِيـدِ

قال: ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى، قال: فلم تزل تلك حالَه، إلا أنه غيرُ مستوحشٍ، إنما يكون في جَنَبَاتِ الحَيّ مُنفرِداً عارياً لا يَلْبَسُ ثوباً إلا خَرَّقَه، ويَهْذِي ويُخطِّطُ في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يُجيب أحداً سأله عن شيء، فإذا أحبُّوا أن يتكلَّم أو يثوبَ عقلُه ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأمِّي، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويجيبهم، ويأتيه أحداثُ الحيّ فيحدِّثونه عنها ويُنشِدُونه الشعرَ الغزَلَ، فيجيبُهم جواباً صحيحاً ويُنشِدهم أشعاراً قالها، حتى سعى[1] عليهم في السنة الثانية بعد عمرَ بن عبد الرحمٰن نوفلُ بن مُسَاحِق، فنزل مَجْمَعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عُرْيان، فقال لغلام له: يا غلام، هاتِ ثوباً فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هذا الثوبَ فألقِهِ على ذلك الرجلِ، فقال له: أتعرِفه جُعِلْتُ فِدَاك؟ قال: لا، قال: هذا ابنُ سَيِّد الحيّ، لا والله ما يلبسُ الثيابَ ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليه شيء خَرَّقَه، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه، وحَدَّثَه عن أمره، فدعا به وكلَّمه، فجعل لا يعقِل شيئاً يكلّمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يُجيبكَ جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبّه إياها، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إياها ويُنشِدُه شعرَه فيها، فقال له نوفل: الحبّ صيّرك إلى ما أرَى؟ قال: نعمْ، وسينتَهي بي إلى ما هو أشدّ مما تَرى، فعَجِب منه وقال له: أتُحِبُّ أن أزَوِّجَكَها؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيلٍ؟ قال: انطلق معي حتى أَقْدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِّبَهم في المهر لها، قال: أتُراك فاعلاً؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لك عليّ أن أفعلَ بكَ ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنونُ كأَصحِّ أصحابه يحدّثه ويُنشِده، فبلغ ذلك رَهْطَها فتلَقَّوْه في السلاح، وقالوا له: يابنَ

(١) سعى عليهم: ولي جباية زكاة أموالهم.

مُسَاحِقٍ، لا والله لا يدخل المجنونُ منازلَنا أبداً أو يموتَ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دَمَه، فأَقْبِل بهم وأَدْبر[1]، فأَبَوْا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرفْ، فقال له المجنون: والله ما وفَيْتَ لي بالعهد، قال له: انصرافُك بعد أن آيسني القومُ من إجابتك أصلحُ من سَفْكِ الدماء، فقال المجنون:

صوت

[الطويل]

أيا وَيْحَ مَنْ أَمسَى تُخُلِّسَ عَقْلُهُ ... فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً به كلَّ مَذْهَبِ[2]
خَلِيّاً من الخُلاَّنِ إلا مُعَذِّراً ... يُضَاحِكُنِي مَنْ كانَ يَهْوَى تَجَنُّبي[3]

الغناء للحُسَين بن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى من جامع أغانيه:

إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعَتْ ... رَوائِعُ عَقْلِي مِن هَوًى مُتَشَعِّبِ[4]
وَقَالُوا صَحِيحٌ ما به طَيْفُ جِنَّةٍ ... ولا الهَمُّ إلا بافْتِرَاءِ التَّكَذُّبِ[5]
وَشَاهِدُ وَجْدِي دَمْعُ عَيْنِي وَحُبُّها ... بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْناءِ عَظْمِي وَمَنْكِبِي[6]

صوت

تَجَنَّبْتَ ليلى أن يَلِجَّ بِكَ الهوى ... وَهَيْهَاتَ كان الحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
ألا إنَّما غَادَرْتِ يا أُمَّ مالكٍ ... صَدًى أيْنَمَا تَذْهَبْ به الرِّيحُ يَذْهَبِ[7]

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنْصر، وفيه لابن جامعٍ هَزَجٌ من رواية الهشاميّ وهي قصيدة طويلة.

ومما يُغنّى فيه منها قوله:

---

(١) أقبل بهم وأدبر: بذل جهده في إقناعهم.
(٢) تُخلِّس عقله: سُلِب.
(٣) المعذِّر: الذي يتكلف العذر ولا عذر له.
(٤) الروائع: المرتاعة. وفي بعض النسخ: عوازب عقلي.
(٥) طيف جنة: مس من الجن.
(٦) الأحناء: جمع حنو وهو كل شيء فيه اعوجاج.
(٧) أم مالك: ليلى معشوقة الشاعر. والصّدى: هنا الرجل النحيل.

صوت

فَلَمْ أرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنىً تَرمي جِمارَ المُحَصَّبِ[1]
وَيُبْدِي الحَصَى منها إذا قَذَفتْ به ... مِنَ البُرْدِ أطْرَافَ البَنانِ المُخَضَّبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَناظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ في أعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ
ألا إنَّما غَادَرْتِ يا أمَّ مالِكٍ ... صَدًى أيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ باستهلال، ذكر ابنُ المكيّ أنه لأبيه يحيى، وذكر الهشاميّ أنه للواثق، وذكر حَبَش أنه لابن مُحْرِز، وهو في جامع أغاني سليمانَ منسوبٌ إليه.

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ للمجنون:

[الطويل]

فَوَاللهِ ثُمَّ اللهِ إنِّي لَدَائِبٌ ... أُفَكِّرُ ما ذَنْبِي إلَيْهَا وَأعْجَبُ
وَوَاللهِ ما أدْرِي عَلامَ قَتَلْتِنِي ... وَأيَّ أمُورِي فِيكِ يا لَيْلَ أرْكَبُ
أأقْطَعُ حَبْلَ الوَصْلِ فَالمَوْتُ دُونَهُ ... أمَ اشْرَبُ رَنْقاً منكُم لَيْسَ يُشرَبُ[2]
أم أهْرُبُ حَتَّى لا أرَى لي مُجَاوِراً ... أمَ أصْنَعُ ماذا أمْ أبُوحُ فَأُغْلَبُ
فَأيُّهُما يا لَيْلَ ما تَرْتَضِينَهُ ... فَإنِّي لَمَظْلُومٌ وَإنِّي لَمُعْتِبُ

[المجنون يدعو في الحج باسم ليلاه ثم يدعو الله أن يزيده لها حبّاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال: ذكر هشام بنُ الكلبيّ ووافقه في روايته أبو نصر أحمد ابن حاتم، وأخبرنا الحَسَن بن عليّ حدّثنا ابن أبي سَعْد قال: حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام ابن الكلبيّ عن أبيه، أن أبا المجنون وأمّه ورجالَ عَشِيرته اجتمعوا إلى أبي لَيْلَى فَوَعَظوه وناشَدُوه الله والرَّحِمَ، وقالوا له: إنّ هذا الرجل لَهالكٌ، وقبلَ ذلك ففي أقبحَ من الهلاكِ بذهاب عقله، وإنكَ فاجعٌ به أباه وأهلَه، فنشَدْناكَ الله والرحمَ أن تفعل ذلك، فوالله ما هي أشرفُ منه، ولا لَكَ

(١) والمحصب: خيف منى.
(٢) الرنق: الكدِر.

مثلُ مالِ أبيه، وقد حَكَّمكَ في المَهْر، وإن شئتَ أن يخلَعَ نفسَه إليكَ من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها إنه لا يزوّجه إيّاها أبداً، وقال: أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتِي ما لم يأتِه أحدٌ من العرب، وأَسِمُ ٱبنتي بِميسَمِ فضيحةٍ! فانصَرَفُوا عنه، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه، فما أَمْسَى إلا وقد بَنَى بها، وبلغه الخبرُ فأيِس منها حينئذٍ وزال عقلُه جملةً، فقال الحيّ لأبيه: احجُجْ به إلى مكة وادعُ الله عزّ وجلّ له، ومُره أن يتعلّقَ بأستار الكعبة، فيسألَ الله أن يُعافِيَهُ مما به ويُبَغِّضَها إليه، فلعل الله أن يُخَلِّصَهُ من هذا البلاء، فحجَّ به أبوه، فلما صاروا بمِنًى سمع صائحاً في الليل يَصيحُ: يا ليلى، فصرخ صَرْخةً ظنوا أنّ نفسه قد تَلِفَتْ وسقط مَغشِيّاً عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللَّون[1] ذاهلاً، فأنشأ يقولُ:

صوت

[الطويل]

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي العَزَاءَ فقال لي ... مِنَ الآن فَايأَسْ لا أعزّكَ مِن صَبْرِ

إذا بانَ مَنْ تهوَى وَأَصْبَحَ نائياً ... فلا شَيْءَ أجْدَى من حُلُولِكَ في القَبْرِ

وَدَاعٍ دعا إذْ نَحْنُ بِالخَيْفِ مِن مِنىً ... فَهَيَّجَ أطْرَابَ الفُؤادِ وما يَدْرِي[2]

دَعا باسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأنَّما ... أطارَ بِلَيْلَى طائِراً كان في صَدْرِي

دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى ضَلَّلَ الله سَعْيَهُ ... وَلَيْلَى بِأرْضٍ عَنْهُ نَازِحَةٍ قَفْرِ

الغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ ـ ثم قال له أبوه: تعلَّقْ بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيكَ من حبّ ليلى، فتعلّق بأستار الكعبة وقال: اللّهم زِدْني لليلى حبّاً وبها كَلَفاً ولا تُنْسِني ذكرهَا أبداً، فهام حينئذٍ واختلَط فلم يَضْبِطْ. قالوا: فكان يهِيم في البَرِّيَّة مع الوحش ولا يأكلُ إلا ما ينبُت في البرِّيَّة من بقل، ولا يشربُ إلا مع الظِّباء إذا وردَتْ مناهِلَها، وطال شعرُ جسدِه ورأسِه وألِفَتْه الظِّباءُ والوُحوشُ فكانتْ لا تنفِرُ منه، وجعل يَهِيمُ حتى يبلغَ حدودَ الشأم، فإذا ثاب إليه عقلُه سأل مَنْ يمرّ به من أحياء العرب عن نجدٍ، فيقالُ له: وأين أنتَ من نجد! قد شارفتَ الشام! أنتَ في موضع كذا، فيقول: فأروني وِجْهةَ الطَّريق، فيرحَمونه ويَعرِضُون عليه أن يحملوه أو

---

(١) حائل اللون: متغير اللون.

(٢) الأطراب: جمع طرب، وهو خفة تصيب الإنسان من شدة الفرح أو الحزن. وفي الديوان: أحزان الفؤاد.

يَكْسوه فيأبى، فيدُلُّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوَه.

[وريح الخزامى: هل تهبُّ على نجدِ؟!]

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمَرِيُّ عن الهيثم بن عديّ، وأخبرنا حبيبُ بن نَصْر المهَلَّبيّ، وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قالا: حدّثنا عمرُ ابنُ شَبَّةَ قال: ذكر الهَيْثم بن عَدِيّ عن أبي مِسْكين قال: خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ[1] إذا جماعةٌ فوقَ بعض تلك الجبال، وإذا معهم فتًى أبيضُ طُوَال[2] جَعْد[3] كأحسنِ مَنْ رأيتُ من الرجال على هُزَالٍ منه وصُفرةٍ، وإذا هم مُتعلِّقون به، فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا قيسٌ المجنونُ خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت، وهو على أن يأتيَ به قبرَ رسول الله ﷺ ليدعَو له هُنَاكَ لعلّه يُكشَفُ ما به، فإنه يصنع بنفسه صَنِيعاً يرحَمه منه عدوُّه، يقول: أَخرِجوني لعلّي أتنسَّم صَبَا نَجْدٍ، فيُخرِجونه فيتوجهون به نحوَ نجدٍ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقيَ نفسَه من الجبل، فإن شِئتَ الأجرَ دنوتَ منه فأخبرتَه أنك أقبلتَ من نجدٍ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليه فقالوا له: يا أبا المَهْديّ، هذا الفتى أقبل من نجد، فتنفَّسَ تَنَفُّسَةً ظننتُ أنّ كبِدَه قد انصدعَتْ، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ، وأنا أُخبِرُه وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ وأوْجَعَه للقلب، ثم أنشأ يقولُ: [الطويل]

ألا لَيتَ شِعْرِي عَنْ عُوَارِضَتَيْ قنـاً ... لِطُول اللَّيالِي هَلْ تَغَيَّرَتَا بعدِي[4]
وَهَلْ جارتانا بِالبَتِيل إلى الحِمَى ... عَلَى عَهْدِنا أمْ لَمْ تَدُوما على العَهْدِ[5]
وَعَنْ عُلْوِيَّات الرِّياح إذا جَرَتْ ... بِريحِ الخُزَامَى هَلْ تَهُبُّ عَلَى نَجْدِ[6]
وَعَنْ أُقْحُوان الرَّمْلِ ما هُوَ فاعِلٌ ... إذا هو أَسْرَى لَيْلَةً بِثَرَى جَعْدِ[7]

---

(١) بئر ميمون: بئر بمكة. انظر معجم البلدان ١/ ٣٠٢.
(٢) الطُوال: المفرط الطول.
(٣) الجعد: القليل اللحم، والشديد الأسر. والشعر الجعد: خلاف المسترسل.
(٤) عوارضتا قنا: جبلان لبني فزارة. انظر معجم البلدان ٤/ ١٦٥ و٣٩٩.
(٥) البتيل: جبل بنجد (معجم البلدان ١/ ٣٣٦).
(٦) العلويات: جمع علوية نسبة إلى العالية وهي ما فوق أرض نجد إلى تهامة، انظر معجم البلدان: ٤/ ٧١ و١٤٧.
(٧) ثرى جعد: تراب ندٍ.

وَهَلْ أنفُضَنَّ الدَّهْرَ أَفْنانَ لِمَّتِي ... على لاحِقِ المَتنَيْنِ مُندَلِقِ الوَخْدِ[١]
وَهَلْ أسْمَعَنَّ الدَّهرَ أصْوَاتَ هَجْمَةٍ ... تَحَدَّرُ مِنْ نَشْزٍ خَصيبٍ إلَى وَهْدِ[٢]

[سؤال المجنون زوج ليلى عن عشرته معها]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثم بن عديّ والعُتْبيّ قالا: مر المجنونُ بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابنَ عمٍّ له في حيّ المجنونِ لحاجةٍ، فوقفَ عليه ثم أنشأ يقول:

صوت [الوافر]

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إلَيكَ لَيْلَى ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ أوْ قَبَّلْتَ فاها
وَهَلْ رَفَّتْ عليكَ قُرُونُ لَيْلَى ... رَفِيفَ الأُقْحُوانَةِ في نَدَاها[٣]

فقال: اللهم إذ حلَّفتَني فَنَعَمْ، قال: فقبَضَ المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقَط مغشياً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحته، وعضّ على شفته فقطعها، فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله مُتعجّباً منه فمضى.

غنَّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحُسَين بن مُحْرِزٍ، ولحنه رَمَل بالوسطى عن الهشاميّ.

[مرور المجنون بجبلي نعمان وما جرى معه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ قالا: حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال: قال محمد بن الحكَم عن عَوانة: إنه حدّثه ووافقه ابنُ نصر وابنُ حبيبٍ قالوا: إنَّ أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القُرى[٤] قبل توحشه ليَمْتاروا[٥]

(١) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. ولاحق المتنين: ظاهر جنبتي الظهر. والمندلق: السريع. والوخد: ضرب من سير الخيل والإبل.
(٢) الهجمة: القطعة من الإبل ما بين الأربعين والسبعين. والنشز: المكان المرتفع. والوهد. المكان المنخفض، المطمئن.
(٣) رفت: اهتزّت. والقرون: الذوائب. والأقحوان: البابونج، وهو زهر طيب الريح.
(٤) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام (معجم البلدان ٥/ ٣٤٥).
(٥) امتار لأهله أو لنفسه: جمع الميرة، وهي الطعام.

خوفاً عليه من أن يضيع أو يهلِكَ، فمرّوا في طريقهم بجبلي نَعْمانَ[١]، فقال له بعضُ فِتيان الحيّ: هذان جبلاً نَعْمانَ، وقد كانت ليلى تَنزِلُ بهما، قال: فأيّ الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصَّبا، قال: فوالله لا أرِيمُ[٢] هذا الموضعَ حتى تَهُبَّ الصَّبا، فأقام وَمَضَوْا فامتارُوا لأنفسهم، ثم أتَوْا عليه فأقاموا معه ثلاثةَ أيام حتى هَبّتِ الصَّبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

أيـا جَـبَـلَـيْ نَـعْـمَـانَ بـالله خَـلِّـيَـا ... سَبِيلَ الصَّبا يَخْلُص إلَيَّ نَسِيمُها
أجِدْ بَرْدَهـا أوْ تَشْفِ مِنّي حَرَارَةً ... عَلَى كَبِدٍ لم يَبْقَ إلا صَمِيمُها
فـإنّ الـصَّبَا رِيحٌ إذا ما تنسّمَتْ ... على نَفْسِ محزونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُها

[ارتحال أهل ليلى، وشعر المجنون في ذلك]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني محمدُ بن الحسين بن الحَرُونِ قال: حدّثني الكِسْرَويُّ عن جماعةٍ من الرواة قال: لما مَنَعَ أبو ليلى المجنونَ وعشيرتُه مِنْ تزويجه بها[٣]، كان لا يزال يَغْشَى بيوتَهم ويهجمُ عليهم، فشكَوْه إلى السلطان فأهدر دَمَهُ لهم، فأخبروه بذلك فلم يَرُعْهُ وقال: الموتُ أرْوحُ[٤] لي فليتَهم قتلوني، فلمّا علموا بذلك وعرَفوا أنه لا يزال يطلبُ غِرَّة[٥]، منهم حتى إذا تفرقوا دخل دورهم، فارتحلُوا عنها وأبْعدُوا، وجاء المجنونُ عشيّةً فأشرفَ على دورهم فإذا هي منهم بَلاقِع[٦]، فقصد منزلَ ليلى الذي كان بيتُها فيه، فألصقَ صدرَه به وجعل يُمرِّغُ خدَّيهِ على ترابه ويبكي، ثم أنشأ يقول، ـ وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له بغير خبر ـ:

(١) جبلا نعمان: قيل إنهما الأراك وهذيل. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٨٣.
(٢) لا أريم: لا أبرح.
(٣) كذا في النسخ التي بين يديّ. والصواب: لما منع أبو ليلى وعشيرته المجنون من تزويجه بها، وقد يكون ذلك سبق قلم من المؤلف أو من النساخ.
(٤) أرْوَح: أكثر راحة.
(٥) غرة: غفلة.
(٦) بلاقع: خالية من سكانها.

[الطويل]

أيا حَرَجَاتِ الحَيِّ حَيْثُ تَحَمَّلُوا بِذِي سَلَمٍ لا جَادَكُنَّ رَبِيعُ[1]
وَخَيماتُكِ اللاتِي بِمُنعَرَجِ اللِّوَى بَلِينَ بِلًى لَمْ تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
نَدِمتُ عَلَى ما كانَ مِنّي نَدامَةً كَما يَندَمُ المَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدتُكِ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنَّنِي نَهَيتُكِ عَنْ هٰذا وَأَنْتِ جَمِيعُ[2]
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ القَرِيبِ وَأَشْرَفَتْ إلَيْكِ ثَنايا ما لَهُنَّ طُلُوعُ

[حديثه مع نسوة بينهن ليلى]

وذكر خالدُ بن جَمِيل وخالدُ بن كُلثوم في أخبارهما التي صنعاها أنّ ليلى وعدَتْه قبل أن يختلِطَ أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فُرْصةً لذلك، فمكث مدّةً يراسلها في الوفاء وهي تَعِده وتُسَوّفُه[3]، فأتى أهلَها ذاتَ يوم والحيُّ خُلوفٌ[4]، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرَةً[5] منها بحيث تسمعُ كلامَه، فحادثهنّ طويلاً ثم قال: ألا أُنشِدُكنّ أبياتاً أحدثتُها في هذه الأيام؟ قلن: بَلَى، فأنشدهنّ:

صوت

[البسيط]

يا لَلرِّجالِ لِهَمٍّ باتَ يَعْرُونِي مُسْتَطْرَفٍ وقَدِيمٍ كادَ يُبْلِينِي
مَنْ عاذِرِي مِنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسُرٍ يأبَى فَيَمْطُلُنِي دَيْنِي ويَلْوِينِي[6]
لا يُبْعِدُ النَقْدَ مِنْ حَقِّي فَيُنْكِرَهُ ولا يُحَدِّثُنِي أنْ سَوْفَ يَقْضِينِي
وَمَا كَشُكْرِيَ شُكْرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي وَلا مُنَايَ سِوَاهُ لَوْ يُوَافِينِي
أَطَعْتُهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ فِي أمْرِهِ وَهَوَاهُ وَهْوَ يَعْصِينِي

قال: فقلن له: ما أنصفكَ هذا الغريمُ الذي ذكرتَه! وجَعَلْنَ يتضاحَكْنَ وهو يبكي، فاستحيَتْ ليلى منهنّ ورقّت له حتى بكتْ، وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو.

---

(١) حرجات: جمع حرجة وهي الغيضة أو الشجر الملتف أو الشجرة التي تكون بين الأشجار فلا تصل إليها الحيوانات الراعية. وذو سلم وادٍ بالحجاز. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٤٠.
(٢) النفس الشعاع: التي انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم. وجميع: مجموعة غير متفرقة.
(٣) تسوفه: تماطله. مأخوذ من «سوف».
(٤) الحي الخلوف: الحي الذي غاب عنه الرجال وبقي النساء.
(٥) حجرة: ناحية.
(٦) الغريم: المدين. ويمطلني: يسوفني. ويلويني: يمطلني.

[دخوله بيت ليلى مع ابني عمه وشعره في ذلك]

ـ في الثلاثة الأبيات الأُوَلِ من هذه الأبيات هَزَجٌ طُنبورِيّ لِلْمسدُودِ ـ قالا في خبرهما هذا: وكان للمجنون ابنا عمّ يأتيانِه فيُحدّثانِه ويُسَلّيانَه ويؤانسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: يا أبا المهديّ ألا تجلسُ؟ قال: لا، بل أمضِي إلى منزل ليلى فأترسَّمه وأرى آثارَها فيه، فأشفِي بعضَ ما في صدري بها، فقالا له: فنحن معكَ، فقال: إذا فعلتما أكرمتُما وأحسنتُما، فقاما معه حتى أتى دار ليلَى، فوقف بها طويلاً يتتبَّع آثارَها ويبكي ويقفُ في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي، ثم قال:

صوت [البسيط]

يـا صَـاحِـبَـيَّ أَلِـمَّـا بـي بِـمَـنْـزِلَـةٍ ... قَـدْ مَـرَّ حِـيـنٌ عَـلَـيْـهَـا أَيُّـمَـا حِـيـنِ
إنّـي أرَى رَجَـعَـاتِ الـحُـبِّ تَـقْـتُـلُـنـي ... وَكـانَ فـي بَـدْئِـهَـا مـا كـانَ يَـكْـفِـيـنِـي
لا خَيْرَ في الحُبِّ لَيسَتْ فيه قَارِعَةٌ ... كـأنَّ صـاحِـبَـهـا فـي نَـزْعِ مَـوْتُـونِ[1]
إن قـال عُـذَّالُـهُ مَـهْـلاً فـلانَ لَـهُـمْ ... قـالَ الـهَـوَى غَـيْـرُ هٰـذا الـقَـوْلِ يَـعْـنِـيـنِـي
أَلْـقَـى مِـنَ الـيَـأْسِ تـاراتٍ فَـتَـقْـتُـلُـنـي ... وَلِـلـرَّجـاءِ بَـشَـاشـاتٌ فـتُـحْـيِـيـنِـي

الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ من جامع غنائه.

[إذا جاء قعقعن الحُلى]

وقال هشام بن الكلبيّ عن أبي مسكين: إن جماعةً من بني عامر حدّثوه قالوا: كان رجلٌ من بني عامر بن عُقَيلٍ يقال له: قيسُ بن مُعاذ، وكان يُدعَى المجنونَ، وكان صاحبَ غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء، فخرج على ناقة له يسيرُ، فمرّ بامرأة من بني عُقَيلٍ يقال لها: كريمةُ، وكانت جميلةً عاقلةً، معها نسوة فعرفْنَه ودعوْنَه إلى النزول والحديثِ، وعليه حُلّتانِ له فاخرتان وطَيْلَسانٌ وقَلَنْسُوةٌ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنشِدُهنّ وهنَّ أعجبُ شيءٍ به فيما يُرَى، فلمّا أعجبَه ذلك منهنَّ عقرَ لهُنَّ ناقتَه، وقُمْنَ إليها فجعلْنَ يَشوِين ويأكلن إلى أن أمسى، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ

(١) الموتون: المضروب على وتينه، والوتين عرق معلق بنياط القلب.

الوجه مِن حيّهن فجلس إليهنّ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يَقُلْنَ له: كيف ظَلِلْتَ يا مُنازِلُ اليَوم؟ فلما رأى ذلك من فِعلهنّ غَضِب، فقام وتركهنّ وهو يقول: [الطويل]

أَأَعِقِرُ مِنْ جَرَّا كَرِيمَةَ نَاقَتِي ... وَوَصْلِيَ مَفْرُوشٌ لِوَصْلِ مُنَازِلِ
إذا جاء قَعقَعْنَ الحُلِيّ وَلَمْ أَكُنْ ... إذا جِئْتُ أَرْضَى صَوْتَ تِلْكَ الخَلاخِلِ

قال: فقال له الفتى: هَلُمَّ نَتَصَارَعْ أو نَتناضَلْ، فقال له: إن شئتَ ذلك فقُمْ إلى حيثُ لا تَراهنَّ ولا يَرَيْنَكَ، ثم ما شِئتَ فافْعَلْ، وقال:

إذا ما انْتَضَلْنا في الخَلاءِ نَضَلْتُهُ ... وإنْ يَرْمِ رَشْقاً عِندَها فَهْوَ ناضِلِي

وقال ابنُ الكلبيّ في هذا الخبرِ: فلما أصبح لبِسَ حُلَّته وركِبَ ناقَته ومضى مُتعرّضاً لهنّ، فألفَى ليلَى جالسةً بِفِناء بيتها، وكانت معهنّ يومئذٍ جالسةً، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه، وعندها جُوَيْرِيَاتٌ يُحدِّثْنَها، فوقَف بهنّ وسَلّم، فدعَوْنه إلى النزول وقُلنَ له: هل لكَ في مُحادَثَةِ مَنْ لا يَشغَلُه عنك مُنَازِل ولا غَيرُه؟ قال: إي لَعَمْري، فنزل وفَعلَ فَعْلَته بالأمس، فأرادتْ أن تَعلمَ هل لها عنده مثلُ ما لَهُ عندها، فجعلتْ تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّثُ غيره، وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشَغَفَه واستملَحَها، فبينا هي تُحدّثه إذ أقبل فتىً من الحيّ فَدَعَتْه فسارَّتْه سِرَاراً طويلاً ثم قالت له انْصرف، فانصرفَ، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وامْتُقِعَ وشَقَّ عليه ما فعلَتْ، فأنشأتْ تقول: [الوافر]

كِلانَا مُظْهِرٌ لِلنّاس بُغْضاً ... وَكُلٌّ عِنْدَ صاحِبِهِ مَكِينُ
تُبَلِّغُنَا العُيونُ مَقَالَتَيْنا ... وَفِي القَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

قد نسبت هذا الشعر متقدّماً. فلما سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقَةً عظيمةً وأُغميَ عليه فمكث كذلك ساعةً، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق، وتمَكّنَ حبُّ كُلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغَ منه كلّ مَبْلَغٍ.

حدّثني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيمَ بن محمد بن إسماعيلَ القُرَشيّ قال: حدّثنا أبو العالية عن أبي ثُمَامَة الجَعْدِيّ قال: لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلا قيسُ بنُ الملوّح.

[بعضِ أخبار اتصاله بليلى]

قال: وحدّثني بعضُ العَشيرة قال: قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخَالَطَ: ما أعجبُ شيءٍ أصابك في وَجْدِكَ بليلى؟ قال: طَرَقَنا ذاتَ ليلةٍ أضيافٌ(١) ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ(٢)، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي: اطلب لنا منه أُدماً، فأتيتُه فوقفتُ على خِبائه فصِحْتُ به، فقال: ما تشاء؟ فقلتُ: طرقَنا ضيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسَلَني أبي نَطْلُب منكَ أُدماً، فقال: يا ليلى، أخرجي إليه ذلكَ النِّحْيَ(٣)، فاملئي له إناءه من السمن، فأخرجَتْه ومعي قَعْبٌ(٤)، فجعَلَتْ تَصُبُّ السَّمْنَ فيه ونَتَحدَّثُ، فألهانا الحديثُ وهي تَصُبُّ السمنَ وقد امتلأ القَعْبُ ولا نعلَمُ جميعاً، وهو يَسيلُ حتى استنقَعَتْ أرجلُنا في السمن، قال: فأتيتُهم ليلةً ثانيةً أطلُبُ ناراً، وأنا مُتَلَفِّعٌ ببُرْدٍ لي، فأخرجَتْ لي ناراً في عُطْبةٍ(٥) فأعطتْنِيها ووقَفْنا نتحدَّثُ، فلمّا احترقتِ العُطبةُ خَرقْتُ من بُرْدي خِرقةً وجعلتُ النارَ فيها، فكلما احترقتْ خرقتُ أُخرى وأذْكيتُ بها النّار(٦) حتى لم يبق عليّ من البرد إلا ما وارَى عورتي، وما أعقِل ما أصنعُ، وأنشدني: [الطويل]

أَمُسْتَقْبِلي نَفحُ الصَّبَا ثم شَائِقِي ... بِبَرْدِ ثَنَايَا أُمِّ حَسّانَ شائِقُ
كأنَّ على أنيَابِها الخَمْرَ شَجَّهَا ... بماء النَّدَى من آخِرِ اللَّيْلِ عَاتِقُ(٧)
وما شِمْتُهُ إلا بِعَيْنِي تَفَرُّساً ... كما شِيمَ في أعْلَى السَّحابَةِ بَارِقُ(٨)

ومن الناس مَنْ يروي هذه الأبيات لنُصَيبٍ، ولكن هكذا رُوي في هذا الخبر.

(١) طرقنا أضيافٌ: جاءنا أضياف ليلاً.
(٢) الأدم: ما يؤتدم به.
(٣) النحي: زق السمن.
(٤) القعب: قدح من خشب.
(٥) العطبة: خرقة تؤخذ بها النار.
(٦) أذكيت النار: أججتها.
(٧) شجها: مزجها. والعاتق: البكر التي لم تفارق أهلها.
(٨) شمته: نظرت إليه.

[آراء في المجنون]

أخبرنا محمدُ بن خلف وَكِيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرِّقاشيّ عن عبد الصَّمد بنِ المعذَّلِ قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول ـ وقد تذاكرنا مجنونَ بني عامر ـ قال: هو قيسُ بنُ معاذ العُقيليُّ، ثم قال: لم يكن مجنوناً إنما كانت به لُوثةٌ وهو القائل: [مجزوء الكامل]

أخَـذَتْ مَـحـاسِـنَ كُـلِّ مـا ... ضَـنَّـتْ مَـحـاسِـنُـهُ بـحُـسْـنِـهْ
كـادَ الـغَـزالُ يَـكُـونُـهـا ... لـولا الـشَّـوَى ونُـشُـوزُ قَـرْنِـهْ

قال: وهو القائل:

صوت [الطويل]

وَلَـمْ أرَ لَـيْـلَـى بَـعْـدَ مَـوْقِـفِ ساعَـةٍ ... بِخَيْفِ مِنىً تَرْمِي جمارَ المُحَصَّبِ
وَيُبْدِي الحَصَى منها إذا قَذَفَتْ به ... مِنَ البُرْدِ أطرافَ البَنَان المُخَضَّبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَداةَ كناظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ في أعقابِ نَجْم مُغَرِّبِ
ألا إنَّـمـا غـادَرْتِ يـا أُمَّ مـالـكٍ ... صَدًى أيْنَمَا تَذْهَبْ به الرِّيحُ يَذْهَبِ

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأوّل، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور. وذكره ابنُ المكيّ لأبيه يحيى. وهو في جامع غناء سُلَيم بن سَلاَم له. وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الأوّل فِي أحدهما إلى ابن مُحْرِز والآخر إلى يحيى المكيّ. وزعم الهشاميّ أن فيه لِسُلَيم بنِ سَلاَم لحناً آخر من الثقيل الأوّل.

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الجَبَّار الصُّوفيّ قال: حدّثني إبراهيمُ بن سَعد الزُّهْريّ قال: أتاني رجل من عُذْرَة لحاجة، فجرى ذكرُ العشق والعُشَّاق، فقلتُ له: أنتم أرقُّ قلوباً أم بنُو عامرٍ؟ قال: إنّا لأرقُّ الناس قلوباً، ولكن غَلَبَتْنا بنو عامرٍ بمجنونها.

أخبرني أحمدُ بن عمر بن موسى بن زكويه القطّان إجَازةً قال: حدّثنا إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَاميُّ قال: أخبرني عبدُ الجبار بنُ سليمانَ بنِ نَوْفل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال: أنا رأيتُ مجنونَ بني عامر، وكان جميلَ الوجه أبيضَ اللون قد علاه شُحُوبٌ، واستَنْشَدتُه فأنشدني قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسِّنِينَ الخَوَالِيا وَأَيَّامَ لا أُعْدِي على اللَّهوِ عادِيا[١]

أخبرني محمدُ بنُ الحسن الكِنْدِيّ خطيبُ مسجدِ القادسيةِ قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: سمعت أبا عثمانَ المازنيَّ يقول: سمعتُ مُعَاذاً وبشرَ بن المفضَّل جميعاً يُنْشِدَانِ هذين البيتين ويَنْسُبانهما لمجنون بني عامر: [الطويل]

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أنْ تَرِيعَ وَإِنَّما تُقَطِّعُ أعناقَ الرِّجالِ المطامِعُ[٢]
وَدايَنْتُ لَيْلَى في خَلاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ[٣]

وحدّثني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا أبو خَلِيفة الفَضْلُ بنُ الحُبَاب عن ابن سَلاَّم قال: قضى عُبَيدُ الله بنُ الحَسَن بنِ الحُصَين بن أبي الحرّ العَنْبريُّ على رجل من قومه قضيّةً أوجبها الحكمُ عليه، وظنّ العَنْبريُّ أنه تحاملَ عليه وانصرف مُغضباً، ثم لقيه في طريق، فأخذَ بِلجَام بغلته وكان شديداً أيِّداً[٤]، ثم قال له: إيهِ يا عُبيدَ اللهِ!

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أنْ تَرِيعَ وَإِنَّما تُقَطِّعُ أعْناقَ الرِّجالِ المَطامِعُ

فقال عُبَيْدُ الله:

وَبَايَعْتُ لَيْلَى في خَلاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهودٌ عُدُولٌ عِنْدَ لَيْلَى مَقَانِعُ

خَلِّ عن البغلة. قال الصُّوليّ في خبره هذا: والبيتان للبَعيث هكذا، قال: فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفَة!.

[ليلى تزور قيساً وتحادثه وتطلب منه أن يبقي على نفسه]

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خَلَف الدلاّل قال حدّثنا زكريا بن موسى عن شُعَيب بن السَّكَنِ عن يُونس النحويّ قال: لما اختلطَ عقلُ قيس بن الملوَّح وترك الطعامَ والشرابَ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها: إنّ قيساً قد ذهب حُبُّكِ بعقله، وترك الطعامَ والشرابَ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ أن يثوبَ إليه

(١) لا أعدي: لا أنصر.
(٢) تريع: ترجع.
(٣) مقانع: جمع مقنع: وهو العدل من الشهود الذي ترضى شهادته ويقتنع بها.
(٤) أيداً: قوياً.

بعضُ عقلِه، فقالت ليلى: أما نهاراً فلا لأنّني لا آمنُ قومي على نفسي ولكن ليلاً، فأتته ليلاً فقالت له: يا قيسُ، إنّ أمّكَ تزعمُ أنك جُنِنتَ من أجلي وتركتَ المطعمَ والمشربَ، فاتقِ الله وأبقِ على نفسك، فبكى وأنشأ يقول: [البسيط]

قالَتْ جُنِنتَ عَلَى أيْشٍ فَقُلْتُ لها ... الحُبُّ أعْظَمُ مِمّا بالمجانينِ
الحُبُّ لَيسَ يُفِيقُ الدَّهرَ صاحِبُهُ ... وإنَّما يُصْرَعُ المَجْنُونُ في الحِينِ

قال: فبكتْ معه، وتحدّثنا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ، ثم ودّعتْه وانصرفَتْ، فكان آخرَ عهدِه بها.

أخبرنا ابنُ المَرْزُبانِ قال: قال القَحْذَمِيُّ: لمّا قال المجنونُ: [الطويل]

قَضاها لِغَيْرِي وأبْتَلانِي بِحُبِّها ... فَهَلاً بِشَيءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتَلانِيَا

سُلِب عقله. الغناء لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ وقيل إنه لابْن الهِرْبِذ، وفيه لمتيَّمَ[1] خفيفُ ثقيلٍ أوّل من جامع أغانيها، وحدّثني جَحْظَة بهذا الخبر عن مَيْمون بنِ هارونَ أنّه بلغه أنه لمّا قال هذا البيت بَرِص.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن طاهر القرشيّ عن ابن عائشةَ قال: إنما سمِّي المجنونَ بقوله: [البسيط]

ما بالُ قَلْبِكَ يا مَجْنُونُ قَدْ خُلِعَا ... في حَبِّ مَنْ لا تَرَى في نَيْلِهِ طَمَعَا
الحُبُّ والوُدُّ نِيطا بِالفُؤادِ لها ... فَأَصْبَحا في فؤادي ثابِتَيْنِ مَعَا

حدّثنا وَكِيعٌ عن ابن يونس قال: قال الأصمعيّ: لم يكنِ المجنونُ مجنوناً، إنما جنَّنه العشقُ، وأنشد له: [الطويل]

يُسَمُّونَنِي المَجْنُونَ حِينَ يَرَوْنَنِي ... نَعَمْ بِيَ مِنْ لَيْلَى الغَداةَ جُنُونُ
لَيالِيَ يُزْهَى بي شَبابٌ وَشِرَّةٌ ... وإذْ بِيَ مِنْ خَفْضِ المعيشة لِينُ[2]

أخبرني محمدُ بن المَرْزُبان عن إسحاقَ بن محمد بن أبَانَ قال: حدّثني عليّ ابن سَهْل عن المدائنيّ: أنه ذُكِرَ عنده مجنونُ بني عامر فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما قِيل له المجنون بقوله: [الطويل]

---

(١) متيم الهشامية: مولدة بصرية. أخذت عن إسحاق الموصلي وأبيه. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء وأدباً. سيرد الحديث عنها في الجزء التاسع من الأغاني.

(٢) الشرّة: حرص الشباب ونشاطه.

وإنّـي لَـمَـجْـنُـونٌ بِـلَـيْـلَـى مُـوَكَّـلٌ   وَلَسْتُ عَزوفاً عن هَواها ولا جَلْدَا[1]
إذا ذُكِـرَتْ لـيـلَـى بَـكَـيْـتُ صَـبَـابـةً   لِتَـذْكـارِهـا حَـتَّـى يَـبُـلَّ الـبُـكَـا الـخـدَّا

أخبرني عمرُ بن جَمِيلٍ العَتَكِيّ قال: حدّثنا عمرُ بن شبَّةَ قال: حدّثنا عَوْنُ ابن عبد الله العامريّ أنه قال: ما كان والله المجنونُ الذي تَعْزُونه إلينا مجنوناً، إنما كانت به لَوْثةٌ وَسَهوٌ أحدثهما به حُبُّ ليلَى، وأنشدَ له: [الطويل]

وَبِي مِنْ هَوَى لَـيْلَـى الَّـذي لَـوْ أَبُـثُّـهُ   جَـمَـاعَـةَ أعْدائِي بَكَتْ لي عُيـونُـهـا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلَى أبَتْ أن تُطِيعَني   فَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بِـلَـيْـلَى جُنونُـهـا

أخبرني ابن المرزُبانِ قال: قال العُتبيّ: إنما سمي المجنونَ بقوله: [الطويل]

يَـقُـولُ أُنـاسٌ عَـلَّ مَـجْـنُـونَ عـامـرٍ   يَـرُومُ سُـلُـوًّا قُـلْـتُ أنَّـى لِـمَـا بِـيَـا
وَقَـدْ لامَـنِـي فـي حُـبِّ لَـيْـلَـى أقـارِبـي   أخِي وابنُ عمِّي وابْنُ خالِي وخالِيَا
يَـقُـولُـونَ لَـيْـلَـى أهْـلُ بَـيْـتِ عَـدَاوةٍ   بِـنَـفْـسِـيَ لَـيْـلَـى مِـنْ عَـدُوٍّ ومَـالِـيَـا
وَلَوْ كان في لَيْلَى شَذاً من خُصُومَةٍ   لَـلَـوَّيـتُ أعْـنـاقَ الـمَـطِـيِّ الـمَـلاوِيَـا[2]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ عن عيسى بن إسماعيل قال: قال ابن سَلاَّم: لو حلفتُ أن مجنونَ بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لَصَدَقتُ، ولكن تَولَّه[3] لما زُوِّجت ليلى وأيقنَ اليأسَ منها، ألم تسمَعْ إلى قوله: [الطويل]

أيـا وَيْـحَ مَـنْ أمْـسَـى تُـخُـلِّـسَ عَـقْـلُـهُ   فَـأَصْـبَـحَ مَـذْهُـوبـاً بـه كُـلَّ مَـذْهَـبِ
خَـلِـيـعـاً مِـنَ الـخُـلاَّنِ إلا مُـجَـامِـلاً   يُـسـاعِـدُنِـي مَـنْ كـان يَـهْـوَى تَـجَـنُّـبِـي
إذا ذُكِـرَتْ لَـيْـلَـى عَـقَـلْـتُ وَرَاجَـعَـتْ   عَـوازِبُ قَـلْـبِـي مِـنْ هَـوًى مُـتَـشَـعِّـبِ

أخبرني به الحسنُ بن علي عن دينار بن عامر التغلَبيّ عن مسعود بن سعد عن ابن سَلاَّم ونحوه.

أخبرني محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبانِ قال: أنشدني صالح بن سعيد قال: أنشدني يعقوبُ بن السكِّيت للمجنون:

يُـسَـمُّـونَـنِـي الـمَـجْـنُـونَ حِـيـنَ يَـرَوْنَـنِـي   نَـعَـمْ بِـيَ مِـنْ لَـيْـلَـى الـغَـدَاةَ جُـنُـونُ

---

(١) عزف عن الشيء: انصرف عنه زهداً فيه أو كراهة له. والعَزُوف: صيغة مبالغة اسم الفاعل «عازف».
(٢) شذاً من خصومة: حدّ من خصومة. والملاوي جمع مَلْوًى وهو مصدر ميمي على وزن مَفْعَل.
(٣) توله: أصابه الوله، وهو ذهاب العقل من الوجد وفقدان الحبيب.

قال: وأنشدنا له أيضاً:

صوت [الكامل]

وشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الحَدِيثِ سِوَى   مـا كـانَ فِيـكِ فـإنَّـهُ شُـغْـلِـي
وَأدِيـمُ لَـحْـظَ مُـحَـدِّثِـي لِـيَـرَى   أنْ قَـد فَـهِـمْـتُ وَعِـنْـدَكُـمْ عَـقْـلِـي

[المجنون يذكر ليلاه بكنيتها أم مالك]

أخبرني ابنُ المرزُبانِ عن محمد بن الحَسَن بن دِينَار الأَحْولِ عن عليّ بن المُغِيرة الأَثْرمِ عن أبي عُبيدةَ، أنّ صاحبةَ مجنونِ بني عامر التي كَلِفَ بها ليلَى بنتُ مَهْدِيّ بن سَعْد بن مهدي بن رَبِيعة بن الحَرِيش، وكنيتها أُمُّ مالكٍ، وقد ذكَر هذه الكنيةَ المجنونُ في شعره فقال: [الطويل]

تَـكـادُ بِـلادُ الله يـا أمَّ مـالِـكٍ   بـمـا رَحُـبَـتْ يَـوْمـاً عَـلَـيَّ تَـضِـيـقُ

وقال أيضاً: [الطويل]

فـإنَّ الـذي أمّـلْـتُ مِـن أُمِّ مـالـكٍ   أشـابَ قَـذَالِـي واسـتَـهَـامَ فُـؤادِيَـا[1]
خَـلِـيـلَـيَّ إنْ دارَتْ عَـلَـى أُمِّ مـالـكٍ   صُـرُوفُ الـلّـيـالِـي فـابـغِـيَـا لـيَ نـاعِـيَـا

وقال أبو عَمْرو الشيبانيّ: عَلِقَ المجنون ليلَى بنتَ مهديّ بن سعد من بني الحَرِيش، وكنيتُها أمُّ مالكٍ، فَشُهِرَ بها وعُرِفَ خبرُه فَحُجِبَتْ عنه، فشَقَّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إياها، فاشتدَّ به الأمرُ حتى جُنَّ وقيل له: «مجنونُ بني عامر»، فكان على حاله يجلِسُ في نادي قومه فلا يَفهمُ ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِله إلا إذا ذُكِرَتْ ليلى. وأنشد له أبو عمرو:

صوت [الطويل]

ألا ما لِلَيلَى لا تُرَى عِندَ مَضْجَعِي   بَـلَـيْـلٍ ولا يَـجْـرِي بِـذلِـكَ طـائِـرُ
بَلَى إنّ عُجْمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إذا جَرَتْ   بِـلَـيْـلَـى ولَـكِـنْ لَـيْـسَ لِـلـطَّـيْـرِ زاجِـرُ[2]

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس.
(٢) زجر الطائر: أطاره فتفاءل به أو تشاءم، وذلك حسب اتجاه طيرانه.

أزالَتْ عَنِ العَهْدِ الَّذِي كانَ بَيْنَنا بِذي الأَثْلِ أم قَدْ غيَّرتْها المقادِرُ
فَوَالله ما في القُرب لِي مِنْكِ راحَةٌ ولا البُعْدُ يُسْلِينِي ولا أنا صابِرُ
وَوَالله ما أدري بِأيَّةِ حِيلَةٍ وَأيِّ مَرَام أو خِطارٍ أُخاطِرُ[1]
وَتاللهِ إنَّ الدَّهْرَ في ذاتِ بَيْنِنا عَلَيَّ لها في كلِّ حالٍ لَجائِرُ
فَلَوْ كُنْتِ إذ أَزْمَعْتِ هَجْرِي تَرَكْتِنِي جَمِيعَ القُوَى والعَقْلُ مِنِّيَ وافِرُ
وَلٰكِنَّ أيَّامي بِحَقْلِ عُنَيْزَةٍ وَبالرَّضْم أيامَ جناها التَّجاوُزُ[2]
وَقَدْ أصْبَحَ الوُدُّ الَّذِي كان بَيْنَنا أمانِيَّ نَفْسٍ وَالمُؤَمَّلُ حائِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ رَنَّقْتِ يا أمَّ مالِكٍ حَياتِي وساقَتْنِي إليكِ المقادِرُ[3]

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض الشاميين قال: دخلتُ أرضَ بني عامر، فسألتُ عن المجنون الذي قتله الحبُّ، فخبَّروني عنه أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى، رَبَا معها ثم حُجِبَتْ عنه، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقله، فأتاه أخوان من إخوانه يلومونه على ما يَصْنعُ بنفسه، فقال:

صوت

[البسيط]

يا صاحِبَيَّ أَلِمَّا بِي بِمَنْزِلَةٍ قَدْ مَرَّ حِينٌ عَلَيْها أَيُّما حِينِ
في كُلِّ مَنْزِلَةٍ دِيوانُ مَعْرِفَةٍ لم يُبْقِ باقيةً ذكرُ الدواوينِ
إنِّي أَرَى رَجَعَاتِ الحُبِّ تَقْتُلُني وَكانَ في بَدْئِها ما كانَ يَكْفِينِي

الغناء لابن جامع خفيفُ ثقيلٍ.

[هيام المجنون بليلى]

أخبرني هاشمٌ الخزاعيّ عن العباس بن الفرج الرِّيَاشيّ قال: ذكر العُتْبِيُّ عن أبيه قال: كان المجنونُ في بدء أمره يَرَى ليلى ويألَفُها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره، فكان أهلُه يُعَزُّونه عنها ويقولون: نُزَوِّجك أنفسَ جاريةٍ في عَشِيرتك، فيأبَى إلا لَيْلى ويَهْذِي بها ويذكرُها، فكان ربَّما استراحَ إلى أمانِيِّهم ورَكِنَ إلى قولهم،

(١) خطار: رهان.
(٢) الحقل: المزرعة. وعنيزة: موضع بين البصرة ومكة. انظر معجم البلدان ٤/١٦٣.
(٣) رنّق: كدّر.

وكان ربما هاج عليه الحزنُ والهمُّ فلا يَملكُ ممَّا هو فيه أن يَهِيمَ على وجهه، وذلك قبل أن يتوحَّشَ مع البهائم في القِفَار، فكان قومُه يلومونه ويَعذُلُونه، فأكثروا عليه في الملامةِ والعَذْلِ يوماً فقال: [البسيط]

يـا لَـلـرِّجـالِ لِـهَـمٍّ بـاتَ يَـعْـرُونِـي ... مُـسْـتَـطْـرَفٍ وَقَـدِيـم كـانَ يَـعْـنِـيـنِـي[1]
عَـلَـى غَـرِيـم مَـلِـيءٍ غَـيْـرِ ذِي عُـدْمِ ... يـأبَـى فَـيَـمْـطُـلُـنِـي دَيْـنِـي ويَـلْـوِيـنِـي
لا يَـذْكُـر الـبَـعْـضَ مِـنْ دَيْـنِـي فَـيُـنكِـرهُ ... ولا يُـحَـدِّثُـنِـي أنْ سَـوْفَ يَـقْـضِـيـنِـي
ومـا كَـشُـكْـرِيَ شُـكـرٌ لـو يُـوافِـقُـنِـي ... ولا مُـنًـى كَـمُـنَـاهُ إذ يُـمَـنِّـيـنِـي
أطَـعْـتُـهُ وَعَـصَـيْـتُ الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ ... فـي أمْـرِهِ ثـم يـأبَـى فَـهْـوَ يَـعْـصِـيـنِـي
خَـيْـرِي لِـمَـنْ يَـبْـتَـغِـي خَـيْـرِي وَيَـأْمُـلُـهُ ... مِـنْ دُونِ شَـرِّي وَشَـرِّي غَـيْـرُ مَـأْمُـونِ
ومـا أُشـارِكُ فـي رأيِـي أخـا ضَـعَـفٍ ... وَلا أقُـولُ أخِـي مَـنْ لا يُـوَاتِـيـنِـي

في هذه الأبيات هَزَجٌ طُنْبُورِيّ للمَسْدودِ من جامعه.

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: حدّثني رَبَاح العَامِريّ قال: كان المجنونُ أوّلَ ما عَلِقَ ليلى كثيرَ الذِّكر لها والإتيانِ باللّيل إليها، والعربُ تَرى ذلك غيرَ منكرٍ أن يتحدَّث الفِتْيَانُ إلى الفَتَياتِ، فلما عَلِمَ أهلُها بعشقه لها منعوه مِنْ إتيانها وتقدَّموا إليه[2]، فذهبَ لذلك عقلُه ويئسَ منه قومُه واعْتَنَوْا بأمْرِه، واجتمعوا إليه ولامُوه وعذَلوه على ما يصنعُ بنفسه، وقالوا: والله ما هي لك بهذه الحال، فلو تناسيتَها رَجَوْنا أن تَسلُوَ قليلاً، فقال لمّا سمِع مقالَتهم وقد غلب عليه البكاء:

صوت

[الطويل]

فَـوَاكَـبِـدَا مِـنْ حُـبِّ مَـنْ لا يُـحِـبُّـنِـي ... وَمِـنْ زَفَـرَاتٍ مَـا لَـهُـنَّ فَـنَـاءُ
أرَيْـتِـكِ إنْ لَـمْ أُعْـطِـكِ الـحُـبَّ عَـنْ يَـدٍ ... وَلَـمْ يَـكُ عِـنْـدِي إذْ أَبَـيْـتِ إبـاءُ
أتـارِكَـتِـي لِـلْـمَـوْتِ أنْـتِ فَـمَـيِّـتٌ ... وَمـا لِـلـنُّـفُـوسِ الـخـائِـفـاتِ بَـقَـاءُ

ثم أقبل على القوم فقال: إنّ الذي بي ليس بهيِّنٍ، فأقِلُّوا من مَلامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطِيعٍ لقول قائلٍ.

أخبرني عَمّي ومحمدُ بنُ حبِيبَ وابنُ المَرْزُبانِ عن عبد الله بن أبي سَعْد عن

(١) مستطرف: مستجد

(٢) تقدموا إليه: طلبوا إليه أن لا يعود إلى الحديث إليها.

عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دَأْبٍ عن رَبَاحِ بنِ حبيب العَامِرِيّ، أنه سأله عن حال المجنون وليلى، فقال: كانتْ ليلَى من بني الحَرِيش وهي بنت مَهْدِيّ بن سعِيد بن مهديّ بن رَبِيعة بن الحَرِيش، وكانت من أجمل النساء وأَظْرَفِهنّ وأَحْسَنِهنّ جِسماً وعقلاً، وأَفْضَلهنّ أدباً، وأَمْلحِهن شكلاً، وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صَبّاً بهنّ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها، فتأهَّبَ لذلك ولبِس أفضلَ ثيابِه ورجَّلَ جُمَّتَه، ومسَّ طِيباً كان عنده، وارْتَحَلَ ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ وتقلَّد سيفَه وأتاها، فسَلَّم فردَّتْ عليه السلامَ وتَحَفَّتْ[1] في المسألة، وجلس إليها فحادثَتْه وحادثَها فأكثَرا، وكلٌّ واحد منهما مُقبِلٌ على صاحبه مُعْجَبٌ به، فلم يزالا كذلك حتى أمسيَا، فانصرف إلى أهله فباتَ بأطولِ ليلةٍ شوقاً إليها، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرَفَ إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى واجتهدَ أن يُغْمِضَ فلم يقدِر على ذلك، فأنشأ يقول:

نَهارِي نَهارُ النَّاسِ حَتَّى إذا بَدَا ... لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إليكِ المَضاجِعُ
أُقَضِّي نهارِي بالحَدِيثِ وبالمُنَى ... ويَجْمَعنِي وَالهَمَّ باللَّيْلِ جامِعُ
لَقَد ثَبَتَتْ في القَلْبِ مِنْكِ مَحَبَّةٌ ... كما ثَبَتَتْ في الراحتينِ الأصابعُ

ـ عَروضه من الطويل، والغناءُ لإبراهيمَ الموصلي رملٌ بالوُسْطَى عن عمرو ـ

قال: وأدامَ زِيارَتها وترك مَنْ كان يأتيه فيتحدّثُ إليه غيرَها، وكان يأتيها في كلّ يوم فلا يزال عندها نهارَه أجمعَ حتى إذا أمسى انصرفَ، فخرج ذاتَ يومٍ يريدُ زيارتَها فلما قَرُب من منزلها لقِيَتْه جاريةٌ عَسْرَاء[2] فتطير منها، وأنشأ يقول: [الطويل]

وَكَيْف يُرَجَّى وَصْلُ لَيْلَى وَقَدْ جَرَى ... بِجَدِّ القُوَى وَالوَصْلِ أعْسَرُ حاسِرُ
صَدِيعُ العَصَا صَعْبُ المَرامِ إذا انْتَحَى ... لِوَصْلِ امْرِئٍ جُذَّتْ عليه الأواصِرُ[3]

ثم سار إليها في غد فحدّثها بقصته وطِيَرتِه ممن لقِيه، وأنه يخاف تغيُّرَ عهدِها وانتكاثه، وبكى، فقالت: لا تُرَعْ[4]، حاشَ لله من تَغَيُّرِ عهدي، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء الله، فلم يزل عندها يُحادثها بقية يومه، ووقع له في قلبها مثلُ ما وقع

(١) تحفت في المسألة: بالغت فيها.
(٢) جارية عسراء: أي جارية شؤوم.
(٣) الأواصر: روابط القربى.
(٤) لا ترع: لا تخف.

لها في قلبه، فجاءها يوماً كما كان يجيء، وأقبل يُحدِّثها فأعرضَتْ عنه، وأقبلتْ على غيره بحديثها، تريد بذلك مِحْنَتَه وأن تعلَم ما في قلبه، فلما رأى ذلك جَزِعَاً شديداً حتى بان في وجهه وعُرِفَ فيه، فلما خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسرّةِ إليه فقالت: [الوافر]

كِلانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً ... وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ

فَسُرِّيَ[1] عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إنما أردتُ أن أمتحِنَكَ والذي لَكَ عندي أكثَرُ من الذي لي عندكَ، وأُعطِي الله عهداً إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سواكَ حتى أذوقَ الموتَ إلا أن أُكرَه على ذلك، قال: فانصرفَتْ عنه وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرِّهم عيناً، وقال: [الطويل]

أَظُنُّ هَواها تارِكي بِمَضَلَّةٍ ... مِنَ الأرْضِ لا مالٌ لَدَيَّ ولا أهْلُ[2]
ولا أَحَدٌ أُفْضِي إليهِ وَصِيَّتِي ... وَلا صاحِبٌ إلا المَطِيَّةُ والرَّحْلُ
مَحَا حُبُّها حُبَّ الأُلَى كُنَّ قَبْلَها ... وَحَلَّتْ مكاناً لم يَكُنْ حُلَّ مِنْ قبلُ[3]

[شعره بعد زواجها وإياسه منها]

أخبرني جعفرُ بن قُدَامَةَ عن أبي العَيْناء عن العُتْبيّ قال: لما حُجِبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يَرْضَهُم أهلُها، وخطبها رجل من ثقِيفٍ مُوسِرٌ[4] فزوّجوه وأخْفَوْا ذلك عن المجنون ثم نُمي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقَّقْه، فقال: [الطويل]

دَعَوْتُ إلٰهي دَعْوَةً ما جَهِلْتُها ... وربِّي بما تُخفِي الصُّدورُ بَصِيرُ
لَئِنْ كُنْتَ تُهدِي بَرْدَ أنيابِها العُلا ... لأَفْقَرُ مِنِّي إنَّني لَفَقِيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تَزَوجَتْ ... فَهَلْ يأتِيَنِّي بالطلاق بشِيرُ

وقال أيضاً: [الطويل]

ألا تِلك لَيْلَى العامِرِيَّةُ أصبَحَتْ ... تَقَطَّعُ إلاّ مِنْ ثَقِيفٍ حِبالُها
هُمُ حَبَسُوها مَحْبَس البُدْنِ وابتَغَى ... بِها المالَ أقْوَامٌ ألا قَلَّ مالُها

(١) سري عنه: أي انجلى عنه ما به من هم.
(٢) أرض مضلة: أرض يضل الإنسان فيها ويتيه.
(٣) الألى: اللواتي.
(٤) موسر: ذو يسار وغنى.

إذا الْتَفَتَتْ وَالعِيسُ صُعْرٌ مِنَ البُرَى ... بِنَخْلَةَ جَلَّتْ عَبْرَةَ العَيْنِ حالُها[١]

قال: وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه، ويقول إذا جاوزه:

صوت

[الطويل]

ألا أَيُّها البَيْتُ الَّذِي لا أَزُورُهُ ... وإن حَلَّهُ شَخْصٌ إليَّ حَبِيبُ
هَجَرْتُكَ إشفاقاً وَزُرْتُك خائفاً ... وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعْتِبُ الأيّامَ فِيكَ لَعَلَّها ... بِيَوْمِ سُرورٍ في الزَّمانِ تَؤوبُ[٢]

الغناء لِعَريبَ ثاني ثقيلٍ بالوسطى. قال: وبلغه أن أهلَها يريدون نقلَها إلى الثَّقَفِيّ فقال:

صوت

[الوافر]

كأنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغدَى ... بِلَيْلَى العامِرِيَّةِ أو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فَباتَتْ ... تُجاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الجَناحُ[٣]

ـ عَرُوضه من الوافر. الغناء لابن المكيّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وفيه خَفِيفُ ثقيلٍ آخر لسُلَيمان مطلقٌ في مجرى البِنْصر، وفيه لإبراهيمَ رَمَلٌ بالوُسْطَى في مجراها عن الهِشَاميّ ـ قال: فلما نُقِلتْ ليلى إلى الثَّقَفِيّ قال:

[الطويل]

طَرِبْتَ وَشاقَتْكَ الحُمُولُ الدّوافِعُ ... غَداةَ دَعا بِالبَيْنِ أَسْفَعُ نازِعُ[٤]
شَحَا فَاهُ نَعْباً بِالفِرَاقِ كأنَّهُ ... حَرِيبٌ سَلِيبٌ نازِحُ الدّارِ جازِعُ[٥]
فَقُلْتُ ألا قَدْ بَيَّنَ الأمْرُ فانْصَرِف ... فَقَدْ رَاعَنا بِالبِينِ قَبْلَك رائِعُ

---

(١) صُعْر: جمع أصعر، وهو المائل العنق. والبرى: جمع برة، وهي الحلقة التي تجعل في أحد جانبي منخر البعير.

(٢) تؤوب: ترجع.

(٣) القطاة: طائر في حجم الحمام. وعزها: غلبها، والشرك: الفخ.

(٤) الحمول: الإبل التي تحمل الهوادج. والدوافع: المندفعة في سيرها. والأسفع: الأسود والنازع: المسرع. وأراد به الغراب هنا.

(٥) شحا فاهُ يشحوه ويشحاه: فتحه. ونعباً: صياحاً. والحريب: المسلوب الحريبة. والحريبة: المال الذي يقوم أمر الإنسان به. والسليب المسلوب.

سُقِيتَ سُمُوماً مِنْ غرابٍ فإنَّني ... تَبَيَّنْتُ ما خَبَّرتَ مُذْ أنتَ واقعُ
ألَمْ تَرَ أنّي لا مُحِبٌّ ألومُه ... ولا بِبَديلٍ بعدهم أنا قانِعُ
ألم تَرَ دارَ الحَيِّ في رَوْنَقِ الضُّحى ... بِحَيْثُ انحنَتْ لِلْهَضْبَتَيْنِ الأَجارِعُ[1]
وَقَدْ يَتَناءى الإِلْفُ مِنْ بَعْدِ أُلفةٍ ... وَيَصْدَعُ ما بَيْنَ الخَلِيطَيْنِ صادِعُ[2]
وَكَمْ مِنْ هَوًى أو جِيرةٍ قد أَلِفتُهم ... زماناً فَلَمْ يَمْنَعْهُمُ البَيْنَ مانِعُ
كأنّي غَداةَ البَيْنِ مَيْتٌ جَوْبَةٍ ... أخو ظَمَإٍ سُدَّتْ عليه المَشارِعُ[3]
تَخَلَّسَ مِنْ أوْشالِ ماءٍ صُبَابةً ... فلا الشُّربُ مَبْذُولٌ ولا هو ناقِعُ[4]
وَبِيضٍ تَطَلَّى بِالعَبِيرِ كأنّها ... نِعاجُ المَلاَ جِيبَتْ عَلَيْها البَراقِعُ[5]
تَحَمَّلْنَ مِن وادي الأراكِ فأوْمَضَتْ ... لَهُنَّ بأطْرافِ العُيونِ المدامِعُ[6]
فَما رِمْنَ رَبْعَ الدّار حتى تَشابَهَتْ ... هَجائِنُها والجُونُ منها الخَواضِعُ[7]
وَحَتّى حَمَلْنَ الحُورَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... وخاضَتْ سُدُولَ الرَّقْمِ منها الأكارِعُ[8]
فَلَمّا اسْتَوَتْ تَحْتَ الخُدورِ وقد جَرَى ... عَبِيرٌ وَمِسْكٌ بِالعَرانِينِ رَادِعُ[9]
أشَرْنَ بأن حُثُّوا الجِمالَ فَقَدْ بَدا ... مِنَ الصَّيْفِ يَوْمٌ لافِحُ الحَرِّ ماتِعُ[10]
فَلَمّا لَحِقْنا بالحُمُولِ تَباشَرَتْ ... بنا مُقْصِرَاتٌ غابَ عنها المطامِعُ[11]
يُعَرِّضْنَ بِالدَّلِّ المَلِيحِ وإن يُرِدْ ... جَناهُنَّ مشغوفٌ فَهُنَّ مَوانِعُ
فَقُلْتُ لأصحابي ودَمْعِي مُسْبَلٌ ... وَقَدْ صَدَعَ الشَّمْلَ المُشَتَّتَ صَادِعُ

---

(١) الأجارع: جمع أجرع، وهو الأرض ذات الحزونة التي لا تنبت.
(٢) يتناءى: يتباعد.
(٣) الجوبة: الفضاء الأملس السهل بين أرضين.
(٤) تخلّس: أخذ خلسة، انتهب، والأوشال: جمع وَشَل، وهو الماء القليل. والصُّبابة: بقية الماء في الإناء.
(٥) الملا: الصحراء. وجيبت: قطعت.
(٦) وادي الأراك: وادٍ قرب مكة.
(٧) رمن ربع الدار: برحنه. والهجائن: جمع هجان، وهي الإبل البيض. والجُون: جمع جَوْن وهو الأسود المشرب بالحمرة ـ والخواضع: الإبل.
(٨) الحور: جمع حوراء، وهي البيضاء، أو التي في عينيها حور. والحور: شدة سواد سواد العين وشدة بياض بياضها. والسدول: جمع سديل، وهو ما يجلل به الهودج من الثياب، والرقم: ضرب من الوشي المخطط. والأكارع: جمع أكرع. وأكرع: جمع كراع، وهو ما بين الركبة والكعب.
(٩) العرانين: جمع عرنين، وهو الأنف.
(١٠) ماتع: طويل.
(١١) مقصرات: جمع مقصرة، وهي الداخلة في القصر. والقصر: العشيّ.

أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الخُدُورِ تَعَرَّضَتْ لِعَيْنِيَ أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

أخبرني عيسى بنُ الحُسَين الوَرّاق قال: حدّثنا الهَيْثمُ بنُ فِرَاسٍ قال: حدّثني العُمَرِيُّ عن الهَيْثم بنِ عَدِيّ، أنّ أبا المجنون حجَّ به لِيدعَو الله عزّ وجلّ في الموقف أن يُعافِيَه، فسار ومعه ابن عمه زيادُ بن كعب بن مُزَاحِم، فمرّ بحمامة تدعو[1] على أيكة فوقف يبكي، فقال له زياد: أيّ شيء هذا؟ ما يُبْكِيك أيضاً؟ سر بنا نلحَقِ الرُّفقة، فقال: [الطويل]

أأنْ هَتَفَتْ يَوْماً بِوادٍ حَمامَةٌ بَكَيْتَ وَلَمْ يَعْذِرك بالجَهْلِ عاذِرُ
دَعَتْ ساقَ حُرٍّ بعدما عَلَتِ الضُّحَى فَهاجَ لكَ الأحْزانَ أن ناح طائرُ[2]
تُغنِّي الضُّحَى وَالصُّبْحَ في مُرْجَحِنَّةٍ كِثافِ الأعالِي تَحْتَها الماءُ حائرُ[3]
كأنْ لم يَكُنْ بِالغَيْل أوْ بَطْنِ أيْكةٍ أو الجِزْعِ مِنْ تول الأشاءةِ حاضِرُ[4]
يَقُولُ زِيادُ إذ رأى الحَيَّ هَجَّرُوا أرَى الحَيَّ قد ساروا فَهَلْ أنْتَ سائِرُ[5]
وَإنّي وإن غالَ التَّقادُمُ حاجَتِي مُلِمٌّ على أوطان لَيْلَى فَناظِرُ[6]

[شعره عندما رأى جبل التوباد]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزْهر عن الزُّبَير عن محمد بن عبد الله البَكْري عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير، وأخبرني عمي عن عبد الله بن شَبِيب عن هارون بن موسى الفرويّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير، وأخبرني ابنُ المَرْزُبان عن ابن الهَيْثم عن العُمَريّ عن العُتْبي قالوا جميعاً: كان المجنونُ وليلَى وهما صَبيّانِ يَرعَيانِ غنماً لأهلهما عند جبلٍ في بلادهما يقال له التَّوْبادُ[7]، فلما ذهب عقلُه وتوحَّشَ، كان يجيء إلى ذلكَ الجبلِ فيقيمُ به، فإذا تذكر أيام كان يُطِيفُ هو

---

(١) تدعو الحمامة: تصوِّت.
(٢) ساق حرّ: في الأصل: صوت القماري، وسمي القماريّ ساق حر باسم صوته، وهو المراد هنا.
(٣) المرجحنة: المتمايلة، المهتزة. والحائر: المتردد.
(٤) الغيل: واد في جوف العارض. (معجم البلدان ٤/ ٢٢٢) والإشاءة: موضع باليمامة. والجزع: منعطف الوادي، ويغلب على ظني أنه اسم مكان، وإن لم أجده فيما بين يدي من المراجع والمصادر.
(٥) هجروا: ساروا وقت الهاجرة.
(٦) غال الشيء: ذهب به.
(٧) جبل التوباد: جبل بنجد. (معجم البلدان ٢/ ٥٥).

وليلى به جَزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحيَ الشأم، فإذا ثاب إليه عقلُه رأى بلداً لا يعرفه فيقولُ للناس الذين يلقاهم: بأبي أنتم، أين التَّوبادُ من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأُمَّه[١]، فيمضي على وجهه نحوَ ذلك النجم حتى يقعَ بأرض اليمن، فَيرى بلاداً يُنكِرها وقوماً لا يَعرِفهم فيسألهم عن التَّوباد وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنتَ من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ، فإذا رآه قال في ذلك: [الطويل]

وَأجْهَشْتُ لِلتَّوْبادِ حِينَ رَأَيْتُهُ ... وكَبَّرَ للرَّحْمنِ حِينَ رآنِي[٢]
وَأذرَيْتُ دَمعَ العَيْنِ لمّا عَرَفْتُهُ ... وَنادَى بأعْلَى صَوْتِهِ فَدَعانِي
فَقُلْتُ لهُ قد كانَ حَوْلَك جِيرَةٌ ... وَعَهْدِي بذاكَ الصَّرْمِ مُنْذُ زَمانِ
فَقالَ مَضَوْا واستودَعُونِي بلادَهم ... ومَنْ ذا الذي يَبْقَى علَى الحَدَثَانِ
وإِنِّي لأَبْكِي اليومَ من حَذَرِي غداً ... فِراقَكَ وَالحَيَّانِ مُجْتَمِعانِ
سِجَالاً وَتَهتَاناً وَوَبْلاً ودِيمَةً ... وسَحّاً وتَسْجاماً إلى هَمَلانِ[٣]

[أحداث جرَّت شعراً]

أخبرني عمي عن عبد الله بن شَبِيب عن هارونَ بنِ موسى الفَرويّ عن موسى ابن جعفر بن أبي كَثِير قال: لما قال المجنونُ: [الطويل]

خَلِيلَيَّ لا وَالله لا أمْلِكُ الَّذي ... قَضَى الله في لَيْلَى ولا ما قَضَى لِيَا
قَضاها لِغَيْرِي وابتلانِي بِحُبِّها ... فَهَلاَّ بِشَيءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابتلانِيَا

سُلِبَ عَقْله. وحدّثني جحظةُ عن ميمون بن هارونَ عن إسحاقَ الموصلّي أنه لما قالهما بَرِصَ.

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنونُ يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح: يا ليلى في ليلةٍ ظلماءَ أو توهَّم ذلكَ، فقال لبعض مَنْ معه: أما تسمعُ هذا الصوتَ؟ فقال: ما سَمِعْتُ شيئاً، قال: بلى، والله هاتفٌ يهتِفُ

---

(١) أمَّهُ: اقصده.
(٢) أجهش بالبكاء: تهيأ له.
(٣) تهتاناً: صبّاً. وسحّاً: صباً أيضاً.

بليلى، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

أقُولُ لأدنى صاحِبَيَّ كُلَيْمَةً أُسِرَّتْ مِنَ الأقْصَى أجِبْ ذا المُنادِيَا
إذا سِرْتُ في الأرْضِ الفَضاءِ رَأيتُنِي أُصانِعُ رَحْلِي أن يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِيناً إذا كانَتْ يميناً وإن تَكُنْ شِمالاً يُنازِعْنِي الهَوى عن شِمَالِيَا

وقال ابنُ شَبِيبٍ وحدّثني هارونُ بنُ موسى قال: قلتُ لِغُرَيرِ بنِ طلحةَ المخزوميّ: مَن أشعرُ الناس ممن قال شعراً في مِنًى ومكةَ وعرفاتٍ؟ فقال: أصحابُنا القُرَشِيُّون، ولقد أحسنَ المجنونُ حيث يقول: [الطويل]

وَداعِ دَعا إذ نَحْنُ بالخَيْفِ مِنْ مِنىً فَهَيَّجَ أحزانَ الفُؤادِ وما يَدْرِي
دعاً باسْمِ لَيْلَى غَيْرَها فكأنَّما أطارَ بِلَيْلَى طائراً كان في صدري

فقلت له: هل تَروِي للمجنون غيرَ هذا؟ قال: نعم، وأنشدني له: [الطويل]

أما وَالَّذي أرْسَى ثَبِيراً مكانَهُ عَلَيْهِ السَّحابُ فَوْقَهُ يَتَنَصَّبُ
وما سَلَكَ المَوْمَاةَ مِنْ كُلِّ جَسْرَةٍ طَلِيحٍ كَجِفْنِ السَّيْفَ تَهْوِي فتُركبُ(١)
لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زماناً أُحِبُّها أخا المَوْتِ إذ بَعْضُ المُحِبِّينَ يَكْذِبُ

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو، وأنشدَ للمجنون:

صوت

[الطويل]

أبَى القَلْبُ إلا حُبَّهُ عامِرِيَّةً لها كنيةٌ عَمْرٌو وَلَيْسَ لَها عَمْرُو
تكادُ يَدِي تَنْدَى إذا ما لَمَسْتُها وَيَنْبُتُ في أطرافِها الوَرَقُ الخُضْرُ

الغناء لعريبَ ثقيلٌ أوّلُ، وقال حبش: فيه لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ.

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ عن دماذ عن أبي عُبيدة قال: خطب ليلَى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم، فخطبها رجلٌ من ثَقِيف موسرٌ فرضيته، وكان جميلاً فتزوجها وخرج بها، فقال المجنونُ في ذلك: [الطويل]

---

(١) الموماة: الفلاة لا ماء فيها. والجسرة: الناقة القوية على السير. والطليح: هنا الناقة التي أضناها السير.

ألا إنَّ لَيْلَى كالمَنِيحَةِ أصْبَحَتْ تَقَطَّعُ إلاّ مِن ثَقِيفٍ حِبالُها[١]
فَقَدْ حَبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وٱبْتغَى بها الريحَ أقوامٌ تَسَاحَتَ مالُها[٢]
خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمانِها يُدَنِّي لنا تَكْلِيمَ لَيْلَى احْتِيالُها
فإن أنْتُما لَمْ تَعْلَمَاها فَلَسْتُما بأوَّلِ باغٍ حاجَةً لا يَنالُها
كأنَّ مَعَ الرَّكْبِ الَّذِين اغتَدَوْا بها غَمَامَةَ صَيْفٍ زَعْزَعَتْها شَمالُها
نَظَرْتُ بِمُفْضَى سَيْلِ جَوْشَنَ إذ غَدَوْا تَخُبُّ بأطْراف المَخَارِمِ آلُها[٣]
بِشَافِيَةِ الأحْزانِ هَيَّجَ شَوْقَها مُجَامَعَةُ الألاّفِ ثم زِيَالُها[٤]
إذا الْتَفَتَتْ مِنْ خَلْفِها وَهْيَ تَغْتَلي بها العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العينِ حَالُها

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفشُ قال: أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ عن أبي نصر أحمدَ بن حاتم قال: وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال:

صوت

[الطويل]

وأَحْبِسُ عَنْكِ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِذِكْراكِ وَالمَمْشَى إلَيْكِ قَرِيبُ
مَخَافَةَ أنْ تَسْعَى الوُشَاةُ بِظِنَّةٍ وأحْرُسُكُمْ أنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ
فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي - وأنتِ اجترمْتِهِ وكُنْتِ أعَزَّ النَّاسِ - عَنْكِ تَطِيبُ
فَلَوْ شِئْتِ لم أغْضَبْ عَلَيْكِ وَلَمْ يَزَلْ لكِ الدَّهرَ منِّي ما حَيِيتُ نَصِيبُ
أمَا وَالَّذِي يَبْلُو السَّرائِرَ كُلَّها وَيَعْلَمُ ما تُبْدِي به وتَغِيبُ
لَقَدْ كُنْتِ مِمَّنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خُلَّةً لها دون خُلاَّنِ الصَّفاءِ حُجُوبُ

ذكر يحيى المكِّيّ أنه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ، وقال الهِشَاميّ: إنه من منحول يحيى إليه.

---

(١) المنيحة: الهبة.
(٢) تساحت مالها: ذهب.
(٣) جوشن: جبل مطل على حلب، وما أظن الشاعر ومحبوبته وصلا إليه. أما في بقية النسخ فقد وردت جوشين مثنى جوش. وهو جبل في بلاد القين بين اذرعات والبادية. والمخارم جمع مخرم، وهو الطريق في الجبل أو الرمل.
(٤) زيالها: مفارقتها.

[خبر الببغاء عن امرأة أحبت فتى من قريش]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال: حدّثني الحَسَن بن محمد بن طالب الدِّيناري قال: حدّثني إسحاق الموصليّ، وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني سَعِيد بن سُلَيمان عن أبي الحسن البَبَّغاء قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط[1] ليلاً، إذا بظلّ نسوة في القمر، فسمعتُ إحداهُنّ تقول: أهو هو؟ فقالت لها أُخرى معها: إي والله إنه لهو هو! فدنت منّي ثم قالت: يا كهلُ، قل لهذا الذي معك: [البسيط]

لَيْسَتْ لَيالِيكَ في خَاخٍ بِعَائِدَةٍ ... كما عَهِدْتَ ولا أيّامُ ذي سَلَمِ[2]

فقلت: أجِبْ فقد سمعتَ، فقال: قد والله قُطِعَ بي وأُرتج عليّ فأجبْ عنّي، فقلت: [الطويل]

فَقُلْتُ لها يا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ إلى منزلي، فإذا أنا بجويريةٍ تجذِب ردائي فالتفتُّ، فقالت لي: المرأةُ التي كلمتها تدعوكَ، فمضيتُ معها حتى دخلت داراً واسعة ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثَنَتْ لي وسادةً فجلستُ عليها، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثنيةٍ فطرحتها، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليها، فقالت لي: أنت المجيبُ؟ قلتُ: نعم، قالت: ما كان أفظَّ لجوابكَ وأغلَظه! فقلت لها: ما حضرني غيرُه، فسكتَتْ، ثم قالت: لا، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من إنسان كان معَك! فقلت لها: أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحِبِّينَ، فقالت: هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ، فقلت: أنا الضامن وعليّ أن آتِيَكِ به في الليلة القابلة فانصرفتُ، فإذا الفتى ببابي، فقلتُ: ما جاء بكَ؟ قال: ظننتُ أنها ستُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبراً، فظننتُ أنّكَ عندها، فجلستُ أنتظركَ، فقلت له: وقد كان الذي ظننتَ، وقد وعدتُها أن آتيَكَ فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساءَ، فلما جاء الليلُ رحَلنا إليها، فإذا

---

(١) البلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة. (معجم البلدان ١/ ٤٧٧). وانظر النهاية لابن الأثير مادة (بلط).

(٢) خاخ: موضع بين الحرمين. وفي بقية النسخ: «جمع»، وذو سلم: واد بالحجاز.

الجاريةُ منتظرةٌ لنا، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلتْ تلك الدارَ ودخلْنا معها، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ قد أُعِدَّ ونُضّد، فجلسنا على وسائدَ قد ثُنيتْ لنا، وجلست مَليّاً ثم أقبلتْ عليه فعاتبته ملياً ثم قالت:

صوت

[الطويل]

وَأنـتَ الَّـذِي أخْـلَـفْـتَـنـي ما وَعَـدْتَـنـي ... وَأشْـمَـتَّ بـي مَـنْ كـانَ فـيـكَ يـلُـومُ
وَأبـرَزْتَـنِـي لِـلـنَّـاسِ ثُـمَّ تَـرَكْـتَـنِـي ... لـهـم غَـرَضـاً أُرمَـى وأنْـتَ سَـلِـيـمُ
فَـلـو كـان قـولٌ يَـكـلُـمُ الـجِـلْـدَ قـد بـدا ... بِـجِـلْـديَ مـن قـول الـوُشـاةِ كُـلُـومُ

هذه الأبيات لأميمة امرأة ٱبن الدُّمَينةِ، وفيها غناء لإبراهيم الموصلي ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه. وقال الهشاميّ: هو خفيفُ رملٍ. وفيه لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم الوَادِي وإلى يعقوبَ. قال: ثم سكتَتْ وسكت الفتى هُنيهةً ثم قال:

[الطويل]

غَـدَرْتِ ولـم أغْـدِرْ وخُـنْـتِ وَلَـمْ أخُـنْ ... وفـي بَـعْـضِ هـذا لِـلْـمُـحِـبِّ عَـزَاءُ
جَـزَيْـتـكِ ضِـعْـفَ الـوُدِّ ثـم صَـرَمْـتِـنـي ... فَـحُـبُّـكِ مِـنْ قَـلْـبِـي إلـيـكِ أداءُ

فالتفتت إليّ فقالت: ألا تسمع ما يقول! قد خبرتُكَ، فغمزتُه أن كُفَّ فكفّ، ثم أقبلتْ عليه وقالت:

صوت

[الطويل]

تجاهَلْتَ وَصْلِي حِينَ جَدَّتْ عَمايتي ... فَـهَـلاّ صـرَمْـتَ الـحَـبْـلَ إذ أنـا أُبـصِـرُ(١)
وَلِي مِنْ قُوَى الحَبلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ ... نَـصِـيـبٌ وإذْ رأيـي جَـمِـيـعٌ مُـوفَّـرُ
وَلـكِـنَّـمـا آذَنْـتَ بِـالـصَّـرْمِ بَـغْـتَـةً ... وَلَـسْـتُ عـلـى مِـثْـلِ الَّـذِي جِـئْـتَ أَقْـدِرُ

ـ الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ـ فقال: [الطويل]

لَـقَـدْ جَـعَـلَـتْ نَـفْـسِـي ـ وأنْـتِ اجْـتَـرَمْـتِـه ... وَكُـنْـتِ أعَـزَّ الـنَّـاسِ ـ عـنـكِ تـطـيـبُ

قال: فبكت، ثم قالت: أو قد طابتْ نفسُك! لا، والله ما فيك بعدها خير،

(١) جدّ: اشتد. والعماية: الغواية واللجاج.

ثم التفتت إليّ وقالت: قد علمتُ أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك. وهذا البيت الأخير للمجنون، وإنما ذُكِر هذا الخبرُ هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه.

رجع الخبر إلى سِيَاقَةِ أخبار المجنون

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ أنّ رهطَ المجنون اجتازوا في نُجْعَةٍ[1] لهم بحيّ ليلى، وقد جمعتْهم نُجْعَةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقْدِم على الإلمام بهم وعدَلَ أهلُه إلى جهة أُخرى، فقال المجنونُ:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ إنَّ البَيْتَ بالقِبَلِ الَّذي ... مررتُ ولم أُلْمِمْ عليه لَشَائِقُ[2]
وَبِالجَزْعِ مِنْ أعْلَى الجنيبة مَنْزِلٌ ... شَجَا حَزَنٍ صَدْرِي به مُتَضَايِقُ[3]
كأنّي إذَا لم أَلْقَ لَيْلَى مُعَلَّقٌ ... بِسِبَّيْنِ أهْفُو بين سَهْلٍ وحَالِقِ[4]
عَلَى أنَّنِي لَوْ شِئْتُ هاجَت صَبَابَتِي ... عَلَيَّ رُسُومٌ عَيَّ فيها التَّناطُقُ
لعَمْرُكِ إنَّ الحُبَّ يا أُمَّ مالكٍ ... بِقَلْبِي بَرَانِي الله منه لَلاَصِقُ
يَضُمُّ عليَّ الليلُ أطرافَ حُبِّكم ... كما ضَمَّ أطرافَ القَمِيص البَنَائِقُ[5]

صوت

وماذا عَسَى الواشُونَ أن يَتَحَدَّثوا ... سِوَى أن يقولوا إنَّنِي لكِ عاشِقُ
نَعَم صَدَقَ الواشُونَ أنتِ حَبِيبةٌ ... إلَيَّ وإنْ تَصْفُ منكِ الخلائِقُ

الغناء لمتيّم ثقيلٌ أوّلُ من جامعها. وفيه لِدعَامةَ رملٌ عن حَبَشٍ.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ قال: حدّثني أحمدُ بن الطَّيِّب قال: قال ابن الكلبيّ: دَخَلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفي يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به، فتنفَّستْ

(١) النجعة: الذهاب في طلب الكلأ.
(٢) القِبَل: الناحية.
(٣) الجزع: منعرج الوادي ومنعطفه. والجنيبة: لعلها تصغير الجنبة وهي الناحية ولم أجدها في معجم بلدان اسما لموضع. أما ما ورد في نسخة «الجنينة» فهي روضة نجدية بين طرية وحزن بني يربوع.
(٤) السبّ: السبب، الحبل. وأهفو: أذهب في الهواء. والحالق: الجبل العالي المرتفع. وفي البيت إقواء.
(٥) البنائق: جمع بنيقة وهي لبنة القميص.

ثم قالت: سقى الله من أهدى لي هذا المِسْواك؛ فقالت لها جارتُها: مَنْ هو؟ قالت: قيسُ بنُ الملوّح، وبكت ثم نَزعتْ ثيابَها تغتسلُ؛ فقالت: وَيْحَه! لقد عَلِقَ منّي ما أهلكه مِنْ غير أن أستحِقَّ ذلك، فنشدتُكِ الله، أصدَق في صفتي أم كذَب؟ فقالت: لا والله، بل صدق، قال: وبلغ المجنونَ قولُها فبكى ثم أنشأ يقول: [البسيط]

نُبِّئْتُ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا نُبَخِّلُها ... قالَتْ سَقَى المُزْنُ غَيْثاً مَنْزِلاً خَرِبَا
وَحَبَّذَا راكِبٌ كُنَّا نَهَشُّ بِه ... يُهْدِي لَنَا مِنْ أراكِ المَوْسِمِ القُضُبَا
قالتْ لِجارَتِها يوماً تُسَائِلُها ... لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وأَلْقَتْ عِنْدَها السَّلَبَا[1]
يا عَمْرَكِ الله أَلاَ قُلْتِ صادقةً ... أَصَدَقَتْ صِفَةُ المجنون أم كَذَبَا

ويروى: «نشدتُكِ الله» ويروى: «أصادقاً وصفَ المجنونُ أم كذبا».

وقال أبو نصر في أخباره: لما زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفيّ سمع المجنونُ رجلاً من قومها يقول لآخر: أنتَ ممن يُشَيِّعُ لَيْلَى؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً، ضَحْوةً أو الليلةَ، فبكى المجنونُ ثم قال:

صوت

[الوافر]

كأنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى العامِرِيَّةِ أَوْ يُراحُ
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فَباتَتْ ... تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجَناحُ

الغناء ليحيى المكيّ خفيفُ ثَقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى إبراهيمَ وإلى أحمد بين يحيى المكيّ؛ وقال حَبَش: فيه خَفِيفُ ثقيل بالوسطى لسليم.

وقال الهيثمُ بنُ عدِيّ في خبره: حدّثني عبد الله بن عَيَّاش الهَمْدَاني قال: حدّثني رجلٌ من بني عامر قال: مُطِرنا مَطَراً شديداً في ربيع ارْتَبَعْناه، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالساً حَجْرَةً[2] وحدَه فقصدتُه، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكي فوعظتُه وكلمتُه طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسَه إليّ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرْقَته:

(١) السَّلب: كل ما على الإنسان من ثياب.
(٢) حجرةً: ناحيةً.

صوت

[الطويل]

جَرَى السَّيْلُ فاسْتَبْكانِيَ السَّيْلُ إذْ جَرَى وَفاضَتْ له مِنْ مُقْلَتَيَّ غُروبُ[1]
وما ذاكَ إلا حِينَ أيْقَنْتُ أنَّهُ يَكُونُ بِوادٍ أنتِ فيه قريبُ
يكونُ أُجاجاً دُونَكُمْ فإذا انتهى إليكم تَلَقَّى طِيبَكُمْ فَيَطِيبُ
أَظَلُّ غَرِيبَ الدَّارِ في أرْضِ عامرٍ ألا كلُّ مَهْجُورٍ هُناكَ غَرِيبُ
وَإنَّ الكثيبَ الفَرْدَ مِنْ أيمنِ الحِمَى إلَيَّ وإنْ لم آتِهِ لَحَبِيبُ
فَلا خَيْرَ في الدُّنيا إذا أنْتَ لم تَزُرْ حَبِيباً وَلَمْ يَطْرَبْ إليكَ حَبِيبُ

وأوّل هذه القصيدة ـ وفيه أيضاً غناء ـ:

صوت

[الطويل]

ألا أيُّها البَيْتُ الَّذي لا أزُورُهُ وهُجْرانُهُ مِنّي إلَيْهِ ذُنوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْتاقاً وَزُرْتُكَ خائفاً وفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيب[2]
سَأسْتَعْطِفُ الأيامَ فِيكَ لَعَلَّها بِيَوْمِ سُرُورٍ في هَواكَ تُثِيبُ

هذه الأبيات في شعر محمد بن أمَيَّةَ مَرْوِيةٌ، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون في هذه القصيدة. وفيها لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ. ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ. ولأحمد بن المَكّي خفيفُ ثقيلٍ.

وَأُفْرِدْتُ إفرادَ الطَّرِيدِ وَباعَدَتْ إلى النَّفْسِ حاجاتٌ وَهُنَّ قَرِيبُ
لئن حال يأسٌ دون لَيْلَى لَرُبَّما أتى اليَأسُ دُونَ الأمْرِ فَهْوَ عَصِيبُ
وَمَنَّيْتِني حَتَّى إذا ما رَأيتِني عَلَى شَرَفٍ لِلنَّاظِرِينَ يُرِيبُ
صدَدْتِ وَأشْمَتُّ العَدُوَّ بِصَرْمِنا أثابَكِ يا لَيْلَى الجَزَاءَ مُثِيبُ

[لقاؤه ليلى فجأة وقوله في ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا محمد بن زَكَريا الغَلاّبيّ قال: حدّثنا مَهْدِيّ بن سَابق قال: حدّثنا بعضُ مشايخ بني عامر أن المجنون مرّ في

(١) الغروب: جمع غرب، وهو الدمع.
(٢) في النسخ التي بين أيدينا «وفي عليك الدهر منك رقيب».

توحُّشه فصادف حيَّ ليلَى راحلاً ولقيها فَجْأَةً فعرفها وعرفتْه فصَعِقَ وخرّ مغشيّاً على وجهه، وأقبل فتيانٌ من حيّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وَقْفةً، فرقّتْ لِمَا رأتْه به، وقالت: أمّا هذا فلا يجوز أن أفتضِحَ به، ولكن يا فلانةُ ـ لأمةٍ لها ـ اذهبي إلى قيس فقولي له: ليلى تقرأ عليك السلامَ، وتقول لكَ: أَعزِزْ عليّ بما أنتَ فيه، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاء دائكَ لوقَيْتُكَ بنفسي منه، فمضتِ الوليدةُ إليه وأخبرتْه بقولها، فأفاقَ وجلس وقال: أَبْلِغيها السلامَ وقولي لها: هيهاتَ! إنّ دائي ودوائي أنتِ، وإنّ حياتي ووفاتي لفي يديكِ، ولقد وكَّلْتِ بي شقاء لازماً وبلاء طويلاً. ثم بكى وأنشأ يقول: **[الطويل]**

أَقُولُ لأَصْحابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُها ... قَرِيبٌ وَلٰكِنْ في تَناوُلِها بُعْدُ
لَقَدْ عارَضَتْنا الرِّيحُ مِنْها بِنَفْحَةٍ ... عَلى كَبِدِي مِنْ طِيبِ أَرْوَاحِها بَرْدُ
فَما زِلْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ وَقَدْ مَضَتْ ... أَناةٌ وَما عِنْدِي جَوابٌ ولا رَدُّ[1]
أُقَلَّبُ بالأَيْدِي وَأَهْلِي بِعَوْلَةٍ ... يُفَدُّونَنِي لَوْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْدُوا[2]
وَلَمْ يَبْقَ إلا الجِلْدُ وَالعَظْمُ عارِياً ... ولا عَظْمَ لي إنْ دامَ ما بي ولا جِلْدُ
أَدُنْيايَ ما لي في انقطاعِي وغُربتي ... إليكِ ثَوابٌ مِنكِ دَيْنٌ ولا نَقْدُ
عِدِينِي ـ بنفسِي أنتِ ـ وعداً فربّما ... جلاَ كُرْبَةَ المكروب عن قلبه الوعدُ[3]
وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ ولا كَبَلِيَّتِي ... وَلا مِثْلَ جَدِّي في الشَّقاءِ بِكُمْ جَدُّ[4]
غَزَتْنِي جُنُودُ الحُبِّ مِنْ كُلِّ جانبٍ ... إذا حانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ أَتى جُنْدُ[5]

[خبر نوفل بن مساحق مع المجنون]

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم: كان أبو عمرو المدنيّ يقول: قال نَوْفَل بن مُسَاحِق: أُخبِرتُ عن المجنون أن سببَ توحّشه أنه كان يوماً بِضَرِيَّة[6] جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل: **[الوافر]**

كِلانَا يا أُخَيَّ يُحِبُّ لَيْلَى ... بِفِيَّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلَى التُّرابُ

---

(١) الأناة: التصبر والتمهل.
(٢) العولة والعول: رفع الصوت بالبكاء.
(٣) بنفسي أنت: أي أفديك بنفسي.
(٤) الجدّ، بفتح الجيم: الحظ.
(٥) القفول: الرجوع. مصدر «قفل».
(٦) ضرية: بئر بنجد، وقيل أرضٌ بها. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٥٧.

لـقـد خَـبَـلْـتَ فُـؤادكَ ثُـم ثَـنَّـتْ بِـقـلـبـي فـهـو مَـهـمـومٌ مُـصـابُ
شَـرِكْـتُكَ فـي هَـوَى مَـن لـيـس تُـبدِي لـنـا الأيـامُ مِـنْـهُ سِـوَى اجْـتِـنَـابِ

قال: فتنفّس الصُّعَداءَ وغُشِيَ عليه، وكان هذا سببَ توحُّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفلُ بن مُسَاحِقٍ[1].

قال نوفل: قدِمتُ الباديةَ فسألتُ عنه، فقيل لي: توحَّشَ وما لنا به عهدٌ ولا ندرِي إلى أين صار، فخرجتُ يوماً أتصيَّدُ الأرْوَى[2]، ومعي جماعةٌ من أصحابي، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأرَاكةٍ[3] عظيمة قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء، فيها شخصُ إنسانٍ يُرَى من خَلَل تلك الأراكةِ، فعجِبَ أصحابي من ذلك، فعرفتُه وأتيته وعرفتُ أنه المجنونُ الذي أُخبِرتُ عنه، فنزلتُ عن دابتي وتخفَّفتُ من ثيابي وخرجت أمشي رُويداً حتى أتيت الأراكةَ فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء؛ فإذا به وقد تدلّى الشَّعرُ على وجهه، فلم أكد أعرفُه إلا بتأمّل شديد، وهو يرتَعي في ثمر تلك الأراكةِ فرفع رأسَه فتمثَّلتُ ببيت من شعره: [الطويل]

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ باعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشِعْبَاكُما مَعَا

قال: فنَفَرَتِ الظباءُ، واندفع في باقي القصيدة يُنشِدُها، فما أنسى حُسْنَ نَغْمَتِه وحسنَ صوته وهو يقول:

فَـمـا حَـسَـنٌ أن تـأتِـيَ الأمْـرَ طـائـعـاً وتَـجْـزَعَ أنْ داعِـي الـصَّـبـابَـةِ أسْـمَـعـا
بَـكَـتْ عَـيْـنِـيَ الـيُـسْـرَى فَـلَـمّـا زَجَـرْتُـها عَـنِ الـجَـهْـلِ بَـعْـدَ الـحِـلْـمِ أسْـبَـلَـتَـا مَـعَـا
وَأَذْكُـرُ أَيّـامَ الـحِـمَـى ثُـمَّ أَنْـثَـنِـي عَـلَـى كَـبِـدِي مِـنْ خَـشْـيَـةٍ أنْ تَـصَـدَّعَـا
فَـلَـيْـسَـتْ عَـشِـيّـاتُ الـحِـمَـى بـرواجـعٍ عـلـيـك ولـكـن خَـلِّ عَـيْـنَـيْـكَ تَـدْمَـعَـا
مَـعِـي كُـلُّ غِـرٍّ قَـدْ عَـصَـى عـاذِلاتِـهِ بِـوَصْـلِ الـغَـوانِـي مِـنْ لَـدُنْ أنْ تَـرَعْـرَعَـا
إذا راحَ يـمـشِـي فـي الـرداءيـنِ أسـرَعَـتْ إلـيـه الـعَـيـونُ الـنـاظـراتُ الـتَّـطَـلُّـعَـا

(١) في البيت إقواء.

(٢) الأروى: جمع أروية وهي الوعل.

(٣) الأراكة: واحدة الأراك، وهو شجر كثير الورق والأغصان، يتخذ منه المسواك.

قال: ثم سقط مغشيّاً عليه، فتمثَّلتُ بقوله: [البسيط]

يا دارَ لَيْلَى بِسِقْطِ الحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ إلا الثُّمَامَ وإلا مَوْقِدَ النَّارِ(١)
ما تَفْتَأُ الدَّهرَ مِنْ لَيْلَى تَمُوتُ كذا في مَوْقِفٍ وقَفْتَهُ أوْ على دار
أبْلَى عِظامَكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذِكْرُكَهَا كما يُنَحِّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ البارِي(٢)

فرفع رأسه إليّ وقال: مَنْ أنتَ حيّاك الله؟ فقلت: أنا نوفلُ بنُ مُساحقٍ، فَحَيّاني فقلت له: ما أحدثتَ بعدي في يأسِكَ منها؟ فأنشدَني يقول: [الطويل]

ألا حُجِبَتْ لَيْلَى وَآلَى أمِيرُها عليّ يَمِيناً جاهداً لا أزورُها
وَأوْعَدَنِي فيها رجالٌ أبوهُمُ أبي وأبوها خُشِّنَتْ لي صُدورُها(٣)
على غَيْرِ جُرْمٍ غيرَ أنّي أُحِبُّها وأنّ فُؤادِي رَهْنُها وأسِيرُها

قال: ثم سَنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها.

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال: لما قال مجنون بني عامر: [الطويل]

قَضاها لِغَيْرِي وابْتَلانِي بِحُبِّها فَهَلاً بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتَلانِيا

نُودِي في الليل: أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض في أحكامه؟ واختُلِسَ عقلهُ، فتوحّشَ منذ تلك الليلةِ وذهب مع الوحش على وجهه، وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيتَ من أشهر أشعاره، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون هاهنا منها. وفيها أيضاً عدّة أبيات يُغنَّى فيها، فمن ذلك:

صوت

أَعُدُّ اللَّيالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَقَدْ عِشْتُ دَهْراً لا أَعُدُّ اللَّيالِيَا
أَرَانِي إذا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَها بِوَجْهِي وإنْ كانَ المُصَلَّى ورائِيَا
ومَا بيَ إِشْراكٌ وَلٰكِنَّ حُبَّها كَعُودِ الشَّجَا أعْيا الطَّبِيبَ المُداوِيَا(٤)

---

(١) السقط: حيث انقطع معظم الرمل ورقّ. والثمام: نبت ضعيف لا يطول، كانت العرب تسد به خصاص البيوت.
(٢) القِدْح: السهم. والشوحط: ضرب من الشجر تتخذ منه القسيّ.
(٣) أوعدني: هددني.
(٤) الشّجا: ما اعترض في حلق الإنسان من عظم أو عود أو غيرهما. وأعيا: أعجز

أُحِبُّ مِن الأسماءِ ما وافَقَ اسْمَها ... وَأشْبَهَهُ أو كانَ منهُ مُدانِيا[١]

في هذه الأبيات هَزَجٌ خفيفٌ لمعان معزفي.

صوت

وخبّرتمانِي أنّ تَيْماءَ مَنْزِلٌ ... لِلَيْلَى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقَى المَراسِيا[٢]
فَهٰذي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنّي قد انْقَضَتْ ... فَما لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى المَرامِيا

في هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعَتْه عجوزُ عُمير الباذَغِيسي[٣] على لحن إسحاق: [الطويل]

أَمَاوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحُ

وله حديث قد ذُكِرَ في أخبار إسحاق. وهذا اللحن إلى الآن يغنّى، لأنه أشْهَرُ في أيدي الناس، وإنما هو لحن إسحاق أُخِذَ فجُعِلَ على هذه الأبياتِ وكِيدَ بذلكَ:

صوت

فَلَوْ كانَ وَاشٍ بِاليَمامَةِ بَيْتُهُ ... وَداري بأعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدى لِيَا
وماذا لهم ـ لا أحسنَ الله حالَهُمْ ـ ... مِنَ الحَظّ في تَصْريم لَيْلَى حِبالَيا[٤]
فأنْتِ الَّتِي إنْ شِئْتِ أشْقَيْتِ عِيشَتِي ... وإنْ شِئْتِ بَعْدَ الله أنْعَمْتِ بالِيَا
وَأنْتِ التي ما مِنْ صَدِيقٍ ولا عِداً ... يَرى نِضْوَ ما أبقيتِ إلا رَثَى لِيَا[٥]
أمَضْرُوبَةٌ لَيْلَى على أنْ أزُورَها ... ومُتَّخَذٌ ذَنْباً لها أن تَرانيَا
إذا سِرْتُ في الأرْضِ الفَضاءِ رَأيتُني ... أُصانِعُ رَحْلِي أن يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِيناً إذا كانت يَمِيناً وإنْ تَكُنْ ... شِمالاً يُنازِعْنِي الهَوى عن شِمالِيَا
أُحِبُّ مِن الأسْماءِ ما وافَق اسْمَها ... وَأشْبَهَهُ أو كانَ مِنْهُ مُدانيَا
هِيَ السِّحْرُ إلا أنّ لِلسِّحْرِ رُقْيَةً ... وإنِّيَ لا أُلْفِي لها الدَّهْرَ راقِيَا

---

(١) مدانياً: مقارباً.

(٢) تيماء: بلد بين الشام ووادي القرى. والنوى البعد.

(٣) باذغيس: ناحية من أعمال هراة ومرو الروذ. (معجم البلدان ١/٣١٨).

(٤) التصريم: التقطيع.

(٥) النضو: المهزول.

وأنشد أبو نصرٍ للمجنون وفيه غناء:

صوت

[الطويل]

تـكـادُ يَـدِي تَـنْـدَى إذا مـا لَـمَـسْـتُـهـا وَيَـنْـبُـتُ فـي أطـرافـهـا الـوَرَقُ الـخُـضْـرُ
أبَـى الـقَـلْـبُ إلاّ حُـبَّـهـا عـامِـرِيَّـةً لـهـا كُـنْـيَـةٌ عَـمْـرٌ وَلَـيْـسَ لـهـا عـمـرُو

الغناء لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ، وذكر الهشاميّ أن فيه لإسحاقَ خفيفَ ثقيل.

[رثاء المجنون أباه]

أخبرني محمد بن مَزْيدَ بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بنِ عَدِيّ قال: أنشدني جماعةٌ من بني عُقَيلٍ للمجنون يرثي أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه، فعقر ناقته على قبره ورثاه بهذه الأبيات: [الطويل]

عَـقَـرْتُ عـلـى قـبْـرِ الـمُـلَـوّح نـاقَـتِـي بِـذِي الـسَّـرْحِ لـمّـا أن جَـفَـتـه أقـاربُـهْ[1]
وَقُـلْـتُ لـهـا كُـونِـي عَـقِـيـراً فـإنَّـنـي غـداةَ غَـدٍ مـاشٍ وبـالأمـس راكـبُـهْ[2]
فـلا يُـبْـعِـدَنْـكَ الله يـابْـنَ مُـزَاحِـمِ وكـلُّ امْـرِىءٍ لِـلْـمـوتِ لا بـدّ شـاربُـهْ
فـقـد كُـنْـتَ طَـلاَّعَ الـنِّـجـادِ ومُـعْـطِـيَ الْـ ـجـيـاد وسـيـفـاً لا تُـفَـلُّ مَـضَـارِبُـهْ[3]

[يعظه رجل من بني جعدة فيقول شعراً يذكر فيه حاله]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن شبِيب عن الحِزاميّ عن محمد بن مَعْنٍ قال: بلغني أنّ رجلاً من بني جعدةَ بن كعب كان أخاً وخِلاً للمجنون، مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الأرض ويعبَثُ بالحصى، فسلّم عليه وجلس عنده، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه، وهو ينظر إليه ويلعب بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال: يا أخي، أمَا لكلامي جوابٌ؟ فقال له: والله يا أخي ما علمتُ أنك تُكلّمني فاعِذِرْني، فإني كما ترى مذهوبُ العقلِ مُشتَرَكُ اللُّبِّ وبكى، ثم أنشأ يقول:

(١) ذو السرح: واد بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٠٨).
(٢) العقير: المعقورة.
(٣) النجاد: جمع نجد. وهو الطريق في الجبل، والمكان المرتفع. وتفلّ: تثلم.

صوت

[الكامل]

وشُغِلْتُ عن فَهْمِ الحَدِيثِ سِوَى ... ما كانَ مِنْكِ فإنَّهُ شُغْلِي
وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي لِيَرَى ... أنْ قد فهمتُ وعندكم عَقْلِي

الغناء لِعَلُّوية.

[أحداث تجرّ شعراً]

وقال الهيثم: مرّ المجنون بوادٍ في أيام الربيع وحَمامُه يتجاوبُ فأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

ألا يا حَمَامَ الأيكِ ما لَكَ باكياً ... أفارقْتَ إلْفاً أمْ جفاكَ حَبِيبُ
دعاكَ الهَوى والشَّوْقُ لَمّا ترنَّمَتْ ... هَتُوفُ الضُّحَى بينَ الغُصُون طَرُوبُ
تُجاوِبُ وُرْقاً قد أذِنَّ لصوتها ... فكلٌّ لِكلٍّ مُسْعِدٌ ومُجِيبُ[1]

الغناء لرذاذ ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى.

وقال خالد بنُ حمل[2]: حدّثني رجالٌ من بني عامر أنّ زوجَ ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طَرَقَ الحيَّ إلى مكة، فأرسلتْ ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرَجَتْه في السَّحَر، وقالت له: سِر إليّ في كلّ ليلة مادام القوم سَفْراً[3]، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا. وقال فيها في آخر ليلة لَقِيها وودّعتْه:

[الطويل]

تَمَتَّعْ بِلَيْلَى إنَّما أنتَ هامَةٌ ... مِنَ الهامِ يَدْنُو كلَّ يَوْمٍ حِمَامُها[4]
تَمَتَّعْ إلى أنْ يَرْجِعَ الرَّكْبُ إنَّهم ... مَتَى يَرْجِعُوا يَحْرُمْ علَيكَ كلامُها

(١) أذن لصوتها: أصغين بآذانهن إلى صوتها.
(٢) كذا في الأصل، وفي بعض النسخ «جمل» وفي بعضها الآخر: «جميل».
(٣) السَّفر: الجماعة المسافرون.
(٤) الهامة: الرأس. وزعم العرب أن روح الميت تصير هامة تطير. فإذا قتل شخص تبقى الهامة تصرخ حتى يؤخذ للقتيل بالثأر. والحمام: الموت.

وقال الهيثمُ: مَرِضَ المجنونُ قبل أن يختلط فعاده قومُه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده، فقال:

صوت

[الطويل]

ألا ما لِلَيْلَى لا تُرَى عِنْدَ مضجَعِي ... بِلَيْلٍ ولا يَجْرِي بها لِي طائرُ
بَلَى إنّ عُجْمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إذا جَرَتْ ... بِلَيْلَى وَلْكِنْ لَيسَ لِلطَّيْرِ زاجِرُ
أحالَتْ عَنِ العَهْدِ الَّذِي كانَ بيننا ... بذي الرِّمْثِ أم قَدْ غَيَّبتْها المَقابرُ[1]

الغناء لِسُليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ.

فَوَالله ما في القُرْبِ لي مِنْكِ رَاحَةٌ ... ولا البُعْدُ يُسْلِيني ولا أنا صابرُ
ووَالله ما أدْرِي بِأَيَّةِ حِيلَةٍ ... وَأيِّ مَرَامٍ أو خِطَارٍ أُخاطرُ
وَوَالله إنَّ الدَّهْرَ في ذات بينِنا ... عَلَيَّ لها في كلّ أمرٍ لجائرُ
فلو كُنْتِ إذا أزمَعْتِ هَجْرِي تَرَكْتِني ... جَمِيعَ القُوَى والعَقْلُ مِنِّي وافرُ
وَلكِنَّ أيامي بِحَفْلِ عُنَيْزَةٍ ... وذِي الرِّمْثِ أيامٌ جناها التجاوُرُ
فقد أصْبَحَ الودُّ الذي كان بيننا ... أمانِيَّ نفسٍ إن تَخَبَّرَ خابرُ
لَعَمْرِي لقد أرْهَقْتِ يا أمَّ مالكٍ ... حياتي وساقَتْني إِلَيْكِ المَقادِرُ

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال: حدّثنا بعضُ بني عُقَيل قال: قيل للمجنون أيّ شيء رأيتَه أحبُّ إليكَ؟ قال: ليلى، قيل: دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها عندكَ ولكن سواها، قال: والله ما أعجبني شيء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلا سقطَ من عيني وأذهب ذكرُها بشاشَتَه عندي، غيرَ أني رأيتُ ظبياً مرّةً فتأملتُه وذكرتُ ليلى فجعل يزداد في عيني حسناً، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خَفِيا عنّي فوجدت الذئبَ قد صرعه وأكل بعضَه، فرميتُه بسهم فما أخطأتُ مقتلَه، وبقَرتُ بطنَه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعتُه إلى بقية شِلْوه[2] ودفنتُه وأحرقتُ الذئبَ، وقلتُ في ذلك:

[الطويل]

أَبَى الله أن تبقَى لِحَيٍّ بَشاشَةٌ ... فَصَبْراً على ما شاءه الله لي صَبْرَا

---

(١) ذو الرِّمْث: وادٍ لبني أسد. انظر معجم البلدان ٣/ ٦٨.

(٢) الشلو: الجسد، ويطلق على العضو من أعضاء اللحم.

رَأَيْتُ غزالاً يَرْتَعِي وَسْطَ رَوْضَةٍ فَقُلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لنا ظُهْرا
فيا ظَبْيُ كُلْ رَغْداً هنيئاً ولا تَخَفْ فإنَّكَ لي جارٌ ولا تَرْهَبِ الدَّهْرَا
وَعِنْدِي لكم حِصْنٌ حَصِينٌ وصَارِمٌ حُسَامٌ إذا أعْمَلتهُ أحسنَ الهَبْرَا[١]
فما راعَنِي إلا وَذِئْبٌ قَدِ انتَحَى فأعْلَقَ في أحشائه النَّابَ والظُّفْرا
فَفَوَّقْتُ سَهْمِي في كَتُوم غَمَزْتُها فخالط سهمي مُهجَةَ الذِّئْبِ والنَّحْرَا[٢]
فَأذْهَبَ غَيْظِي قتلُه وَشَفَى جَوًى بِقَلْبِيَ إنَّ الحُرَّ قد يُدرِكُ الوَتْرا

قال أبو نصر: بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنَّ زوجَ ليلى ذكره وعضهه[٣] وسبّه وقال: أوَ بَلَغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعي محبةَ ليلى وينوّهَ باسمها! فقال لِيَغيظَه بذلك: [الطويل]

فإن كانَ فِيكُمْ بَعْلُ لَيْلَى فإنّني وَذِي العرشِ قَدْ قَبَّلْتُ فاها ثمانيا
وأشْهَدُ عندَ الله أنّي رَأيتُها وعشرون منها أصبعاً مِنْ وَرَائِيا
أَلَيْسَ مِنَ البَلْوَى التي لا شَوَى لها بأن زُوِّجَتْ كَلْباً وما بُذِلَتْ لِيا[٤]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال: خرج المجنونُ في عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَراً لهم، فمرّوا في طريق يتشعّب وِجْهَتَيْنِ: إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادةُ مرحلةٍ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأبَوْا، فمضى وحده وقال:

صوت

[الطويل]

أأتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَها سِوَى لَيْلَةٍ إنِّي إذاً لَصَبُورُ
هَبُونِي امرأً مِنْكُمْ أضَلَّ بَعِيرَه لَهُ ذِمَّةٌ إنّ الذِّمامَ كَبِيرُ
وَلَلصَّاحبُ المتروكُ أعظَمُ حرمةً على صاحبٍ مِنْ أن يَضِلَّ بَعِيرُ
عفا اللهُ عَنْ لَيْلَى الغَداةَ فإنّها إذا وَلِيَتْ حُكْماً عَلَيَّ تَجُورُ

---

(١) الهبر: القطع.
(٢) فوّقت: سدّدت. والكتوم: الصامتة من القسيّ.
(٣) عضهه: قال فيه ما لم يكن.
(٤) لا شوى لها: لا بقيا لها.

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش، وفيه لابن المَارِقيّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ، وفيه لعَلُّويه رَمَلٌ بالبِنْصر.

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه: أن المجنونَ كان ذاتَ ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمّه وهو وَلِهٌ يتلظّى ويتململُ وهم يَعِظونه ويُحادِثونه، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ(١) كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

صوت [الطويل]

لَقَدْ غَرّدَتْ في جُنْحِ لَيْلٍ حَمامَةٌ ... على إلْفِها تَبْكِي وإنّي لَنَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ الله لَوْ كُنْتُ عاشِقاً ... لَمَا سَبَقَتْنِي بِالبُكاءِ الحَمائِمُ

ثم بكى حتى سقطَ على وجهه مَغْشيّاً عليه، فما أفاق حتى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدٍ. الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمانَ ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى.

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلاً مرّ بالمجنون وهو برملِ يَبْرِينَ(٢) يُخَطّط فيه، فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه، فقال له: ما بك يا أخي؟ فرفع رأسَه إليه وأنشأ يقول: [الطويل]

بِيَ اليَأسُ وَالدَّاءُ الهُيَامُ أصابَنِي ... فَإيَّاكَ عَنّي لا يَكُنْ بِكَ ما بِيَا
كَأنَّ جُفُونَ العَيْنِ تَهْمِي دُمُوعُها ... غَداةَ رَأتْ أظْعانَ لَيْلَى غَوادِيَا(٣)
غُرُوبٌ أمَرَّتْها نَواضِحُ بُزَّلٌ ... عَلَى عَجَلٍ عُجْمٌ يُرَوِّينَ صادِيا(٤)

وقال خالد بن جمل: ذكر حمادُ الراويةُ أن نفراً من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول:

---

(١) السرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر لا شوك فيه، وقيل: كل شجر طال.
(٢) رمل يبرين بالبحرين. ويبرين قرية كثيرة العيون والنخل، بينها وبين الأحساء مرحلتان. انظر معجم البلدان ٥/ ٤٢٧.
(٣) الأظعان: جمع ظعينة، وهي الجمل يظعن عليه.
(٤) الغروب: جمع غرب، وهو الدلو الكبير. والنواضح: ما يستقى عليه الماء. والبُزّل جمع بازل وهو الجمل الذي استكمل السنة الثامنة وانشق نابه. والعجم التي لا تنطق. والصادي: العطشان.

ألا أيُّها الرَّكْبُ اليَمَانُونَ عَرِّجُوا عَلَيْنا فَقَدْ أَمْسَى هَوانَا يَمانِيَا
نُسائِلْكُم هَلْ سالَ نَعْمانُ بَعْدَنا وحَبٌّ إلينا بَطْنُ نَعْمانَ وَادِيَا[1]

يقول في هذه القصيدة:

صوت

ألا يا حَمَامَيْ قَصْرِ وَدَّانَ هِجْتُما عَلَيَّ الهَوَى لَمَّا تغنَّيتُما لِيَا[2]
فأبْكَيْتُمانِي وَسْطَ صَحْبِي وَلَمْ أكُنْ أُبالِي دُموعَ العَيْنِ لو كُنْتُ خالِيَا

غنى في هذين البيتين عَلُّوية غناء لم يُنسبْ.

فَوَالله إنّي لا أُحِبُّ، لِغَيْرِ أنْ تَحُلَّ بها ليلى البِرَاقَ الأعَالِيَا[3]
ألا يا خَلِيلِي حُبُّ لَيْلَى مُجَشِّمِي حِياضَ المَنَايا أو مُقِيدِي الأعادِيا[4]
ويا أَيُّها القُمْرِيَّتانِ تَجاوَبا بِلَحْنيكما ثُمّ اسجَعَا عَلَّلانِيَا[5]
فإنْ أنتُما اسْتَطْرَبْتُما وَأرَدْتُما لَحَاقاً بأطْرافِ الغَضَى فاتْبعانِيَا

قال أبو نصر: وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لما أراد الرَّحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنه غَادٍ بها فقال:

صوت

[الطويل]

أمُزمِعَةٌ لِلْبَيْنِ لَيْلَى وَلَمْ تَمُتْ كأنَّكَ عَمَّا قَدْ أظَلَّكَ غافِلُ
سَتَعْلَمُ إنْ شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى وَزالُوا بليلَى أنْ لُبَّكَ زائِلُ[6]

الغناء للزُّبَير بن دَحْمانَ ثقيلٌ بالوسطَى.

قال أبو نصر قال خالد: وحدّثني جماعة من بني قُشَير أنّ المجنونَ سقِم سَقاماً شديداً قَبل اختلاطه حتّى أشفى على الهلاك، فدخل إليه أبوه يعلّله فوجده

---

(١) نعمان: وادٍ بينه وبين مكة نصف ليلة. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٩٣.
(٢) وَدّان: قرية بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٥/ ٣٦٥).
(٣) البراق: جمع برقة، وهي الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان. وبراق العرب أكثر من مائة ذكرها ياقوت في معجم البلدان.
(٤) مقيدي الأعاديا: جاعلاً قيادي بيد أعدائي.
(٥) القمريتان: الحمامتان.
(٦) اللبّ: العقل. والنوى البعد.

يُنشِدُ هذه الأبياتَ ويبكِي أحرَّ بكاء ويَنشِجُ[1] أحرَّ نشِيج: [الطويل]

ألا أيُّـهـا الـقَـلْـبُ الَّـذِي لَـجَّ هـائِـمـاً بـلـيـلَـى وَلِـيـداً لـم يُـقَـطَّـع تَـمـائِـمُـهْ
أفِـقْ قـد أفـاقَ الـعـاشـقـونَ وَقَـدْ أنَـى لِـحـالِـكَ أن تَـلْـقَـى طَـبِـيـبـاً تـلائِـمُـهْ
فَـمَـا لَـكَ مَـسْـلُـوبَ الـعَـزاء كـأنَّـمـا تـرَى نـأيَ لـيـلَـى مَـغْـرَمـاً أنْـتَ غـارِمُـهْ
أَجِـدَّكَ لا تُـنْـسِـيـكَ لـيـلَـى مُـلِـمَّـةٌ تُـلِـمُّ ولا يُـنْـسِـيـكَ عَـهْـداً تـقـادُمُـهْ

قال: ووقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رَحل بها زوجُها وقومُها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجَزِع، فقال له أبوه: ويحكَ إنما جئنا بك مُتخفّياً ليتروحَ بعضُ ما بك بالنظر إليهم، فإذا فعلتَ ما أرَى عُرِفْتَ، وقد أهدرَ السلطانُ دَمَكَ إن مررتَ بهم، فأمسِكْ أو فانصرَف؛ فقال: مالي سبيلٌ إلى النَّظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غيرُ جازعٍ ولا باكٍ فانصرِفْ بنا، فانصرف وهو يقول:

صوت

[الطويل]

ذُدِ الـدَّمْـعَ حَـتَّـى يَـظْـعَـنَ الـحَـيُّ إنَّـمـا دُمُـوعُـكَ إن فـاضَـتْ عَـلَـيْـكَ دَلِـيـلُ[2]
كـأنَّ دُمُـوعَ الـعَـيْـنِ يَـوْمَ تَـحَـمَّـلُـوا جُمانٌ عَلَى جَيْبِ القَمِيصِ يَسِيلُ[3]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابيّ للمجنون:

صوت

[الطويل]

ألا لَـيْـتَ لَـيْـلَـى أطْـفَـأَتْ حَـرَّ زَفْـرَةٍ أُعـالِـجُـهـا لا أسْـتَـطِـيـعُ لـهـا رَدّا
إذا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا وَجَـدْتُ لِـمَـسْـرَاهـا ومَـنْـسَـمِـهـا بَـرْدَا
عـلـى كَـبِـدٍ قـد كـادَ يُـبـدِي بـهـا الـهَـوى نُدُوباً وبعضُ القَوْمِ يَحْسَبُني جَلْدَا[4]

هذا البيت الثالثُ خاصّةً يُروى لابن هَرْمة في بعض قصائده، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاقُ، أوّلُه:

---

(١) ينشج: يبكي بحرارة حتى يغص ببكائه.
(٢) ذد: ادفع.
(٣) تحملوا: ارتحلوا. وجيب القميص: ما ينفتح من القميص على النحر.
(٤) ندوب: جمع ندب، وهو أثر الجرح.

أفـاطـم إنّ الـنَّـأيَ يُـسـلـي مـن الـهَـوى

وقد أُخرج في موضع آخر. غنّى في هذين البيتين عبد آل الهذليّ، ولحنهُ المختارُ على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل، وهما في هذه القصيدة: [الطويل]

وإنّـي يَـمَـانـيُّ الـهَـوَى مُـنْـجِـدُ الـنَّـوَى ... سَبِيلانِ ألْقَى مِنْ خِلافِهِما جَهْدَا
سقَى الله نَـجْـداً مِـنْ رَبـيـعٍ وَصَـيِّـفٍ ... وماذا يُرَجَّى من رَبيع سقَى نَجْدَا[١]
بَـلَـى إنَّـهُ قَـدْ كـانَ لِـلْـعَـيْـشِ قُـرَّةً ... وَلِلصَّحْبِ وَالرُّكْبَانِ مَنْزِلَةً حَمْدَا
أبَى القَلْبُ أنْ يَنْفَكَّ مِنْ ذِكْرِ نِسْوَةٍ ... رِقَاقٍ وَلَمْ يُخْلَقْنَ شُؤماً ولا نُكْدا
إذا رُحْـنَ يَـسْـحَـبْـنَ الـذُّيـولَ عَـشِـيَّـةً ... وَيَقْتُلْنَ بالألْحاظِ أنفُسَنا عَمْدَا
مَشَى عَيْطَلاتٌ رُجَّحٌ بِخُصُورِها ... رَوادِفُ وَعْثاتٌ تَرُدُّ الخُطَا رَدَّا[٢]
وَتَهْتَزُّ لَيْلَى العامِرِيَّةُ فَوْقَها ... وَلاثتْ بِسِبٍّ القَزِّ ذَا غُدُرٍ جَعْدَا[٣]
إذا حَرَّكَ المِدْرَى ضَفائِرَها العُلاَ ... مَجَجْن نَدَى الرَّيْحانِ والعَنْبَرَ الوَرْدَا[٤]

وأخبارُ الهُذَلِيَّيِن[٥] تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلا تنقطعَ أخبارُ المجنون، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكَر أخبارُها معاً إن شاء الله.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ قال: حدّثني ميمونُ بن هارونَ قال: ذكر الهيثمُ بن عديّ، وأخبرني محمد بن خلَف بن المرزبان عن أحمد بن الهيثم عن العُمريّ عن الهيثم بن عدي قال: مرّ المجنونُ برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركُضُ في حِبالهما دَمَعَتْ عيناه، وقال لهما: حُلاَّها وخُذا مكانَها شاةً من غنمي - وقال ميمونُ في خبره: وخُذَا مكانها قَلُوصاً من إبلي - فأعطاهما وحَلاَّها فولَّتْ تعدو هاربةً. وقال المجنونُ للرجلين حين رآها في حبالهما: [البسيط]

يـا صـاحـبَـيَّ الـلَّـذَيْـنِ الـيَـوْمَ قـد أخَـذا ... في الحَبْلِ شِبْهاً لِلَيْلَى ثُمّ غَلاَّها[٦]

---

(١) الربيع هنا: المطر الذي يهطل في الربيع والصيّف: المطر الهاطل في الصيف.
(٢) العيطلات: جمع عيطلة، وهي الناقة الطويلة العنق. والروادف: الأعجاز. والوعثات: اللينات.
(٣) لاثت: لفت. والسبّ: الخمار. والقزّ: الحرير. والغُدُر: جمع غديرة، وهي الذؤابة. وجعداً صفة لـ(ذا غدر) وهو الشعر، ولذا جاء منصوباً.
(٤) المدرى: المشط الذي يسرّح به الشعر، ومججن: أرسلن.
(٥) الهذليان: هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود.
(٦) غلاّها: قيداها.

إنّي أَرَى اليَوْمَ في أعْطافِ شاتِكُما مَشَابِهاً أشْبَهَتْ لَيْلَى فَحُلاَّها

قال: وقال فيها وقد نظر إليها وهي تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةً مذعورةً:

صوت

[الطويل]

أيا شِبْهَ لَيْلَى لا تُرَاعِي فَإِنَّني لَكِ اليَوْمَ مِنْ وَحْشيَّةٍ لَصَديقُ
وَيا شِبْهَ لَيْلَى لو تَلَبّثتِ ساعةً لَعَلَّ فؤادي مِنْ جَوَاهُ يُفيقُ
تَفِرُّ وَقَدْ أطْلَقْتُها مِنْ وَثَاقِها فأنتِ لِلَيْلَى لَوْ علِمْتِ طَلِيقُ

[خبره مع نسوة لمنه في حب ليلى]

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة، وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحولُ أن ابنَ الأعرابي أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللتَ بنفسك ما ترى في هَوَى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تَصْرِفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُسَاعِفَكَ ونَجْزِيَكَ بهواكَ، ويَرجِعَ إليك ما عَزَبَ[1] من عقلك وجسمك؟ فقال لهنَّ: لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنَّ لصرفتهُ عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ في الناس سويّاً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كلّ شيء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبني، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلا كان في عيني حَسَناً وبقلبي عَلِقاً، ولقد جَهَدتُ أن يَقبُحَ منها عندي شيءُ أو يَسمُجَ[2] أو يُعابَ لأسلُوَ عنها فلم أجده؛ فقلن له: فَصِفْها لنا، فأنشأ يقول:

[الكامل]

بيضاءُ خالِصَةُ البياضِ كأنَّها قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ ليلٍ مُبْرَدِ
مَوْسُومةٌ بِالحُسْنِ ذاتُ حواسِدٍ إنَّ الجَمالَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ[3]
وَتَرى مدامِعُها تَرَقْرُقَ مُقْلَةٍ سَوْداءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإثْمِدِ[4]
خَوْدٌ إذا كَثُرَ الكَلامُ تَعَوَّذَتْ بِحِمَى الحَياءِ وإنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ[5]

---

(١) عزب من عقلك: غاب من عقلك وبعد.
(٢) يسمج: يقبح.
(٣) مَوْسُومةٌ بالحسن: معلمة بالحسن. ومظنّة للحسد: موضع للحسد.
(٤) الإثمد: حجر يكتحل به.
(٥) الخود: الشابة من النساء. وتقصد: لا تجاوز الحدّ.

قال: ثم قال ابنُ الأعرابيّ: هذا والله من حَسَنِ الكلام ومُنَقَّح الشِّعر.

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً، وفيه غناء قال: [الطويل]

كأنَّ فؤادي في مَخالِبِ طائرٍ إذا ذُكِرتْ ليلى يَشُدُّ بها قَبْضَا
كأنَّ فِجَاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ عَلَيَّ، فما تزدادُ طولاً ولا عَرْضَا

[إرساله شعراً مع رجل من قومه إلى ليلى وجوابها]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا أبو مسلم عن القَحْذَميّ قال: قال رجل من عشيرة المجنون له: إني أُريد الإلمامَ بحيّ ليلى فهل تُودِعُني إليها شيئاً؟ فقال: نعم! قِفْ بحيثُ تَسْمَعُكَ ثم قُلْ:

صوت

[البسيط]

الله يَعْلَمُ أنَّ النَّفسَ هالكةٌ باليأس منكِ ولكنّي أُعَنِّيها[1]
مَنَّيتُكِ النَّفسَ حتَّى قَدْ أضرَّ بها واسْتَيقَنَتْ خُلُفاً ممّا أُمنِّيها
وساعةٌ منكِ ألهُوهَا وإنْ قَصُرَتْ أشهَى إليَّ من الدُّنيا وما فيها

قال: فمضى الرجل، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها، فوقف عليها ثم قال لها: يا ليلى لقد أحسنَ الذي يقول:

الله يَعْلَمُ أنَّ النَّفسَ هالكةٌ باليأس مِنكِ ولٰكِنّي أُعَنّيها

وأنشدَ الأبيات، فبكت بكاء طويلاً ثم قالت: أبلِغْهُ السلامَ وقل له:

نَفسِي فداؤكَ، لَوْ نَفسِي ملكتُ إذاً ما كان غيرُك يَجزِيها ويُرضِيها
صَبْراً على ما قَضَاهُ الله فِيكَ على مَرارةٍ في اصطباري عَنكَ أخفِيها

قال: فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه، ثم أفاق وهو يقول: [الطويل]

عَجِبْتُ لِعُروةَ العُذْرِيّ أضْحَى أحاديثاً لِقومٍ بَعْدَ قَوْمِ
وَعُرْوَةُ ماتَ مَوْتاً مُسْتَريحاً وها أنا مَيِّتٌ في كلِّ يَوْمِ

---

(١) أعنّيها: أتعبها وأكلفها فوق طاقتها.

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر للمجنون:

صوت [الطويل]

أيا زينةَ الدنيا التي لا ينالُها ... مُنايَ ولا يبدو لقلبي صرِيمُها[1]
بعيني قَذاةٌ من هَواكِ لَوَ انها ... تُداوَى بِمَنْ تَهوى لَصَحّ سَقِيمها[2]
وما صَبَرَتْ عن ذِكْرِك النَّفْسُ ساعةً ... وإن كُنتُ أحياناً كثيراً ألومها

[إخباره أن ليلى تسبّه وجوابه]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال: سأل الملوّحُ أبو المجنون رجلاً قَدِمَ من الطائف أن يمرَّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنه لقيَ ليلى وجلس إليها، ووصفَ له صفات منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ، وقال له: حَدِّثه بها، فإذا رأيتَه قد اشرأب[3] لحديثكَ واشتهاه فعرِّفْه أنك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتَمَتْه وسبّته، وقالت: إنه يكذب عليها ويُشهِّرُها بفعله، وإنها ما اجتمعت معه قطّ كما يصفُ؛ ففعل الرجلُ ذلك، وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها، فيخبره بما أمره به الملوّحُ، فيزداد نشاطاً ويثوبُ إليه عقلُه[4]، إلى أن أخبره بسبّها إياه وشتمِها له، فقال وهو غير مُكترِثٍ لمَا حكاه عنها:

صوت [الطويل]

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحاً بساكن ذي الغَضَى ... ويَصْدَعُ قلبي أن يَهُبَّ هُبُوبُها[5]
إذا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فإنّما ... جَوَايَ بما تُهدِي إليّ جَنُوبُها
قريبةُ عَهْدٍ بالحبيب وإنما ... هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها

(١) الصريم: المقطوع.
(٢) السقيم: المريض.
(٣) اشرأب: رفع رأسه لينظر.
(٤) ثاب إليه عقله: رجع.
(٥) الغَضَى: واد بنجد. (معجم البلدان ٤/ ٢٠٥). ويصدع: يمزق.

وَحَسْبُ الليالي أن طَرَحْنَكَ مَطْرحاً بدار قِلًى تُمْسِي وَأنْتَ غَرِيبُها
حَلالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنا وانتقاصُنا هَنيئاً ومغفورٌ لِلَيْلَى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيوب المدينيّ أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقتَه. وفيه لمتيَّمَ غِناءٌ يُنسبُ. وذكر الهيثمُ بن عديّ أن المجنون قال ـ وفيه غناء ـ:

صوت

[الطويل]

كأنْ لَمْ تَكُنْ ليلى تُزارُ بِذي الأَثْلِ وبالجِزْعِ من أجزاعِ وَدَانَ فَالنَّخْلِ[1]
صديقٌ لنا فيما نَرَى غيرَ أنها تَرى أنَّ حُبِّي قَدْ أحلّ لها قَتْلي

[مصادفة وشعر]

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عثمانَ بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مُرَّة قالوا: خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشام والحِجَاز وما يلي تَيْماء والسَّرَاة[2] وأرضَ نَجْد، في طلب بُغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رُفِعتْ له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنحَ فإذا امرأةٌ قد كلّمته فقالتْ: انزل، فنزل. قال: وراحتْ إبلهُم وغَنَمُهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت: سَلُوا هذا الرجل من أين أقبل؛ فقلت: من ناحية تِهامةَ ونجدٍ، فقالت: ادخل أيها الرجلُ، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة، فأرخَتْ بيني وبينها سِتراً ثم قالت لي: يا عبد الله، أيَّ بلادِ نجدٍ وطِئتَ؟ فقلت: كلّها؛ قالت: فبِمنْ نزلتَ هناكَ؟ قلت: ببني عامر، فتنفَّستِ الصُّعَدَاءَ ثم قالت: فبأيِّ بنيَ عامر نزلتَ؟ فقلتُ: بني الحَرِيشِ؛ فاستعبَرتْ ثم قالت: فهل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقال له: قيس بن الملوّح ويلقّب بالمجنون؟ قلتُ: بلى والله! وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيمُ في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تُذكَر له امرأةٌ يقال لها ليلى، فيبكي ويُنشِدُ أشعاراً قالها فيها. قال: فرَفَعَتِ السترَ بيني وبينها، فإذا فِلْقةُ قمرٍ لم تَرَ عيني مثلَها، فبكتْ حتى ظننتُ ـ والله ـ أنّ قلبها قد انصدعَ، فقلتُ: أيّتها المرأةُ اتّقي الله فَما قلتُ بأساً، فمكثتْ طويلاً على تلك الحالِ من البكاء والنحيب ثم قالتْ:

[الطويل]

(١) ذو الأثل، والجزع، وودّان، والنخل: أمكنة. انظر معجم البلدان.

(٢) السراة: الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد. (معجم البلدان ٣/ ٢٠٤).

ألا ليتَ شِعرِي والخُطُوبُ كثيرةٌ مَتَى رَحْلُ قيسٍ مُسْتقِلٌّ فراجعُ
بِنَفسِيَ مَنْ لا يَستَقِلُّ بِرَحْلِه ومَنْ هو إن لم يَحفَظِ الله ضائعُ

ثم بكتْ حتى سقطَتْ مغشيّاً عليها، فقلتُ لها: مَنْ أنتِ يا أمةَ الله؟ وما قِصَّتُكِ؟ قالت: أنا ليلى صاحبته المشؤومة والله عليه غيرُ المؤنسةِ له؛ فما رأيتُ مثل حزنها ووجدِها عليه قطّ.

[وفاته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وخبيبُ بن نصر المهلبيّ قالا: حدّثنا عمرُ بن شبّة قال: ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمانَ بن عمارة، وأخبرني عثمانُ عن الكُرانيّ عن العُمَرِيّ عن لَقِيط، وحدّثنا إبراهيمُ بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: ذكر الهيثمُ بنُ عديّ عن عثمانَ بن عمارَة، وذكر أبو نصر أحمدُ بن حاتم صاحبُ الأصمعيّ، وأبو مسلم المُسْتَمْلي عن ابن الأعرابيّ - يزيد بعضهم على بعض - أنّ عثمانَ بنَ عمارة المرّي أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بني مرّة حدّثه أنه خرج إلى أرض بني عامر لِيلقَى المجنونَ، قال: فدُلِلْتُ على مَحَلّته فأتيتُها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نَعَمٌ[1] كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتُهم عنه فاستعبَروا جميعاً، وقال الشيخُ: والله لهو كان آثرَ في نفسي من هؤلاء وأحبَّهم إليّ! وإنه هَوِيَ امرأةً من قومه، والله ما كانت تَطمعُ في مثله، فلمّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره، فذهب عقل ابني ولَحِقَه خَبَلٌ وهام في الفَيَافي وَجْداً عليها، فحبسناه وقيَّدناه، فجعل يَعَضُّ لسانَه وشفَتَيْه حتى خِفْنا عليه أن يقطعَها فخلّينا سبيلَه. فهو يهيم في هذه الفيافي مع الوحوش يُذْهَبُ إليه كلّ يوم بطعامه فيوضَعُ له حيث يراه، فإذا تنحَّوْا عنه جاء فأكلَ منه. قال: فسألتُهم أن يَدُلّوني عليه، فدَلّوني على فَتىً من الحيّ كان صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه غيرُه؛ فأتيتُه فسألتُه أن يُدلّني عليه؛ فقال: إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعْرٍ إلى أمسِ عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُكَ به؛ فقلتُ: بل أريد أن تَدُلّني عليهِ لآتيه؛ فقال لي: إنه إن نفَر منك نفر منّي فيذهبُ شِعْرُه، فأبَيْتُ إلا أن يَدُلّني عليه، فقال: اطلبه في هذه الصحارى فإذا رأيتَه فادنُ منه مستأنِساً ولا تُرِه أنك تَهابُه،

---

(١) النَّعَم: الإبل والشاء. وقال ابن الأعرابي: الإبل خاصة (لسان العرب بمادة نعم).

فإنه يتهدّدك ويتوعّدك أن يَرميَكَ بشيء، فلا يَرُوعَنّك واجلِسْ صارفاً بصرَكَ عنه والحظه أحياناً، فإذا رأيتَه قد سكن من نِفَاره فأَنْشِدْه شعراً غَزَلاً، وإن كنتَ ترِوي من شعر قيس بن ذَرِيح شيئاً فأنشِدْه إياه فإنه مُعْجَبٌ به، فخرجتُ فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدتُه جالساً على رَمْل قد خطَّ فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوتُ منه غيرَ منقبض، فنفر منّي نفورَ الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضتُ عنه، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ، فلمّا طال جلوسي سكَن وأقبلَ يخطّ بأصبعه، فأقبلتُ عليه وقلت: أحسَنَ والله قيسُ بن ذَرِيحٍ حيث يقول: [الطويل]

ألا يا غُرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّني ... بِعِلْمِكَ في لُبنَى وأنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِر بشيءٍ عَلِمْتَهُ ... فلا طِرْتَ إلا والجَناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداء حبيبُكَ فيهمُ ... كما قد تَراني بالحبيب أدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال: أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقولُ:

[الوافر]

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى ... بليلى العامِريَّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هُنيهةً، ثم أقبلتُ عليه فقلت: وأحسنَ والله قيس بنُ ذَريح حيث يقول: [الطويل]

وإنّي لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بالبكا ... حِذَاراً لِمَا قد كانَ أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بَعْدَ ذاكَ بليلةٍ ... فراقُ حَبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ مَنِيّتي ... بكفّيكِ إلا أن مَنْ حانَ حائِنُ

قال: فبكى - والله - حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضَتْ، وقد رأيتُ دموعَه قد بلَّت الرملَ الذي بين يديه، ثم قال: أحسنَ لَعَمرُ الله، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول:

صوت

[الطويل]

وَأدْنيتِني حَتّى إذا ما سَبَيْتِني ... بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ[1]

---

(١) العصم: جمع الأعصم، وهو الوعل. والأباطح جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى. (لسان العرب مادة بطح).

تَناءيْتِ عَنّي حينَ لا لِيَ حِيلةٌ وخَلَّفْتِ ما خَلَّفْتِ بَيْنَ الجَوانِحِ

- ويروى: «وغادَرْتِ ما غَادَرْتِ...» - ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنيّ وانصرفتُ، وغُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده، وجاءت امرأةٌ كانت تصنعَ له طعامه إلى الطعام فوجدَتْه بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معي فطلبناه يومَنا فلم نَجِده، وغَدَوْنا في اليوم الرابع نَسْتَقْرِي أثرَه حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ، وهو ميّتٌ بين تلك الحجارةِ، فاحتملَه أهلُه فغسّلوه وكفنوه ودفنوه.

قال الهيثمُ: فحدّثني جماعةٌ من بني عامر: أنه لم تَبقَ فتاةٌ من بني جعدةَ ولا بني الحَرِيش إلا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندبُه، واجتمع فِتيانُ الحيّ يبكون عليه أحرَّ بكاء، ويَنْشِجُون[1] عليه أشدَّ نَشِيج، وحَضَرَهُمْ حَيُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم فكان أشدَّ القوم جزعاً وبكاءً عليه، وجعل يقول: ما علمنا أن الأمر يبلُغ كلَّ هذا، ولكنّي كنتُ امرأً عربيّاً أخاف من العار وقُبْحِ الأُحْدُوثة ما يخافه مثلي، فزوّجتُها وخرجتْ عن يدي، ولو علمتُ أن أمره يجري على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا احتملتُ ما كان عليّ في ذلك. قال: فما رُئِيَ يومٌ كان أكثرَ باكيةً وباكياً على ميّتٍ من يومئذٍ.

[نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني]

منها الصوتُ الذي أوّلُه: [الطويل]

أَلاَ يا غُرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّنِي بِعِلْمِكَ في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

الغناء لابن محرز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ، وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحَكَم. وفي رواية ابن الأعرابيّ أنه أنشده مكان:

أَلاَ يا غُرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّنِي بِعِلْمِكَ في لُبنَى وأنتَ خبيرُ

صوت

[الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِري بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنأيِ والشَّرّ

(١) ينشجون: يغصّون بالبكاء.

وخبّرتَ أنْ قد جَدّ بَيْنٌ وقَرّبُوا جِمالاً لبينِ مُثْقَلاتٍ من الغَدْرِ
وهِجتَ قذَى عينٍ بِلُبنَى مريضةٍ إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعها تجرِي
وقلتَ كذاكَ الدَّهرُ ما زال فاجعاً صَدَقْتَ وهل شيءٌ باقٍ على الدّهرِ

الشعر لقيس بن ذَرِيح، والغناءُ لابن جامع، ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لبَحْرٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وفيه لدَحْمانَ ثاني ثقيل عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى.

ومنها الصوت الذي أوّلُه: [الوافر]

كأنّ القَلْبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى بليلى العامِريّةِ أو يُرَاحُ

ومنها الصوت الذي أوّلُه: [الطويل]

وأدنيتِني حتى إذا ما سبيتِني بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

الغناء لإبراهيم، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ.

أخبرنا الحسين بن القاسم الكَوْكَبِيّ قال: حدّثنا الفَضْل الرَّبَعيّ عن محمد بن حبِيب قال: لما مات مجنونُ بني عامر وُجد في أرض خَشِنةٍ بين حجارةٍ سُودٍ، فحضر أهلُه وحضر معهم أبو ليلى ـ المرأةِ التي كان يهواها ـ وهو متذمّم[1] من أهله، فلما رآه ميتاً بكى واسترجع[2] وعلم أنه قد شَرِكَ في هلاكه، فبينما هم يقلبونه إذ وجدوا خِرْقةً فيها مكتوبٌ: [الطويل]

ألاَ أيُّها الشَّيْخُ الّذي ما بنا يرضَى شَقِيتَ ولا هُنّيتَ من عَيشِكَ الغَضّا
شَقِيتَ كما أشْقَيْتَني وَتَرَكْتَني أهِيمُ مع الهُلاّكِ لا أَطْعَمُ الغَمْضَا

صوت

كأنّ فؤادي في مخالب طائرٍ إذا ذُكِرَتْ ليلَى يَشُدّ بها قَبْضَا
كأن فِجاجَ الأرضِ حَلْقةُ خاتَمٍ عَلَيّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضَا

في هذين البيتين رَمَلٌ ينسب إلى سُلَيم وإلى ابن محرز، وذكر حَبَشٌ والهشاميّ أنه لإسحاق.

(١) متذمم: منقبض، مستنكف.
(٢) استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدّثني أبو سَعِيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ قال: حدّثني بعض القُشَيْرِيِّين عن أبيه قال: مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ في أيام الربيع، وذاك قبل أن يختلِط، وهو يتغنَّى بشعر لم أفهمه، فصِحْتُ به: يا قيسُ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب! فتنفّس تنفُّساً ظننت أنّ حيازيمه[1] قد انقدّتْ، ثم قال:

صوت

[الطويل]

ومـا أُشـرِفُ الأيـفـاعَ إلا صَـبـابـةً ... ولا أُنـشِـدُ الأشـعـارَ إلا تَـداويـا
وقـد يـجـمـعُ الله الـشَّـتِـيـتَـيْـن بـعـدمـا ... يَـظُـنّـان جَـهـد الـظَّـنِّ أن لا تـلاقِـيـا
لَـحَـى الله أقـوامـاً يـقـولـون إنّـنـي ... وجـدتُ طَـوالَ الـدَّهْـرِ لِـلْـحُـبِّ شـافِـيـا

[لقاء ابن الملوّح وابن ذريح]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال: حدّثنا إسماعيلُ ابن أبي أُوَيْس قال: اجتاز قيسُ بنُ ذَريح بالمجنون وهو جالسٌ وحدَه في نادي قومِه، وكان كلّ واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر، وكان المجنونُ قبل توحُّشه لا يجلس إلا مُنفرداً ولا يُحدِّث أحداً ولا يردّ على متكلّم جواباً ولا على مُسلّم سلاماً، فسلّم عليه قيسُ بن ذَريح فلم يردّ عليه السلام؛ فقال له: يا أخي، أنا قيسُ بن ذَريح؛ فوثب إليه فعانقه وقال: مرحباً بك يا أخي، أنا والله مذهوبٌ بي[2] مُشْتَركُ اللّب فلا تلُمني، فتحدّثا ساعة وتشاكيا وبكيا، ثم قال له المجنونُ: يا أخي، إنّ حيَّ ليلَى منا قريبٌ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلّغَها عني السلامَ؟ فقال له: أفعل. فمضى قيسُ بن ذَريح حتى أتى ليلى فسلّم وانتسب، فقالت له: حيّاكَ الله، ألكَ حاجة؟ قال: نعم، ابنُ عمِّك أرسلني إليكِ بالسلام؛ فأطرقَتْ ثم قالت: ما كنتَ أهلاً للتحيّة لو علمتُ أنك رسولُه، قل له عنّي: أرأيتَ قولَك:

[الطويل]

أبَتْ لَـيْـلَـةٌ بِـالـغَـيـلِ يـا أمّ مـالـكٍ ... لكم غيرَ حُبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ[3]

---

(١) الحيازيم: ضلوع الفؤاد.

(٢) مذهوب بي: فاقد العقل.

(٣) الغيل: وادٍ لبني جعدة (لسان العرب مادة غيل).

ألا إنّما أبقيتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدىً أينما تذهبْ به الرِّيحُ يذهبِ(١)

أخبرني عن ليلة الغَيل، أيُّ ليلة هي؟ وهل خلوتُ معكَ في الغَيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيسٌ: يا ابنة عمّ، إن الناس تأوّلوا كلامَه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلَهم، إنما أخبر أنه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبتِ بقلبه، لا أنه عَنَاكِ بسوء؛ قال: فأطرقتْ طويلاً ودموعُها تَجرِي وهي تُكفكِفُها، ثم انتحبَتْ حتى قلتُ تقطّعَتْ حَيازِيمُها، ثم قالت: اقرأ على ابن عمّي السلامَ، وقل له: بنفسِي أنتَ! والله إنّ وجدي بكَ لفوقَ ما تجدُ، ولكن لا حيلةَ لي فيكَ؛ فانصرفَ قيسٌ إليه ليخبره فلم يجدْه.

[لقاؤه ليلى]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال: حدّثني عمّي عن ابن الصَّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: مرّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى وهي تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويلٍ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقَوْها عنده، فمكث كذلك مليّاً ثم أفاق وأنشأ يقول: [الوافر]

بَكى فَرَحاً بليلى إذ رآها مُحِبٌ لا يَرَى حَسَناً سواها
لقد ظَفِرَتْ يداه ونال ملكاً لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رملٌ بالبنصر. وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ. وفيه خفيفُ رملٍ ليزيد حوراء وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن المكيّ ولحنُ ابن المكيّ إليه.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى [الرمل]

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا عِنْدَنا يَشْرَبُون الخَمْرَ بالماء الزُّلالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بهم فانقَرَضُوا وكذاكَ الدَّهْرُ حالاً بعد حالِ(٢)

(١) الصدى: الرجل الشديد النحول.
(٢) انقرضوا: زالوا ولم يبق منهم أحد.

الشعر لعديّ بن زيد العِبَاديّ، والغناء لابن مُحْرِزٍ، ولحْنُه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيفُ رملٍ آخر بالبنصر ابتداؤه نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طُنْبورةَ، وذكر أحمد بن المكّيّ أنه لأبيه. وهذه الأبياتُ قالها عديّ بن زيد العِبَاديّ على سبيل المَوْعظة للنُّعْمان بن المُنْذِر، فيقال: إنها كانت سبب دخوله في النصرانية.

[عظة عدي بن زيد النعمان بن المنذر ونصحه له أن يتنصر]

حدّثني بذلك أحمد بن عِمْرانَ المؤدّب قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكَلْبيّ قال: خرج النعمانُ بنُ المنذر إلى الصيد ومعه عديُّ بن زيد فمرّوا بشجرةٍ، فقال له عديّ بن زيد: أيُّها الملكُ، أتدري ما تقولُ هذه الشجرةُ؟ قال: لا، قال تقول:

[الرمل]

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ
عَصَفَ الدَّهرُ بهم فانقَرَضُوا ... وكذاكَ الدَّهرُ حالاً بعد حالِ

قال: ثم جاوز الشجرةَ فمرّ بمقبرة فقال له عديّ: أيّها الملكُ، أتدري ما تقول هذه المقبرةُ؟ قال: لا، قال تقول:

[مجزوء الرمل]

أيها الرَّكبُ المُخِبُّو ... نَ على الأرض المُجِدُّون
فَكَمَا أنتم كُنّا ... وكما نحن تكونونَ

فقال له النعمان: إنّ الشجرةَ والمقبرةَ لاَ يتكلّمان، وقد علمتُ أنك إنما أردتَ عِظَتي، فما السبيلُ التي تُدرَكُ بها النجاةُ؟ قال: تدعُ عبادةَ الأوثان وتعبدُ الله وتدينُ بدين المسيح عيسى ابنِ مريمَ؛ قال: أوفي هذا النجاةُ؟ قال: نعم، فتنصر يومئذٍ، وقد قيل: إنّ هذه القصة كانت لعديّ مع النعمان الأكبر بن المُنْذِر، وإنّ النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصر. وخبر هذا يأتي مع أحاديث عديّ.

ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

[توفي نحو ٣٥ ق. هـ/نحو ٥٩٠ م]

هو عَديّ بن زيد بن حَمَّاد[١] بن زيد بن أيُّوب بن مَحْروف بن عامر بن عُصَيَّةَ ابن امرىء القَيْس بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيم بن مُرّ بن أُدِّ بنِ طابِخَة بنِ إلياسَ بن مُضَر بن نِزَار. وكان أيوبُ هذا فيما زعم ابن الأعرابيّ أوّلَ مَنْ سُمِّيَ من العرب أيوبَ، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهلُه، وليس ممن يُعد في الفحول، وهو قرويّ. وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها. وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة يقولانِ: عديٌّ بنُ زيد في الشعراء بمنزِلَةِ سُهَيلٍ في النجوم يعارضها ولا يَجري معها مَجْراها. وكذلك عندهم أُمَيةُ بنُ أبي الصَّلْت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكُمَيتُ والطِّرِمَّاحُ، قال العَجَّاج: كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما به، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه؛ فقيل له: ولم ذاك؟ قال: لأنهما قَرَوِيَّانِ يَصِفَانِ ما لم يَرَيا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدويّ أصِفُ ما رأيتُ فأضَعُه في مواضعه. وكذلك عندهم عديٌّ وأُميَّةُ.

[سبب نزول آل عديّ الحيرة]

قال ابنُ الأعرابيّ فيما أخبرني به عليّ بن سُلَيمان الأخفشُ عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عنه وعن هشام بن الكَلْبيّ عن أبيه قال: سببُ نزولِ آل عديّ بن زيد الحيرة[٢] أن جدَّه أيوبُ بن مَحْرُوف كان منزلُه اليمامةَ في بني امرىء القيس بن زيد مناةَ، فأصاب دماً في قومه فهرَب فلَحِقَ بأَوْس بنِ قَلاّمٍ أحد بني الحارث بن

(١) كذا في النسخة التي أخذنا عنها، وفي بعض النسخ وفي معاهد التنصيص: حمار بدل حماد.

(٢) الحيرة: مدينة كانت على بعد ثلاث أميال من الكوفة. انظر معجم البلدان ٢/٣٢٨.

كعب بالحِيرة. وكان بين أَيُّوبَ بن مَحْروف وبين أوس بن قَلاَّم هذا نسبٌ من قِبَل النساء، فلما قدِم عليه أيُّوب بنُ محروفٍ أكرمه وأنزله في داره، فمكث معه ما شاء الله أن يمكُثَ، ثم إن أوساً قال له: يا بنَ خالٍ، أتريدُ المُقامَ عندي وفي داري؟ فقال له أيُّوبُ: نعمْ، فقد علمتُ أني إن أتيتُ قومي وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسْلَم، وما لي دارٌ إلا دارُكَ آخرَ الدهر؛ قال أوس: إني قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يَعرِفُ ولدي لكَ من الحقِّ مثلَ ما أعرِفُ، وأخشى أن يقعَ بينكَ وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحِيرة إليكَ فأَعْلِمْني به لأُقْطِعَكه أو أبتاعَه لكَ؛ قال: وكان لأيوبَ صديقٌ في الجانب الشرقيّ من الحِيرةِ، وكان منزلُ أَوْسٍ في الجانب الغربيّ، فقال له: قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذي تُسكِنُنِيه عند منزلِ عِصَام بنِ عَبْدَة أحدِ بني الحارث بن كَعْب، فابتاعَ له موضعَ داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً، وأعطاه مائتين من الإبل بِرِعَائِها وفرساً وقَيْنةً، فمكث في منزل أوس حتى هَلك، ثم تحوّل إلى داره التي في شرقيّ الحِيرة فهلك بها. وقد كان أيوبُ اتصل قبل مَهْلَكِه بالملوك الذين كانوا بالحِيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ ابنه زيد بن أيوب، وثبت أيوب فلم يكن منهم مَلِكٌ يَملِكُ إلا ولِولَد أيوبَ منه جوائزُ وحُمْلانٌ[1].

[مقتل زيد بن أيوب]

ثم إنّ زيدَ بنَ أيوبَ نكح امرأة من آل قَلاَّم فولدت له حمّاداً، فخرج زيدُ بنُ أيوبَ يوماً من الأيام يريد الصَّيْدَ في ناس من أهل الحَيرةِ وهم مُنتدُون[2] بِحَفيرٍ[3] - المكان الذي يذكره عديّ بن زيد في شعره - فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه، فقال له - وقد عَرَف فيه شبَهَ أيوب -: مِمَّن الرجلُ؟ قال: من بني تَمِيم، قال: مِنْ أيّهم؟ قال: مَرَئِيّ[4]؛ قال له الأعرابيّ: وأين منزلك؟ قال: الحيرةُ؛ قال: أمن بني أيوبَ أنتَ؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بني أيوبَ؟ واستوحش من الأعرابيّ وذكر الثأر الذي هرب

(١) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.
(٢) منتدون: مجتمعون.
(٣) حفير: موضع بالكوفة. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٧٧.
(٤) مرئي: نسبة إلى امرىء القيس.

أبوه منه؛ فقال له: سمعتُ بهم، ولم يُعلِمْه أنه قد عرفه؛ فقال له زيدُ بن أيوبَ: فمن أيّ العرب أنتَ؟ قال: أنا امرؤ من طيّىء؛ فأمِنه زيدٌ وسكَت عنه، ثم إن الأعرابيّ اغتفل زيدَ بنَ أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه فَفَلَقَ قَلبه، فلم يَرِم[١] حافرُ دابته حتى مات؛ فلبِثَ أصحابُ زيد حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد افتقدوه وظنُّوا أنه قد أمعن في طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غَدَوْا في طلبه فاقتَفوْا أثَره حتى وقفوا عليه ورأوْا معه أثرَ راكب يُسايرُه فاتبعوا الأثرَ حتى وجدوه قتيلاً، فعرفوا أنّ صاحبَ الراحلة قتله، فاتبعوه وأغذُّوا[٢] السيرَ فأدركوه مساءَ الليلة الثانية، فصاحوا به وكان مِن أرمَى النّاس فامتنع منهم بالنَّبْلِ حتى حال الليلُ بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مَرْجع[٣] كَتِفيهِ بسهم فلما أجنَّه الليلُ ماتَ وأفلتَ الرامي، فرجعوا وقد قَتل زيدَ بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب.

[عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى]

فمكث حماد في أخواله حتى أيفع[٤] ولحِقَ بالوُصَفَاءِ، فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان، فلَطَم اللّحيانيُّ عينَ حماد فشجّه حمَّادٌ، فخرج أبو اللّحيانيّ فضرب حماداً، فأتى حمادٌ أُمَّه يبكي، فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضربني فلان لأن ابنَه لطمني فشجَجْتُه، فجزِعَتْ من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوبَ وعلّمته الكتابةَ في دار أبيه، فكان حمادُ أوّل من كتَب من بني أَيُّوبَ، فخرج مِنْ أكْتَبِ الناس وطُلِبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعْمانِ الأكبرِ، فلبِث كاتباً له حتى وُلد له ابنٌ مِن امرأة تزوّجها من طيّىء فسماه زيداً باسم أبيه، وكان لحماد صديقٌ من الدَّهَاقينِ[٥] العُظماء يقال له فرّوخ ماهَان، وكان مُحسناً إلى حمادٍ، فلما حضرَتْ حماداً الوفاةُ أوصى بابنه زيدٍ إلى الدّهقانِ، وكان من المَرَازِبة[٦]، فأخذه الدّهقانُ إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه

(١) لم يَرِم: لم يبرح.
(٢) أغذّوا: اسرعوا.
(٣) مرجع الكتفين: أسفلهما.
(٤) أيفع: شارف الاحتلام.
(٥) الدهاقين: جمع دهقان: وهو التاجر. (فارسي معرب).
(٦) المرازبة: جمع مرزبان، وهو الشجاع المقدم على القوم.

الدِّهقانُ، فعلّمه لمَّا أخذه الفارسيَّة فَلَقِنَهَا، وكان لَبِيباً فأشار الدِّهْقانُ على كِسْرى أن يَجْعَلَه علي البَريد في حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المَرَازِبة، فمكث يتولَّى ذلك لِكِسْرى زماناً؛ ثم إنّ النّعْمانَ النَّصْرِيّ اللَّخْمِيَّ هلَك، فاختلف أهلُ الحِيرة فيمن يُمَلّكونه إلى أن يعقِدَ كِسْرى الأمرَ لرجل يُنَصِّبهُ، فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزيد بن حمَّاد، فكان على الحِيرة إلى أن مَلَّكَ كِسْرَى المُنْذِرَ بنَ ماءِ السماء ونكح زيدُ بن حَمَّاد نعمةَ بنتَ ثَعْلَبَة العَدَوِيَّة فولدت له عَدِيّاً، وملك المنذرُ وكان لا يَعصيهِ في شيء، ووُلِدَ للمَرْزُبان ابنٌ فسمَّاه «شاهَانْ مَرْد». فلما تحرّك عديُّ بن زيد وأيْفَع طَرَحه أبوه في الكُتَّاب حتى إذا حَذَقَ أرسله المَرْزُبانُ مع ابنه «شاهانْ مَرْد» إلى كُتَّاب الفارسية، فكان يختلِفُ مع ابنه ويتعلَّمُ الكتابةَ والكلامَ بالفارسيّة حتى خرج من أفْهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعرَ، وتعلَّم الرميَ بالنُّشَّاب فخرج من الأساورة[1] الرُّماةِ وتعلَّم لِعْبَ العجم على الخيل بالصَّوَالجةِ[2] وغيرها. ثم إنّ المَرْزُبانَ وفَد على كِسرى ومعه ابنه «شاهان مرد» فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعمُ الذكر والأنثى فجعل كلُّ واحدٍ مِنْقارَه في منقار الآخر، فَغَضِب كسرى من ذلك ولحِقَتْه غَيرةٌ، فقال للمرزُبان وابنِه: لِيَرْم كلُّ واحدٍ منكما واحداً من هَذينِ الطائرَينِ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيتَ المالَ وملأتُ أفواهَكما بالجَوْهر، ومَنْ أخطأ منكما عاقبتُه؛ فاعتمدَ كلُّ واحد منهما طائراً منهما ورمَيَا فقتلاهما جميعاً، فبعَثهما إلى بيت المال فمُلِئَتْ أفواهُهُما جَوْهراً، وأثبتَ «شاهان مرد» وسائرَ أولادِ المَرْزُبانِ في صَحَابته؛ فقال فرُّوخُ ماهان عند ذلك للملك:

إنّ عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخَلَّفَه في حِجْري فربَّيتُه، فهو أفصحُ الناسِ وأكتَبُهم بالعربيَّةِ والفارسيّةِ والمِلكُ محتاجٌ إلى مثله، فإن رأى أن يُثْبِتَه في وَلَدِي فعلَ؛ فقال: ادعه، فأرسل إلى عديّ بن زيد، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسْنِ وكانت الفُرسُ تتبرّك بالجميل الوجه، فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جواباً، فرغِبَ فيه وأثبَته مع وَلَدِ المرزُبان، فكان عديّ أوّلَ مَنْ كَتَبَ بالعربية في ديوان كِسْرى، فرغِبَ أهلُ الحِيرة إلى عديّ ورَهِبُوه، فلم يزلْ بالمَدَائِن[3] في ديوان كسرى

(١) الأساورة: جمع أسوار، وهو القائد عند الفرس، وهو الجيد الرمي بالسهام.
(٢) الصوالجة: جمع صولجان، وهو عصا يعطف طرفها، يضرب بها الكرة على الدواب.
(٣) المدائن: عاصمة الفرس. انظر معجم البلدان ٥/ ٧٤.

يؤذَنُ له عليه في الخاصَّة وهو مُعجَبٌ به قريبٌ منه، وأبوه زيد بنُ حماد يومئذٍ حيّ إلا أنّ ذِكرَ عديّ قد ارتفع وخَمَلَ ذكرُ أبيه، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَنْ عنده حتى يقعدَ عديّ، فعَلا له بذاكَ صِيتٌ عظيمٌ، فكان إذا أراد المُقَامَ بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذنَ كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرَينِ وأكثرَ وأقلَّ، ثم إنّ كسرى أرسل عديَّ بن زيد إلى ملكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده، فلما أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عمّاله على البريد ليُرِيَه سعَةَ أرضه وعَظِيمَ مُلكِه ـ وكذلك كانوا يصنعونَ ـ فمن ثَمَّ وقع عديّ بدِمَشْقَ، وقال فيها الشعرَ. فكان مما قاله بالشأم وهي أوّلُ شعر قاله فيما ذكر: [الخفيف]

رُبَّ دارٍ بـأسـفَـل الـجِـزع مِـنْ دُو ... مَـةَ أشْـهَـى لـيَّ مِـنْ جَـيـرُون(١)
ونَـدَامَـى لا يَـفـرحـونَ بـمـا نـا ... لُـوا ولا يَـرْهَـبُـونَ صَـرْفَ الـمَـنُـونِ
قـد سُقِـيـتُ الـشَّـمُـولَ فـي دارِ بِـشْـرٍ ... قَـهْـوَةً مُـرَّةً بـمـاء سَـخِـيـنِ(٢)

ثم كان أوّلُ ما قاله بعدها قولَه: [الرمل]

لِـمَـنِ الـدّارُ تَـعَـفَّـتْ بـخِـيَـمْ ... أصْـبَـحَـتْ غـيَّـرَهـا طـولُ الـقِـدَمْ(٣)
مـا تَـبِـيـنُ الـعَـيْـنُ مِـنْ آيـاتـهـا ... غـيـرَ نُـؤْيٍ مـثـل خـطٍّ بـالـقَـلَـمْ(٤)
صـالـحـاً قـد لَـفَّـهـا فـاسْـتَـوْسَـقَـتْ ... لَـفَّ بـازِيٍّ حَـمَـامـاً فـي سَـلَـمْ(٥)

[أهل الحيرة يولون زيداً عليهم]

قال: وفسد أمرُ الحِيرة وعديّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم، لأن أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنه كان لا يعدِل فيهم، وكان يأخذُ من أموالهم ما يُعجِبه، فلما تيقّن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب، وكان قبلَه على الحيرة، فقال له: يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبي، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لي في مُلكِكُم، دونكموه مَلّكُوه مَنْ شئتم؛ فقال له زيد: إنّ الأمر ليس إليّ، ولكنّي أسبُرُ لكَ هذا الأمْرَ ولا آلُوكَ

(١) دومة، وجيرون: موضعان في الشام. انظر معجم البلدان ٢/ ١٩٩، ٤٨٨.
(٢) الشمول: الخمر، وكذلك القهوة.
(٣) خِيَم: موضع بالجزيرة. (معجم البلدان ٢/ ٤١٤).
(٤) النؤي: الحفير حول الخيمة يمنع السيل، وجمعه: آناء.
(٥) استوسقت: اجتمعت. والسَّلَم: شجر. وذو سلم: وادٍ بالحجاز.

نصحاً، فلما أصبح غدا إليه الناسُ فَحيَّوْهُ تحيّةَ الملك، وقالوا له: ألا تَبعَثُ إلى عبدك الظالم ـ يَعْنُونَ المنذر ـ فتُريحَ منه رعِيَّتَكَ؟ فقال لهم: أَوَلاَ خيرٌ من ذلكَ! قالوا: أَشِرْ علينا؛ قال: تَدَعُونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلكٍ، وأنا آتيهِ فأُخْبِرُه أنّ أهلَ الحِيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتالٌ، فلك اسم المُلْكِ وليس إليكَ سوى ذلك من الأمور؛ قالوا: رَأْيُك أفضلُ. فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا؛ فقَبِل ذلك ،فَرِح؛ وقال: إنّ لك يا زيدُ عليّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حَقَّ سبد ـ وسبد صنم كان لأهل الحيرة ـ فولّى أهلُ الحيرة زيداً على كل شيء سوى اسم المُلْكِ فإنهم أقرّوه للمنذر: وفي ذلك يقول عديّ: [الكامل]

نـحـنُ كُـنّـا قـد عـلِـمْـتُـمْ قـبـلَـكُـمْ   عَـمَـدَ الـبـيـتِ وأوتـادَ الإِصَـارِ[١]

قال: ثم هلك زيدٌ وابنُه عديّ يومئذ بالشأم. وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحَمَالاتِ[٢] كان أهلُ الحيرة أعْطَوْهُ إياها حين ولّوه ما ولَّوْه، فلما هلك أرادوا أخذها؛ فبلغ ذلك المنذرَ، فقال: لا، واللاَّت والعُزَّى لا يؤخذ مما كان في يد زيدٍ ثُفْرُوق[٣] وأنا أسمعُ الصَّوتَ.

ففي ذلك يقول عديّ بن زيد لابنِه النُّعْمانِ بنِ المنذِر:

وَأَبُـوكَ الـمَـرْءُ لـم يُـشْـنـأ بـه   يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسَارِ[٤]

[عدي بين المدائن والحيرة]

قال: ثم إنّ عدياً قَدِم المدائنَ على كسرى بهديَّةِ قيصرَ، فصادف أباه والمَرْزُبانَ الذي ربَّاه قد هلكا جميعاً، فاستأذن كسرى في الإلمام بالحيرةِ فأذن له فتوجَّه إليها، وبلغ المنذرَ خبرُه فخرج فتلقّاه في الناس ورجع معه. وعديّ أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يُملّكوه لملّكوه، ولكنه كان يُؤْثِرُ الصيدَ واللّهوَ واللعِبَ على المُلْكِ، فمكث سنينَ يبدو[٥] في فَصْلَي السَّنة فيقيمُ في جفير[٦] ويشتُو

(١) الإصار: الطنب، حبل الخباء والسرادق وغيرهما.
(٢) الحمالات: الديات والغرامات.
(٣) الثفروق: قمع البسرة والتمرة.
(٤) الخسف: النقيصة والذلّ.
(٥) يبدو: يخرج إلى البادية.
(٦) جفير: موضع انظر معجم البلدان ٢/١٤٧، ومعجم ما استعجم للبكري.

بالحِيرة، ويأتي المدائنَ في خلال ذلك فيخدُمُ كِسرَى، فمكثَ كذلك سنينَ، وكان لا يؤثِرُ على بلادِ بني يَرْبوعِ مَبْدًى من مَبَادي العربِ ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرِهم، وكان أخِلاَّؤه من العرب كلِّهم بني جعفر، وكانت إبله في بلاد بني ضَبَّةَ وبلاد بني سَعْد، وكذلك كان أبوه يفعل: لا يجاوز هذين الحيَّيْن بإبله، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هندَ بنتَ النعمان بن المنذر، وهي يومئذٍ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادتْ. وخبرُه يذكر في تزويجها بعد هذا.

قال ابنُ حبيبَ وذكر هِشامُ بنُ الكلْبيّ عن إسحاقَ بن الجَصَّاص وحَمَّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قال: كان لعديّ بن زيد أخوان: أحدُهما اسمه عَمَّار ولقبُه أُبَيّ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَيّ، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عديّ بن حَنْظلة من طيىء، وكان أبيّ يكون عند كسرى، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أُكُلٌ[1] وناحيةٌ، يُقطعُونَهُم القطائعَ ويجْزِلُون صِلاتِهم. وكان المنذرُ لما ملكَ جعل ابنه النعمانَ بنَ المنذر في حِجْرِ عديّ بن زيد، فهم الذين أرضَعُوه ورَبَّوْه، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له «الأسودُ» أُمّهُ ماريةُ بنتُ الحارث بن جُلْهُم من تَيم الرِّبَابِ، فأرضعه وربَّاه قومٌ من أهل الحِيرةَ يقال لهم بنو مَرِينا ينتسبون إلى لَخْم وكانوا أشرافاً. وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ، وكان ولَدُه يقال لهم «الأشاهبُ» من جمالهم، فذلك قول أَعْشَى بن قَيْس بن ثَعْلبة: [الخفيف]

وَبَنُو المُنْذِرِ الأشاهِبُ في الحَيْـ ـرَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كالسُّيوفِ

[سعي عدي والخلاف بينه وبين عدي بن مرينا]

وكان النعمانُ من بينهم أحمرَ أبرشَ قصيراً، وأُمّه سَلْمَى بنتُ وائل بن عَطيَّةَ الصائغ من أهل فَدَكَ[2]، فلما احتُضِرَ المنذرُ وخلَّفَ أولادَه العشرةَ، وقيل: بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إيَاس بن قَبِيصةَ الطَّائي، وملَّكه على الحِيرة إلى أن يَرَى كِسرى رَأيَهُ، فمكث مُملَّكاً عليها أشهُراً وكسْرى في طلب رجل يُملّكه عليهم، وهو كسرى بن هُرْمُزَ، فلم يجد أحداً يَرْضاه فضَجِرَ، فقال: لأبعثنّ إلى

(١) أُكُل: رزق.

(٢) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان. انظر معجم البلدان ٢٣٨/٤.

الحيرة اثنيْ عشرَ ألفاً من الأساورة، ولأمَلّكنَّ عليهم رجلاً من الفُرْس، ولآمرنَّهم أن ينزلوا على العرب في دُورِهم ويَمِلكُوا عليهم أموالَهم ونساءَهم، وكان عديٌّ بن زيد واقفاً بين يديه، فأقبل عليه وقال: ويحكَ يا عديُّ: مَن بقي من آل المنذِر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير؟ فقال: نعم أيها الملكُ السعيدُ، إنّ في ولد المنذر لبقيةً وفيهم كلِّهم خيرٌ، فقال: ابعث إليهم فأحضرْهم، فبعث عديٌّ إليهم فأحضَرهم وأنزلهم جميعاً عنده، ويقال: بل شَخَص عديّ بن زيد إلى الحِيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم، ثم قَدِم بهم على كسرى. قال: فلما نزلوا على عديّ بن زيد أرسل إلى النُّعمان: لستُ أُملِّكُ غيرَك فلا يُوحشنَّك ما أُفَضِّلُ به إخوتَك عليك من الكرامة فإني إنما أغترُّهم بذلك، ثم كان يُفَضِّلُ إخوتَه جميعاً عليه في النُّزُلِ والإكرام والملازمة ويُرِيهِمْ تنقُّصاً للنُّعْمان وأنه غيرُ طامعٍ في تمام أمر على يده، وجعلَ يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول: إذا أدْخَلتُكم على المَلِكِ فالبَسُوا أفخرَ ثيابكم وأجمَلها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطأوا في الأكل وصَغِّرُوا اللُّقَمَ وَنَزِّرُوا[1] ما تأكلون، فإذا قال لكم: أَتَكْفُونَنِي العربَ؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد، أتَكْفُونَنِيه؟ فقولوا: لا، إنّ بعضَنا لا يقدر على بعض، لِيَهابكم ولا يَطمَع في تَفرّقكم ويعلم أن للعرب مَنَعةً وبأساً فقَبِلوا منه؛ وخلا بالنعمان فقال له: البَسْ ثيابَ السفر وادخُل مُتقلِّداً بسيفك، وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَم وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ في الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكل من العرب خاصّةً، ويَرى أنه لا خير في العربيّ إذا لم يكن أَكُولاً شَرِهَاً، ولا سِيَّما إذا رأى غيرَ طعامه وما لا عَهْد له بمثله، وإذا سألكَ هل تكفِينِي العربَ؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فمَنْ لي بإخوتك؟ فقل له: إن عجزتُ عنهم فإني عن غيرهم لأَعْجَزُ. قال: وخلا ابنُ مَرِينا بالأسْود فسأله عما أوصاه به عديّ فأخبره، فقال: غَشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ وما نَصَحك، ولئن أطَعتني لتُخالفنَّ كلَّ ما أَمرِكَ به ولتُملّكنّ، ولئن عصيتَني ليُملكنّ النعمانُ ولا يغرَّنك ما أراكَه من الإكرام والتفضيل على النعمان، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المَعَدِّيّة لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ؛ فقال له: إن عدياً لم يألُني نصحاً وهو أعلم بِكسْرى منك، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصَفَنا وإلى قوله يرجع كسرى، فلمَّا أَيِسِ ابنُ مَرِينَا من قبوله منه قال: سَتعلمُ. ودعا بهم كسْرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالُهم

---

(١) نزّروا: قلّلوا.

وكمالُهم ورأى رجالاً قَلَّما رأى مثلَهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عديّ، فجعل ينظر إلى النعمان مِنْ بينهم ويتأمّلُ أكله، فقال لعديّ بالفارسية: إن يكون في أحد منهم خيرٌ ففي هذا، فلما غسلوا أيديَهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقولُ له: أتكفِيني العربَ؟ فيقولُ: نعم أكْفِيكَها كلَّها إلا إخوتي حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له: أتكفيني العربَ؟ قال: نعم قال: كلّها؟ قال: نعم، قال: فكيف لي بإخوتك؟ قال: إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ، فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألفَ درهم فيه اللؤلؤ والذهبُ.

[توعد ابن مرينا لعدي وتدبيره المكيدة له]

فلما خرج وقد مُلِّك قال ابن مَرِينَا للأسود: دونكَ عُقْبَى خلافِكَ لي! ثم إن عديّاً صنع طعاماً في بِيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتِني بمن أحببتَ فإنّ لي حاجةً، فأتى في ناس فتغدَّوْا في البيعة؛ فقال عديّ بنُ زيد لابن مرينا: يا عديّ، إنّ أحقَّ مَنْ عرفَ الحقَّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلَك، وإني قد عرفتُ أنّ صاحبكَ الأسودَ ابنَ المنذر كان أحبَّ إليك أن يُمَلَّك من صاحبي النعمان، فلا تلُمْني على شيء كنتَ على مثله، وأنا أُحِبُّ ألاّ تَحقِدَ عليّ شيئاً لو قَدرتَ عليه ركبتَه، وأنا أُحِبُّ أن تُعطِيني من نفسك ما أُعطيكَ من نفسي، فإنّ نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفَر من نصيبك؛ وقام إلى البِيعة فحلف ألاّ يَهْجوه أبداً ولا يَبْغِيَه غائلةً ولا يَزْوِيَ[1] عنه خيراً أبداً. فلما فرغ عديُّ بن زيد، قام عديُّ بن مرينا فحلف مثلَ يمينه ألاّ يزالَ يهجُوه أبداً ويَبغِيه الغوائلَ ما بقي. وخرج النعمانُ حتى نزل منزلَ أبيه بالحِيرة، فقال عديُّ بن مرينا لعديّ بن زيد: [الوافر]

ألا أبْلِغْ عَدِيّاً عَنْ عَدِيٍّ ... فلا تَجْزَعْ وإن رَثَّتْ قُوَاكا
هياكلَنا تَبَرُّ لغَيْرِ فَقْرٍ ... لِتُحْمَدَ أو يَتِمَّ به غِنَاكَا
فإن تَظْفَرْ فَلَمْ تَظْفَرْ حَمِيداً ... وإنْ تَعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِوَاكا
نَدِمتَ نَدامةَ الكُسَعِيّ لمَّا ... رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا[2]

---

(١) يزوي: يمنع.

(٢) الكسعي: رجل يضرب به المثل بالتندم. كان رامياً رمى الليل عيراً فأصابه، وظن أن سهمه أخطأه، فكسر قوسه. وحين أصبح ورأى العير ندم.

[عديّ في حبس النعمان]

قال: ثم قال عديُّ بن مَرِينا للأسْود: أما إذا لم تظفَر فلا تعجزَنَّ أن تطلبَ بثأرك من هذا المَعَدِّيّ الذي فعل بك ما فعل، فقد كنتُ أُخبِركَ أن مَعدّاً لا ينام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتَني، قال: فما تريد؟ قال: أريد ألاّ تأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عَرَضتَها عليّ ففعَل. وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعةِ فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلا على باب النعمان هديّةٌ من ابن مرينا، فصار من أكرمِ الناس عليه حتى كان لا يَقْضِي في ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا، وكان إذا ذُكِر عديُّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليه وشيَّع ذلك بأن يقول: إن عديَّ بن زيد فيه مكر وخديعة، والمعَدِّيُّ لا يصلح إلا هكذا. فلما رأى مَنْ يُطِيفُ بالنعمان منزلةَ ابْنِ مرينا عنده لزموه وتابعوه، فجعل يقول لمن يَثق به من أصحابه: إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا: إنه لكذلكَ ولكنه لا يَسلم عليه أحدٌ، وإنه ليقول: إنّ الملكَ ـ يعني النعمان ـ عامله، وإنه هو ولاّه ما ولاّه، فلم يزالوا بذلك حتى أضْغَنوه عليه(١)، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرمان له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فاشتدَّ غضبُه، فأرسل إلى عديّ ابن زيد: عزمتُ عليك إلاّ زُرْتَنِي فإنّي قد اشتقتُ إلى رؤيتك، وعديٌّ يومئذٍ عند كسرى، فاستأذَنَ كسرى فأذِنَ له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبِسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عديٌّ يقول الشعر وهو في الحبس، فكان أوّل ما قاله وهو محبوس من الشعر: [الخفيف]

لَيتَ شَعْرِي عن الهمام ويأتيـ ـكَ بخُبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤالِ
أين عنّا إخطارُنا المالَ والأنـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا لِيوم المِحالِ(٢)
ونِضَالي في جَنْبِكَ النَّاسَ يَرْمُو نَ وأرْمِي وكُلُّنا غَيرُ آلي(٣)
فأُصِيبُ الذي تُرِيدُ بلا غِشٍّ وأرْبي عليهِمُ وأُوالِي(٤)
لَيتَ أنّي أخَذْتُ حَتْفِي بكَفّي وَلَمْ ألْقَ مِيتَةَ الأقْتالِ(٥)

---

(١) أضغنوه عليه: جعلوه يحقد عليه.
(٢) إخطار المال والنفس: بذلهما. والمناهدة: المناهضة. ويوم المحال: يوم الكيد والمكر.
(٣) غير آلي: غير مقصر.
(٤) أربي: أزيد.
(٥) الأقتال: الأعداء.

مَـحَـلُـوا مَـحْـلَـهُـمْ لِـصَـرْعَـتِـنَـا الـعـا م فـقـد أوقَـعُـوا الـرحَـا الـثُـفَـال[١]

وهي قصيدة طويلة. قالوا: وقال أيضاً وهو محبوس: [الوافر]

أرِقْـتُ لِـمُـكْـفَـهِـرٍّ بـات فـيـه بَـوَارِقُ يَـرْتَـقِـيـنَ رُؤُوسَ شِـيـبِ[٢]
تَـلُـوح الـمـشـرَفـيَّـةُ فـي ذُرَاه ويـجـلـو صـفـحَ دَخـدارٍ قَـشـيـبِ

ويروى: تخالُ المشرفيّةُ. الدخدار: فارسية معرّبة وهو الثوب المصون. يقول فيها:

سَـعَـى الأعـداءُ لا يـألُـون شـرّاً عـلـيّ وَرَبِّ مـكـةَ والـصَّـلِـيـبِ
أرادوا كـي تُـمـهَّـلَ عـن عـدِيٍّ لِيُـسـجنَ أو يُـدهْـدَه فـي الـقـلـيـبِ[٣]
وكـنـتُ لِـزازَ خَـصْـمِـكَ لـم أُعَـرِّدْ وقـد سَـلَـكُـوكَ فـي يـومٍ عـصِـيـبِ[٤]
أُعَـالِـنُـهُـمْ وأُبْـطِـنُ كُـلَّ سِـرٍّ كـمـا بـينَ الـلِّـحاءِ إلى الـعَـسِـيـبِ[٥]
فَـفُـزْتُ عَـلَـيْـهِـمُ لَـمَّـا الـتَـقَـيْـنَـا بِـتـاجِـكَ فَـوْزَةَ الـقِـدْحِ الأريـبِ[٦]
ومـا دَهْـرِي بـأن كُـدِّرتُ فَـضْـلاً وَلٰـكِـنْ مـا لَـقِـيـتُ مِـنَ الـعَـجِـيـبِ
ألا مَـنْ مُـبـلِـغُ الـنُّـعْـمـانِ عَـنِّـي وَقَـدْ تُـهْـدَى الـنَّـصِـيـحَـةُ بـالـمـغـيـبِ
أحَـظِّـي كـانَ سِـلْـسِـلَـةً وَقَـيْـداً وغُـلاً وَالـبَـيـانُ لَـدَى الـطَّـبِـيـبِ
أتـاكَ بـأنَّـنِـي قـد طـالَ حَـبْـسِـي وَلَـمْ تَـسْـأم بِـمَـسْـجُـونٍ حَـرِيـبِ[٧]
وبَـيْـتِـي مُـقْـفِـرٌ إلا نِـسـاءً أرامِـلَ قـد هَـلَـكْـنَ مـن الـنَّـحِـيـبِ
يُـبَـادِرْنَ الـدُّمُـوعَ عـلـى عَـدِيٍّ كَـشَـنٍّ خـانَـه خَـرْزُ الـرَّبِـيـبِ[٨]
يُـحـاذِرْنَ الـوُشـاةَ عـلـى عَـدِيٍّ ومـا اقـتـرفُـوا عـلـيـه مـن الـذُّنُـوبِ

---

(١) محل به: سعى به الى السلطان. والثفال: الجلد الذي يبسط تحت الرحى.

(٢) المكفهر: السحاب المتراكم. والبوارق: السحب التي فيها بياض وسواد. وقال بعضهم شيب: جبل جاء في شعر الكميت بن زيد. انظر معجم البلدان ٣/٣٧٨.

(٣) يُدهده: يُحدر من علو إلى سفل. والقليب: البئر.

(٤) لزاز خصمك: أي لا أدعه يخالف أو يعاند. وأعرِّد: أنكل، وأحجم. وسلكوك: أدخلوك.

(٥) أعالنهم: أظهر لهم. واللحاء: ما على العود من قشر. والعسيب: جريدة من النخل يكشط خوصها.

(٦) القِدْح: السهم.

(٧) الحريب: الذي سُلب ماله.

(٨) الشَّنّ: الخلق من كل آنية مصنوعة من جلد. والربيب: المصلح.

فـإن أخـطَـأتُ أو أوهَـمـتُ أمـراً   فـقـد يَـهِـمُ المُـصـافِـي بـالـحـبـيـبِ
وإن أظْـلِـمْ فـقـد عـاقَـبْـتُـمـونـي   وإنْ أُظْـلَـمْ فـذلِـكَ مِـنْ نَـصِـيـبـي
وإن أهْـلِـكْ تَـجِـدْ فَـقْـدِي وتُـخـذَلْ   إذا التَقتِ العَوالي في الحروبِ[١]
فَـهَـلْ لـكَ أنْ تَـدَارَكَ مـا لَـدَيْـنـا   ولا تُغْلَبْ على الرَّأيِ المُصِيبِ[٢]
فـإنِّـي قَـدْ وَكَـلْـتُ الـيَـوْمَ أمْـرِي   إلـى رَبٍّ قَـرِيـبٍ مُـسْـتَـجِـيـبِ

قالوا: وقال فيه أيضاً: [الرمل]

طـالَ ذا اللَّـيْـلُ عَـلَـيْـنَـا وَاعْـتَـكَـرْ   وَكَـأنِّـي نـاذِرُ الـصُّـبْـحِ سَـمَـرْ
مِـنْ نَـجِـيِّ الـهَـمِّ عـنـدي ثـاويـاً   فَـوْقَ مـا أُعْـلِـنُ مـنـه وأُسِـرّْ
وكـأن الـلَّـيْـلَ فـيـه مـثـلُـه   ولَـقِـدْماً ظُـنَّ بـالـلـيـلِ القِـصَـرْ
لـم أُغَـمِّـضْ طُـولَـه حـتَّـى انـقـضـى   أتـمـنَّـى لـو أرَى الـصُّـبـحَ جَـشَـرْ[٣]
غـيـر مَـا عِـشْـقٍ ولـكـن طـارِقٌ   خَـلَـسَ الـنَّـوْمَ وأجْـدَانـي الـسَّـهَـرْ[٤]

وفيها يقول:

أبْـلِـغِ الـنُّـعْـمـانَ عَـنِّـي مَـأْلُـكـاً   قَـوْلَ مَـنْ قـد خـافَ ظَـنّـاً فـاعْـتَـذَرْ[٥]
أنَّـنِـي واللهِ، فَـاقْـبَـلْ حَـلِـفِـي   لأَبِـيـلٌ كُـلَّـمَـا صَـلَّـى جَـأَرْ[٦]
مُـرْعَـدٌ أحـشـاؤُه فـي هَـيْـكَـلٍ   حَـسَـنٌ لِـمَّـتُـه وافِـي الـشَّـعَـرْ،
مـا حَـمَـلْـتُ الـغِـلَّ مِـنْ أعْـدائِـكـم   ولَـدَى اللهِ مِـنَ الـعِـلْـمِ الـمُـسَـرّْ
لا تـكـونَـنَّ كَـآسِـي عَـظْـمِـه   بِـأَسـاً حـتـى إذا الـعَـظْـمُ جَـبَـرْ[٧]
عَـادَ بَـعْـدَ الـجَـبْـرِ يَـبْـغِـي وَهْـنَـهُ   يَـنْـحُـوَنَّ الـمَـشْـيَ مِـنـه فـانْـكَـسَـرْ
واذْكُـرِ الـنُّـعْـمَـى الـتـي لـم أنْـسَـهـا   لـكَ فـي الـسَّـعْـي إذا الـعـبـدُ كَـفَـرْ

وقال له أيضاً ـ وهي قصيدة طويلة ـ: [الرمل]

(١) العوالي: الرماح.
(٢) تدارك: تتدارك. حذفت تاء المضارعة.
(٣) جشر الصبح: طلع. وقد ورد في أغلب النسخ «حسر» بدلاً من «جشر» وهما بمعنى.
(٤) خلس النوم: سرقه. وأجداني: أعطاني.
(٥) المألك: الرسالة.
(٦) الأبيل: الراهب. وجأر: رفع صوته بالدعاء.
(٧) الآسي: الطبيب، المداوي.

أبـلِـغ الـنُّـعـمـانَ عـنّـي مَـألُـكـاً أنـه قـد طـال حَـبـسِـي وانـتِـظَـارِي
لـو بـغـيـر الـمـاءِ حَـلْـقِـي شَـرِقٌ كنتُ كـالـغَـصَّـان بـالـماءِ اعْـتِـصَـارِي[1]
لـيـتَ شِـعْـرِي عَـنْ دخـيـلٍ يـفـتـرِي حَـيْـثُـمـا أدْرَكَ لَـيـلـي ونَـهـاري
قـاعِـداً يَـكْـرُبُ نَـفْـسِـي بَـثُّـهـا وَحَـراماً كـان سِـجْـني واحـتِـصَـارِي[2]
أجْـلَ نُـعْـمَـى ربِّـهـا أوَّلُـكُـم ودُنُـوِّي كـان مِـنـكـم واصْـطِـهَـاري[3]

في قصائدَ كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغْنِي عنده شيئاً. (هذه رواية الكلبيّ).

[رواية المفضل في سبب حبس عديّ]

وأما المفضَّل الضَّبِّيّ فإنه ذكر أن عديّ بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاثَ ولا ما يَصْلُحُ لمَلِكٍ؛ وكان آدَمَ إخوته مَنْظَراً وكلُّهم أكثر مالاً منه؛ فقال له عديّ: كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك! فقال له النعمان: ما أعرف لك حيلةً إلا ما تعرِفه أنت؛ فقال له: قم بنا نَمْضِ إلى ابن قردس ـ رجلٍ من أهل الحِيرة من دُومةَ ـ فأتياه ليقترضا منه مالاً، فأبى أن يُقرِضَهُما وقال: ما عندي شيء، فأتَيَا جابرَ بن شَمْعُون وهو الأُسْقُف[4] أحد بني الأَوْسِ بن قلاّم بن بطين بن جمهير ابن لَحْيان من بني الحارث بن كَعْب فاستقرضا منه مالاً، فأنزلهما عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويَسقِيهُم الخمرَ، فلما كان في اليوم الرابع قال لهما: ما تريدان؟ فقال له عديّ: تُقرِضُنا أربعين ألف درهم يستعينُ بها النعمان على أمره عند كسرى: فقال: لكما عندي ثمانون ألفاً، ثم أعطاهما إياها؛ فقال النعمانُ لجابر: لا جرَم لا جَرَى لي درهمٌ إلاّ على يَدَيْك إن أنا ملكت. قال: وجابر هو صاحبُ القَصْرِ الأبيضِ بالحِيرَة، ثم ذكر من قصة النعمانِ وإخوته وعديّ وابنِ مَرِينَا مثلَ ما ذكره ابن الكَلْبيّ. وقال المفضَّل خاصّةً: إن سبَب حبس النعمان عديَّ بنَ زيد، أنّ عدياً صنعَ ذاتَ يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركبَ إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابه، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عديّ بن مَرِينا فاحتبسَه حتى تغدَّى عنده هو وأصحابُه وشربوا

(١) الاعتصار: أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر الماء. أي يشربه قليلاً قليلاً.
(٢) احتصاري: حصري، سجني.
(٣) أجل: لأجل، ونعمى: نعمة. وربّها: رباها. والاصطهار: المصاهرة.
(٤) الأسقف: رجل دين عند النصارى.

حتى تَمِلُوا، ثم ركب إلى عديّ ولا فَضْلَ فيه، فأحفظه[1] ذلك، ورأى في وجه عدي الكراهةَ فقام فركب ورجع إلى منزله؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان: [مجزوء الكامل]

أَحَسِبْتِ مَجْلِسَنا وحُسْنَ حَدِيثِنا يُودي بمالِكْ
فالمالُ والأَهْلُونَ مَصْرَعَةٌ لأمرِكَ أو نَكَالِكْ
ما تأمُرَنْ فينا فأمرُكَ في يَمِينكَ أو شِمالِكْ

قال: وأرسل النعمان ذات يوم إلى عديّ بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسولَه فأبى أن يأتيَه، وقد كان النعمان شَرِب فغضِبَ وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِيَ به إليه، فحبسه في الصّنّيْنِ[2] ولجّ في حَبسه وعديّ يرسل إليه بالشعر، فمما قاله له: [الخفيف]

لَيس شَيءٌ على المَنُونِ بِبَاقِ … غيرُ وجه المُسبَّحِ الخَلاَّقِ[3]
إن تَكُنْ آمِنِينَ فاجأنا شَـ … ـرٌّ مُصِيبٌ ذَا الوُدِّ والإِشفَاقِ
فبريءٌ صَدْرِي مِنَ الظُّلْمِ للرَّ … بِّ وَحِنْثٍ بِمُعْقَدِ الميثاقِ
ولقد ساءَنِي زِيارةُ ذي قُرْ … بى حَبِيبٍ لِوُدِّنا مُشتاقِ
ساءَهُ ما بِنا تَبَيَّنَ في الأَيْـ … ـدِي وإِشْناقُها إلى الأعناقِ[4]
فَاذْهَبِي يا أُمَيْمَ غيرَ بعيدٍ … لا يُؤاتِي العِنَاقُ مَنْ في الوَثَاقِ
واذْهَبِي يا أُمَيْمَ إنْ يَشَإِ اللَّـ … ـهُ يُنَفِّسْ مِن أَزْمِ هذا الخِناقِ[5]
أو تَكُنْ وِجْهَةٌ فتلكَ سَبِيلُ النَّـ … ـاس لاتَمْنَعُ الحُتوفَ الرَّواقِي[6]

ويقول فيها:

وتقول العُداةُ أَوْدَى عَدِيٌّ … وَبَنُوهُ قَدْ أيقَنوا بغَلاَقِ[7]

---

(١) أحفظه: أغضبه.
(٢) الصِّنِّين: بلد كان بظاهر الكوفة وانظر معجم البلدان ٣/ ٤٣١.
(٣) المنون: الموت.
(٤) الإشناق: غلّ اليد إلى العنق.
(٥) الأزم: الشدّة.
(٦) الحتوف: جمع حتف، وهو الموت. والرواقي: جمع راقية. والرقية: العوذة.
(٧) الغلاق: إسلام القاتل إلى ولي المقتول ليحكم في دمه ما يشاء.

يـا أبـا مُـسْـهِـرٍ فـأبْـلِـغْ رَسُـولاً إخْـوَتِـي إنْ أتـيـتَ صَـحْـنَ الـعِـرَاق
أبـلِـغـا عـامِـراً وأبـلِـغْ أخـاه أنَّـنـي مُـوثَـقٌ شَـدِيـدٌ وَثَـاقِـي
فـي حـديد القِسْطاس يَرْقُبني الحا رِسُ والـمـرءُ كـلَّ شـيءٍ يُـلاَقِـي
فـي حـديـدٍ مُـضَـاعَـف وغُـلُـولٍ وثـيـابٍ مُـنَـضَّـحَـاتٍ خِـلاَقِ(١)
فـارْكَـبُـوا فـي الـحـرام فُكُّـوا أخـاكُـمْ إنَّ عِـيـراً قـد جُـهِّـزَتْ لانـطـلاَقِ(٢)

يعني الشهرَ الحرام. قالوا جميعاً: وخرج النعمانُ إلى البحرين، فأقبل رجل من غَسَّانَ فأصاب في الحِيرة ما أحبَّ؛ ويقال: إنه جَفْنة بن النُّعْمان الجَفْنِيّ، فقال عديّ بنُ زيد في ذلك: [الوافر]

سـمـا صَـقْـرٌ فَـأَشْـعَـلَ جـانِـبَـيْـهـا وألْـهـاك الـمـروَّحُ والـعَـزِيـبُ

المروَّح: الإبل المروَّحة إلى أعطانها. والعَزِيبُ: ما تُرِكَ في مراعيه.

وثَـبْـنَ لـدى الـثَّـوِيّـة مُـلْـجَـمَـاتٍ وصـبَّـحـنَ الـعِـبَـادَ وهـنَّ شِـيـبُ
إلا تـلـك الـغُـنَـيْـمـةُ لا إفـالٌ تُـرَجِّـيـهـا مُـسَـوَّمَـةٌ ونِـيـبُ
تُـرجِّـيـهـا وقـد صـابَـتْ بِـقُـرٍّ كـمـا تـرجُـو أصـاغـرَهـا عَـتِـيـبُ

[كتابته إلى أخيه وجواب أخيه]

وقالوا جميعاً: فلما طال سجنُ عديّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بهذا الشعر: [المتقارب]

أَبـلِـغْ أُبَـيّـاً عَـلَـى نـأيِـهِ وهـل يـنـفـعُ الـمَـرْءَ مـا قـد عَـلِـمْ(٣)
بـأنَّ أخـاكَ شَـقِـيـقَ الـفُـؤا دِ كُـنْـتَ بـه واثـقـاً مـا سَـلِـمْ
لَـدَى مَـلِـكٍ مـوثَـقٌ فـي الـحـديـ ـدِ إمّـا بـحـقّ وإمّـا ظُـلِـمْ
فـلا أعْـرِفَـنْـكَ كَـذاتِ الـغُـلا مِ مـا لـم تـجِـدْ عـارِمـاً تَـعْـتَـرِمْ(٤)
فـأرضَـكَ أرضَـكَ إن تـأتِـنَـا تَـنَـمْ نَـوْمَـةً لـيـس فـيـهـا حُـلُـمْ

(١) الخلاق: البالية.
(٢) الحرام أي الشهر الحرام. والعير: القافلة.
(٣) النأي: البعد.
(٤) العارم: الرضيع. وتعترم: تدرّ حليبها فتمصّة. وانظر لسان العرب مادة «عرم».

قال: فكتب إليه أخوه أبيّ: [الخفيف]

إن يكن خانكَ الزّمانُ فلا عا جزُ باعٍ ولا أَلَفُّ ضعيفُ(١)
وَيَمِينِ الإلٰهِ لَوْ أنَّ جَأْوَا ءَ طَحُوناً تُضيءُ فيها السيوفُ(٢)
ذاتَ رِزٍّ مُجتابةً غَمرةَ المو تِ صَحيحٌ سِرْبالُها مكفُوفُ(٣)
كنتَ في حَمْيِها لَجِئتُكَ أَسْعَى فاعْلَمَنْ لو سَمِعْتُ إذ تَستَضِيفُ(٤)
أو بمالٍ سألتَ دونكَ لم يُمـ نَعْ تِلادٌ لحاجةٍ أو طَرِيفُ(٥)
أو بأرضٍ أستطيعُ آتِيكَ فيها لم يَهُلْنِي بُعْدٌ بها أو مَخوفُ
إن تَفُتْنِي والله إلفاً فَجُوعاً لا يُعَقِّبْك ما يَصوبُ الخريفُ
في الأعادي وأنتَ مِنّي بعيدٌ عزَّ هذا الزمانُ والتعنيفُ
ولَعَمري لئن جزعتُ عليه لَجَزُوعٌ على الصَّديق أَسُوفُ
ولَعَمري لئن ملكتُ عَزائي لقليلٌ شَرْوَاكَ فيما أطُوفُ(٦)

[خبر مقتل عدي وأخبار ابنه زيد بن عديّ]

قالوا جميعاً: فلما قرأ أبيّ كتاب عديّ قام إلى كسرى فكلمه في أمره وعرّفه خَبَرَه؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، وبعث معه رجلاً، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه قد كُتب إليك في أمره، فأتى النعمانَ أعداءُ عديّ من بني بُقَيْلة، وهم من غسّان، فقالوا له: اقتُله الساعةَ فأبى عليهم، وجاء الرسولُ، وقد كان أخو عديّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ فيدخَل إليه وهو محبوس بالصِّنِّيْنِ، فقال له: ادخل عليه فانظر ما يأمركَ به فامتثِلْه، فدخل الرسولُ على عديٍّ، فقال له: إني قد جئتُ بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندي الذي تُحبُّ ووعَدَه بِعدَةٍ سنيّةٍ، وقال له: لا تَخرُجَنَّ من عندي وأعطني الكتابَ حتى أُرسله إليه، فإنك والله إن خرجتَ من عندي لأقتلَنَّ، فقال: لا أستطيعُ إلا أن آتي الملك بالكتاب فأوصِّله إليه، فانطلق بعضُ مَنْ كان هناكَ من أعدائه فأخبرَ النعمانَ أن رسول كسرى دخل على عديّ وهو

(١) الأَلَفّ: الثقيل، البطيء.
(٢) الجأواء: الكتيبة السوداء لكثرة الدروع.
(٣) الرزّ: الصوت يسمع من بعيد.
(٤) تستضيف: تستجير، تستغيث.
(٥) التلاد: المال القديم. والطريف المال المستحدث.
(٦) شرواك: مثلك.

ذاهبٌ به، وإن فعلَ والله لم يَسْتبق منّا أحداً أنتَ ولا غيركَ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغمُّوه حتى مات ثم دفنوه. ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتابَ إليه؛ فقال: نَعَمْ وكرامةً، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء، وقال له: إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسكَ فأخرِجْه، فلما أصبح ركِبَ فدخلَ السّجنَ، فأعلَمه الحرسُ أنه قد مات منذ أيام ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه، وقد عرفنا كراهته لموته. فرجع إلى النعمان، وقال له: إني كنت أمسِ دخلتُ على عديّ. وهو حيّ، وجئتُ اليوم فَجَحدنِي السَّجّانُ وبهتَني(١)، وذكر أنه قد مات منذُ أيام. فقال له النعمان: أيبعثُ بك الملكُ إليّ فتدخل إليه قبلي! كذبت، ولكنكَ أردتَ الرشوةَ والخبثَ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه، وتوثّق منه ألاّ يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه. فرجع الرسولُ إلى كسرى، وقال: إني وجدتُ عديّاً قد مات قبل أن أدخل عليه. وندِم النعمان على قتل عديّ وعرف أنه احتيل عليه في أمره، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدةً. ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعدي يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهَهُ، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أنا زيد بن عديّ بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريفٌ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه، ثم كتب إلى كسرى: إنّ عديّاً كان ممن أُعِينَ به الملكُ في نُصحِه ولُبّه، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدَّتُه وانقضى أجله، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشد من مصيبتي! وأما الملكُ فلم يكن ليَفقِدَ رجلاً إلا جعل الله له منه خَلَفاً لِمَا عظَّم الله من ملكه وشأنه، وقد بلغ ابن له ليس بدونه رأيته يصلُحُ لخدمة الملِكِ فسرَّحته إليه، فإن رأى الملِكُ أن يجعله مكانَ أبيه فليَفْعَل وليصرِفْ عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر. وكان هو الذي يلي المكاتبةَ عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواصّ أمور الملك. وكانت له من العرب وظيفةٌ موظَّفةٌ في كل سنةً: مُهْرانِ أشقرانِ يُجعَلاَنِ له هُلاَماً(٢)، والكَمْأة الرَّطْبةُ في حينها واليابسةُ والأَقطُ، والأُدْمُ وسائرُ تجارات العرب؛ فكان زيدُ بن عديّ يلي ذلك له وكان هذا عملَ عديّ. فلما وقع زيد بن عديّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان، فأحسن الثناءَ عليه. ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه. وأُعجِبَ به كسرى، فكان يكثر الدخول عليه والخدمةَ له.

---

(١) بهتني: قابلني بالكذب.

(٢) الهلام: مرق السكباج المصفى من الدهن. والسكباج: لحم يطبخ بالخل.

[كيد زيد للنعمان عند كسرى حتى قتله]

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضِينَ بتلك الصفة، فإذا وُجِدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك، غير أنهم لم يكونوا يطلبونَها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم إنه بدا للملك في طلب الصفة، وأمر فكُتب بها إلى النواحي، ودخل إليه زيد بن عديّ وهو في ذلك القول، فخاطبه فيما دخل إليه فيه، ثم قال: إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلَبنَ لهُ وقرأتُ الصفةَ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً، وعند عبدك النعمانِ من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة، قال: فاكتب فيهنّ؛ قال: أيها الملك، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصَّةَ أنهم يتكرّمون ـ زعموا في أنفسهم ـ عن العجم، فأنا أكره أن يُغَيبهنّ عمن تبعث إليه أو يَعرضَ عليه غيرَهنّ، وإن قدِمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني وابعث معي رجلاً من ثِقاتك يفهم العربية حتى أبلغَ ما تحبّه؛ فبعث معه رجلاً جَلْداً فهِماً، فخرج به زيد، فجعل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرَةَ، فلما دخل عليه أعظم الملكَ وقال: إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتكَ بِصهْره فبعث إليكَ؛ فقال: ما هؤلاء النِّسوة؟ فقال: هذه صفتُهنَّ قد جئنا بها، وكانت الصفةُ أن المنذر الأكبر أهدَى إلى أَنُو شِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ، فكتب إلى أَنُوشِروانَ بصفتها، وقال: إني قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخَلْق، نقيَّةَ اللون والثغر، بيضاءَ قمْراءَ وَطْفاء[١] كَحْلاءَ دَعْجاء[٢] حَوْراءَ عَيْناء[٣] قَنواءَ[٤] شَمّاء بَرْجَاءَ[٥]، زَجّاء[٦] أَسِيلةَ الخدّ[٧] شهيّة المقبَّل، جَثْلة الشَّعَر[٨] عظيمةَ الهامة، بعيدةَ مَهْوَى القُرط[٩]،

---

(١) وطفاء: غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين.
(٢) دعجاء: شديدة سواد العين.
(٣) عيناء: واسعة العينين.
(٤) قنواء: المرتفعة الأنف.
(٥) برجاء: بعيدة ما بين الحاجبين.
(٦) زجاء: مكحلة العينين.
(٧) أسيلة الخد: ناعمة الخد.
(٨) جثلة الشعر: كثيفة الشعر.
(٩) بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.

عَيْطاءَ[١]، عريضةَ الصدر، كاعبَ الثدي، ضخمةَ مُشَاشِ[٢] المَنْكِب والعضدِ، حسنةَ المِعصَم، لطيفةَ الكفّ، سَبْطَةَ البَنَان، ضامرةَ البطن، خَمِيصةَ الخَصْر، غَرْثَى[٣] الوِشاح، رَدَاحَ[٤] الأقبال[٥]، رابيةَ الكفل[٦]، لَفَّاءَ الفخِذين[٧]، رَيّا الروادِف، ضخمةَ المأكِمَتَيْن[٨]، مُفْعمةَ الساق[٩]، مُشبعةَ الخَلْخال[١٠]، لطيفةَ الكعب والقدم، قَطوفَ المشي[١١]، مِكسَالَ الضُّحَى[١٢]، بَضَّةَ المتجرَّد[١٣]، سَمُوعاً للسيّد، ليستْ بخنْساء[١٤] ولا سَفْعاءَ[١٥]، رقيقة الأنف، عزيزةَ النفس، لم تُغَذَّ في بؤسٍ، حييّةً رَزِينةً، حَلِيمةً رَكِينةً كَرِيمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فَصِيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جِمَاع قبيلتها، قد أحكمتها الأمورُ في الأدب، فرأيُها رأيُ أهل الشرف، وعملُها عملُ أهل الحاجة، صَنَاعَ الكفَّين، قَطِيعة اللسان[١٦] رَهْوة الصوت[١٧]، ساكنتَه، تَزِينُ الوليَّ، وتَشِينُ العدوَّ، إن أردتَها اشتهتْ، وإن تركتها انتهتْ، تُحَمْلِقُ عيناها[١٨]، وتحمرُّ وجنتاها، وتَذَبذَبُ شفتاها، وتبادِرُكَ الوثبةَ إذا قمتَ، ولا تجلسُ إلا بأمرك إذا جلست. قال: فقبلَها أنو شِروانُ وأمر بإثباتِ هذه الصفةِ في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى

---

(١) عيطاء: طويلة العنق.
(٢) المشاش: رؤوس العظام.
(٣) غرثى الوشاح: أي دقيقة الخصر.
(٤) الرداح: الثقيلة.
(٥) الأقبال: جمع قبل، وهو ما استشرفك من مشرف.
(٦) رابية الكفل: عظيمة العجز.
(٧) لفاء الفخذين: ضخمة الفخذين.
(٨) المأكمتان: اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين.
(٩) مفعمة الساق: ممتلئة الساق.
(١٠) مشبعة الخلخال: كناية عن امتلاء ساقها.
(١١) قطوف المشي: متقاربة الخطو.
(١٢) مكسال الضحى: كسولة تنام إلى الضحى، وهو كناية عن الغنى والترف.
(١٣) بضة المتجرّد: ناعمة الجلد إذا تجردته.
(١٤) الخنساء: من الخنس، وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة.
(١٥) السفعاء: السوداء.
(١٦) قطيعة اللسان: ليست سليطة اللسان.
(١٧) رهوة الصوت: رقيقة الصوت، سهلته.
(١٨) تحملق عيناها: تنظران بشدة.

ذلك إلى كِسْرى بن هُرْمُز. فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشقَّت عليه؛ وقال لزيد والرسولُ يسمع: أما في مَهَا السَّواد وعِين فارسَ ما يبلُغ به كسرى حاجتَه! فقال الرسولُ لزيد بالفارسية: ما المهَا والعِينُ؟ فقال له بالفارسية: كاوان أي البقر؛ فأمسك الرسولُ: وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملكُ كرامتَكَ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتُبْ إليكَ به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملِكُ ليس عندي، وقال لِزيد: اعذِرْني عند الملِكِ. فلما رجعا إلى كسرى؛ قال زيدٌ للرسول الذي قدِم معه: أصْدقِ الملكَ عما سمَعتَ، فإنّي سأحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيدٌ: هذا كتابه إليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذي كنت خبَّرتِني به؟ قال: قد كنتُ خبرتكَ بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُرْيَ على الشِّبَع والرِّيَاشِ، وإيثارهم السَّموم[1] والرياحَ على طِيب أرضكَ هذه، حتى إنهم ليسمّونها السّجنَ، فسلْ هذا الرسولَ الذي كان معي عمّا قال، فإني أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسولِ: وما قال؟ فقال له الرسولُ: أيها الملكُ، إنه قال: أمَا كان في بقَرِ السواد وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا، فعُرِف الغضبُ في وجهه، ووقَع في قلبه منه ما وقع، لكنّه لم يزد على أن قال: رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب[2]. وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمانَ وسكتَ كسرى أشهراً على ذلك.

[استجارة النعمان بسادة العرب، وتسليمه نفسه لكسرى]

وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّعُ حتى أتاه كتابُه: أنْ أقبِلْ فإن للملِكِ حاجةً إليك، فانطلق حين أتاه كتابُه فحمل سلاحَه وما قَوِي عليه، ثم لحق بجَبَلَيْ طيّىء وكانت فَرْعة بنتُ سعد بن حَارِثه بن لأم عنده، وقد ولدت له رجلاً وامرأة، وكانت أيضاً عنده زينبُ بنتُ أوس بنِ حارثةَ، فأرادَ النعمانُ طيّئاً على أن يُدخِلوه الجبلين ويمنعوه فأبَوْا ذلك عليه، وقالوا له: لولا صهْرُكَ لقتلناكَ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعَاداة كسرى، ولا طاقةَ لنا به، وأقبل يطوف على قبائِل العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه، غيرَ أنّ بني رَوَاحة بن قُطَيعةَ بن عَبْسٍ قالوا: إن شئتَ قاتلنا معك، لِمنَّةٍ

(١) السموم: الرياح الحارة، وقيل: الباردة.
(٢) التباب: الهلاك.

كانت له عندهم في أمر مروانِ القَرَظ[١]، قال: ما أُحبُّ أنْ أُهلكَكُم، فإنه لا طاقة لكم بِكسرى، فأقبل حتى نزل بِذي قارٍ[٢] في بَنِي شَيْبانَ سِرّاً، فلقِيَ هانىءَ بنَ قَبِيصة، وقيل بل هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهلِ بن شيبان، وكان سيداً مَنيعاً، والبيتُ يومئذ من رَبِيعة في آلِ ذِي الجَدينِ لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بن مسعود الأُبُلَّةَ[٣]، فكره النعمانُ أن يدفع إليه أهلَه لذلك، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه نفسَه.

وقال حَمَّاد الراويةُ في خبره: إنه إنما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره، وقال له: قد لزمني ذِمَامكَ مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأَدْنَيْنَ رجلٌ، وإنَّ ذلك غيرُ نافِعِكَ لأنه مُهلِكِي ومُهْلِكُكَ، وعندي رأيٌ لكَ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عما تريده من مجاورتي ولكنه الصوابُ؛ فقال: هَاتِه؛ فقال: إن كلَّ أمر يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المُلك سُوقَةً، والموت نازلٌ بكل واحدٍ، ولأَنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقَةً بعد المُلْكِ، هذا إن بقيتَ، فامضِ إلى صاحبك وأرسِلْ إليه هدايا ومالاً وألقِ نفسَكَ بين يديه، فإمّا أن صفح عنك فعُدتَ مَلِكاً عزيزاً، وإما أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّبَ بك صعاليكُ العرب ويتخطَّفكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً؛ فقال: كيف بحُرَمِي؟ قال: هنَّ في ذمتي، لا يُخلَصُ إليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتي؛ فقال: هذا وأبيكَ الرأيُ الصحيحُ، ولن أُجاوِزَه. ثم اختار خيلاً وحُلَلاً من عَصْبِ[٤] اليمن وجوهراً وطُرفاً كانت عنده، ووجَّه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذِرُ ويُعلِمُه أنه صائرٌ إليه، ووجَّه بها مع رسوله، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً. فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيدُ بنُ عديّ على قنطرة سَابَاطَ[٥]، فقال له: انجُ نُعيمُ، فقد إن استَطَعْتَ النَّجاءَ، فقال له: أفعلتَها يا زيدُ!

(١) مروان القرظ هو مروان بن زنباع العبسي. ضرب به المثل في العزة.

(٢) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة (معجم البلدان ٤/ ٢٩٣).

(٣) الأبُلّة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة. انظر معجم البلدان ١/ ٧٧.

(٤) العصب: ضرب من برود اليمن يعصب غزله ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً.

(٥) قنطرة ساباط. موضع بالمدائن. انظر معجم البلدان: ٣/ ١٦٦.

أما واللهِ، لئِنْ عشتُ لكَ لأَقتلنَّكَ قِتْلةً لم يُقتَلْها عربيٌّ قط ولأُلْحِقَنّكَ بأبيك! فقال له زيد: امض لشأنِك نُعَيمُ، والله أخَّيتُ لك أَخِيَّة[١] لا يقطعُها المهرُ الأرِنُ[٢].

[نهاية النعمان في سجن كسرى]

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخَانِقين[٣]، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه.

وقال حَمَّادُ الراويةُ والكوفيون: بل مات بساباطَ في حبسه. وقال ابن الكلبيّ: ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئتْه حتى مات، واحتجُّوا بقول الأعشى:

[الطويل]

فَـذَاكَ وَمـا أنْـجَـى مِـنَ الـمَـوْتِ رَبَّـهُ ... بِـسـابـاطَ حَـتَّـى مـاتَ وهـو مُـحَـزْرَقُ

قال: المحزْرَقُ: المضيَّقُ عليه. وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانِقينَ، وقالوا: لم يزل محبوساً مدّة طويلة، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيلَ الإسلام، وغَضِبَت له العربُ حينئذٍ، وكان قتلُه سببَ وقعةِ ذِي قارٍ[٤].

[عدي يحب هند بنت النعمان ويتزوجها ويقول فيها شعراً]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بنُ أبي سعد قال: حدّثنا عليّ ابن الصَّبَّاح وأخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: قال عليّ بن الصباح حدّثني هشامُ بن الكلبيّ عن أبيه قال: كان عديّ بنُ زيد بن حَمَّاد بن زيد بن أيوب الشاعر العِبَاديّ يهوَى هِنْدَ بنتَ النعمان بنِ المنذر بنِ المنذر بن امرىء القيس ابنِ النعمانِ بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نَصْر بن رَبِيعة بن عمرو ابن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمَارة بن لَخْم وهو مالك بن عَدِي بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُبَ بن عَريب بنِ زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ بن

(١) الأخيّة والآخيّة: واحدة الأواخي، وهي عود يعرّض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشدّ إليه الدابة.

(٢) المهر الأرن: المهر النشيط.

(٣) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد. انظر معجم البلدان: ٢/ ٣٤٠.

(٤) وقعة ذي قار: بين بكر بن وائل والفرس، وانتصر فيها العرب.

يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ، ولها يقول: [الرمل]

عَـلِـقَ الأحـشـاءَ مـن هِـنـدٍ عَـلَـقْ مُـسـتـسِـرٌ فـيـه نَـصَـبٌ وأَرَقْ[١]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. وفيها أيضاً يقول: [الرمل]

مَـنْ لِـقَـلـبٍ دَنِـفٍ أو مُـعـتَـمَـدْ قـد عَـصَـى كُـلَّ نَـصُـوحٍ ومُـفَـدْ[٢]

وهي طويلةٌ. وفيها أيضاً يقول: [الخفيف]

يـا خَـلِـيـلَـيَّ يَـسِّـرَا الـتَّـعْـسِـيـرَا ثـم رُوحَـا فـهـجِّـرا تـهـجِـيـرَا

عَـرِّجـا بـي عـلـى ديـارٍ لـهـنـدٍ لـيـس أن عُـجْـتُـمـا الـمَـطِـيَّ كـبـيـرَا

قال ابن الكلبيّ: وقد تزوجها عديّ. وقال ابن أبي سعد، وذكر ذلكَ خالدُ بنُ كُلْثوم أيضاً قالا: كان سببُ عشقه إياها أنّ هنداً كانتْ من أجملِ نساء أهلها وزمانها، وأُمُّهاً مارِيَةُ الكِنديّةُ[٣]؛ فخرجت في خميس الفِصْحِ[٤]، وهو بعد السَّعَانِينِ[٥] بثلاثة أيام، تتقرب في البِيعة، ولها حينئذ إحدى عَشرة سنةً، وذلك في مُلْكِ المنذر؛ وقد قَدِمَ عدي حينئذٍ بهديَّةٍ من كسرى إلى المنذر، والنعمانُ يومئذٍ فتًى شابٌ، فاتفق دخولُها البِيعةَ وقد دخلها عديّ لِيَتقربَ، وكانت مديدة القامة عَبْلَةَ الجسم[٦]، فرآها عديّ وهي غافلةٌ فلم تَنتَبِهْ له حتى تأملها، وقد كان جوارِيها رأينَ عديّاً وهو مُقبِلٌ فلم يقُلْنَ لها ذلك، كَيْ يراهَا عديّ، وإنما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقالُ لها مَارِيةُ، وقد كانت أحبَّتْ عدياً فلم تَدرِ كيفَ تأتي له. فلما رأتْ هند عديّاً ينظر إليها شقَّ ذلكَ عليها، وسَبَّتْ جوارِيَها ونالَتْ بعضهنَّ بضرب؛ فوقَعَتْ هند في نفس عديّ، فلبِثَ حولاً لا يخبر بذلك أحداً، فلما كان بعد حولٍ وظنَّتْ ماريةُ أنّ هنداً قد أضربَتْ عمّا جرى وصَفَتْ لها بيعةَ دُومةَ ـ وقال خالدُ بنُ كلثوم: بِيعةَ تُومَا وهو الصحيح ـ ووصَفَتْ لها مَنْ فيها من الرواهب[٧]، ومَنْ يأتيها من جواري الحِيرة، وحسنَ بنائها وسُرُجِهَا

(١) العلق: العشق، الهوى.

(٢) الدنف: الذي أضناه الحب. والمفدّي: اسم فاعل من فدّى، أي الذي يقول جعلت فداك، أو أنا فداك.

(٣) مارية الكندية: هي التي ضرب المثل بقرطيها فقيل: خذه ولو بقرطي مارية، ولا تبعه ولو بقرطي مارية. (الأعلام: ٥/ ٢٥٤).

(٤) عيد الفصح: عيد عند النصارى.

(٥) السعانين: عيد عند النصارى أيضاً.

(٦) عبلة الجسم: ضخمة الجسم.

(٧) الرواهب: جمع راهبة.

وقالت لها: سَلي أُمَّكِ الإذن لكِ في إتيانها، فسألَتْها ذلكَ فأذِنَتْ لها، وبادرتْ ماريةُ إلى عدي فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِسَ يَلْمَقاً[1] كان «فَرْخَانْشَاهْ مَرْد» قد كساهُ إياهُ، وكان مُذْهَباً لم يُرَ مِثْلُه حُسناً، وكان عَدِيّ حسن الوجه، مديدَ القامة، حُلَو العينين، حَسَنَ المَبسِم، نقيّ الثّغر. وأخذ معه جماعةً من فِتيانِ الحيرة، فدخل البِيعةَ، فلما رأته ماريةُ قالتْ لهند: انظري إلى هذا الفتى! فهو والله أحسَنُ من كُلِّ ما تَرَيْنَ من السُرج وغيرها! قالت: ومن هو؟ قالت: عديُّ بنُ زيد؛ قالت: أتخافِين أن يعرفَني إن دنوتُ منه لأَراهُ من قريبٍ؟ قالت: ومِنْ أين يَعرفُك وما رآكِ قطّ مِنْ حيْثُ يعرِفُك! فدنَتْ منه وهو يُمازح الفتيانَ الذين معه وقد برَع عليهم بجماله، وحُسْن كلامه وفصاحته، وما عليه من الثياب، فذَهِلَتْ لمَّا رَأَتْه وبَهُتَتْ تنظر إليه. وعَرَفَتْ ماريةُ ما بها وتبيَّنَتْه في وجهها، فقالت لها: كَلِّميه، فكَلَّمتْه، وانصرفَتْ وقد تبعتْه نفسُها وهَوِيَتْه، وانصرف بمثل حالها. فلما كان الغدُ تعرّضَتْ له ماريةُ، فلما رآها هَشَّ لها، وكان قبل ذلك لا يكلّمها، وقال لها: ما غَدَا بِكِ؟ قالت: حاجةٌ إليكَ، قال: اذكريها، فوالله لا تسألِيني شيئاً إلا أعطيتُكِ إياه، فعرَّفَتْه أنها تهواه وأن حاجتَها الخَلوةُ به على أن تحتالَ له في هند، وعاهدَتْه على ذلك؛ فأدخلها حانوتَ خمَّار في الحِيرة ووقَعَ عليها؛ ثم خرجَتْ فأتت هِنداً، فقالت: أما تشتَهِين أن تَرَيْ عدياً؟ قالت: وكيفَ لي به؟ قالت: أَعِدُه مكانَ كذا وكذا في ظَهْر القَصر وتُشرفينَ عليه؛ قالت: اَفعَلي، فواعَدَتْه إلى ذلك المكانِ، فأتاه وأشرفَتْ هند عليه، فكادَتْ تموتُ، وقالت: إن لم تُدخِليه إليّ هلَكْتُ. فبادرتِ الأمةُ إلى النعمان فأخبرته خبرَها وصَدَقَتْه، وذَكَرتْ أنها قد شُغِفَتْ به، وأن سبب ذلكَ رؤيتُها إياه في يوم الفِصْح، وأنه إن لم يزوّجها به افتضحت في أمره أو ماتتْ؛ فقال لها: ويلكِ! وكيف أبدؤه بذلكَ! فقالت: هو أرغبُ في ذلكَ مِنْ أن تبدأه أنتَ، وأنا أحتال في ذلكَ من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره. وأتتْ عدياً فأخبرته الخبرَ، وقالت: ادعُه، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُبْ إليه فإنه غيرُ رادِّك؛ قال: أخشَى أن يُغضِبَه ذلك فيكونَ سببَ العداوةِ بينَنا، قالت: ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه معه؛ فصنع عديٌّ طعاماً واحتفل فيه، ثم أتى النعمانَ بعد الفِصْح بثلاثة أيام، وذلك في يوم الاثنين، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابُه، ففعل، فلما أخذ منه الشرابُ خطبها إلى النعمان، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيام.

(١) اليلمق: ثوب يلبس فوق الثياب.

[هند تترهب وتحبس نفسها في دير هند]

قال خالدُ بن كُلثوم: فكانت معه حتى قتله النعمانُ، فترهَّبَتْ وحبسَتْ نفسَها في الدير المعروف بدير هند[١] في ظاهر الحِيرةِ. وقال ابن الكلبيّ: بل ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسَها واحتبَستْ في الدير حتى ماتت، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المُغيرة بن شُعْبة الكوفة، وخطبها المغيرةُ فردّته.

أخبرني عمي قال: حدّثني ابنُ أبي سَعْد قال: حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام ابن محمد بن الكلبيّ عن أبيه والشَّرَقِيّ بنِ القَطَامِيّ قالا: مرّ المغيرةُ بنُ شعبة لما ولاه معاويةُ الكوفة بدير هند، فنزله ودخل على هند بنتِ النعمانِ بعد أن استأذن عليها، فأذِنت له وبسَطَتْ له مسحاً[٢] فجلس عليه، ثم قالت له: ما جاء بكَ؟ قال: جئتُكِ خاطباً؛ قالت: والصليب لو علمتُ أن فيّ خَصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغَّبَتْكَ فيّ لأجبتُكَ، ولكنّكَ أردتَ أن تقولَ في المواسم: مَلَكتُ مملكةَ النعمانِ بن المنذر ونكحتُ ابنته، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ؟ قال: إي والله؛ قالت: فلا سبيل إليه؛ فقام المغيرةُ وانصرف وقال فيها: [الكامل]

أدرَكْتِ ما مَنَّيْتُ نفسِيَ خالياً ... لله دَرُّكِ يابْنَةَ النُّعْمانِ
فلَقَدْ رَدَدْتِ علَى المُغِيرَةِ ذِهْنَهُ ... إنَّ المُلُوكَ نَقِيَّةُ الأذهانِ

وفي رواية أُخرى:

إنّ المـلوكَ بَطِيَّةُ الإذعانِ

يا هِندُ حَسْبُكِ قد صَدَقتِ فأمسِكي ... فالصِّدقُ خيرُ مَقالَةِ الإنسانِ

وقد رَوَى عن ابن الكلبيّ غيرُ عليّ بن الصَّبّاح في هند أنها كانت تهوَى زرقاءَ اليمامةِ[٣]، وأنها أوّل امرأة أحبَّت امرأةً في العرب، فإنّ الزرقاء كانت تَرَى الجيشَ من مسيرة ثلاثين ميلاً؛ فغزا قوم من العرب اليمامةَ فلما قَرُبُوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيُهم على أن يقتلِعُوا شجراً تسترُ

---

(١) دير هند: دير بالحيرة ترهبت به هند بنت النعمان وعرف باسمها. انظر معجم البلدان ٢/ ٥٤١.

(٢) المسح: كساء من شعر.

(٣) زرقاء اليمامة: امرأة من بني جديس من أهل اليمامة، ضرب بها المثل في حدّة النظر. انظر أعلام الزركلي: ٣/ ٤٤.

كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها؛ فقطعَ كلُّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها؛ فأشرفَتْ، كما كانتْ تفعلُ، فقال لها قومُها: ما تَرَيْنَ يا زرقاءُ؟ وذلك في آخر النهار؛ قالت: أَرَى شجراً يسيرُ، فقالوا: كذبتِ أو كذَبَتْكِ عينُكِ، واستهانوا بقولها: فلما أصبحوا صبّحهم القومُ، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء فقَلَعوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سَودَاء، فسُئِلَتْ عنها فقالت: إني كنتُ أُديمُ الاكتحالَ بالإثْمِدِ فلعلَّ هذا منه، وماتَتْ بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هنداً خبرُها فترهَّبتْ ولَبِسَت المُسُوحَ وبَنتْ ديراً يعرفُ بديرِ هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

وروى ابنُ حبيبَ عن ابن الأعرابي: أنّ النعمانَ لما حبَس عديّاً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلَّقها. قال ابنُ حبيبَ: وذكر عديّ بنُ زيد صِهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوجَ أختِه ـ هكذا ذكر العلماءُ من أهل الحيرة. وقالتْ رُواةُ العرب: إنه كان زوجَ ابنتهِ هندٍ ـ فمِن ذلكَ قولُه في قصيدته التي أوّلها:

أبــصَـرَتْ عــيـنِـي عِـشَـاءً ضَـوءَ نَـارِ [الرمل]

فقال فيها:

أَجْـلَ نُـعْـمَـى رَبِّـهَـا أَوّلُـكُـمْ ودُنُـوِّي كـان مـنـكـم واصْـطِـهَـارِي
نـحـن كـنَّـا قـد عـلِـمـتُـم قـبـلـهـا عَـمَـدَ الـبـيـتِ وأوتـادَ الإِصَـارِ

[سبب تنصر النعمان]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدّثنا إبراهيمُ بن فَهْدٍ قال: حدّثنا خليفةُ بنُ خيّاط شَبَابٌ العُصْفُرِيُّ قال: حدّثنا هشامُ بن محمد قال: حدّثني يحيى ابن أيوبَ البَجَليّ قال: حدّثنا أبو زرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَليّ قال: سمعتُ جدّي جريرَ بنَ عبد الله يقول، وأخبرني به عمّي قال: حدّثنا أحمدُ بن عبيد الله قال: أخبرنا محمدُ بن يزيدَ بن زياد الكلبيّ أبو عبد الله قال: حدّثني معروفُ بنُ خَرَّبُوذَ عن يحيى بن أيوبَ عن أبي زُرعة بن عمرو قال: سمعت جدّي جَرير بن عبد الله ـ ولَفْظ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم ـ قال: كان سببُ تنصّر النعمان ـ وكان يعبد الأوثان قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: النعمان ابن المنذر الأكبر ـ أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عديّ بن زيد، فمرّ على

المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عدي بن زيد: أبيتَ اللَّعن، أتَدْرِي ما تقولُ هذه المقابرُ؟ قال: لا، وقال أحمدُ بنُ عُبيد الله في خبره: فقال له تقول:

[مجزوء الرمل]

أيُّـهـا الـرَّكْـبُ الـمُـخِـبُّـو نَ عـلـى الأرض الـمـجِـدُّونْ
كـمـا أنـتُـمُ كُـنَّـا كـمـا نـحـن تـكـونُـونْ

وقال الصُّوليّ في خبره: فقال له تقول: [البسيط]

كنَّا كما كنتُمُ حِيناً فَغَيَّرَنا دهرٌ فسوفَ كما صِرنَا تصيرونَا

قال: فانصرف وقد دخلته رِقَّةٌ، فمكث بعد ذلك يسيراً، ثم خرج خَرجةً أُخرى فمرّ على تلك المقابر ومعه عديّ، فقال له: أبيتَ اللّعْنَ، أتدرِي ما تقولُ هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنها تقول:

مَـنْ رآنـا فَـلْـيُـحَـدِّثْ نـفْـسَـه أنـه مُـوفٍ عَـلـى قَـرْنِ زَوَالِ
وصُـروفُ الـدَّهـرِ لا يَـبـقَـى لـهـا ولِـمَـا تـأتِـي بـه صُـمُّ الـجـبـالِ
رُبَّ رَكْـبٍ قـد أنـاخـوا عـنـدنـا يَـشْـرَبُـون الـخَـمْـرَ بـالـمـاء الـزُّلالِ
والأبـارِيـقُ عـلـيـهـا فُـدُمٌ وجيـادُ الـخيـل تَـرْدِي فـي الـجِـلاَلِ[1]
عَـمِـرُوا دَهْـراً بِـعَـيْـشٍ حَـسَـنٍ آمِـنِـي دَهْـرِهِـمُ غـيـر عِـجَـالِ
ثـم أضْـحَـوْا عـصـفَ الـدَّهـر بـهـم وكـذاكَ الـدهـرُ يُـودِي بـالـرِّجـالِ
وكـذاكَ الـدهـرُ يـرمِـي بـالـفـتـى فـي طِـلاَبِ الـعـيشِ حـالاً بـعدَ حـال

قال الصُّوليّ في خبره وهو الصحيح: فرجع النعمان فتنصر، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزياديّ الكلبيّ: فرجع النعمانُ من وجهه وقال لعديّ: ائتني الليلةَ إذا هَدَأتِ الرِّجلُ لتعلمَ حالي، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسُوحَ وتنصَّر وترهَّب وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدْرَى ما كانت حالُه، فتنصر ولدُه بعده، وبَنُوا البيع[2] والصوامعَ، وبنَتْ هند بنتُ النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر الدَّيْر الذي بظهر الكوفة ويقال له: «دير هند»، فلما حبَس كِسرى النعمانَ الأصغَر أباها ومات في حبسه ترهَّبتْ هند ولبِست المُسُوحَ وأقامت في ديرها مُتَرَهِّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه.

---

(١) الفُدُم: جمع فدام، وهو ما يوضع على فم الإبريق لتصفية ما فيه من شراب. وتردي الخيل: تعدو وترجم الأرض بحوافرها.

(٢) البيعة: معبد النصارى، وقيل كنيسة اليهود.

[رأي أبي الفرج الأصفهاني في تنصّر النعمان]

قال مؤلفُ هذا الكتاب: إنما ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزياديّ على ما فيه من التَّخْلِيط لأنّي إذا أتيتُ بالقصَّة ذكرتُ كلّ ما يُرْوَى في معناها. وهو خبر مختلط، لأن عديَّ بن زيد إنما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عدي ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرت نسبَ النعمان آنفاً، ولعل هذا النعمان الذي ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصّر السائح على وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية، وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره، لمَّا حبسه مع مَنْ ضربه مثلاً له من الملوك السالفة!.

حدّثنا بخبرِ ذلك الملك جعفرُ بن محمد الفِرْيَابِيّ وأحمدُ بنُ عبد العزيز بن الجَعْدِ الوَشَّاء قالا: حدّثنا إسحاق بنُ البُهلُول الأنباريّ قال: حدّثنا أبي البُهْلولُ بن حَسَّان التَّنُوخيّ قال: حدّثني إسحاقُ بن زِيَاد من بني سَامَةَ بن لُؤيّ عن شَبِيبِ بن شَيْبَةَ عن خالد بن صَفْوان بن الأَهْتَم قال: أوفدني يوسفُ بن عمر[1] إلى هشام بن عبد الملك في وفْدْ أهل العراق قال: فقَدِمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه وغَاشِيته وجُلَسَائه، فنزل في أرضٍ قاع صَحْصَح[2] مُنِيفٍ أفيحَ[3] في عام قد بكّر وسْميُّهُ[4]، وتتابع وَلِيّه[5]، وأخذت الأرضُ فيه زينَتَها على اختلاف ألوان نَبتها من نَوْرٍ[6] رَبيع مُونِقٍ فهو في أحسن مَنظَرٍ، وأحسن مُخْتَبرٍ، وأحسن مُسْتَمْطَرٍ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور، قال: وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبَرَةٍ[7] كان يوسفُ بنُ عمر صنعه له باليمن، فيه فُسطاط فيه أربعة أفرِشَةٍ من خَزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقُها، وعليه دُرَّاعةٌ من خَزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامَتُها، وقد أخذ الناسُ مجالسَهم؛ قال: فأخرجتُ

(١) يوسف بن عمر الثقفي، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك. انظر الأعلام ٨/ ٢٤٣.
(٢) الصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات الحصى.
(٣) الأفيح: الواسع.
(٤) الوسميّ: مطر الربيع الأول.
(٥) الوليّ: المطر الذي يلي الوسميّ.
(٦) النَّور: الزهر.
(٧) الحِبَرَة: ضرب من منسوج اليمن (منمّر) يشبه جلد النمر لنقاط سود فيه.

رأسي من ناحية السِّماطِ[1] فنظر إليَّ شِبْهَ المستَنْطِقِ لي فقلتُ: أتمّ اللّهُ عليكَ يا أمير المؤمنين نِعَمَهُ، وجعل ما قَلَّدكَ من هذا الأمر رُشْداً، وعاقبةَ ما يؤول إليه حمداً، وأخلصَه لك بالتُّقَى، وكثره لك بالنَّماء، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا، ولا خالط سرورَه بالرَّدى، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثِقَةً ومُستَرَاحاً إليك يقصدون في مَظالمهم، ويفزعون[2] في أمورهم، وما أجِدُ شيئاً يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ في قضاء حقِّك، وتوقير مجلسك، وما منَّ الله جلّ وعزَّ عليّ به من مجالستك من أن أُذَكِّركَ نعمَ الله عليكَ وأُنبِّهك لشكرها، وما أجِدُ في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث مَنْ سلف قبلك من الملوك، فإن أذِنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به؛ قال: فاستوى جالساً وكان مُتَّكئاً ثم قال: هاتِ يابن الأهْتَم، قال: قلت يا أمير المؤمنين إنّ ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَقِ[3] والسَّدِير[4] في عامٍ قد بَكّر وسمِيُّه، وتتابَع وَلِيّه، وأخذتِ الأرضُ فيه زينتَها على اختلاف ألوان نَبتها في رَبيع مُونقٍ، فهو في أحسن مَنْظَر، وأحسنِ مختبَر، بصعيد كأنّ ترابه قِطعُ الكافور، وقد كان أُعْطِيَ فَتَاءَ السنّ مع الكثرة والغلبَة والقهر، فنظر فأبعد النظرَ ثم قال لجلسائه: لِمنْ مِثلُ هذا، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه، وهل أُعطِيَ أحدٌ مثل ما أُعطِيتُ! قال: وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجَّةِ، والمضيِّ على أدب الحقِّ ومنهاجه، قال: ولم تَخلُ الأرضُ من قائمٍ للّهِ بِحُجَّةٍ في عباده؛ فقال: أيها الملكُ إنكَ سألتَ عن أمرٍ أفتأذَنُ في الجواب عنه؟ قال: نعم، قال: أرأيتَ هذا الذي أنتَ فيه، أشيءٌ لم تزلْ فيه، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو؛ قال: فلا أُراكَ إلا عَجِبْتَ بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلاً؛ وتكون غداً بحسابه مُرْتَهَناً؛ قال: وَيْحكَ! فأين المَهْربُ وأين المَطْلَبُ؟ قال: إما أن تُقيمَ في ملكك فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءَك وسَرَّك، وأمَضَّك[5] وأرْمضك[6]، وإما أن تضعَ تاجكَ، وتخلَعَ أطْمارك[7]، وتلبسَ

(١) السماط: جمع سمط، وهو الصف من الناس وغيرهم.
(٢) يفزعون: يرجعون.
(٣) الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة. (معجم البلدان: ٢/ ٤٠١).
(٤) السَّدِير: قصر قريب من الخورنق (معجم البلدان: ٣/ ٢٠١).
(٥) أمضّك: أحرقك، وشق عليك.
(٦) أرمضك: أوجعك.
(٧) أطمار: جمع طمر، وهو الثوب البالي.

أمْسَاحك[١]، وتعبدَ ربك حتى يأتيَك أجلُكَ؛ قال: فإذا كان السَّحَرُ فاقرَعْ عليّ بابي فإني مختَارٌ أحدَ الرأيين، وربما قال إحدى المنزلتين، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصَى، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقاً لا يُخَالَفُ؛ قال: فقرعَ عليه عند السَّحَر بابَه فإذا هو قد وضع تاجَه، وخلع أطمارَه، ولبس أمسَاحَه، وتهيأ للسياحة، فلزِما والله الجبلَ حتى أتاهما أجلُهما، وهو حيثُ يقول عديّ بن زيد أخو بني تميم: [الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهـ ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ
أمْ لدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ من الأيـ ـامِ بَلْ أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ أم مَنْ ذا عليه مِنْ أن يُضَامَ خفيرُ
أين كِسْرَى كِسْرَى المُلوكِ أنُو شِرْ وانُ أمْ أيْنَ قَبْلَهُ سَابورُ[٢]
وَبَنُو الأصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ الرُّ وم لم يَبْقَ مِنهُمُ مَذْكُورُ
وأخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَى إليه والخَابُورُ[٣]
شَادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَهُ كِلْـ ـساً فَلِلطَّيْرِ في ذُراه وكُورُ
لَمْ يَهَبْه رَيْبُ المَنُونِ فبادَ الْـ ـمُلكُ عنه فبابُه مَهجُورُ
وَتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ـرَفَ يوماً ولِلْهُدَى تفكيرُ
سَرَّهُ مالُهُ وَكَثْرَةُ ما يَمْـ ـلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسَّدِيرُ
فارْعَوَى قَلْبُهُ فقالَ وما غِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إلى المَماتِ يَصِيرُ
ثم بعد الفلاحِ والمُلكِ والإمّـ ـةِ وارَتْهُمُ هُناكَ القُبُورُ[٤]
ثُمَّ صاروا كأنَّهُمْ وَرَقٌ جَـ ـفَّ فألْوَت به الصَّبا والدَّبُورُ

قال: فبكى والله هشامٌ حتى أخضل لحيتَه[٥]، وبلَّ عمامتَه، وأمرَ بنزع أبنيته، وبنقلان قرابته وأهله وحشَمه وغاشِيَته من جلسائه، ولزم قصرَه، فأقبلتِ الموالي والحَشَمُ على خالد بن صفوانَ فقالوا: ما أردتَ إلى أمير المؤمنين! أفسدتَ عليه

(١) الأمساح والمسوح: جمع مسح، وهو ثوب من الشعر.
(٢) كسرى أنوشروان وسابور: من ملوك الفرس قبل الإسلام.
(٣) الحضر: مدينة بإزاء تكريت في العراق. ودجلة والخابور: نهران بالعراق.
(٤) الإمة: النعمة.
(٥) في بعض النسخ: حتى اخضلّت لحيته.

لذّته، ونغّصتَ عليه مأدبتَه، فقال: إليكم عنّي فإنّي عاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أخْلُوَ بملكٍ إلا ذَكَّرْتُهُ الله عزّ وجلّ.

[أخبار الحضر والخورنق وصاحبيهما]

فأما خبرُ الحَضْر وصاحبه، والخورنقِ، وصاحبه، فإنِّي أذكر خبرهما هاهنا لأنه مما يحسنُ ذكرهُ بعَقِب هذه الأخبارِ ولا يُستغنَى عنه، والشَّيْءُ يتبعُ الشَّيْءَ.

أخبرني بخبره إبراهيمُ بنُ السَّرِيّ عن أبيه عن شُعيب عن سَيف، وأخبرني به الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا الحارث بن محمد قال: حدّثنا محمدُ بن سَعْد عن الوَاقِدِيّ، وأخبرني به عليّ بنُ سليمان الأخفشُ في كتاب المغتالين عن السُّكَّريِّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل بن سَلَمة الضَّبِّيّ، وهشامُ بن الكلبيّ عن أبيه، وإسحاق بن الجَصَّاص عن الكوفيِّين أن الحَضْرَ كان قصراً بحِيَال تَكْرِيتَ بين دِجْلَةَ والفُرَاتِ، وأن أخا الحَضْرِ الذي ذكره عديّ بنُ زيد هو الضيْزَنُ بن مُعاويةَ بن العَبِيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح من بني تَزِيدَ بنِ حُلْوَانَ بنِ عِمْرانَ بن الحاف بن قُضَاعةَ، وأمه جَبْهَلَةُ[1] امرأةٌ من بني تَزِيدَ بن حُلْوانَ أخي سَلِيح بن حُلوان، وكان لا يُعرفُ إلا بأُمه هذه، وكان ملكَ تِلْكَ الناحيةِ وسائرِ أرضِ الجزيرة، وكان معه من بني الأجرام ثم من بني العَبِيد بن الأجرام وسائر قبائِل قضاعة ما لا يُحصَى، وكان مُلكُه قد بلغ الشأمَ. فأغارَ الضيزنُ فأصاب أختاً لسابور ذي الأكتافِ[2] وفتح مدينةَ نهر شير وفتكَ فيهم، فقال في ذلك عمرو بن السَّلِيح بن حُدَيّ بن الدَّها بن غَنْم بن حُلوانَ ابن عِمرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ:

لَقِينَاهم بجَمْعٍ من عِلاَفٍ ... وَبالخَيْلِ الصَّلادِمَةِ الذُّكُورِ[3]
فَلاقَتْ فارسٌ منَّا نَكالاً ... وقَتَّلْنا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ[4]
دَلَفْنَا للأعاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ ... بِجَمْعٍ مِ الجزيرة كالسَّعِيرِ[5]

---

(١) كذا في الأصل. وفي تاريخ الطبري: جيهلة.

(٢) انظر القصة في معجم البلدان ٢/٢٦٨ وفي رواية الأغاني ورواية معجم البلدان خلاف.

(٣) الصلادمة: القوية.

(٤) هرابذ: جمع هربذ، وهو القائم بخدمة بيت النار عند المجوس. وشهرزور: كورة واسعة بين إربل وهمذان. (معجم البلدان: ٣/ ٣٧٥).

(٥) دلفنا: تقدمنا. وم الجزيرة: من الجزيرة والسعير: النار.

قالوا: ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم، فأقام على الحَضْر أربع سنين لا يستغلّ منهم شيئاً، ثم إن النَّضِيرة بنتَ الضَّيْزن عَرَكَتْ ـ أي حاضت ـ فَأُخرِجَتْ إلى الرَّبَضِ[١]، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشِقَها وعشِقَته، فأرسلَتْ إليه: ما تجعل لي إن دللتُك على ما تهدِمُ به هذه المدينةَ وتقتلُ أبي؟ قال: أُحكّمكِ وأرفَعُكِ على نسائي، وأخصُّكِ بنفسي دونهنَّ، قالت: عليك بحمامةٍ مطوّقة وَرْقاء، فاكتُب في رجليها بحيْض جاريةٍ بكرٍ تكون زرقاءَ، ثم أرسلْها فإنها تقعُ على حائط المدينة فتتدَاعى المدينة، وكان ذلك طِلَّسْمَها لا يَهدِمُها إلا هو، ففعل وتأهَّب لهم، وقالت له: أنا أسقي الحَرَس الخمرَ، فإذا صُرِعوا فاقتلْهم وادخل المدينة، ففعل فتداعت المدينةُ، وفتحها سابورُ عَنْوةً، فقَتَل الضيزن يومئذٍ، وأباد بني العَبِيد، وأفنى قُضاعةَ الذين كانوا مع الضَّيْزَنِ فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم، وأُصِيبتْ قبائلُ حُلْوان وانقرضوا ودَرجُوا فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضَّيْزَن:

ألَمْ يَحْزُنْك والأنباءُ تَنْمِي ... بما لاقتْ سَرَاةُ بَنِي العَبِيدِ
وَمَصْرَعُ ضَيزَنٍ وبنِي أبيه ... وأحْلاس الكتائبِ مِنْ تزيدِ[٢]
أتاهُم بالفُيُول مجلَّلاتٍ ... وبالأبطال سابورُ الجنود
فهدَّم من أواسِي الحضْر صخْراً ... كأنَّ ثِقالَهُ زُبَرُ الحَدِيدِ[٣]

قال: فأخربَ سابورُ المدينةَ واحتملَ النَّضِيرةَ بنتَ الضَّيْزن فأعرَسَ بها بعَينِ التمر[٤]، فلم تزل ليلتَها تتضوّر[٥]، من خَشَانةٍ في فُرُشِها وهي من حرير محشوّ بالقَزّ، فالتُمسَ ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ[٦] من عُكَنِها قد أثَّرتْ فيها. قال: وكان يُنظر إلى مُخّها من لِينِ بشرَتها. فقال لها سابور: ويحكِ! بأيّ شيء كان أبوكِ يغذِّيكِ؟ قالت: بالزُّبدِ والمخِّ وشُهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوَةِ

---

(١) الربض: ما حول المدينة من خارج.
(٢) أحلاس الكتائب: الملازمون لها لشجاعتهم.
(٣) الأواسي: جمع آسية، وهي ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها.
(٤) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة (معجم البلدان ٤/ ١٧٦).
(٥) تتضور: تتلوى.
(٦) العُكَن: جمع عكنة، وهي طية في البطن من السمن.

الخمر. فقال: وأبيكِ لأنا أحدَثُ عهداً بمعرفتِكِ، وآثَرُ لكِ من أبيكِ الذي غذاكِ بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً وضَفَرَ غَدَّائِرَها بذنَبه، ثم استركضَهُ فقطَّعَها قِطَعاً، فذلكَ قولُ الشاعر: [الخفيف]

أقْفَرَ الحَضْرُ من نَضِيرَةَ فالمِرْ باعُ منها فَجانِبُ الثَّرْثارِ[1]

قالوا: وكان الضَّيْزَنُ صاحبُ الحَضْرِ يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ، وقال غيرُهم: بل السَّاطِرُون صاحبُ الحَضْر كان رجلاً من أهل بَاجَرْمَى[2] والله أعلم أيّ ذلك كان هذا خبر صاحب الحَضْر الذي ذكره عديٌّ.

وأما صاحبُ الخَوَرْنَقِ فهو النعمانُ بنُ الشَّقِيقةِ، وهو الّذي ساح على وجهه فلم يُعرفْ له خبرٌ، والشقيقةُ أمه بنتُ أبي رَبِيعةَ بن زُهْر بن شَيْبان. وهو النعمانُ بنُ امرىء القيس بن عمرو بن عَدِيّ بن نَصْر بن رَبِيعة بن الضَّحْم اللَّخْمِيّ، وهو صاحب الخَوَرْنَق، فذكر ابنُ الكلبيّ في خبره الذي قدّمنا ذكرَه وروايةَ عليّ بن الصبَّاح إياه عنه: أنه كان سبب بنائه الخورنَقَ أنَّ يَزدَجِردَ بن سابور كان لا يَبقى له ولد، فسأل عن منزلٍ مَرِيءٍ صحيحٍ من الأدواء[3] والأسقام، فَدُلَّ على ظَهْر الحيرة، فدفع ابنَه بَهْرام جُور بن يزدجِرد إلى النعمان بن الشقيقة، وكان عاملَه على أرض العرب، وأمره بأن يبنيَ الخورنَقَ مسكناً له ولابنه ويُنزِلَه إياه معه، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب، وكان الذي بنى الخورنقَ رجلاً يقال له «سِنِمَّارُ»، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: لو علمتُ أنكم تُوفُوني أُجرتِي وتصنعون بي ما أستحِقُّه، لَبنيتُه بناء يدورُ مع الشمس حيثما دارَتْ، فقالوا: وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه! ثم أُمِرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ[4]. وقال: في بعض الروايات إنه قال له: إني لأعرِفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ فقال له: أمَا والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً، ثم رُمِيَ به من أعلى القَصْرِ، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قولُ أبي الطَّمَحَانِ القَيْنِيّ:

[الطويل]

(١) الثرثار: واد بالجزيرة بين سنجار وتكريت (معجم البلدان ٢/ ٧٥).
(٢) باجرمى: قرية قرب الرقة من أرض الجزيرة (معجم البلدان: ١/ ٣١٣).
(٣) الأدواء: جمع داء.
(٤) الجوسق: القصر (فارسي معرب).

جـزاءَ سِـنِـمَّـارٍ جَـزَوْهـا ورَبِّـهـا   وبـالـلاَّتِ والـعُـزَّى جـزاءَ الـمُـكَـفَّـرِ

ومنها قولُ سَلِيطِ بن سَعْد: [الطويل]

جَـزَى بَـنُـوهُ أبـا الـغِـيـلان عَـنْ كِـبـرٍ   وَحُـسْـنِ فِـعْـلٍ كـمـا يُـجْـزَى سِـنِـمَّـارُ

وقال عبد العُزَّى بن امرىء القيس الكَلْبِيّ ـ وكان أهدَى إلى الحارث بن مَارِيَةَ الغَسَّانيّ أفراساً، ووفَدَ إليه فَأُعْجِبَ به واختَصَّه، وكان للملك ابنٌ مُسْتَرْضَعٌ في بني عَبْدِ وُدٍّ مِن كَلْبٍ فنهشَتْه حَيَّةٌ، فظنَّ الملكُ أنهم اغتالوه، فقال لعبد العُزَّى: جئني بهؤلاء القوم، فقال: هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ، فقال: لتَأتِيَنّي بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ، فقال له: رَجَوْنَا من حِبائِكَ أمراً حال دونه عِقابُكَ، ودعا ابْنَيه شَرَاحِيلَ وعبدَ الحارث ـ فكتبَ معهما إلى قومه: [الطويل]

جَـزَانِـي جَـزاهُ الله شَـرَّ جَـزائِـهِ   جَـزَاءَ سِـنِـمَّـارٍ ومـا كـان ذَا ذنـبِ
سِـوَى رَصِّـهِ الـبُـنْـيَـانَ عِـشْـرِيـنَ حِـجَّـةً   يُـعَـلِّـي عـلـيـه بـالـقَـرَامِـيـدِ والـسَّـكْـبِ[1]

وهي أبيات، قال: فقتله النعمان، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى كتيبتين: إحداهما يقال لها: «دَوْسَر» وهي لِتَنُوخ، والأُخرى: «الشَّهْبَاءُ» وهي للفُرسِ، وكانتا أيضاً تُسَمَّيانِ القبيلتينِ، وكان يغزو بهما بلادَ الشأم، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب. فجلس يوماً يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبه ما رأى من مُلكه، ثم ذكر باقي خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوان لهشامٍ من مخاطبة الواعظِ وجوابِه وما كان من اختياره السياحةَ وتركهِ مُلكَه.

[رثاء النابغة الذبياني للنعمان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدّثني عبد الله بن عمرو قال: ذكر ابن حمزةَ عن مشايخه، أن النعمان بنَ المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيَانِيّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال: طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ: [البسيط]

مَـنْ يَـطْـلُـبِ الـدَّهْـرُ تُـدرِكْـهُ مَـخـالِـبُـهُ   وَالـدَّهْـرُ بـالـوِتْـرِ نـاجٍ غـيـرُ مطلوبِ[2]

(١) القراميد: جمع قرمد، وهو الآجر. والسكب: النحاس أو الرصاص.
(٢) الوِتر: بكسر الواو وفتحها: الثأر، الذحل.

مـا مِـن أُنـاسٍ ذَوِي مَـجْـدٍ ومَـكـرُمـةٍ إلا يَـشُـدُّ عـلـيـهـم شَـدَّةَ الـذِّيـب
حـتَّـى يُـبِـيدَ عـلـى عَـمْـدٍ سَـرَاتَـهُـمُ بالنَّافذاتِ من النَّبْل المَصَايِيبِ(١)
إنـي وجـدتُ سِـهَـامَ الـموت مُـعـرِضَـةً بـكـلّ حَـتْـفٍ مـن الآجـال مـكـتـوبِ

وفي سائر قصائدِ عديّ بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ.

منها: **صوت** [المنسرح]

لَـمْ أرَ مـثـلَ الـفِـتـيـانِ فـي غَـبْـنِ الْـ أيـام يَـنْـسَـوْنَ مـا عَـوَاقِـبُـهـا
يَـنْـسَـوْنَ إخْـوانَـهُـم وَمَـصْـرَعَـهُـم وَكَـيْـفَ تَـعْـتَـاقُـهُـمْ مَـخَـالِـبُـهـا
مـاذا تُـرجِّـي الـنُّـفُـوسُ مِـن طَـلَـبِ الـ خَـيْـرِ وَحُـبُّ الـحَـيـاةِ كـارِبُـهـا
تَـظُـنُّ أن لـن يُـصِـيـبَـهـا عَـنَـتُ الـ دَّهْـرِ ورَيْـبُ الـمَـنُـونِ صَـائِـبُـهـا

ويروى عُقَبُ الدهر ـ يقول: الأيامُ تَغْبِنُ الناسَ فتخدَعُهمْ وتختِلُهُم مثلَ الغبنِ في البيع. وتَعتَاقُهُمْ: تَحبسُهُم، يقال: اعتاقه واعتقاه. وكاربها هاهنا: غامُّها، وهو في موضع آخر القريبُ منها، يقال كَرَبهُ الأمر وكرثه وبهَضه وغَنظه إذا غَمَّهُ ـ الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرز خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة. وفيها رمل بالبنصر، نسبه حَبَشٌ ودَنَانِيرُ إلى حُنينٍ، ونسبه الهشاميّ وابن المكيّ إلى الهُذَلِيّ.

ومنها: **صوت** [الرمل]

يـا لُـبَـيْـنَـى أوقِـدِي الـنَّـارَا إنّ مَـنْ تَـهْـوَيْـنَ قـد حَـارَا
رُبَّ نـارٍ بِـتُّ أَرْمُـقُـهَـا تَـقْـضِـمُ الـهِـنْـدِيَّ والـغَـارَا
عِـنْـدَهـا ظَـبْـيٌ يُـؤَرِّثُـهـا عـاقِـدٌ فـي الـجِـيـدِ تِـقْـصَـارَا

عروضه من المديد ـ حار يحير هنا: ضلّ، وحار في موضع آخر: رجع. والغار: شجر طيّبُ الريح، والغار أيضاً: شجرُ السُّوسِ، والغار: الغَيْرَةُ. ويؤرّثها: يُوقِدُها ويُكثِر حَطَبَها. والتِّقصارُ: المِخْنَقَةُ ـ الغناء لحُنينٍ خَفِيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لعَرِيبَ.

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، وأخبرنا

(١) سراة القوم: سادتهم.

به يحيى بن عليّ عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحويّ قال: مات رجلٌ من جُندِ أهل الشأم عظيمُ القدر، له فيهم عزّ وعدد؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلس على قبره وقال: لِيَنْزِلْ إليه بعضُ إخوانه، فنزل نفرٌ منهم، فقال أحدهم وهو يُسَوِّي عليه: رحمك الله أبا قنان، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجِيدُ الغناء وتُسرِعُ ردَّ الكَأس، ولقد وقَعْتَ في موضع سُوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة. قال: فما تمالك الحجّاجُ أن ضحِكَ، وكان لا يكثر الضحكَ في جِدٍّ ولا هزلٍ. فقال له: أهذا موضع هذا لا أمَّ لك ـ فقال: أصلح الله الأمير، فرسُه حبِيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّي: [الرمل]

يـا لُـبَـيْـنَـى أوقِـدي الـنّـارا إن مَـنْ تَـهْـوَيْـنَ قـد حَـارَا

لانتشر الأميرُ على سعْنةَ، وكان الميتُ يلقّبُ بسعنَةَ، فقال: إنّا لله أخرجوه من القبر! ما أَبْيَنَ حُجّةَ أهل العراق في جهلكم يا أهل الشأم! قال: وكان سعنةُ هذا الميتُ من أوحش خلقِ الله كلِّهم صورةً، وأذمِّهم قامةً، فلم يبق أحد حضر القبرَ إلا استفرغ ضحكاً.

ومنها من قصيدته التي أوّلها: [الرمل]

لِـمَـنِ الـدارُ تَـعـفَّـتْ بِـخِـيَـمْ

صوت

وثـلاثٍ كـالـحـمـامـاتِ بـهـا بـيـن مَـجْـثَـاهُـنَّ تـوشـيـمُ الـحُـمَـمْ
أسْـألُ الـدارَ وقـد أنـكـرتُـهـا عـن حـبـيـبـي فـإذا فـيـهـا صَـمَـمْ

ـ ويروى: توشيمُ العَجَم. والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم. والثلاثُ يعني الأثافيَّ التي تُنصب عليها القِدرُ ـ الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ. وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مجنَّس. وهذه القصيدة التي أوّلها: [الرمل]

لِـمَـنِ الـدَّارُ تَـعَـفَّـتْ بِـخِـيَـمْ أصْـبَـحَـتْ غَـيَّـرَهـا طُـولُ الـقِـدَمْ
مـا تـبِـيـنُ الـعَـيْـنُ مـن آيـاتـهـا غـيـرَ نُـؤْيٍ مِـثْـلِ خَـطٍّ بـالـقَـلَـمْ(١)

(١) النؤي: الحفير حول الخيمة يمنع السيل.

وبعده.

وثلاثٍ كالحماماتِ بها بين مَجْثاهُنَّ تَوْشِيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُه: وثلاثٍ كالحمامات.

ومنها قوله: [الطويل]

كَفَى غِيَرُ الأيّام للمرءِ وازعا

صوت

بناتِ كِرَام لم يُرَيْنَ بضُرَّةٍ دُمًى شَرِقاتٍ بالعَبِيرِ رَوادِعَا
يُسارِقْنَ مِ الأَسْتارِ طَرْفاً مُفَتَّراً ويُبرِزْنَ من فَتْقِ الخُدُورِ الأصابعَا

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله وينصب به وهو قوله:

وأُضْبِي ظِباءً في الدِّمَقْسِ خواضِعَا

بناتِ كرام هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء. ويروى: بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جمعاً بالضم والفتح. والدُّمَى: الصُّوَرُ، واحدتُها دُمْيَةٌ. الغناء في هذين البيتين لابن قندح ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشاميّ أنه لمحمد ابن إسحاقَ بن عمرو بن بَزِيعٍ، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيم.

ومنها:

صوت

[الوافر]

أرقتُ لِمُكْفَهِرٍّ باتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤوسَ شِيبِ
تَرُوحُ المَشْرَفِيَّةُ في ذُراهُ ويجلُو صفحة الذَّيلِ القَشِيبِ

والمكفَهِرُّ والمكرهِفُّ: السحابُ المتوالي المتراكِب. والشِّيبُ: السحائبُ التي فيها سواد وبياض شبَّهها بالرؤوس الشيبِ، وقال قوم: بل شِيبٌ: جبل معروفٌ. شبَّه البرق في السحاب بلَمعَانِ السُّيوف. ورواه ابن الأعرابيّ:

ويجلو صَفْحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ

وقال: الدَّخْدَارُ: الثوب المَصُونُ، وهو أعجميّ معرّب أصله تخت دار والقشيب: الجديد. الغناء لِعَرِيبَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر.

ومنها من قصيدته التي أوّلها: [الوافر]

ألا يـا طـالـع لـيـلـي والـنـهـارُ

صوت

ألا مـن مُـبْـلِـغُ الـنُّـعْـمـانِ عَـنِّـي عَـلانِـيَـةً فَـقَـدْ ذَهَـب الـسَّـرَارُ
بـأنّ الـمَـرْءَ لـم يُـخـلَـقْ حَـدِيـداً ولا هَـضْـبـاً تَـوَقَّـاهُ الـوِبَـارُ(١)
وَلٰـكِـنْ كـالـشُّـهـاب فَـثَـمَّ يـخْـبُـو وَحـادِي الـمَـوْتِ عَـنْـهُ مـا يَـحـارُ
فـهـل مِـن خـالـدٍ إمّـا هَـلَـكْـنـا وَهَـلْ بـالْـمَـوْتِ يـا لَـلـنَّـاسِ عـارُ؟

الهَضْبُ: الجبلُ. والوِبار: جمع وَبْرٍ. والشّهابُ: السراجُ. ويخبو: يَطْفَأُ. الغناء لبابُوَيه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشاميّ.

ومنها: [الوافر]

صوت

ألا مَـن مُـبْـلِـغُ الـنُّـعْـمـانِ عَـنِّـي فَـبَـيـنَـا الـمَـرْءُ أَغْـرَبَ إذ أَرَاحَـا(٢)
أَطَـعْـتَ بَـنِـي بُـقَـيْـلَـةَ فـي وَثَـاقـي وَكُـنَّـا فـي حُـلـوقِـهِـمُ ذُبَـاحَـا(٣)
مَـنَـحْـتَـهُـمُ الـفُـرَاتَ وَجـانِـبَـيْـهِ وتَـسْـقِـيـنَـا الأَوَاجِـنَ والـمِـلاَحَـا(٤)

الغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها: [الرمل]

صوت

مَـنْ لِـقَـلْـبٍ دَنِـفٍ أو مُـعْـتَـمَـدْ قَـدْ عَـصَـى كُـلَّ نَـصِـيـحٍ ومُـفَـدْ
لَـسْـتُ إن سَـلْـمَـى نـأتـنـي دارُهـا سـامِـعـاً فـيـهـا إلـى قَـوْلِ أَحَـدْ

المعتَمدُ: الذي عَمَده الوجعُ يَعمِده عَمْداً. غنّاه ابن محرز ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو. وذكر يونس أن فيه لمالك لحناً. ولِسَنانٍ الكاتب لحناً، وهو ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش.

(١) الوبار: جمع وَبْر، وهو دويبة كالسنور غبراء وبيضاء من دواب الصحراء.
(٢) أغرب: كثر ماله. وأراح: مات.
(٣) الذُباح: وجع في الحلق.
(٤) الأواجن: جمع آجن، وهو الماء المتغير الطعم واللون. والملاح: المالحة.

ومنها: صوت [الخفيف]

أَرَوَاحٌ مُـــــوَدِّعٌ أم بُــــكـــــورُ لَــكَ فـاعْـمِـدْ لأيِّ حـالٍ تَـصِـيـرُ
وَيَـــقُـــولُ الـــعُـــدَاةُ أَوْدَى عَـــدِيٌّ وَعَـــدِيٌّ بِـسُـخْـطِ ربٍّ أسِـيـرُ
أيّـهـا الـشَّـامِـتُ الـمُـعَـيِّـرُ بـالـدَّهـرِ أأنـت الـمُـبَـرَّأُ الـمَـوْفُـورُ
أم لَـدَيْـكَ الـعَـهْـدُ الـوَثِـيـقُ من الأيَّـامِ بَـلْ أنـتَ جـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ

يريد: أرواحٌ نودّعُكَ فيه أم بكورٌ؟ أيّهما تُريد؟ فاعمِدْ للذي تصيرُ إليه من أمر آخرتك. والموفورُ: الذي لم تُصِبه نوائبُ الدهر. الغناء لحُنَين من كتاب يونس ولم يذكر طريقتَه، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنَيناً غنّاه خالداً القَسْريَّ أيام حرَّم الغِنَاء، فرَقَّ له وقال: غَنِّ ولا تُعاشِر سفيهاً ولا مُعَرْبداً. والخبر في ذلك يُذكر في أخبار حنين. وممّا يُغنَّى فيه أيضاً من شعر عديّ:

صوت [الهزج]

ألاَ يـــا رُبَّـــمـــا عَـــزَّ خَـلِـيـلِـي فَـتَـهَـاوَنْـتُ
وَلَـوْ شِـئْـتُ عـلـى مَـقْـدُ رَةٍ مِـنِّـي لَـعَـاقَـبْـتُ
وَلٰـكِـنْ سَـرَّنِـي أن يَـعْـلَـ ـمُـوا قَـدْرِي فـأَقْـلَـعْـتُ
ألاَ لا فـاسْـألـوا الـفِـتْـيَـةَ مـا قـالـوا وقـد قُـمْـتُ

الغناء لِسَياطٍ رمل عن الهِشَامِيّ. وفيه ليحيى المكيّ خفيفُ ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له. ولِعَرِيبَ في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل. وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر وهو:

ولـكـنَّ حـبـيـبـي جـلّ عـنـدي فـتـغـافـلـتُ

ومما يُغنَّى فيه من شعره:

صوت [السريع]

تَـعْـرِفُ أمْـسِ مـنْ لَـمِـيسَ الـطَّـلَـلْ مِـثْـلَ الـكِـتـابِ الـدَّارِسِ الأحْـوَلْ

الذي قد دَرَس فلا يُقرأ.

أنْـعِـمْ صـبَـاحـاً عَـلْـقَـمَ بـنَ عَـدِ يّ أثْـوَيْـتَ الـيَـوْمَ أم تَـرْحَـلْ

قـد رحَّـلَ الـفِـتـيـانُ عِـيـرَهُـمُ ... والـلـحـمُ بـالـغِـيطـانِ لـم يُـنْـشَـلْ[1]
إذ هِـيَ تَـسْـبِـي الـنّـاظِـرِيـنَ وَتَـجْـلُـ ... ـلُـو واضِـحـاً كـالأُقْـحُـوانِ رَتِـلْ

الرَّتِلُ: المستوِي البنيةِ.

عَـذْبـاً كَـمَـا ذُقْـتُ الـجَـنِـيَّ مـن الـتّـ ... ـفَـاحِ مَـسْـقِـيّـاً بـبـردِ الـطَّـلْ

هكذا يُغنَّى. والذي قاله عديّ: يَسقِيهِ بردُ الطَّلّ. الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو.

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حَماد عن أبيه عن ابن الكلبيّ أن عمرَو بنَ امرىءِ القيس المكنَّى بأبي سريح وعَلْقمةَ بن عديّ ـ وقيل علقم بن عديّ بن كعب ـ وعمرَو بنَ هند خرجوا إلى الصيد فأتوْا قصرَ ابنِ مُقَاتِل[2] فمكثوا فيه يتصيّدون، فزعموا أن علقمةَ بن عديّ تَبعَ حماراً فصرعه والشمسُ لم تَطلُع، ثم لحِق آخرَ فطعنه فانقصَف الرمحُ فيه ومرَّ به فرسُه يركضُ، فجال به العَيرُ فضربه فأصاب صدرَه فقتله، وقيل: إن الرمحَ المنقصفَ دخل في صدره فقتله، وذلك في أيام الربيع، وكان عديّ بن زيد معهم وإليه قصدوا، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل، فقال عديّ هذه القصيدة يرثيه بها:

من المائة المختارة

صوت

[الطويل]

عَفَا مِنْ سُلَيمَى مُسْحُلاَنُ فحامِرُهْ ... تَـمَـشَّـى بـه ظُـلْـمَـانُـه وجـآذِرُهْ
بِـمُـسْـتَـأسِـدِ الـقُـرْيَـانِ عـافٍ نَـبَـاتُـهُ ... فَـنُـوَّارُه مِـيـلٌ إلـى الـشـمـس زاهِـرُهْ
رَأَتْ عـارِضـاً جَـوْنـاً فـقـامَـتْ غَـرِيـرَةٌ ... بِـمِـسْـحَـاتِـهـا قَـبْـلَ الـظّـلامِ تُـبـادِرُهْ
فـمـا بَـرِحَـتْ حتـى أتـى الـمـاءُ دونـهـا ... وسُـدَّت نـواحِـيـه ورُفِّـعَ دابِـرُهْ

عروضه من الطويل. عفا: درس. مُسحُلاَنُ: موضع. وحَامِرُهُ: موضعٌ أضافه إلى مُسحُلاَن. والظُّلمانُ: ذكورُ النعام واحدُها ظليم. والجآذر: أولادُ البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضم الذال وفتحها. وتَمَشَّى: تُكثِر المشيَ. والقُريانُ:

---

(١) الغيطان: جمع غائط، وهو المطمئن من الأرض. ولم ينشل: لم يخرج من القدر.

(٢) قصر ابن مقاتل: قصر كان بين عين التمر والشام منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة. (معجم البلدان ٤/ ٣٦٤).

مجاري الماء إلى الرِّياض واحدها قَرِيّ. والمستأسِدُ: ما التفّ منها وطال. والنُّوّارُ يقال: إنه يكون أبداً حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه، فيقول: إن نُوَّار هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس. والعارضُ: السحابُ. والجون: الأسود. والغريرةُ: الناعمةُ التي لم تُجرِّب الأمورَ، يقول: لما رأت هذه المرأةُ السحابةَ السوداءَ قامت بمِسْحاتها تُصلِحُ النؤيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرض المستوية. وقوله: رُفِّع دابرُه أي مؤخره الذي يلي الماء من النؤي. الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْر. والغناء لابن عائشةَ ولحنهُ المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر حبشٌ أن له فيه لحناً آخَرَ من الثقيل الثاني.

خبر الحطيئة ونسبه
والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

[توفي ٤٥ هـ/٦٦٥ م]

الحُطَيئةُ لَقبٌ لُقِّبَ به، واسمه جَرْولُ بنُ أوْس بن مالك بن جُؤيَّةَ بن مخْزوم ابن مالِكِ بن غالِب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بغِيض بنِ الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عيْلان بن مُضر بن نِزار. وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم، متصرِّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنَّسِيب، مُجيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شرٍّ وَسَفَهٍ، ونسبُه مُتَدافعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضِب على الآخرين. وهو مُخضْرَمٌ أدرك الجاهلية والإسلامَ فأسلم ثم ارتدَّ وقال في ذلك: [الطويل]

أطَعْنا رَسُولَ الله إذ كانَ بَيْنَنا ... فيا لَعِبادِ الله ما لأبي بَكْرِ
أيُورِثُها بَكْراً إذا ماتَ بعده ... وتلكَ لعمرُ الله قاصِمَةُ الظَّهْرِ

ويُكْنى الحطيئةُ أبا مُليكة، وقيل: إن الحطيئة غلب عليه ولقِّبَ به لِقِصَره وقُرْبه من الأرض. وقال حمّادٌ الراويةُ: قال أبو نصر الأعرابيّ: سُمّي الحطيئةَ لأنه ضرَط ضَرْطةً بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إنما هي حُطَيْئةٌ، فَسُمّي الحُطيئة. وقال المدائنيّ: قال أبو اليقظان: كان الحطيئةُ يدَّعِي أنه ابنُ عمرو بن عَلْقمة أحد بني الحارث بن سَدُوس، قال: وسُمّيَ الحطيئةَ لقربه من الأرض.

أخبرني الفَضْلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحِيّ أبو خليفةَ في كتابه إليّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن سَلاَّم، أنّ الحطيئةَ كان ينتمِي إلى بني ذُهْلِ بن ثعلبةَ فقال: [الكامل]

إنَّ اليَمامَةَ خَيْرُ ساكِنِها ... أهلُ القُرَيَّةِ من بَنِي ذُهْلِ

قال: والقُرَيَّةُ: منازلُهم، ولم ينبت الحطيئةُ في هؤلاء.

وأخبرني محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال سمعتُ خِرَاشَ بنَ إسماعيل وخالدَ بنَ سَعيد يقولان كان الحطيئة إذا غضب على بني عَبْسٍ يقول أنا من بني ذُهْلٍ، وإذا غضب على بني ذُهْل قال أنا من بني عبس.

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسِيّ قال: قال حَمَّاد بن إسحاق قال أبي: قال ابن الكلبيّ: كان الحُطيئة مغموزَ النَّسب، وكان من أولاد الزنى الذي شَرُفُوا. قال إسحاق: وقال الأصمعيّ: كان الحطيئةُ يَضْرِبُ بنسبه إلى بكر بن وائل، فقال في ذلك: [مجزوء الكامل]

قَـومِـي بـنُـو عَـوْفِ بْـنِ عَـمْـرِو إن أرادَ الـعِـلْـمَ عـالِـمْ
قَـوْمٌ إذا ذَهَـبَـتْ خَـضَـا رِمُ مـنـهـمُ خَـلَـفَـتْ خَـضَـارِمْ[1]
لا يَـفْـشَـلُـونَ ولا تَـبِـيـتُ عـلـى أُنُـوفِـهِـمُ الـمَـخَـاطِـمْ[2]

قال الأصمعيّ: وقَدِمَ الحطيئةُ الكوفةَ فنزل في بني عَوْف بن عامر بن ذُهْلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم، وقال في ذلك: [البسيط]

سِـيـرِي أُمَـامَ فـإنَّ الـمـالَ يَـجْـمَـعُـهُ سَـيْـبُ الإلٰـه وإقـبـالـي وإدبَـارِي[3]
إلـى مَـعـاشِـرَ مـنـهـم يـا أُمَـامَ أبـي مـن آل عَـوْف بُـدُوءٍ غـيـرِ أَشْـرارِ[4]
تَـمْـشِـي عـلـى ضَـوْءِ أحْـسابٍ أضَـأنَ لـنـا مـا ضَـوَّأَتْ لـيـلـةُ الـقَـمْـرَاءِ لِـلـسَّـارِي

[الحطيئة وخبره مع اخوته وأمه]

وقال ابن دُرَيد في خبره عن عمه عن ابن الكَلْبيّ عن أبيه، وحَمَّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: كان أوسُ بنُ مالِك بن جُؤَيَّة بن مَخْزوم بن مالِك بن غالِب بن قُطَيعةَ بن عَبْس تزوّج بنتَ رياح بن عمرو بن عَوْف بن الحارث

(١) خضارم: جمع خضرم، وهو الجواد الكثير العطاء، وقيل: السيد الحمول.

(٢) المخاطم: جمع مخطم، وهو موضع الخطام من الأنف. وفي ديوان الحطيئة: الخواطم، وهو أوفق للسياق.

(٣) السيب: العطاء.

(٤) البدوء: جمع بدء، وهو السيد. وقيل: الشاب الجيد الرأي الذي يستشار في الأمور.

ابن سدُوس بن شَيْبانَ بن ذُهْل بن ثَعْلبة، وكان له أَمةٌ يقال لها الضَّرَّاءُ فأَعْلَقها بالحطيئةِ ورحَل عنها. وكان لبنت رياح أخٌ يقال له: الأفقَمُ، وكان طويلاً أفقَم[1]، صغيرَ العينين، مضغوطَ اللَّحْيين، فولدت الضّرّاءُ الحطيئةَ فجاءت به شبيهاً بالأفقم، فقالت لها مولاتُها: من أين هذا الصبيّ؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقولَ لها من زوجك، فشبَّهتْه بأخيها؛ فقالت لها: صدقت. ثم مات أوسٌ وترك ابنين من الحُرَّة، وتزوّج الضّرّاء رجلٌ من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه. فأعتقتْ بنت رياحٍ الحطيئةَ وربَّتْه فكان كأنه أحدُهما. وترك الأفقمُ نخلاً باليمامة. فأتى الحطيئةُ أخويه من أوس بن مالكٍ وقد كانت أمه لما أعتقتْها بنتُ رياح اعترفت أنّها اعتلقت من أوس بن مالك، فقال لهم: أفرِدُوا إليّ من مالكم قطعةً فقالا: لا، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيكَ فقال: [الكامل]

أأمَرْتُماني أن أُقِيمَ عليكما ... كَلاَّ لَعَمْرُ أبيكُما الحَبَّاقِ
عَبْدَانِ خَيْرُهُما يُشَلُّ بضَبْعِهِ ... شَلَّ الأجِيرِ قلائِصَ الوَرّاقِ[2]

قال: وسأل الحطيئةُ أمَّه: مَنْ أبوه فخلَطَتْ عليه فقال: [الطويل]

تَقُولُ لِيَ الضَّرَّاءُ لَسْتَ لواحِدٍ ... ولا اثنين فانْظُرْ كَيْفَ شِرْكُ أُولئكا
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَبغِي أباً قد ضَلَلْتَه ... هُبِلْتَ ألَمَّا تَستَفِقْ مِن ضَلاَلِكا[3]

قال: وغضِبَ عليها فلحِقَ بأخوته بني الأفقم فقال: [البسيط]

سِيري أُمَامَ فإنَّ المالَ يَجْمَعُهُ ... سَيْبُ الإلهِ وإقبالي وإدباري

قال: فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال: [الكامل]

إنّ اليمامَةَ خَيْرُ ساكِنِها ... أهلُ القُرَيَّةِ مِن بَنِي ذُهْلِ

وسألهم ميراثَه من الأفقم فأعطَوْه نخلاتٍ من نخل أبيهم تدعَى نخلات أُمّ مُليكةَ، وأمّ مليكة: امرأةُ الحطيئة، فقال: [الطويل]

---

(١) الأفقَم: من الفَقَم. والفقم في الفم أن تدخل الأسنان العليا، وقيل: أن يخرج أسفل اللحي ويدخل أعلاه. ويقال لكل معوجّ: افقم.

(٢) يُشَلّ؛ يُطرد. والضبع: وسط العضد بلحمه، وقيل العضد كلها. والوراق: الكثير الدراهم.

(٣) هُبِلْتَ: ثكلتك أمك.

لِيَهْنِي تُراثِي لامْرِىءٍ غَيْرَ ذِلَّةٍ صَنَابِيرُ أحْدَانٌ لَهُنَّ حَفِيفُ[١]

قال: ثم لم تُقْنِعه النُّخَيلاتُ، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثَه كاملاً من الأَفْقَم فلم يُعطوهُ شيئاً وضربوه، فغضِبَ عليهم وقال: [الطويل]

تَمَنَّيتُ بَكْراً أنْ يَكُونُوا عِمَارَتِي وَقَوْمِي وَبَكْرٌ شَرُّ تِلْكَ القَبائِلِ[٢]
إذا قُلْتُ بَكْرِيٌّ نَبَوْتُم بِحَاجَتِي فَيا لَيْتَنِي مِن غَيْرِ بَكْرِ بْنِ وائِلِ[٣]

فعاد إلى بني عَبْس وانتسب إلى أوْس بن مالك. وقال الأصمعيّ في خبره: لما أتى أهل القُرَيَّةِ، وهم بنو ذُهْلٍ، يطلُبُ ميراثَه من الأَفْقم مَدَحَهُمْ فقال: [الكامل]

إنَّ اليَمامَةَ خَيْرُ ساكِنِها أهْلُ القُرَيَّةِ من بَنِي ذُهْلِ
الضَّامِنُون لِمالِ جارِهِمُ حَتَّى يَتِمَّ نَواهِضُ البَقْلِ[٤]
قوم إذا انتسبوا فَفَرْعُهُم فَرْعِي وَأثْبَتُ أصْلِهِم أصْلِي

قال: فلم يُعطوه شيئاً، فقال يهجوهم: [الكامل]

إنَّ اليَمامَةَ شَرُّ ساكِنِها أهْلُ القُرَيَّةِ مِنْ بَنِي ذُهْلِ

وقال أبو اليَقْظان في خبره: كان الرجل الذي تزوّج أمَّ الحطيئة أيضاً ولدَ زنى اسمه الكَلْب بن كُنَيس بن جابِر بن قَطَن بن نَهْشَل، وكان كُنَيس زنى بأمَةٍ لزُرارة يقال لها رُشَيَّةُ، فولدت له الكلبَ ويَربوعاً، فطلبهم من زُرارةَ فمنعه منهم، فلما مات طلبهم من أبيه لَقِيطٍ فمنعه؛ وقال لَقيطٌ في ذلك: [الطويل]

أفي نِصْفِ شَهْرٍ ما صَبَرتُم لِحَقِّنا وَنَحْنُ صَبَرْنا قَبْلَ ذاك سِنِينَا

وهي أبيات. فتزوّج الكلبُ الضَّرَّاءَ أمَّ الحطيئة؛ فهجاه الحطيئةُ وهجا أمَّه فقال: [الكامل]

وَلَقَدْ رَأَيتُكِ في النِّساءِ فَسُؤْتِني وأبا بَنِيكِ فَسَاءَنِي في المَجْلِسِ
إنَّ الذَّلِيلَ لَمَنْ تَزُورُ رِكابُهُ رَهْطَ ابْنِ جَحْشٍ في الخُطوب الحُوَّسِ[٥]

---

(١) الصنابير: السهام الدقيقة. وأحدان: أفراد لا نظير لها.
(٢) العمارة: أصغر من القبيلة، وقيل: الحي العظيم الذي يقوم بنفسه.
(٣) نبوتم: تباعدتم، تجافيتم.
(٤) نواهض البقل: ما استوى منه.
(٥) الخطوب الحوّس: المصائب الشديدة.

قَبَحَ الإِلـهُ قَبِيلَـةً لـم يَـمْـنَـعُـوا يَوْمَ المُجَيْمِرِ جارَهُمْ مِن فَقْعَسِ[1]
أَبْلِغْ بَنِي جَحْشٍ بأنَّ نِجَارَهُم لُـؤْمٌ وأنَّ أبـاهُـمُ كـالـهِـجْـرِسِ[2]

وقال الحطيئة يهجو أمه: [الوافر]

جَـزَاكِ اللهُ شَـرًّا مِـنْ عَـجُـوزٍ ولَـقَّـاكِ الـعُـقُـوقَ مـن الـبَـنِـيـن
فَـقَـدْ مُـلِّـكْـتِ أمـرَ بَـنِـيـكِ حَـتَّـى تَـرَكْـتِـهِـمُ أدَقَّ مـن الـطَّـحِـيـنِ
فـإن تُـخْـلَـيْ وَأَمْـرَكِ لا تَـصُـولـي بِـمُـشْـتَـدٍّ قُـواهُ ولا مَـتِـيـنِ
لِـسـانُـكِ مِـبْـرَدٌ لا خَـيْـرَ فـيـهِ ودَرُّكِ دَرُّ جَـاذِبَـةٍ دَهِـيـنِ[3]

وقال يهجو أمه أيضاً: [الوافر]

تَـنَـحَّـيْ فـاجْـلِـسـي مِـنّـي بـعـيـداً أراحَ اللهُ مِـنْـكِ الـعـالَـمِـيـنـا
أغِـرْبـالاً إذا اسـتُـودِعْـتِ سِـرًّا وكـانـونـاً عـلـى الـمـتـحـدّثـيـنـا[4]
حَـيـاتُـكِ مـا عَـلِـمْـتُ حَـيـاةُ سُـوءٍ وَمَـوْتُـكِ قـد يَـسُـرُّ الـصَّـالِـحِـيـنـا

[سوء أخلاق الحطيئة وأقوال علماء اللغة فيه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: أخبرني عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال: كان الحطيئة جَشِعاً سؤولاً مُلْحِفاً[5]، دنيءَ النفس، كثيرَ الشَّرِّ، قليلَ الخير، بخيلاً، قبيحَ المنظَر، رَثَّ الهيئةِ، مَغْمُوزَ النسب، فاسدَ الدِّين، وما تشاء أن تقول في شعر شاعرٍ من عيبٍ إلاّ وجدتَه، وقلَّما تجد ذلك في شعره.

أخبرني ابن دُرَيد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال: بُخلاءُ العرب أربعةٌ: الحطيئةُ، وحميدٌ الأَرْقَط، وأبو الأسود الدُّؤَليّ، وخالدُ بن صَفْوانِ.

أخبرنا ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: قال أبو عبيدة: كان الحطيئةُ بَذِيّاً هَجّاءً، فالتَمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول:

(١) فقعس: حي من بني أسد.
(٢) النجار: الأصل. والهجرس: ولد الثعلب أو القرد. ويوصف به اللئيم.
(٣) الجاذبة: الناقة التي جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعداً. والدّهين: الناقة القليلة اللبن.
(٤) الغربال: معروف، واستعاره الشاعر للنمام الذي لا يحفظ السرّ. والكانون معروف أيضاً واستعاره للثقيل من الناس.
(٥) ملحفاً: كثير الإلحاح في السؤال.

[الطويل]

أبَتْ شَفَتَايَ اليومَ إلا تكلُّمَا بِشَرٍّ فما أَدْرِي لِمن أنا قائِلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ هذا البيتَ في أَشْدَاقِهِ ولا يَرَى إنساناً، إذ اطّلَع في رَكِيٍّ[١] أو حوض فرأى وجهَه فقال: [الطويل]

أرَى لِيَ وَجْهاً شَوّهَ الله خَلْقَهُ فقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

[سادة قريش والعرب يكرمونه لئلا يهجوهم]

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العَلاَء: حدّثنا الزُّبَيرُ بنُ بَكّار قال: حدّثني عمّي قال: قدم الحطيئةُ المدينةَ فأَرْصَدَتْ[٢] قريشٌ له العطايا خوفاً من شرِّه، فقام في المسجد فصاح: مَنْ يَحْمِلني على بَغْلَيْنِ.

أخبرني أبو خَلِيفةَ قال: حدّثنا محمدُ بن سَلاَّم وأخبرني الحسينُ بن يحيى المِرْدَاسِيّ قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال أبو عُبَيدة والمدائنيّ ومُصعَبٌ: كان الحطيئةُ سَؤُولاً جَشِعاً، فقدِم المدينةَ وقد أرصَدَتْ له قريشٌ العطايا، والناسُ في سَنَةٍ مُجدِبةٍ وسَخْطَةٍ من خليفة، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضُهم إلى بعض، فقالوا: قد قدِمَ علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يَظُنّ فيُحقِّقُ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جَهَدَ نَفْسَه بَهْرَهَا[٣]، وإن حرمَه هجاه، فأُجْمِعَ رأيُهم على أن يَجعلوا له شيئاً مُعَدّاً يجمعونه بينهم له، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصارِ يجمعون له العشرةَ والعشرينَ والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنّوا أنهم قد أغنَوْه، فَأَتَوْه فقالوا له: هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلان وهذه صلةُ آل فلانٍ، فأخذها؛ فظنوا أنهم قد كَفُّوه عن المسألة، فإذا هو يومَ الجمعة قد استقبل الإمامَ ماثلاً ينادي: مَنْ يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّةَ[٤] جهنّم.

ووصف أبو عبيدةَ ومحمدُ بن سلاّم شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرّقَ ما وصفاه به

---

(١) الركيّ: البئر.

(٢) أرصدت: أعدّت، جهزت.

(٣) جهد نفسه بهرها: كلف نفسه فوق طاقتها.

(٤) كبة النار: صدمتها وشدّتها.

في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خَلِيفة عن محمد بن سلاَّم، وابن دُرَيد عن أبي حاتم عن أبي عُبَيدةَ قالا: كان الحطيئة مَتين الشعر، شَرُودَ[١] القافية، وكان دنيءَ النفس، وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً، وما أقلّ ما تجد ذلك في شعره. قالا: فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعبَ بن زُهَير ـ وكان الحطيئة رَاوِيةَ زهير وآل زهير ـ فقال له: قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرَكَ، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسك وتضعُني موضعاً بعدك! ـ وقال أبو عبيدة: تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّي بي ـ فإنّ الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع! فقال كعبٌ: **[الطويل]**

فَمَنْ لِلْقَوَافِي شَانَها مَنْ يَحُوكُها ... إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَرْوَلُ[٢]
كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناس واحداً ... تَنَخَّلَ منها مثلَ ما نَتَنخَّلُ[٣]
نَقُولُ فلا نَعْيا بِشَيْءٍ نقولُهُ ... وَمِنْ قائليها مَنْ يُسِيءُ ويُجْمِلُ[٤]
نُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيقصُرُ عنها كلّ ما يُتمثَّلُ[٥]

قال: فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرَارٍ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَّاخ، وكان عِرِّيضاً[٦] أي شديد العارِضة كثيرَها، فقال:

باستك إذ خَلَّفتِني خَلْفَ شاعرٍ ... من الناس لم أُكْفِىء ولم أتنحّلِ[٧]
فإن تَخْشِبا أَخْشِب وإن تَتَنَخَّلا ... وإنْ كُنتُ أَفْتَى منكما أتَنَخَّلِ[٨]
فَلَسْتَ كحَسّانَ الحُسَامِ ابنِ ثابتٍ ... وَلَسْتَ كَشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

نسختُ من كتاب الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال: حدّثني محمد بن الضحَّاك قال:

---

(١) شرود القافية: أي قوافيه سائرة في البلاد كما يشرد البعير.
(٢) شانها: عابها، وثوى وفوّز: مات. وجرول: الحطيئة.
(٣) تنخل: تخير.
(٤) نعيا: نعجز.
(٥) نثقفها: نقوّمها. ويتمثّل: يضرب مثلاً.
(٦) العريض: الكثير التعرض للناس بالشرّ.
(٧) لم أكفىء: لم آت بإقواء في شعري. وانظر معاني الإكفاء في لسان العرب مادة كفأ.
(٨) خشب الشعر: أورده من دون تعمل ولا تثقيف.

أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدحَ إبله فقال: [الطويل]

مَهارِيسُ يُرْوِي رِسْلُها ضَيْفَ أهلِها إذا الرِّيحُ أبْدَتْ أوجهَ الخَفِرَاتِ[1]

يُزِيلُ القَتادَ جَذْبُها بأُصُولِهِ إذا أصْبَحَتْ مُقْوَرَّةً خَرِصَاتِ[2]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ عن التَّوَّزِيّ عن أبي عُبيدةَ قال: بينا سَعيد ابن العاص يُعَشِّي النّاسَ بالمدينة والناسُ يخرجون أوّلاً أوّلاً، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظَر، رثّ الهيئة، جالسٍ مع أصحاب سَمَرِه، فذهبَ الشُّرَطُ يُقِيمونه فأبى أن يقومَ، وحانتْ من سعيدٍ التِفَاتةٌ فقال: دَعُوا الرجلَ، فتركوه؛ وخاضوا في أحاديثِ العرب وأشعارها مَلِيّاً؛ فقال لهم الحطيئةُ: والله ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب؛ فقال له سعيد: أتعرِفُ من ذلك شيئاً؟ قال: نعم؛ قال: فمن أشعرُ العربِ؟ قال: الذي يقول: [الخفيف]

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدماً ولكن فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُه الإعْدَامُ

وأنشدها حتى أتى عليها؛ فقال له: مَنْ يقولها؟ قال: أبو دُوَادٍ الإياديُّ؛ قال: ثم مَنْ؟ قال: الذي يقول: [الرجز]

أَفْلِحْ بما شِئْتَ فقد يُدرَكُ بالـ جَهْلِ وَقَدْ يُخَدَّعُ الأرِيبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها؛ قال: ومن يقولها؟ قال عَبِيد بن الأبْرَص؛ قال: ثم من؟ قال: والله لحَسْبُك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رِجْلَيّ على الأخرى، ثم عَوَيت في أثر القوافي عُوَاء الفَصيل الصّادِي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الحُطيئةُ؛ قال: فرحّب به سعيد، ثم قال: أسأتَ بكتمانِنا نفسَك منذ الليلة؛ ووصَله وكساه. ومضى لوجهه إلى عُتيبةَ بن النَّهّاس العِجْليّ فسأله؛ فقال له: ما أنا على عملٍ فأعطيَك من عَدَدِه، ولا في مالي فضل عن قومي؛ قال له: فلا عليك، وانصرف، فقال له بعضُ قومه: لقد عرّضتنا ونفسك للشر! قال: وكيف؟ قالوا: هذا الحطيئة وهو هاجِينا أخبثَ هجاء؛ فقال: رُدّوه، فردّوه إليه، فقال له: لِمَ كَتَمْتَنا نفسَك كأنك كنت تطلب العِلَل علينا! اجلسْ فلك عندنا ما يسرّكَ؛ فجلس

(١) المهاريس: النوق التي تقضم العيدان إذا قل الكلأ. وقيل: النوق القوية الشديدة واحدتها مهراس. والخفرات: جمع خفرة، وهي الحيية، الخجولة.

(٢) مُقْوَرَّة: مهازيل. وخرصات: جائعات، الواحدة خرصة.

فقال له: مَنْ أشعر الناس؟ قال: الذي يقول: [الطويل]

ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ من دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ(١)

فقال له عتيبةُ: إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك؛ ثم قال لوكيله: اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئاً إلا اشتريتَه له؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِيء إلى الكرابيس(٢) والأكسية الغِلاَظِ فيشتريها له حتى قضى أربَه ثم مضى؛ فلما جلس عتيبةُ في نادي قومه أقبل الحطيئةُ، فلما رآه عتيبة قال: هذا مقامُ العائِذ بك يا أبا مُليكةَ من خيرك وشرّك؛ قال: قد كنت قلتُ بيتين فاسمعْهما ثم أنشأ يقول: [الطويل]

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً ... فَسِيَّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ

وأنتَ امرؤ لا الجُودُ منكَ سَجِيّةٌ ... فتُعطِي ولا يُعْدِي على النائل الوُجْدُ(٣)

ثم ركَض فرسَه فذهب.

أخبرني الحسينُ بن يحيى ومحمدُ بن مَرْيد البُوشَنْجِي قالا: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: حدّثني محمد بن عمرو الجَرْجَرائيّ عن أبي صَفْوانَ الأحوزيّ قال: ما من أحدٍ إلا لو أشاءُ أن أجدَ في شعره مطعَناً لوجدتُه إلا الحطيئةَ. قال حمّاد: وسمعت أبي يقول وقد أنشَدَ قولَ الحطيئةِ: [الطويل]

وَفِتْيانِ صِدْقٍ مِنْ عَدِيٍّ عليهمُ ... صفائِحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِقِ

إذا ما دُعُوا لم يَسْألُوا مَنْ دَعاهُمُ ... ولم يُمْسِكوا فَوقَ القُلُوبِ الخَوافِقِ

وَطارُوا إلى الجُرْدِ العِتَاقِ فألْجَمُوا ... وَشَدُّوا على أوْسَاطِهِمْ بالمَنَاطِقِ(٤)

أولئكَ آباءُ الغَريبِ وغَاثَةُ الـ ... صَّرِيخِ ومأوَى المُرمِلِينَ الدَّرَادِقِ(٥)

أَحَلُّوا حِياضَ الموت فوقَ جِباهِهِمْ ... مكانَ النَّواصِي مِنْ وُجُوهِ السَّوابِقِ

ويروى:

(١) يفره: يُتِمّه. ويستعمل وفر لازماً ومتعدّياً لمفعول واحد، ولمفعولين.
(٢) الكرابيس: جمع كرباس، وهو ثوب من القطن الأبيض (فارسي معرب).
(٣) الوُجد: السّعة، اليسار. والواجد: الغنيّ.
(٤) الجرد العتاق: الخيول الأصيلة السريعة.
(٥) غاثة الصريخ: الذين يغيثون المستغيث بهم. والمرملون: الفقراء. والدرادق: جمع دردق، وهو الصغير.

«إذا استلحموا»... وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم

ويروى: أولئك أبناء العَزِيف[١] ـ ثم قال: أما إنّي ما أزعم أنَّ أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة.

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغني أنه لما قال ابنُ مَيَّادة: [الطويل]

تَمشَّى به ظُلمَانه[٢] وجآذِرُه[٣]

قيل له: لقد سبقك الحطيئةُ إلى هذا، فقال: والله ما علمتُ أنَّ الحطيئةَ قال هذا قطّ، والآن علمتُ والله أني شاعر حين واطأتُ الحطيئةَ[٤].

قال حَمَّاد: قال أبي: وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة: أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع.

قال حمّاد: قال أبي: وبلغني عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة أنه قال: لقيت الحطيئةَ بذات عِرْقٍ[٥] فقلت له: يا أبا مُلَيكة، مَن أشعر الناس؟ فأخرج لسانَه كأنه لسانُ الحية ثم قال: هذا إذا طَمِع.

ونسخت من كتاب أحمدَ بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني يحيى بن محمد بن طَلْحة وكان قد قارَب ثمانينَ سنة قال: أخبرني بعضُ أشياخنا أن أعرابياً وقف على حسَّانَ بن ثابت وهو يُنشِدُ، فقال له حسّان: كيف تسمَعُ يا أعرابيّ؟ قال: ما أسمع بأساً؛ قال حسّان: أما تسمعون إلى الأعرابيّ! ما كنيتكَ أيها الرجل؟ قال: أبو مُلَيكة، قال: ما كنتَ قطُّ أهونَ عليّ منك حين اكتنيتَ بامرأة، فما اسمُك؟ قال: الحطيئة، فأطرق حسّان ثم قال له: إمضِ بسلام.

[صفاته، والآراء فيه]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال: مرّ ابنُ

---

(١) العزيف: صوت له دوي. يقال: عزيف الرعد، وعزيف الريح، وعزيف الجن.
(٢) الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام.
(٣) الجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقر.
(٤) واطأت الحطيئة: وافقته.
(٥) ذات عرق: مهلّ أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة. (معجم البلدان: ١٠٧/٤).

الحَمَامة بالحطيئة وهو جالس بفِناء بيته، فقال: السلامُ عليكم؛ فقال: قلتَ ما لا يُنكَر؛ قال: إني خرجت من عند أهلي بغير زاد؛ فقال: ما ضَمِنتُ لأهلك قِرَاكَ؛ قال: أفتأذن لي أن آتيَ ظلَّ بيتك فأتفيّأ به؟ قال: دونكَ الجبلَ يفيءُ عليك؛ قال: أنا ابنُ الحَمَامة؛ قال: انصرف وكن ابنَ أيِّ طائر شئت.

وأخبرنا بهذا الخبر اليَزيديّ عن الخزاز عن المدائنيّ فحكى ماذكرْناه من قول الحُطَيئة عن أبي الأسود الدُّؤَليّ.

وأخبرني الحُسَين عن حَمّاد عن أبيه عن أبي عُبيدة والمدائنيّ قالا: أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له: يا صاحبَ الغنم، فرفعَ الحطيئةُ العصا وقال: إنها عَجْراء[1] من سَلَم[2]؛ فقال الرجل: إني ضيف؛ فقال: للضِّيفَانِ أعددتُها، فانصرف عنه، قال إسحاق: وقال غيرهما: إن الرجل قال له: السلام عليكم؛ فقال له: عَجْراء مِن سَلَم؛ فقال: السلام عليكم؛ فقال: أعددتُها للطُّرّاق؛ فأعاد السلام فقال له: إن شئتَ قمتُ بها إليك؛ فانصرف الرجُل عنه.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يَزِيد قال: زعم الجاحظُ أن الحطيئة كان يقول: إنما أنا حَسَبٌ موضوعٌ؛ فسمع عمرُو بن عُبَيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمٰن بن صِدِّيقةَ، فقال عمرو: كذب تَرَّحَه[3] الله إنما ذلك التقوى.

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال الأصمعيّ: لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحطيئة إلا هجاه، فنزل به رجلٌ من بني أسد لم يسمِّه الأصمعيّ، وذكر أبو عبيدة أنه صَخْر بنُ أَعْيَى الأَسَدِيّ أحدُ بني أعيَى بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَيْنٍ، فسقاه شَرْبةً من لبنٍ، فلما شربها قال: [الطويل]

لَمَّا رَأَيْتُ أنّ مَنْ يبتغي القِرَى وأن ابنَ أعْيَى لا محالةَ فاضِحِي
شَدَدْتُ حَيَازِيمَ ابنِ أعيى بِشَرْبَةٍ على ظَمَإٍ سَدَّتْ أُصُولَ الجَوانِحِ[4]

وروى الأصمعيّ شَدَّتْ بالشين المعجمة.

(١) عجراء: عصاً فيها عقد.
(٢) السلم: شجر ذو شوك يدبغ بورقه.
(٣) ترّحه: أحزنه.
(٤) الجوانح: الضلوع.

[الطويل]

ولـمْ أكُ مـثـلَ الـكـاهِـلـيّ وعِـرْسِـه بَغَى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العَيْنِ طَامِحِ[1]
غـدا بـاغـيـاً يَـبْـغِـي رضـاهـا وَوُدّهـا وغـابَـتْ لـه غَـيْـبَ امْـرِىءٍ غـيـرِ نـاصِـحِ
دعَـتْ رَبَّـهـا ألاّ يـزالَ بـفـاقـةٍ ولا يَـغْـتَـدِي إلا عـلـى حـدٍّ بـارِحِ[2]

قال فأجابه صخرُ بنُ أعيَى فقال: [الطويل]

ألا قَـبَّـحَ الله الـحُـطَـيْـئَـةَ إنـه عـلـى كـلّ ضَـيْـفٍ ضافَـهُ هُـو سَـالـحُ
دُفِـعْـتُ إلـيـهِ وهـو يَـخْـنُـقُ كَـلْـبَـهُ ألا كُـلُّ كَـلْـبٍ لا أبَـا لَـكَ نَـابِـحُ
بَـكَـيْـتَ عـلـى مَـذْقٍ خَـبِـيـثٍ قَـرَيْـتَـه ألا كـلُّ عَـبْـسِـيٍّ عـلـى الـزّاد شَـائِـحُ[3]

قال: أبو عبيدة: وهجا الحطيئةُ أيضاً رجلاً من أضْيافه فقال:

وسَـلَّـمَ مـرّتـيـنِ فـقـلـتُ مـهـلاً كَـفَـتْـكَ الـمَـرّةُ الأولـى الـسَّـلامَـا
ونـقْـنَـقَ بـطـنُـه ودعـا رُؤَاسـاً لِـمَـا قـد نـالَ مـن شِـبَـعٍ ونـامَـا[4]

أخبرني أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلاَّم عن يونس أن الحُطَيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أُمَامةُ وابنته مُلَيكةُ، فنزل منزِلاً، وسرحَ ذَوْداً[5] له ثلاثاً، فلما قام للرَّواح فقَد إحداها فقال: [الوافر]

أذِئْـبُ الـقَـفْـرِ أمْ ذِئْـبٌ أنِـيـسٌ أصـابَ الـبَـكْـرَ أم حَـدَثُ الـلـيـالـي[6]
ونـحـنُ ثـلاثـةٌ وثَـلاثُ ذَوْدٍ لـقـد جـارَ الـزمـانُ عـلـى عِـيـالِـي

[لا يذهب العرف بين الله والناس]

أخبرني محمد بن خَلَف وكِيع والحُسَين بن يحيى قالا: حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: قال أبو عَمْرو بن العَلاَء: لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدقَ من بيت الحُطَيْئةِ:

(١) الكاهليّ: رجل من بني كاهل بن أسد فركته زوجته فسمته. والمطروفة التي طرفها حب الرجال. والطامح: التي تطمح لكل من رأته.
(٢) الفاقة: الفقر. والبارح: الطير يمر من اليمين إلى اليسار وكانت العرب تتطير به.
(٣) المذق، والممذوق: اللبن المخلوط بالماء. والشائح: الحذر.
(٤) نقنق: قرقر.
(٥) الذود: الإبل من ثلاث إلى عشر.
(٦) البَكر: الفتيّ من الإبل.

[البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَه   لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ الله والنّاسِ(١)

فقيل له: فقولُ طَرَفَة: [الطويل]

سَتُبدي لَكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً   ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزوِّدِ

فقال: من يأتيك بها ممن زَوّدتَ أكثر، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مَطعَنٌ إلا قولَ الحطيئة: [البسيط]

لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ الله والناسِ

قال إسحاق قال المدائنيّ قال سَلْمُ بن قُتَيبة: ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَدْ مثلَ قول الحطيئة:

لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ الله والناسِ

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيدٍ قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول: كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعينَ قصيدةً.

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبي عُبيدة قال: بلغني أن هذا البيت في التوراة، ذكره غير واحد عن أُبَيّ بن كَعْب. يعني قولَ الحطيئة:

لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ الله والناسِ

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيُّوبَ بن عثمانَ الدِّمَشْقيّ عن عثمانَ ابن أبي عائشة قال: سَمِعَ كَعْبُ الحَبْرُ رجلاً يُنشِدُ بيتَ الحطَيئة:

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جوازيَه   لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ الله والنّاسِ

فقال: والذي نفسي بيده إنّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة. قال إسحاق: قال العُمَريّ: والذي صح عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين الله والعبادِ».

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال: قال أبو عَدْنان: لما حضَرتْ عبيدَ الله بن شَدّاد الوفاةُ دعا ابنَه محمد فأوصاه وقال له: يا بنيّ أرَى داعِيَ الموت لا يُقلِعُ، وبِحَقٍّ أنّ مَنْ مضى لا يرجع، ومن بَقِي فإليه ينزِعُ. يا بنيّ، لِيكُنْ أَوْلَى الأمورِ بك تقوَى الله في السرّ والعلانية، والشكرَ لله، وصِدقَ الحديث والنيّةِ، فإنّ

(١) الجوازي: جمع جازية، وهو ما يجزى به. والعرف: المعروف.

للشكر مزيداً، والتقوى خيرُ زادٍ، كما قال الحطيئةُ: [الوافر]

وَلَسْتُ أرَى السَّعادةَ جَمْعَ مالٍ وَلٰكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى الله خَيرُ الزادِ ذُخْراً وعِنْدَ الله للأتْقَى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتِي قَرِيبٌ وَلٰكِنَّ الذي يَمْضِي بَعِيدُ

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم قال: أخبرني أبو عُبيدةَ عن يونس قال: قَدِم حمّادٌ الراويةُ البصرةَ على بِلال بن أبي بُرْدة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتَني شيئاً يا حَمَّاد؛ قال: بَلَى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشْعَرِيّ يمدحه: [البسيط]

جَمَعْتَ من عامرٍ فيه ومِن جُشَمٍ ومن تَميمٍ ومن حاءٍ ومن حَامِ(١)
مُسْتَحقِباتٍ رَوَاياها جَحافِلَها يَسْمُو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُه سَامِي(٢)

فقال له بلال: وَيْحَكَ! أيمدحُ الحطيئةُ أبا موسى الأشعريَّ وأنا أروِي شعرَ الحطيئةِ كلَّه فلا أعرفُها! ولكن أشِعْها تذهَبْ في الناس.

وذكر المدائنيّ أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة. قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده: [البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أَسَدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو: [البسيط]

فما رَضِيتَهُمُ حتّى رَفَدْتَهُم بوائلٍ رهطِ ذي الجَدَّينِ بِسْطامِ

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه: إني اشتريت عِرْضِي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما وَلِيَ بلالُ بنُ أبي بُرْدَةَ أنشده إياها حمّادٌ الراويةُ فوصله أيضاً.

ونسخت من كتاب لحَمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن

(١) بنو حام: حيّ من مذحج. وحام: جاء في شرح الديوان أنه من ناهس بن عِفرِس بن خلف بن أنمار وهم خثعم.

(٢) مستحقبات: حاملات. الروايا: الإبل. والجحافل: جمع جحفلة وهي من الخيل والحمير والبغال بمنزلة الشفة من الإنسان والمشفر من البعير.

الكُرَانيّ عن الرِّيَاشيّ قال: حدّثني محمدُ بن الطُّفَيل عن أبي بكر بن عَيَّاش عن الحارث بن عبد الرحمٰن عن مكحول قال: سبقَ رسولُ اللهﷺ على فرس له فَجَثَا على ركبتيْه وقال: «إنه لبَحْر»؛ قال عمر: كذّب الحطيئةُ حيث يقول: [الطويل]

وإنَّ جِيادَ الخَيْلِ لا تَسْتَفِزُّنا ... ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوقَ المَعَاصمِ[1]

لو تَرك هذا أحدٌ لتركه رسول اللهﷺ.

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة أن الحُطَيئة أراد سفراً فأتته امرأتهُ وقد قُدِّمتْ راحلتُه ليركبَ، فقالت: [الكامل]

أُذْكُرْ تَحَنُّنَنَا إليك وشوقَنا ... واذكرْ بناتِك أنهنّ صِغَارُ

فقال: حُطُّوا، لا رَحَلتُ لِسَفرٍ أبداً.

أخبرني محمد بن العَبّاس اليَزيديّ ومحمد بن الحسن بن دُرَيد قالا: حدّثنا عبد الرحمٰن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمه عن أبيه قال: قال رجل: ضِفْتُ قوماً في سفر وقد ضلَلْتُ الطريقَ، فجاؤوني بطعام أجدُ طعمَه في فمي وثِقَلَه في بطني، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ: أنشِدْ عمَّك؛ فأنشدني: [الطويل]

عفا مِنْ سُلَيْمَى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظُلْمانُه وجآذِرُهْ

فقلت له: أليس هذا للحُطَيئة؟ فقال: بلى، وأنا صاحبُه من الجنّ.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: قال ابن عُيَينة: سمعت ابن شُبْرُمَة يقول: أنا والله أعلم بجيِّد الشعر، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول: [الطويل]

أولئك قوم إن بَنَوْا أحْسَنُوا البُنَى ... وإن عاهَدُوا أوفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإن أَنْعَمُوا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فضلَ أحْلامِكُمْ رَدُّوا

قال: وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عَدْنان عن هذا البيت: ما واحد البُنى، قال: بِنْية؛ فقال له: أتُجْمَع فِعلة على فُعَل؟ قال: نعمْ مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُبًى.

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثني محمد بن أحمد بن صَدَقة

---

(١) الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة، وكل ثوب رقيق لين.

الأنباريّ قال: حدّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضّل، أن الحطيئة أقحمتْه السنةُ[(١)]، فنزل ببني مُقَلَّد بن يَرْبُوع، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إن هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه، فتعالَوْا حتى نسألَه عما يحبّ فنفعلَه وعما يكره فنجتنبَه؛ فأتَوْه فقالوا له: يا أبا مُلَيْكة، إنك اخترتَنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعلَه وبما تحب أن ننتهيَ عنه؛ فقال: لا تُكثروا زيارتي فتُمِلُّوني، ولا تقطعوها فتوحِشُوني، ولا تجعلوا فِناءَ بيتي مجلساً لكم، ولا تُسْمِعوا بناتي غناءَ شُبّانكم، فإن الغناء رُقْية الزّنى. قال: فأقام عندهم. وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال: أُمُّكم الطلاقُ، لئن تَغَنَّى أحد منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنّه ضربةً بسيفي أخذتْ منه ما أخذتْ. فلم يزل مقيماً فيما يرضَى حتى انجلتْ عنه السَّنةُ، فارتحل وهو يقول: [الكامل]

جاوَرْتُ آلَ مُقَلَّدٍ فحَمِدْتُهُمْ ... إذْ ليس كُلُّ أخِي جِوارٍ يُحْمَدُ

أيامَ مَنْ يُرِدِ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعْ ... فينا ومن يُرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ[(٢)]

[خبر الحطيئة مع الزبرقان]

فأما خبره مع الزِّبْرقان بن بَدْر والسببُ في هجائه إياه، فأخبرني به أبو خَلِيفة عن محمد بن سَلاَّم ولم يتجاوزه به، وأخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس، وأخبرني محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة، وأخبرني اليَزِيديّ عن عمّه عبيد الله عن أبي حَبِيب عن ابن الأعرابيّ وقد جمعتُ رواياتِهم وضممتُ بعضَها إلى بعض أن النبيّ ﷺ كان ولّى الزِّبْرِقانَ بن بَدْر بن امرىء القيس بن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم عَمَلاً، وذكر مثلَ ذلك الأصمعيُّ، وقال: الزِّبْرِقان: القمر والزبرقان: الرجل الخفيفُ اللحْية. قال: وأقرَّه أبو بكر رضي الله عنه بعد النبيّ ﷺ على عمله، ثم قدم على عمرَ في سنة مُجْدِبة ليؤدّيَ صدقاتِ قومه، فلقيه الحطيئةُ بقَرْقَرى[(٣)] ومعه ابناه أوسٌ وسَوَادةُ وبناتُه وامرأتُه؛ فقال له الزِّبْرِقان وقد عرَفه ولم يعرفه الحطيئة:

(١) أقحمته: أوقعته في شدة. والسنة: الجَدْب.
(٢) يزهد: الأفصح أن يكون مكسور الآخر لأنه مضارع مجزوم لوقوعه جواب الشرط، لكن يجوز رفعه على غير الأفصح.
(٣) قرقرى: أرض باليمامة. (معجم البلدان ٤/٣٢٦).

أين تريد؟ قال: العراقَ، فقد حطَمتنا هذه السنةُ؛ قال: وتصنَع ماذا؟ قال ودِدْتُ أن أصادف بها رجلاً يَكْفيني مَئونة عيالي وأُصفِيه[١] مَدْحِي أبداً؛ فقال له الزبرقان: قد أصبتَه، فهل لك فيه يُوسِعُك لبناً وتمراً ويجاوِرُك أحسنَ جِوار وأكرمَه؟ فقال له الحُطَيئة: هذا وأبيك العَيْشُ، وما كنتُ أرجو هذا كلَّه؛ قال: فقد أصبتَه؛ قال: عندَ مَنْ؟ قال: عندي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الزِّبْرِقان بن بدر؛ قال وأين محلُّك؟ قال: اركب هذه الإبلَ، واستقبلْ مَطْلِعَ الشمسِ، وسَلْ عن القمر حتى تأتيَ منزِلِي. قال يونُس: وكان اسمُ الزِّبْرِقان الحُصَينَ بن بدر، وإنما سمِّي الزِّبْرِقانَ لحسنِه، شُبِّه بالقمر. وقيل: بل لبس عمامةً مُزَبْرَقةً[٢] بالزَّعْفران فسمِّيَ الزِّبْرِقانَ لذلك. وقال أبو عُبيدة في خبره: فقال له: سِرْ إلى أم شَذْرَة وهي أم الزِّبْرِقانَ وهي أيضاً عمة الفرزدق، وكتب إليها أن أحْسِني إليه، وأكثري له من التمرِ واللبن. وقال آخرون: بل وكَله إلى زوجته. فلحِق الحطيئةُ بزوجته على رواية ابن سَلاَّم، وهي بنت صَعْصَعة بن نَاجيةَ المُجَاشِعِيَّةُ، واسمُها هُنَيدة، وعلى رواية أبي عُبَيدة: أنها أمُّه، وذلك في عام صَعْبٍ مُجْدِب، فأكرمتْه المرأةُ وأحسنتْ إليه؛ فبلغ ذلك بَغِيضَ بن عامر بن شَمَّاس ابن لأي بن جَعْفر وهو أَنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف ابن كعب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة ابن تَمِيم، وبلغ إخوته وبَنِي عمه فاغتنموها. وفي خبر اليَزِيديّ عن عمه قال ابن حَبِيبُ عن ابن الأعرابيّ: وكانوا يغضَبون من أنفِ الناقة، وإنما سمِّيَ جعفرٌ أنفَ الناقة لأن أباه قُرَيعاً نحرَ ناقةً فقسمها بين نسائه، فبعثتْ جعفراً هذا أمُّه، وهي الشَّمُوس من وَائِل ثم من سَعْد هُذَيم، فأتى أباه ولـم يَبْقَ من الناقة إلا رأسها وعنقُها، فقال: شأنَك بهذا؛ فأدخل يدَه في أنفها وجرّ ما أعطاه؛ فسمِّيَ أنفَ الناقة. وكان ذلك كاللّقب لهم حتى مَدَحهم الحطيئةُ، فقال: [البسيط]

قَوْمٌ هُمُ الأنْفُ وَالأذْنابُ غيرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي بأنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشَّرف ـ يعني بَغِيضاً وإِخوتَه وأهله ـ وكانوا أشرفَ من الزِّبْرِقان، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسِه. وقال أبو عُبَيدة في خبره: كان الحُطَيئة دَمِيماً سَيِّء الخَلْق، لا تأخُذه العينُ، ومعه عِيَال كذلك، فلما رأت أُمُّ شَذْرَة حالَه هان عليها وقصَّرت به[٣]، ونظَر بغيضٌ وبنو

---

(١) أصفيه: أخلصه.

(٢) زبرقه: صبغه، والعمامة المزبرقة: المصبوغة.

(٣) قَصَّرت به: قلّلت من إكرامه.

أنف الناقة إلى ما تصنع به أُمُّ شَذرة، فأرسلوا إليه: أن ائتنا، فأبى عليهم وقال: إن من شأن النساء التقصيرَ والغَفْلة، ولستُ بالذي أحمل على صاحبها ذَنْبها. فلما ألحّ عليه بنو أنْف الناقة، وكان رسُولهم إليه شَمَّاس بنَ لأي وعَلْقَمَة بن هَوْذَة وبَغِيض بن شَمّاس والمُخَبَّلَ الشاعر، قال لهم: لستُ بحامل على الرجل ذنبَ غيره، فإن تُركت وجُفيت تحوّلتُ إليكم؛ فأطمَعُوه ووعَدوه وعداً عظيماً. وقال ابن سلاّم في خبره: فلما لم يُجِبْهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزِّبْرِقان أنّ الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مُلَيكة؛ وكانت جميلةً كاملةً، فظهرت من المرأة للحُطَيئة جَفْوة وهي في ذاك تُدَاريه. ثم أرادوا النُّجْعة(١)، قال أبو عُبَيدة: فقالت له أُمُّ شَذْرة ـ وقال ابن سَلاّم: فقالت له هُنَيدة ـ: قد حضرت النُّجْعَةُ فاركبْ أنت وأهلُك هذا الظَّهر إلى مكان كذا وكذا، ثم اردُدْهُ إلينا حتى نَلْحَقك فإنه لا يَسَعُنا جميعاً؛ فأرسل إليها: بل تقدَّمي أنت فأنت أحقُّ بذلك؛ ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردّها إليه وتركتْه يومَيْن أو ثلاثةً، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تُرِكْتَ بمَضْيَعة. وكان أشدُّهم في ذلك قولاً بَغِيضَ بن شمَّاس وعَلْقَمة بن هَوْذة، وكان الزِّبْرِقانَ قد قال في عَلْقمة:

[مجزوء الكامل]

لـي ابْـنُ عـمٍّ لا يـزا ... ل يَـعِـيـبُـنـي ويُـعِـيـنُ عـائِـبْ
وأعـيـنُـه فـي الـنـائـبـا ... ت ولا يُـعِـيـنُ عـلـى الـنَّـوائِـبْ
تَـسْـري عَـقَـارِبُـه إلـيـ ... يَّ ولا تَـدِبُّ لـه عـقـارِب
لاَهِ ابـنُ عَـمِّـكَ لا يَـخَـا ... ف الـمُـخْـزنـاتِ مِـن الـعـواقِـبْ

قال: فكان عَلْقمة ممتلئاً غيظاً عليه. فلما ألحُّوا على الحُطَيئة أجابهم وقال: أما الآن فَنَعَمْ، أنا صائرٌ معكم. فتحمَّل معهم، فضربوا له قبَّةً، وربطوا بكلّ طُنُب(٢) من أطنابها جُلّة(٣) هَجَرِيّة، وأراحُوا(٤) عليه إبلهم، وأكثروا له من التمر واللبن وأَعْطَوْهُ لِقَاحاً(٥) وكُسْوةً. قال: فلمّا قدِم الزِّبْرِقان سأل عنه فأُخْبِر بقصّته، فنادى في بني بَهْدلةَ بن عَوْف، وهم لأمٍّ دون قُرَيع، أمُّهم السَّفْعاء بنت غَنْم بن قُتَيبة

(١) النجعة: طلب الكلإ في موضعه.
(٢) الطنب: الحبل الطويل يشدّ به.
(٣) الجلة: وعاء من الخوص يوضع فيه التمر.
(٤) أراح الإبل: ردّها في العشيّ.
(٥) اللقاح: جمع لقوح، وهي الناقة الحلوب.

من باهِلة، فركب الزِّبْرِقانُ فرسَه، وأخذ رمحَه، وسار حتى وقف على نادي بني شَمَّاس القُرَيْعيينَ، فقال: رُدّوا عليّ جاري؛ فقالوا: ما هو لك بجارٍ وقد اطَّرحتَه وضيّعتَه، فألَمَّ أن يكونَ بين الحيَّيْن حربٌ، فحضرهم أهلُ الحِجَا من قومهم، فلاموا بَغِيضاً وقالوا: اردُدْ على الرجل جارَه؛ فقال: لست مُخْرِجَه، وقد آويتُه، وهو رجل حرٌّ مالكٌ لأمره، فخيِّروه فإن اختارني لم أُخْرِجْهُ، وإن اختاره لم أُكْرِهْه، فخيَّروا الحطيئةَ فاختار بَغِيضاً ورَهْطَه؛ فجاء الزبرقانُ ووقف عليه وقال له: أبا مُلَيكة، أفارقتَ جِوَاري عن سُخْط وذَمّ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هذه رواية ابن سَلاَّم. وأما أبو عُبَيدة فإنه ذَكر أنه كان بين الزِّبْرِقان ومن معه من القُرَيعيِّين تَلاحٍ[1] وتَشَاحٌّ[2].

وزعم غيرهما أن الزبْرقان استعدَى عمرَ بنَ الخَطَّاب على بَغِيض، فحكم عمرُ بأن يُخْرَجَ الحطيئةُ حتى يُقَام في موضعٍ خالٍ بين الحيَّيْن وَحْدَه ويُخلَّى سبيلُه، ويكون جارَ أيِّهما اختار؛ ففُعِل ذلك به، فاختار القُرَيعيِّين، قال: وجعل الحطيئةُ يَمدحهم من غير أن يَهْجُوَ الزِّبْرِقانَ، وهم يحضُّونه على ذلك ويحرِّضونه فيأبى ويقول: لا ذنبَ للرجل عندي؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسِطٍ يقال له دِثَار بن شَيْبان، فهجا بَغِيضاً فقال: [الوافر]

أرَى إبِلِي بِجَوْفِ الماءِ حَلَّتْ ... وَأَعْوَزَها بِه الماءُ الرَّواءُ[3]
وقد وَرَدَتْ مِيَاهَ بني قُرَيعٍ ... فما وَصَلُوا القَرَابَةَ مذ أساؤوا
تُحَلأً يومَ وِرْد النَّاس إبْلِي ... وتَصْدُرُ وهي مُحْنِقَةٌ ظِمَاءُ[4]
ألم أكُ جارَ شَمَّاسِ بنِ لأيٍ ... فأسْلَمَني وقد نَزَلَ البَلاءُ
فقلتُ تَحَوَّلِي يا أمّ بَكْرٍ ... إلى حَيْثُ المكارمُ والعَلاءُ
وَجَدْنا بَيْتَ بَهْدَلَةَ بنِ عَوْفٍ ... تعالى سَمْكُه ودَحَا الفِنَاءُ[5]
وما أضْحَى لشَمَّاسِ بن لأيٍ ... قَديمٌ في الفَعَال ولا رَبَاءُ[6]
سِوَى أن الحطيئَة قال قولاً ... فهذا من مقالتِه جزاءُ

---

(١) التلاحي: التنازع.
(٢) التشاح: الحذر والخوف.
(٣) الماء الرّواء: الماء العذب.
(٤) تُحلأ الإبل: تحبس عن الورود. وتصدر: ترجع. والمحنقة: الضامرة. والظماء: العطاش.
(٥) دحا الفناء: أراد اتّسعت ساحة الدار.
(٦) الفَعال: الفعل الحسن. والرَّباء: المنة والفضل والطَّوْل.

فحينئذ قال الحطيئةُ يَهْجُو الزِّبْرِقانَ ويُناضِل عن بَغِيضٍ قصيدتَه التي يقول فيها: [البسيط]

والله ما مَعْشرٌ لامُوا امْرأً جُنُباً في آلِ لأْيِ بن شَمَّاسٍ بأَكْياسِ
ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لكُم في بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناس
لقد مَرَيْتُكُم لو أن دِرَّتكم يوماً يَجيء بها مَسْحِي وإِبْسَاسِي[1]
وقد مدحتُكم عمداً لأُرْشِدكم كَيما يكونَ لَكُمْ مَتْحِي وإِمراسي
لما بدا لي منكم غَيْبُ أنْفُسِكُمْ ولم يكن لجِراحي فيكمُ آسي[2]
أزمعتُ يأساً مُبِيناً من نَوَالِكُمْ ولن يُرَى طارداً للحُرِّ كاليَاس
جارٌ لِقَوم أطَالُوا هُونَ منزِلِه وغادَرُوه مُقِيماً بينَ أرْماسِ[3]
مَلُّوا قِرَاه وهَرَّتْهُ كلابُهُم وجَرَّحُوهُ بأنيابٍ وأضْراسِ[4]
دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها واقْعدْ فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسي
مَن يَفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه لا يذهبُ العُرْفُ بينَ الله والناسِ
ما كان ذنبي أن فَلَّتْ مَعَاوِلَكم من آلِ لأْيٍ صَفَاةٌ أصْلُها رَاسِي
قد ناضَلُوكَ فَسَلُّوا من كنَائِنهم مجداً تَلِيداً ونَبْلاً غير أنْكاسِ[5]

ـ الجُنُب: الغريب. والإبْساس: أن يُسكِّنها عند الحَلب. والماتِح: المستقي الذي يجذب الدلوَ من فوق، والإمراسُ: أن يقع الحبلُ في جانب البَكرة فيُخرجَه ـ فاستعدَى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب، فرفَعه عمرُ إليه واستنشده فأنشده؛ فقال عمر لحسَّان: أتراهُ هجاه؟ قال: نعم وسلح عليه، فحبَسه عمر.

[بين الحطيئة وعمر بن الخطاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ وحَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أحمد بن مُعَاوية عن أبي عبد الرحمٰن الطائيّ عن عبد الله

(١) مرى الناقة: مسح ضرعها. والدرّة: اللبن.
(٢) الآسي: الطبيب، المداوي.
(٣) الرّمْس: القبر، والجمع أرماس.
(٤) القرى: إطعام الضيف. وهرته الكلاب: نبحته.
(٥) الكنائن: جمع الكنانة، وهي جعبة السهام، والمجد التليد: القديم. والنكس: الضعيف، وجمعه أنكاس.

ابن عياش عن الشَّعْبيّ قال: شهِدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاَثة التَّيْميّ، فقال: إنه هجاني، قال: وما قال لك؟ قال قال: [الطويل]

وكـيـف أُرجّـي ثَـرْوهـا ونـمـاءَهـا ... وقد سار فيها خُصْيةُ الكلبِ عامرُ

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلتَ؟ قال قلتُ: [الطويل]

وإنـي لأرجـو ثَـرْوَهـا وَنَـمـاءَهـا ... وقـد سارَ فـيـهـا نـاجـذُ الـحَقِّ عـامـرُ

قال زياد: قاتل الله الشاعرَ، ينقلُ لسانَه كيف شاء، والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانَك! فقام قيْس بن فَهْد الأنْصاريّ فقال: أصلح الله الأمير، ما أَدْرِي مَنِ الرجلُ، فإن شئتَ حدثْتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه ـ قال: وكان زِيَادٌ يعجبه الحديث عن عمرَ رضي الله عنه ـ قال: هاتِه، قال شهدتُه وأتاه الزِّبْرِقان بن بدر بالحُطَيئة فقال: إنه هجانَي، قال: وما قال لك؟ قال: قال لي: [البسيط]

دَعِ الـمـكـارمَ لا تَـرْحَـلْ لِـبُـغـيـتـهـا ... واقْـعُـدْ فـإنَّـك أنـتَ الـطـاعِـمُ الـكـاسِـي

فقال عمر: ما أسمَعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلاّ أن آكُلَ وألبَس! فقال عمر: عليّ بِحَسَّانٍ، فجيء به فسأله؛ فقال: لَم يَهْجُه ولكن سَلَحَ عليه ـ قال ويقال: إنه سأل لَبِيداً عن ذلك فقال: ما يَسُرُّني أنه لَحِقنِي من هذا الشعر ما لحِقَه وأن لي حُمْرَ النَّعَم ـ فأمر به عمرُ فجُعِل في نَقِيرٍ[1] في بئر ثم أُلْقِيَ عليه شيء، فقال: [البسيط]

مـاذا تَـقُـولُ لأفـراخٍ بـذي مَـرَخٍ ... زُغْـبِ الـحَـواصِـلِ لا مـاءٌ ولا شَـجَـرُ[2]
أَلْـقَـيْـتَ كـاسِـبَـهـم فـي قَـعْـرِ مُـظْـلِـمَـةٍ ... فـاغْـفِـرْ عـلـيـكَ سـلامُ الله يـا عـمـرُ
أنـتَ الإمـامُ الَّـذي مـن بَـعْـدِ صـاحِـبِـهِ ... ألـقَـى إلـيـك مقَـالِـيدَ الـنُّـهَـى الـبَـشَـرُ
لـم يُـؤْثِـروكَ بـهـا إذ قـدَّمـوك لـهـا ... لـكـن لأنـفـسِـهـم كـانـتْ بـكَ الأُثَـرُ[3]

فأخرجه وقال له: إيّاك وهِجَاءَ الناس؛ قال: إذاً يموت عِيَالي جوعاً، هذا مكسَبي ومنه مَعَاشِي؛ قال: فإياك والمُقْذِعَ من القول؛ قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقولَ: فلان خَيْرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان؛ قال:

(١) النقير: ما نقر من حجر أو خشب ونحوهما.
(٢) ذو مرخ: وادٍ قرب فدك كثير الشجر. (معجم البلدان ٥/١٠٣).
(٣) يؤثروك: يفضلوك. والأثر: جمع أثرة وهي المكرمة.

فأنت والله أَهْجَى منّي، ثم قال: والله لولا أن تكون سُنّةً لقطعتُ لسانك، ولكن اذهبْ فأنت له، خُذْه يا زِبْرِقان، فألقى الزبرقانُ في عنقه عمامةً فاقتاده بها؛ وعارضتْه غَطَفَانُ فقالوا له: يا أبا شَذْرَة، إخوتُك وبنو عمِّك، هَبْه لنا، فوهبه لهم. فقال زيادٌ لعامر بن مسْعود: قد سمعتَ ما رُوِيَ عن عمر، وإنما هي السُّنَن، فاذْهب به فهو لك؛ فألقى في عُنُقه حبلاً أو عمامة، وعارضتْه بَكْرُ بنُ وائل فقالوا له: أخوالُك وجيرانُك فوهبه لهم.

أخبرني محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة: أن الحطيئةَ لما حَبسه عمرُ قال وهو أوّلُ ما قاله: [المتقارب]

أَعُوذُ بِجَدِّكَ إنّي امرؤٌ ... سَقَتْني الأعادي إليكَ السِّجَالاَ
فإنكَ خَيْرٌ مِنَ الزِّبْرقان ... أَشَدُّ نَكَالاً وأَرْجَى نَوَالاَ
تحنَّنْ عليَّ هَدَاكَ المليكُ ... فإنّ لكلٍّ مقامٍ مَقَالاَ
ولا تأخُذَنّي بقول الوُشَاةِ ... فإن لكلِّ زمانٍ رِجَالاَ
فإن كان ما زعَمُوا صادقاً ... فسِيقَتْ إليكَ نسائي رِجَالا[1]
حَوَاسِرَ لا يَشْتَكِينَ الوَجَا ... يُخَفِّضْنَ آلاً ويرفَعْنَ آلا[2]

فلم يلتفت عُمر إليه حتى قال أبياته التي أوّلها: [البسيط]

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء ومحمد بن العبَّاس اليَزيديّ وعمرُ بن عبد العزيز بن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشَاميّ قالوا: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني محمد بن الضَّحاك بن عثمان الحِزَامِيّ قال: حدّثني عبد الله بن مُصعَب عن رَبيعة بن عثمان عن زيد بن أَسْلم عن أبيه قال: أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قولَه:

[البسيط]

ماذا تقولُ لأفْراخٍ بذِي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مَظْلِمَةٍ ... فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَرُ
أنتَ الإمامُ الَّذي مِنْ بَعْدِ صاحِبِهِ ... أَلْقَى إليكَ مَقاليدَ النُّهَى البَشَرُ

(١) رجالاً: جمع رَجْلة: وهي الراجلة.
(٢) الوجا: الحفا.

لم يُؤْثِرُوكَ بها إذ قدَّمُوكَ لها ... لكِنْ لأنفُسِهِمْ كانَتْ بكَ الأثَرُ
فامنُنْ على صِبْيَةٍ بالرَّمْلِ مَسْكنُهم ... بَيْنَ الأباطِحِ تَغْشاهُمْ بها القِرَرُ[1]
أهْلِي فِدَاؤُكَ كم بيني وبينهُم ... مِنْ عَرَضٍ دَاوِيةٍ[2] تَعْمَى بها الخُبُرُ

ـ قال فبكى حين قال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

فقال عمرو بن العاص: ما أظلَّتِ الخَضْراء ولا أقلَّت الغَبْراء أعدلَ من رجل يبكي على تركه الحطيئةَ ـ فقال عمر: عليّ بالكُرْسيّ، فأُتي به، فجلَس عليه ثم قال: أشيروا عليّ في الشاعر، فإنه يقول الهُجْرَ ويَنْسِبُ بالحُرَم ويمدَح الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم، ما أُراني إلاّ قاطعاً لسانَه، ثم قال: عليّ بالطَّسْت، فأُتي بها، ثم قال: عليّ بالمِخْصَف[3]، عليّ بالسِّكين، لا بل عليّ بالمُوسَى، فهو أَوْجى[4]، فقالوا لا يعود يا أميرَ المؤمنين، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النَّجاء. قال: فلما ولى قال له عمر: يا حُطَيئة، كأني بك عند فتىً من قريش، قد بسَط لك نُمْرُقةً[5] وكسرَ لك أُخرى وقال: غنِّنا يا حُطَيئة، فطفِقْتَ تغنِّيه بأعراض الناس، قال ابن أَسْلَم: فما انقضتِ الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند عُبَيد الله بن عُمر قد بسَط له نُمْرُقةً وكسَر له أُخرى وقال: غنِّنا يا حطيئة، فجعل يغنِّيه، فقلتُ له: يا حُطَيئة أتذكرُ قولَ عمر؟ ففزع وقال: يرحَم الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حيّاً ما فعلتُ، قال: وقلت لعُبَيد الله: سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل.

ورُوي عن عبد الله بن المُبَارك أنّ عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحُجة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعاً بثلاثة آلافِ درهم؛ فقال الحطيئةُ في ذلك: [الكامل]

وأخَذْتَ أطْرافَ الكلامِ فلَمْ تَدَعْ ... شَتْماً يَضُرُّ ولا مَدِيحاً يَنْفَعُ

(١) القرار: جمع قِرّة، وهي البرد.
(٢) الداوية: الفلاة الواسعة. والخُبُرُ: الذين خبروا الداوية وعرفوا أسرارها.
(٣) المخصف: الإشفر، المخرز.
(٤) أوجى: أسرع.
(٥) نمرقة: وسادة صغيرة يتكأ عليها.

وَحَمَيْتني عِرْضَ اللئيم فلم يخَفْ ذَمِّي وَأَصْبَحَ آمِناً لا يَفْزَعُ

[خبر الحطيئة مع ابن عوف وبني قريع]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن نافع بن أبي نُعَيم، أن عبد الرحمٰن بن عوف هو الذي استرضَى عمرَ بن الخطاب وكلَّمَه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن، قال حَمَّاد: وأخبرني أبي عن أبي عُبَيدة أن عمرَ رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النَّمِريّ الذي كان الزِّبْرِقان حملَه على هجاء بَغِيضٍ: [الوافر]

دَعَانِي الأَثْبَجانِ ابنا بَغِيضٍ وأَهْلي بالعَلاَةِ فَمَنَّيانِي[1]
وقالوا سِرْ بأهلِكَ فأْتِيَنّا إلى حَبٍّ وأَنْعامٍ سِمَانِ
فَسِرْتُ إليهمُ عشرينَ شهراً وأربعةً فذلكَ حِجَّتانِ[2]
فلمَّا أنْ أتَيْتُ ابنَيْ بَغِيضٍ وأسْلَمَني بِدائِي الدّاعِيانِ
يَبيتُ الذِّئبُ والعَشْواءُ ضيفاً لنا باللَّيلِ بئسَ الضائفانِ[3]
أُمارِسُ منهما ليلاً طويلاً أُهَجْهِجُ عن بَنِيّ ويَغْرُوانِ[4]
تقولُ حَلِيلَتِي لما اشتَكَيْنا سَيُدْرِكُنا بنو القَرْمِ الهِجَانِ[5]
سيُدْرِكُنا بنو القَمَرِ بنِ بَدْرٍ سِراجِ الليلِ للشمسِ الحَصَانِ
فقلتُ ادْعي وأَدْعُو إنّ أَنْدَى لِصوتٍ أن يُنادِيَ داعِيانِ
فمن يَكُ سائلاً عنّي فإنّي أنا النَّمَرِيُّ جارُ الزِّبْرِقانِ
طَريدُ عَشِيرةٍ وطَريدُ حربٍ بما اجْتَرَمَتْ يدي وجنَى لساني
كأنِّي إذ نَزَلْتُ به طَرِيداً نَزَلْتُ على المُمَنَّعِ من أَبَانِ[6]
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلم يُضِعْني وضَيَّعَني بِتَرْيَمَ مَنْ دَعَانِي[7]

---

(١) الأثبج: الأحدب، والناتىء الصدر، والعظيم الجوف. والعلاة: جبل بديار النمر بن قاسط لبني جشم (معجم البلدان ٤/ ١٤٥).
(٢) الحجة: السنة.
(٣) العشواء: الضبع.
(٤) اهجهج: أصيح وأزجر.
(٥) الهجان: الرجل الحسيب الكريم. والهجان من كل شيء: خياره وخالصه. وأراد هنا أخيار الناس.
(٦) الممنّع: العالي الذي لا يبلغه أحد. وأبان: جبل. وانظر معجم البلدان: ١/ ٦٢.
(٧) تَرْيم: وادٍ بين المضايق ووادي ينبع (معجم البلدان: ٢/ ٢٨).

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبَيدة قال:

لم يزل الحطيئةُ في بني قُرَيع يمدحُهم حتى إذا أَحْيَوْا[١] قال لِبَغيض: فِ لي بما كنتَ تضمّنتَ؛ فأتى بَغِيضٌ عَلْقَمة بن هَوْذة فقال له: قد جاء الله بالحَيَا، فَفِ لي بما قلتَ - وكان قد ضمِن له مائة بعير - وأبرئْني مما تضمَّنْته عهدتي، فقال: نعمْ، سَلْ في بني قُرَيع فمهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممتُه، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعيرَ والبعيرين؛ قال: فأتمّها علقمةُ له مائةً وراعييْن فدُفِعتْ إليه. فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمتَه السينيّة واستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ رضي الله عنه، فلما رحل عنهم قال:

[البسيط]

لا يُـبْـعِـدِ الله إذ وَدَّعْـتُ أرضَـهُـمُ ... أخِي بَغِيضاً ولكن غيرُه بَعُدا
لا يبعد الله من يُعْطي الجَزِيلَ وَمَنْ ... يَحْبو الجليلَ وما أكْدى ولا نَكِدَا
ومن تُلاقِيه بالمعروف مبتهِجاً ... إذا اجْرَهدَّ صَفَا المذموم أو صَلَدا[٢]
لاقيتُه ثَلِجاً تَنْدَى أناملُه ... إن يُعْطِكَ اليومَ لا يَمْنَعْكَ ذاك غَدا[٣]
إنّي لرافدُه وُدّي ومَنْصَرتي ... وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شهِدا

[بين الحطيئة وابن عباس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ عن ابن دَأب عن عبد الله بن عَيَّاش المَنْتوف قال: بيْنا ابن عباس جالسٌ في مجلس رسول الله ﷺ بعدما كُفَّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش، إذ أقبل أعرابيٌّ يَخْطِر وعليه مِطْرَفٌ وجُبّةٌ وعمامة خَزٍّ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام، فقال: يا بنَ عم رسول الله، أَفْتِني؛ قال: في ماذا؟ قال أتخاف عليّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمتُه وشتمني فشتمتُه وقصّر بي فقصّرتُ به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جُناح عليه، فقال: يا بن عمّ رسول الله - ﷺ - أرأيت امرأً أتاني فوعَدني وغرّني ومنّاني ثم أخلفني واستخفّ بحُرْمتي، أيسَعُني أن أهجوه؟ قال: لا يصلحُ الهجاء، لأنه لا بدّ لك من أن تهجُوَ غيره من عشيرته فتظلمَ من لم

---

(١) الحيا: المطر. وأحيوا: أصابهم الحيا.
(٢) أجرهدّت الأرض: خلت من النبات. وأجرهدت السنة: اشتدّت. وصلد: قسا.
(٣) ثلجاً: فرحاً، مبتهجاً.

يظلِمْك، وتشتمَ من لم يشتُمك، وتبغِيَ على من لم يَبْغِ عليك، والبغي مَرْتَعٌ وخِيمٌ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل؛ قال: صدقتَ وبَرَرْتَ؛ فلم يَنْشَبْ أن أقبل عبد الرحمٰن بن سَيْحان المُحَارِبيّ حليفُ قريش، فلما رأى الأعرابيَّ أجلَّه وأعْظمه وألْطف في مسألته، وقال: قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيكة، فقال ابن عباس: أجَرْوَل؟ قال: جرول، فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت! أيّ مِرْدَى[1] قذَافٍ، وذائدٍ[2] عن عشيرةٍ، ومُثْنٍ بعارِفةٍ تُؤْتاها أنت يا أبَا مُلَيكة! والله لو كنتَ عَرَكْتَ[3] بجنبك بعضَ ما كرِهتَ من أمر الزِّبْرِقان كان خيراً لك، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظْلِمك، وشتمتَ من لم يشتُمك؛ قال: إنّي والله بهم يا أبا العباس لعالم؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك؛ قال: بَلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول: [البسيط]

أنا ابنُ بَجْدتِهم عِلْماً وتجربةً ... فَسَلْ بسعدٍ تجدْنِي أعلمَ الناسِ[4]
سَعْدُ بنِ زَيْدٍ كَثيرٌ إن عَدَدْتَهُمُ ... ورأسُ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ آلُ شَمَّاسِ
والزِّبْرِقانُ ذُنَابَاهُمْ وشَرُّهُمُ ... ليس الذُّنابَى أبا العباس كالراسِ[5]

فقال ابن عباس: أقسمتُ عليك ألاّ تقولَ إلاّ خيراً، قال: أفعل، ! ثم قال ابن عباس: يا أبا مُلَيكة، من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين؛ قال: الذي يقول: [الطويل]

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ من دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومن لا يَتَّقِ الشتم يُشْتَمِ

وما بدونه الذي يقول: [الطويل]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ

ولكنّ الضَّراعةَ أفسدتْه كما أفسدتْ جَرْولاً ـ يعني نفسه ـ والله يا بنَ عمّ رسولِ الله لولا الطمع والجَشَع لكنتُ أشعرَ الماضين، فأما الباقون فلا تَشُكَّ أنّي أشعرهم وأصْرَدُهم[6] سهماً إذا رَميتُ.

---

(١) مردى قذاف: حجر يثير الشجار. ويقال للرجل الشجاع: مردى حروب.
(٢) ذائد: مدافع.
(٣) عرك بجنبه: أي تجاوز وعفا.
(٤) ابن بجدتهم: الخبير العالم بهم.
(٥) ذناباهم: ذنبهم.
(٦) أصردهم سهماً: أنفذهم سهماً.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: رُوِي لنا عن أبي عُبَيدة والهَيْثم بن عدِيّ وغيرهما أنّ عبد الله بن أبي ربيعة لما قَدِم من البحرين نزل على الزِّبْرِقانَ بن بدر بمائه فَحَلأَهُ[1] وهو الماء الذي يقال له بُنْيان[2]، فنزل على بني أنْف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وَشِيع[3]، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا: لو كانت إبِلُنا منّا قريبةً لَنَحَرْنا لك؛ فراح من عندهم يَتَغَنّى فيهم بقوله: [الطويل]

وما الزِّبْرِقانُ يومَ يمنَع ماءه ... بمُحتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّلِ
مقيمٌ على بُنْيانَ يَمْنَعُ ماءَهُ ... وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظَمْآنَ مُرْمِلِ

قال: فركب الزِّبْرِقان إلى عمرَ رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال: إنه هجاني يا أمير المؤمنين؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبد الله؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، إني نزلت على مائه فحلأني عنه، فقال عمر رضوان الله عليه: يا زِبْرِقانُ، أتمنع ماءك من ابن السبيل! قال: يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفَر آبائي مجاريَه ومستقرّه وحفرتُه أنا بيدي فقال عمر: والذي نفسي بيده لئن بلغني أنك منعتَ ماءكَ من أبناء السبيل لا ساكنتني بنجدٍ أبداً! فقال بعضُ بني أنف الناقة يُعيِّر الزِّبْرِقان ما فعله:

[الوافر]

أتَدْرِي مَنْ مَنَعْتَ وُرُودَ حَوْضٍ ... سَليلَ خَضارمٍ مَنَعوا البِطَاحَا
أزادَ الرَّكْبِ تَمْنَعُ أم هِشَاماً ... وذا الرُّمْحَينِ أمْنَعَهُمْ سلاحَا[4]
هُمُ مَنَعوا الأباطحَ دون فِهْرٍ ... ومَنْ بالخَيْف والبُدْنَ اللِّقَاحَا
بضربٍ دونَ بَيْضَتِهم طِلَخْفٍ ... إذ الملهوفُ لاذ بهم وَصَاحَا[5]
وما تَدْري بأيِّهِمُ تُلاقي ... صُدُورَ المَشْرَفِيَّةِ والرِّمَاحَا

[وصيّة الحطيئة]

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتي كلّ فريق من الرواة ببعضها، وقد جمعتُ ما وقع إليّ منها في موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها. أخبرني بها محمد بن العباس اليَزديّ

(١) حلأه: منعه من ورود الماء.
(٢) بنيان: قرية باليمامة. انظر معجم البلدان: ١/ ٥٠٢.
(٣) وشيع؛ موضع. انظر معجم البلدان: ٥/ ٣٧٨.
(٤) زاد الركب: هو أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي. وكان في السفر يطعم كل من برفقته في سفره.
(٥) طلخف: شديد.

قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلبٌ قال: حدّثنا عُيَيْنة بن المِنْهال عن الأصمعيّ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبْديّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة عن أبيه، وأخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبَيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعِيّ قال: حدّثنا أبو غسَّان دَماذ عن أبي عُبيدة قالوا: لما حضرت الحطيئةَ الوفاة اجتمع إليه قومُه فقالوا: يا أبا مُلَيكة أوصِ فقال: وَيلٌ للشّعر من راوية السّوء؛ قالوا: أوص رَحِمَك الله يا حُطَيءُ؛ قال: من الذي يقول:

[الطويل]

إذا أَنبَضَ الرَّامُون عنها تَرَنَّمَتْ ... ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعَتْها الجنائزُ؟(١)

قالوا: الشَّمَّاخ؛ قال: أبلِغوا غَطَفَان أنه أشعرُ العرب؛ قالوا: وَيْحك! أهذه وصيَّة! أوْصِ بما ينفعُك! قال: أبلغوا أهلَ ضابىءٍ أنه شاعرٌ حيث يقول: [الطويل]

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنّني ... رأيتُ جَديدَ المَوْتِ غيرَ لذيذِ

قالوا: أَوصِ ويحك بما ينفعك! قال: أَبلغوا أهلَ امرىء القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول: [الطويل]

فَيَا لَكَ من لَيلٍ كأنَّ نُجُومَهُ ... بكلِّ مُغَارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ(٢)

قالوا: اتّقِ الله ودعْ عنك هذا، قال: أبلغوا الأنصار أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول: [الكامل]

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسْألون عن السَّواد المُقبِلِ

قالوا: هذا لا يُغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنتَ فيه؛ فقال: [الرجز]

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ ... إذا ارْتَقَى فيه الَّذِي لا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهْ ... يريدُ أن يُعْرِبَهُ فيُعْجِمُهْ

قالوا: هذا مِثْلُ الذي كنتَ فيه؛ فقال: [الرجز]

---

(١) أنبض القوس: جذب وترها لتصوّت.

(٢) مغار الفتل: محكمه. ويذبل: جبل لباهلة. انظر معجم البلدان ٥/٤٣٣.

قَدْ كُنْتُ أحياناً شَدِيدَ المُعْتَمَدْ وكنتُ ذا غربٍ[1] على الخَصْمِ ألَدّ
فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتْ تَرِدْ[2]

قالوا: يا أبا مُلَيكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزَعُ على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلاً. قالوا: فمَنْ أشعرُ الناس؟ فأومأ بيده إلى فيهِ وقال: هذا الحُجَير إذا طَمِعَ في خير (يعني فمَه) واستعبَرَ باكياً، فقالوا له: قل لا إلٰه إلا الله؛ فقال: [الرجز]

قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُمُ وحُجْرُ[3]

فقالوا له: ما تقول في عَبِيدك وإمائك؟ فقال: هم عَبِيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ؛ قالوا: فأَوْصِ للفقراء بشيء؛ قال: أُوصِيهم بالإلحاحِ في المسألة فإنها تجارةٌ لا تَبُورُ، واسْتُ المسؤول أضيقُ. قالوا: فما تقولُ في مالك؟ قال: للأُنْثَى من وَلَدِي مثلُ حَظِّ الذكر؛ قالوا: ليس هكذا قَضَى الله جَلَّ وعزّ لهنّ؛ قال: لكنّي هكذا قَضَيْتُ. قالوا: فما توصِي لليتامى؟ قال: كُلُوا أموالَهم ونِيكوا أُمَّهاتِهِم؛ قالوا: فهل شيء تَعْهَدُ فيه غَيْرُ هذا؟ قال: نعمْ، تَحْمِلونَني على أتانٍ وتتركونني راكبها حتى أموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه، والأتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمُ قطّ، فحَملوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول: [الرجز]

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيِّئَهْ هجا بَنِيهِ وهجا المُرَيَّهْ
من لُؤمِه ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُرَيَّة: الأتان.

---

(١) غرب السيف: حده.
(٢) وردت: أشرفت.
(٣) حيدة: من حاد عن الشيء إذا صدّ عنه أو نفر منه. وحجرٌ: دفعٌ ومنعٌ.

ذكر ما غُنِّيَ فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئةُ بَغِيضاً وقومَه وهجا الزبرقان وقومه

منها: **صوت** [الطويل]

أَلاَ طَرَقَتْنَا بعدَ ما هَجَعُوا هِنْدُ ... وقد جُزْنَ غَوْراً واستَبانَ لنا نَجْدُ
وإنّ التي نَكَّبْتُها عن مَعَاشِرٍ ... عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعلُّوَيَةَ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو وهذه القصيدة التي يقول فيها:

أتتْ آلَ شَمَّاس بنِ لأْيٍ وإنما ... أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ[1]
فإنّ الشَّقِيَّ من تُعادِي صُدُورُهم ... وذو الجَدِّ مَن لانُوا إليه ومَن وَدُّوا[2]
يَسُوسُون أحلاماً بعيداً أناتُها ... فإنْ غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَةُ والجِدُّ
أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبِيكُمُ ... مِن اللَّوْمِ أوْ سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئكَ قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أحْسَنُوا البُنَى ... وإن عاهَدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانت النُّعمى عليهم جَزَوْا بها ... وإن أنْعَمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاَهُمْ على جُلِّ حادثٍ ... من الدَّهرِ رُدُّوا فَضلَ أحلامِكُم رَدُّوا
مَطَاعِينُ في الهَيْجا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى ... بَنَى لهُم آباؤهم وبَنَى الجَدُّ

ومنها: **صوت** [الطويل]

وأدَماءَ حُرْجُوجٍ تَعَالَلْتُ مَوْهِناً ... بسَوْطِيَ فارمَدَّتْ نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ[3]
إذا آنَسَتْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ ... به الجَوْرَ حتى يستقيم ضُحَى الغَدِ[4]
وتشربُ بالقَعْب الصَّغيرِ وإن تُقَدْ ... بمِشْفَرِها يوماً إلى الحَوْض تَنْقَدِ[5]

---

(١) الحسب العِدّ: القديم.
(٢) الجدّ: الحظّ.
(٣) الحرجوج: الناقة الضامرة. وتعاللت: استخرجت علالة سيرها أي بقيته.
(٤) الجور: الميل عن القصد، وترك القصد في السير.
(٥) القعب: القدح الضخم.

المَوْهِن: وقتٌ من الليل بعد مُضِي صَدْرٍ منه. وارمدّت: نجت، والارمداد: النّجاء، والخَفيدد: الظَّليم.

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق. وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر، وهو في جامع ابراهيم غير مُجَنَّس. وفيه خفيف ثقيل مجهول، وذكر حَبَشٌ أنه لمَعْبَد؛ ويُشبِه أن يكون ليحيى المكيّ.

أخبرني الحَرَمِيّ بن العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن المنذِر عن ابن عَبَاية عن محمد بن مسلِم الجَوْسق عن رجل من كعب قال: جئتُ سوق الظّهر[1] فإذا بكُثَيِّر، وإذا الناسُ مُتَقَصِّفون[2] عليه، فتخلّصْتُ حتى دَنَوْتُ منه فقلت: أبا صخْر، قال ما تشاء؟ قلتُ مَنْ أشعرُ الناس؟ قال الذي يقول: [الطويل]

وآثَرتُ إدلاجي على لَيْلِ حُرَّة ... هَضِيم الحشا حُسَّانَة المتَجَرَّدِ[3]
تُفَرِّق بالمِدْرَى أثِيثاً نباتُه ... على واضح الذِّفْرَى أسيل المُقَلَّدِ[4]

قال: قلتُ: هذا الحطيئة، قال: هو ذاك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن عليّ بن مُجاهد عن هشام بن عُرْوة:

أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة: [الطويل]

مَتَى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ[5]

فقال عمر: كَذَب، بل تلك نارُ موسى نبيِّ الله ﷺ.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِي عن حَمَّاد الراوية أنّ رَجُلاً دَخَل على الحُطَيئة، وهو مُضْطَجع على فِراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء، فقال له: ويحك! أفي رجلك خُفٌّ؟ قال: لا

(١) سوق الظّهر: السوق تباع فيه الإبل وتشترى.
(٢) متقصفون: مزدحمون.
(٣) الإدلاج: السير ليلاً. والحُسّانة: الشديدة الحسن. والمتجرِّد: التجرّد.
(٤) المدرى: أداة يمشط بها الشعر. والشعر الأثيث: الكثيف. والذفرى: العظم الظاهر خلف الأذن.
(٥) تعشو: تقصد ليلاً في الظلام.

والله ولكنها رِجْلَ سوداءَ، أتدري مَنْ هي؟ قال: لا؛ قال: وهي والله التي أقول فيها:

وآثَــرتُ إدلاجِــي عــلــى لــيــلِ حُــرَّةٍ

ـ وذكر البيتين ـ والله لو رأيتَها يابنَ أخي لَمَا شَرِبتَ الماء من يدها، قال: فجعلتْ تسُبُّه أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك ومنها:

صوت [البسيط]

مـا كـانَ ذَنْـبُ بَـغِـيـضٍ لا أبَـا لَـكُـمُ ... فـي بـائـسٍ جـاء يـحـدو أَيْـنُـقـاً شُـزُبَـا[١]
طـافـتْ أُمـامـةُ بـالـرُّكـبـان آونـةً ... يـا حُـسْـنَـهـا مـن خَـيَـالٍ زارَ مُـنْـتَـقِـبَـا
إذ تَـسْـتَـبِـيـكَ بِـمَـصْـقُـولٍ عَـوَارِضُـهُ ... حَـمْـشِ الـلِّـثـات تَـرَى فـي مـائِـهِ شَـنَـبَـا[٢]
قـد أخـلـقـتْ عـهـدَهـا مـن بـعـد جِـدّتـه ... وكـذَّبَـتْ حُـبَّ مَـلْـهـوفٍ ومـا كَـذَبَـا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة ومنها:

صوت [الطويل]

جَـزَى الله خـيـراً ـ والـجـزاءُ بـكـفّـه ـ ... بـأحْـسَـنِ مـا يَـجْـزِي الـرِّجـالَ بـغـيـضـا
فـلـو شـاءَ إذ جـئـنـاهُ صَـدَّ فـلـم يُـلَـمْ ... وصـادفَ مَـنْـأى فـي الـبـلاد عَـريـضـا

الغناء للهُذَليّ ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشامي.

---

(١) شزباً: جمع شازبة، وهي الضامرة. والأينق: النوق، واحدتها ناقة.
(٢) العوارض: الثنايا. وحمش اللثات: دقيقها في حسن.

أخبار ابن عائشة ونسبه

[توفي ١٠٠ هـ/نحو ٧١٨ م]

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان ينسب إلى أمّه، ويلقّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه «ابنَ عاهة الدار». وكان هو يَزْعُم أنَّ اسم أبيه جعفر؛ وليس يُعرَف ذلك. وعائشة أمه مولاة لكَثِير بن الصَّلْت الكِنْدِي حَلِيفِ قُرَيش. وقيل: إنها مَوْلاة لآل المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْميّ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام. وحكى ابنُ الكلبيّ القولَ الأوّل، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبيّ. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه: إنّ محمد بن مَعْن الغِفَاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ ابن عائشة مَوْلى المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْميّ وإنّه كان لغير رَشْدة[1] فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حَسَناً قالوا: أحسَنَ ابنُ المرأة. قال إسحاق وقال عِمْران بن هند الأَرْقَميّ: بل كان مَوْلى لكَثِير بن الصَّلْت.

قال إسحاق: قال عُبَيد الله بن محمد بن عائشة: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد، أَلِغَيَّة أنتَ؟ قال: كانت أمّي يا أمير المؤمنين ماشطة[2]، وكنت غلاماً، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة؛ فغلبتْ على نَسَبي.

[مكانة ابن عائشة في الغناء]

قال إسحاق: وكان ابنُ عائشة يَفْتِن كلّ من سَمِعَه، وكان فِتْيان من المدينة قد

---

(١) يقال: هو لغير رشدة: أي لغير نكاح صحيح.

(٢) الماشطة: هي التي حرفتها تمشيط الشعر.

فَسَدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن مَعْبد ومالك ولم يَمُوتا حتّى سَاوَاهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما.

وقد قيل: إنه كان ضارباً ولم يكن بالجيِّد الضرب؛ وقيل: بل كان مُرْتجِلاً لم يَضْرب قطّ. وابتداؤه بالغِناء كان يُضرَب به المثل، فيقال للابتداء الحَسَن كائناً ما كان من قراءة قرآن، أو إنشاد شِعر، أو غناء يُبدأ به فيستحسن: كأنه ابتداء ابنِ عاشة. قال إسحاق: وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون: ابنُ عائشة أحسنُ الناس ابتداءً، وأنا أقول: إنه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسُّطاً وقَطْعاً بعد أبي عَبَّاد مَعْبَد، وقد سمعتُ مَنْ يقول: إنّ ابنَ عائشة مثلُه، وأمّا أنا فلا أَجْسُرُ على أن أقول ذلك.

وكان ابنُ عائشة غَيرَ جَيِّد اليدين فكان أكثرُ ما يُغَنِّي مُرْتَجِلاً. وكان أطيبَ الناس صوتاً. قال إسحاق: وحدّثني محمد بن سلام قال: قال لي جرير: لا تخدعنّ عن أبي جعفر محمد بن عائشة، فلولا صَلَفٌ كان فيه لمَا كان بعدَ أبي عَبّاد مثلُه.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه عن جدّه قال: ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقاً: ابنُ عائشة وابنُ تَيْزَن وابنُ أبي الكَنّات.

حدّثني عمي قال: حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدّثني مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ عن أبيه قال: رأى ابنُ أبي عَتِيق حَلْقَ ابن عائشة مُخَدَّشاً فقال: مَنْ فَعَل هذا بك؟ قال: فلان، فمضى فَنَزَع ثيابَه وجلس للرجل على بابه، فلمّا خَرَج أخذ بِتَلْبِيبِه[1] وجعل يضربه ضَرْباً شديداً والرجل يقول له: ما لَكَ تَضْرِبني! أي شيء صنعتُ! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه؛ ثم خلاه وأقبل على مَنْ حَضَر فقال: هذا أراد أن يكسر مَزَامير داود: شَدّ على ابن عائشة فخَنقه وخَدَش حَلْقَه.

قال إسحاق في خبره: وحدّثني أبِي عن سِيَاطٍ عن يونسَ الكاتب قال: ما عَرَفْنا بالمدينة أحسنَ ابتداءً من ابن عائشة إذا غَنّى، ولو كان آخرُ غِنَائه مِثْلَ أوّلِه لقدَّمتُه على ابن سُرَيج. قال إبراهيم: هو كذاك عندي، وقال إسحاق مِثْلَ قولهما.

---

(١) أخذ بتلبيبه: جمع عليه ثوبه عند صدره وأخذ يجره. واللبّة: موضع الذبح.

قال: وقال يونس: كان ابنُ عائشة يضرِب بالعود ولم يكن مجِيداً، وكان غناؤه أحسنَ مِن ضَرْبه، فكان لا يكاد يَمَسُّ العودَ إلاّ أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويُغَنِّي، فناهيك به حُسْناً!.

أخبرني الحُسَين عن حَمَّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن صالح بن حَسّان أنه ذكر يوماً المغنِّين بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعدَ طُوَيس أعلمَ من ابن عائشة ولا أظرفَ مجلساً ولا أكثر طِيباً؛ وكان يَصْلُح أن يكون نَدِيمَ خليفة أو سَمِيرَ مَلِك. قال إسحاق: فأذكرني هذا القولُ قولَ جَمِيلة له: وأنتَ يا أبا جعفر فمعَ الخلفاء تصلُح أن تكون.

قال إسحاق: وحدّثني المدائني قال: حدّثني جرير قال: كان ابنُ عائشة تائهاً سَيِّىءَ الخُلُق، فإن قال له إنسانٌ: تَغَنَّ، قال: أَلِمِثْلِي يقال هذا! وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء: أحسنتَ، قال: أَلِمِثلي يقال أحسنت! ثم يسكت، فكان قليلاً ما يُنْتَفَع به. فَسَالَ العَقِيقُ مَرَّة فدخل عَرْصَةَ سعيدِ بن العاصي[1] الماءُ حتى ملأها، فخرج الناسُ إليها وخرج ابنُ عائشة فيمن خَرَجَ، فجلسَ على قَرْن[2] البئر، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بنُ الحسن بنِ عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، على بَغْلة وخَلْفَه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امضيا رُوَيداً حتى تَقِفا بأصل القَرْن الذي عليه ابنُ عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسنُ: كيف أصبحتَ يا بْنَ عائشة؟ قال: بخيرٍ، فداك أبي وأمي، قال: انظر من إلى جَنْبك، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعمْ، قال: فهما حُرَّان لئن لم تغنِّني مائةَ صوت لآمُرَنَّهما بطَرْحِك في البئر، وهما حُرَّان لئن لم يفعَلا لأقطعنّ أيديَهما، فاندفع ابنُ عائشة فكان أوّلُ ما ابتدأ به صوتاً له وهو: **[مجزوء الوافر]**

ألا لله درُّكَ مــــن فــتَـــى قــومٍ إذا رَهِـبُـوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائة صوت، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثرَ مما سمعوا في ذلك اليوم، وكان آخر ما غنَّى:

(١) العرصة: موضع بالعقيق كان سعيد بن العاص ابتنى به قصراً واحتفر به بئراً وغرس النخل والبساتين. انظر معجم البلدان ٤/ ١٠١.

(٢) قرنا البئر: ما بني فعرض يجعل عليه الخشب لتعلق عليه البكرة.

صوت

[البسيط]

قل للمنازل بالظَّهرَانِ قد حانا إن تنطقي فتُبِينِي القول تِبْيَانَا[1]

قال جرير: فما رُئي يومٌ أحسنُ منه، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثلَه، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ، ولقد تبادر الناسُ من المدينة وما حولَها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فيقال: إنه ما رئي جَمْعٌ في ذلك الموضع مثلُ ذلك الجَمْع، ولقد رَفع الناس أصواتهم يقولون له: أحسنت والله، أحسنَت والله، ثم انصرفوا حولَه يَزُفُّونه إلى المدينة زَفّاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها: صوت [مجزوء الوافر]

ألا لله درُّكَ مِنْ فتى قومٍ إذا رَهِبُوا
وقالوا مَنْ فَتَى لِلْحَرْ بِ يَرْقُبُنا ويَرْتَقِبُ
فكنتَ فتاهُمُ فيها إذا تُدْعَى لها تَثِبُ
ذكرتُ أخي فعاوَدَني رُدَاعُ السُّقْمِ والوَصَبُ[2]
كما يَعْتادُ ذاتَ البَوِّ بعدَ سُلُوِّها الطَّرَبُ[3]
على عَبْدِ بنِ زُهْرةَ بِتُّ طولَ الليلِ أنتحبُ

الشعر لأبي العِيَال الهُذَلِيّ. والغناء لمعبد، وله فيه لَحْنان، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدأ فيه بقوله:

ذكرتُ أخي فعاوذني رداعُ السقم والوصبُ

والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عَمْرو بن بانة وفيه لابن عائشة خفيفُ رملٍ آخرُ وقيل: بل هو لَحْن معبد. وذكر حَمَّاد بن إسحاق أن خفيفَ الرَّمَل لمالك.

---

(١) الظهران: وادٍ بمكة. معجم البلدان ٤/٦٣.

(٢) الرُّداع: النكس. والوصب: المرض والوجع الدائم ونحول الجسم.

(٣) الطرب: هنا الحزن والكلمة تحمل معنيين: الفرح، والحزن.

البَوُّ: جلد يُحْشَى تِبناً ويجفف لكيلا تخبُث رائحتُه، ويُدْنَى إلى الناقة التي قد نحر فصيلُها أو مات لتَشَمَّه فتدرّ عليه ومنها:

صوت [البسيط]

قـل لـلـمـنـازل بـالـظَّـهْـرانِ قـد حـانـا أن تـنـطـقـي فـتُـبِـيـنـي الـقـولَ تِـبْـيَـانَـا
قالت ومن أنتَ قُلْ لي قُلْتُ ذو شَغفٍ هِـجْـتِ لـه مـن دَوَاعِـي الـحـبِّ أَحْـزَانَـا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن عائشة خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى عن الهِشَاميّ وَحَبَش.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني عبد الرحمٰن بن سليمان عن عليّ بن الجَهْم الشاعر قال: حدّثني رجل أن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيِّراً، فمرّ به بعضُ أصحابه فقال له: ما يُقيمك هاهنا؟ فقال: إني أعرف رجلاً لو تكلّم لحبسَ الناسَ هاهنا فلم يذهب أحد ولم يجيء، فقال له الرجل: ومن ذاك؟ قال أنا، ثم اندفع يغنّي: [الوافر]

جـرت سُـنُـحـاً فـقـلـتُ لـهـا أَجِـيـزِي نَـوًى مـشـمـولـةً فـمـتـى الـلـقـاءُ

قال: فحُبِس الناس، واضطربت المَحَاملُ، ومدّتِ الإبلُ أعناقَها، وكادت الفتنةُ أن تقع. فأُتي به هشامُ بن عبد الملك، فقال له: يا عدوَّ الله، أردتَ أن تَفْتن الناس! قال: فأمسك عنه وكان تَيَّاهاً، فقال له هشام: ارفُقْ بتِيهك؛ فقال: حَقّ لمن كانت هذه مَقْدِرتَه على القلوب أن يكون تَيَّاهاً، فضحك منه وخلَّى سبيلَه.

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت [الوافر]

جـرتْ سُـنُـحـاً فـقـلـتُ لـهـا أَجِـيـزِي نَـوىً مـشـمـولـةً فـمـتـى الـلـقـاء
بـنَـفْـسِـي مَـنْ تـذكُّـره سَـقَـامٌ أُعـانـيـه ومَـطْـلَـبُـه عَـنَـاءُ

السانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينَك، والبارح ضدّه. وقال أبو عبيدة: سمعت يونسَ بن حَبيب يسأل رُؤْيةَ عن السانح والبارح، فقال: السانح ما ولاَّك ميامِنَه، والبارح ما ولاَّك مَشائِمَه. وقوله: أجيزي أي انفُذِي. قال الأصمعيّ: يقال

أَجَزْتُ الوادي إذا قطعته وخلفتُه، وجُزْتُه أي سِرْتُ فيه فتجاوزتُه، وجاوزتُه مثلُه. قال أَوْس بن مَغْراء: [البسيط]

ولا يَرِيمُون في التعريف موقفهم حتى يقالَ أجيزُوا آلَ صوفانا

ومشمولةٌ: سريعةُ الانكشاف. أخَذه من السحابة المشمولة، وهي التي تصيبها الشَّمَال فتكشِفُها، ومن شأن الشمال أن تقطع السحابَ، واستعارها هاهنا في النَّوَى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرى ذلك مجرى الذمّ للسانح لأنه يُتَشاءم به. البيت الأوّل من الشعر لزُهير بن أبي سُلْمَى، والثاني مُحْدَث ألحقه المغنُّون به لا أعرف قائله. والغناء لابن عائشة، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثنا إسحاق، وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمَّاد الراويةِ قال: كتب الوليد بن يزيد[1] إلى يوسف ابن عمر: أما بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فَسَرِّحْ إليّ حَمّاداً الراويةَ على ما أحبَّ من دوابِّ البريد، وأعطِه عشرةَ آلاف درهم يتهيأ بها. قال: فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبَذه إليّ، فقلتُ: السمعُ والطاعةُ؛ فقال: يا دُكَين، مُرْ شجرةَ يعطيه عشرةَ آلافِ درهم، فأخذتُها. فلما كان اليومُ الذي أردتُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر، فقال: يا حَمَّاد، أنا بالموضع الذي قد عرفتَه من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنياً عن ثنائك، فقلت: أصلح الله الأمير «إن العَوَان[2] لا تُعلَّمُ الخِمْرَةَ» وسيبلُغك قولي وثنائي. فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الوليد وهو بالبَخْراء[3]، فاستأذنتُ عليه فأذِن لي، فإذا هو على سرير ممهَّد، وعليه ثوبان أصفران: إزارٌ ورِدَاء يقيئانِ الزَّعْفران قيئاً، وإذا عنده مَعْبدٌ ومالك بن أبي السَّمْح وأبو كاملٍ مَوْلاه، فتركني حتى سَكَنَ جَأشِي، ثم قال أنشِدْني: [الكامل]

أمِنَ المنونَ ورَيْبِها تَتوجَّعُ

فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخرها، فقال لساقيه: يا سَبْرة اسْقِه، فسقاني ثلاثة

(١) الوليد بن يزيد: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أحد ملوك الدولة المروانية وهو شاعر رقيق وله علم بالموسيقى، وكان يضرب بالعود. (انظر أعلام الزركلي ٨/ ١٢٣).

(٢) العوان: المرأة الثيِّب، وقيل: التي كان لها زوج، وقيل: هي النَّصَف في سنها.

(٣) البخراء ماءة كان ينزل بها الوليد بن يزيد. (انظر معجم البلدان: ١/ ٣٥٦)

أكؤس خَتَّرْنَ[١] ما بين الذُّؤابة والنعل. ثم قال يا مالك، غنني: [مجزوء الوافر]

ألاَ هَـــلْ هـــاجَـــكَ الأظـــعـــا نُ إذ جـــاوزْنَ مُـــطَّـــلَـــحـــا

ففَعل. ثم قال له: غنِّني: [البسيط]

جَـلاَ أُمـيَّـةُ عـنِّـي كـلَّ مـظْـلـمَـةٍ سَهْـل الـحجابِ وأوفى بـالـذي وَعَـدا

ففعل. ثم قال له: غنِّني: [الوافر]

أَتَـنْـسَـى إذ تُـودِّعـنـا سُـلَـيْـمـى بـفَـرْعِ بَـشَـامـةٍ سُـقِـيَ الـبَـشَـامُ[٢]

ففعل. ثم قال: يا سَبْرة، أو يا أبا سَبْرة، اسقِني بزبّ فِرْعون؛ فأتاه بقدح مُعْوَجٍّ فسقاه به عشرين، ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب؛ قال: أدخلْه، فدخل شابٌ لم أر شاباً أحسنَ وجهاً منه، في رِجْله بعضُ الفَدع[٣]؛ فقال: يا سَبْرة اسقِه، فسقاه كأساً، ثم قال له: غنِّني: [الرمل]

وهْــي إذ ذاكَ عــلــيــهــا مِــئْــزَرٌ ولــهــا بــيــتُ جَــوَارٍ مــن لُــعَــبْ

فغنّاه؛ فنَبذ إليه الثوبين. ثم قال له: غنِّني: [مجزوء الكامل]

طـــاف الـــخَـــيـــالُ فَـــمـــرْحـــبَـــا ألـــفـــاً بـــرؤيـــة زيـــنَـــبـــا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبِلون عليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تركتَنا بَمزْجَر الكلب، وأقبلت على هذا الصبيّ! فقال: والله يا أبا عَبَّاد، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك، ولكنّ هذا الغلام طرَحني في مثل الطَّناجِير[٤] من حرارة غنائه. قال حَمَّاد الراوية: فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابنُ عائشةَ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[البسيط]

جَـلاَ أُمـيَّـةُ عـنِّـي كـل مـظْـلِـمَـةٍ سَهْـلُ الـحجابِ وأَوْفَى بـالـذي وَعَـدَا

(١) خَتَّرْنَ: فَتَرْنَ.

(٢) البشامة: واحدة البشام، وهو شجر طيب الرائحة يستاك به.

(٣) الفدع: عوج وميل في المفاصل.

(٤) الطنجير: وعاء يعمل فيه الخبيص والجمع طناجير: والطنجرة: قدر من نحاس. وكلاهما معرب.

إذا حَـلَـلْـتُ بـأرضٍ لا أراكَ بـهـا ضـاقـتْ عـليّ ولـم أعـرفْ بـهـا أحـدا

الغناء لابن عَبَّاد الكاتِب خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرَى البِنْصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانةَ أنه لعمرَ الواديّ. وذكر حَبَشٌ أن فيه لمالك لحناً من خفيفِ الثقيلِ الأوّل بالوُسْطَى. ومنها:

صوت

[الوافر]

أتَـنْـسَـى إذ تُـوَدِّعُـنـا سُـلَـيـمَـى بـفَـرْعِ بَـشـامـةٍ سُـقـيَ الـبَـشَـامُ
مـتـى كـان الـخِـيَـامُ بـذي طُـلُـوحٍ سُقِـيـتِ الـغـيـثَ أيـتُـهـا الـخِـيَـامُ[1]
أتَـمْـضُـون الـخـيـامَ ولـم نُـسـلِّـمْ كـلامُـكُـم عـلـيّ إذاً حـرامُ
بـنـفـسـي مَـنْ تـجـنُّـبُـه عَـزِيـزٌ عَـلَـيَّ ومَـنْ زيـارتُـه لِـمَـامُ
ومَـن أُمْـسِـي وأُصْـبِـح لا أَراهُ ويَـطْـرُقُـنـي إذا رقَـدَ الـنِّـيَـامُ

الشعر لجرير. والغناء لابن سُرَيج، وله في هذه الأبيات ثلاثةُ ألحان: أحدها في الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق. والآخر في الثاني ثم الأوّل ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو، والآخرُ في الثالث وما بعدَه رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشَ. وللدَّلاَلِ في الثاني والثالث ثاني ثقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرَى الوُسْطى عن إسحاق والمَكِّيّ. وللغَرِيض في الأوّل والثاني والثالث خفيفُ رمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو. وفيها لمالك ثقيل أوّل بالبنصر عن الهِشَامِيّ. ولابن جامِعٍ في الأوّل والثاني والرابع والخامس هَزَجٌ عن الهِشَامِيّ. وفيها لابن جُنْدَبٍ خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر.

ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر:

وهـي إذ ذاك عـلـيـهـا مِـئْـزَرٌ

وأوّله:

صوت

[الرمل]

عَـهِـدَتْـنِـي نـاشـئـاً ذا غِـرَّة رَجِـلَ الـجُـمَّـةِ ذا بَـطْـنٍ أَقَـبّ[2]

---

(١) ذو طلوح: موضع بين اليمامة ومكة. (وانظر معجم البلدان: ٤/٣٩).

(٢) رجل الجمة: أي جمته بين السبوطة والجعودة. والجمة: شعر الرأس الساقط على المنكبين. والأقبّ: الضامر.

أَتْبَعُ الوِلْدانَ أُرْخِي مِئْزَرِي ... ابنَ عَشْرٍ ذَا قُرَيْطٍ من ذهبْ
وهو إذ ذاك عليها مئزرٌ ... ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

الشعر لامرىء القيس، ويقال: إنه أوّلُ شعرٍ شَبَّب فيه بالنساء. والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبِنْصر عن الهِشامي ودَنَانِيرَ وحَمَّاد بن إسحاق. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر ذكر حَمَّاد في أخبار جَمِيلة أنه لها، وذكر حَبَش والهشاميّ أنه لابن سُرَيج، وقيل: إنه لغيرهما. ومنها:

صوت

[مجزوء الوافر]

ألاَ هَلْ هاجَكَ الأظعا ... نُ إذ جاوزْن مُطَّلَحَا
نَعَمْ وَلِوَشْكِ بَيْنِهِمُ ... جَرى لكَ طائرٌ سُنُحَا
أَخَذْنَ الماءَ مِنْ رَكَكٍ ... وضوءُ الفَجْرِ قد وَضَحا[1]
يَقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ ... نُبَاكِرُ ماءَه صُبُحَا
تَبِعْتُهُمُ بِطَرْفِ العَيْـ ... نِ حتّى قِيلَ لي افتضحا
يُوَدِّعُ بَعْضُنا بَعْضاً ... وكُلٌّ بالهوى جُرِحا
فمن يفرَحْ ببينِهِمُ ... فغيري إذ غَدَوْا فَرِحَا

الشعر تَرْويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزُّبَير بن بَكَّار فإنه رواه عن عمه وأهلِه لجعفر بن الزُّبَير بن العَوّام، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب. ورواه الزُّبَير إذ جاوزْنَ مَنْ طَلَحا وقال: ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له: مُطَّلح. والغناء لمالك وله فيه لَحْنانِ: ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالخِنْصر في مجرى الوُسْطى عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج في الخامس ـ وهو تَبِعْتُهُمُ بطرف العين إلى آخر الأبيات ـ ثقيلٌ أوّلُ مُطْلَق في مجرى البِنْصر عن إسحاق. وفيها للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشَاميّ، قال: وهو الذي فيه استهلالٌ. وذكر ابن المكيّ أن الثقيلَ الثانيَ لمالكٍ، وخفيفَ الثقيلِ للغرِيض. ومنها:

(١) رك: محلة من محال سلمى، وسلمى أحد جبلي طيء والجبل الآخر هو أجأ. أما ركك فهو رك، فاضطر الشاعر ففك الإدغام. (انظر معجم البلدان ٣/ ٦٤).

صوت

[مجزوء الكامل]

طَرَقَ الخيالُ فَمَرْحَبا ... أَلْفاً بِرؤيةِ زَيْنَبا
أَنَّى اهتديتَ لِفِتْيَةٍ ... سَلَكُوا السَّلِيلَ فَعُلَيْبَا[1]

[عندما يغني ابن عائشة ينسى الناسكُ زهدَهُ]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جَرِيرٌ قال: أخذ بعضُ وُلاة المدينة المغنِّين والمخنثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله ﷺ، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جَعْفر مولىً لابن عيّاش بن أبي رَبِيعة المَخْزُوميّ يقْرِىء الناسَ القرآن، وكان ابن عائشة يلازمه، فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبي جعفر فقرأ له فَطرَّب ورَجَّع، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمَع مثلَه قَطُّ، فقال له: يابنَ أخي، أفسدتَ نفسَك وضيَّعتَها، فلو أنك لزِمت المسجدَ وتعلّمت القرآن لأقْمتَ للناس[2] في مسجد رسول الله ﷺ في شهر رمضان، ولأصبتَ بذلك من الولاة خيراً، فوالله ما دخل أُذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك؛ فقال ابن عائشة: فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صُنِع له! قال: وما هو؟ قال: انطلقْ معي حتى أُسمِعَكه، فخرج معه إلى مِيضأةٍ[3] ببَقِيع الغَرْقَد[4] عند دار المُغيرة بن شُعْبة، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلَّ يوم، فاندفع ابنُ عائشة يغنِّي: [مجزوء الكامل]

أَلآنَ أَبْصَرْتُ الهُدَى ... وعلا المَشِيبُ مَفَارِقِي

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ، وقال: يا بنَ أخي، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهي أن أَسمعه، ولكن لا أطلُبه ولا أمشي إليه؛ قال ابن عائشة: فعليّ أن أُسْمِعَكه، فكان يَرْصُده، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة في أَثَرِه حتى يقفَ خَلْفَ جِدَار المِيضَأة بحيث يسمَع غناءَه، فيغنِّيهِ أصواتاً حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه. فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد.

---

(١) السليل وعُلَيب: واديان. (معجم البلدان ٣/ ٤٢٣، ٤/ ١٤٨).
(٢) في بعض النسخ: لأقمت الناس، والإقامة: إقامة الصلاة.
(٣) الميضأة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها.
(٤) بقيع الغرقد؛ مقبرة أهل المدينة. (معجم البلدان ١/ ٤٧٣).

نسبة هذا الصوت

صوت

[مجزوء الكامل]

طَرَقَ الخَيالُ المُغْتَري ... وَهْناً فُؤادَ العاشِقِ
طَيْفٌ ألمّ فهاجَني ... للبَيْنِ أمّ مُسَاجِقِ
ألآنَ أبصرتُ الهُدَى ... وعلا المَشِيبُ مفارِقِي
وتركتُ أمْرَ غَوَايَتِي ... وَسَلَكْتُ قَصْدَ طرائقي
ولقد رضيتُ بعيشنا ... إذ نحن بين حدائِق
وركائبٌ تَهْوِي بنا ... بين الدُّروبِ فدَابِقِ(١)

الشعر للوَليد بن يَزِيد، ويقال: إنه لابن رُهَيْمة. والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالبِنْصر عن عَمْرو، وذكره يونس أيضاً له في كتابه. وفيه لأبي زكّارٍ الأعمى خفيفُ رملٍ بالوُسْطى عن عمرو والهشَاميّ. وذكر ابن خُرْداذْبَه أنه لأبي زَكّار الأعمى وهو قديم، وأنه وجَد ذلك في كتاب يونس. وفيه لحَكَم الوادي في كتاب يونس غيرُ مجنَّس، ولا أدري أيُّها هو. وفي هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ متنازَعٌ فيه نُسِب إلى مَعْبد وإلى مالِك، ولم أجده لهما عن ثقة، وأظنّه لَحْنَ حَكَم.

[الحسن بن الحسن مع ابن عائشة في البغيبغة]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزْهر البُوشَنْجي والحُسَين بن يحيى الأعور المِرْدَاسِيّ قالا: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم عن أبيه قال: كان الحَسَن بن الحسن مُكرِماً لابن عائشة مُحبّاً له، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه، وكان من أَتْيَهِ خَلْق الله وأشَدِّه ذَهَاباً بنفسه، فسأله الحسن أن يخرُج معه إلى البغيبغة(٢) فامتنع ابنُ عائشةِ من ذلك؛ فأقسم عليه فأبى؛ فدعا بغِلْمانٍ له حُبْشان(٣) وقال: نُفِيتُ من أبي لئن لم تَسِرْ معي طائعاً لتسيرَنَّ كارهاً، ونُفِيتُ من أبي لئن لم يُنفذوا أمري فيك لأقطَعنّ أيديهم. فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لابد من الذهاب، فقال له: بأبي أنت

(١) دابق: قرية قرب حلب. (معجم البلدان: ٢/٤١٦).
(٢) البغيبغة: ضيعة بالمدينة (معجم البلدان: ١/٤٦٩).
(٣) حبشان: من الحبشة.

وأمي؛ أنا أمضِي معك طائعاً لا كارهاً. فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج إليه وركِب. وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البُغَيْبِغة فنزلا الشِّعْبَ، وجاءهم ما أعَدّوا فأكلوا؛ ثم أمرَ الحسنُ بأمرِه وقال يا محمد؛ فقال له: لبَّيْك يا سيدي؛ قال: غنِّني؛ فاندفع فغنّاه:

صوت

[الكامل]

يـدعـو الـنَّـبِـيَّ بِـعَـمِّـه فـيُـجِـيـبُـه ... يـا خـيـرَ مـن يـدعـو الـنَّـبِـيَّ جَـلالاَ
ذهـب الـرجـالُ فـلا أُحـسّ رجـالا ... وأرى الإقـامـةَ بـالـعـراق ضـلالاَ
وأرى الـمـرجِّـيَ لـلـعـراق وأهـلـه ... ظَـمْـآنَ هـاجِـرةٍ يـؤمِّـل آلا(١)
وطَـرِبْـتُ إذ ذكـر الـمـديـنـةَ ذاكـرٌ ... يـوم الـخـمـيـس فـهـاجَ لـي بَـلْـبـالا(٢)
فَـظَـلِـلْـتُ أنـظرُ فـي الـسَّـمـاء كـأنـنـي ... أبْـغِـي بـنـاحـيـةِ الـسَّـمـاءِ هـلالاَ

ـ الشعر لابن المَوْلَى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بها واشتاق إلى بلده. وقد ذُكِر خبره في موضعه من هذا الكتاب. والغِناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن حماد والهِشاميّ وحَبَش. وقال الهِشاميّ خاصةً: فيه لحْن لقَرارِيط ـ فقال له الحسن: أحسنتَ والله يا بن عائشة! فقال ابن عائشة: والله لا غنّيتُك في يومي هذا شيئاً؛ فقال الحسن: فوالله لا برِحتَ البُغَيْبِغَة ثلاثة أيام! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندِم وعلم أنّه لا حيلة له إلا المُقام، فأقاموا. فلمّا كان اليوم الثاني قال له الحسن: هات ما عندكَ فقد بَرَّتْ يمينُك، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع، فنظروا إلى ناقة تَقْدُم جماعةَ إبل، فاندفع ابن عائشة فغنّى:

[المتقارب]

تَـمُـرُّ كَـجَـنْـدلَـةِ الـمَـنْـجـنـيـ ... ـقِ يُـرْمـى بـهـا الـسُّـورُ يَـوْمَ الـقـتـالِ
فـمـاذا تُـخَـطِّـرِف مـن قُـلَّـةٍ ... وَمِـن حَـدَبٍ وإكـام تـوالـي
ومـن سـيـرهـا الـعَـنَـقُ الـمُـسْـبِـطـ ... ـرُ والـعَـجْـرِفـيّـة بـعـد الـكَـلالِ

فقال له الحسن: وَيْلَك يا محمد! لقد أحسنت الصنعة؛ فسكت ابن عائشة؛ ثم قال له: غنني، فغنّاه:

[المتقارب]

---

(١) الآل: السراب.
(٢) البلبال: شدة الهمّ.

إذا ما انْتَشَيْتُ طَرَحْتُ اللِّجا مَ في شِدْقِ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ[1]
يَبُذُّ الجِيادَ بتَقْرِيبِهِ وَيأوِي إلى حُضُرٍ مُلْهِبِ[2]
كُمَيْتٌ كَأَنَّ على مَتْنِهِ سبائكَ من قِطَعِ المُذْهَبِ[3]
كأنّ القَرَنْفُلَ والزنجبيل يُعَلّ على رِيقِها الأطيبِ

فقال له الحسن: أحسنت يا محمد، فقال له ابن عائشة: لكنّك، بأبي أنت وأمّي، قد ألجمتني بحجر فما أُطيق الكلام. فأقاموا باقيَ يومهم يتحدّثون؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن: هذا آخر أيامك يا محمد؛ فقال ابن عائشة: عليه وعليه إن غنّاك إلاّ صوتاً واحداً حتّى تنصرف، وعليه وعليه إن حلَفت ألاّ أبرّ قسمَك ولو في ذَهاب رُوحه! فقال له الحسن: فلك الأمان على مَحبّتك؛ فاندفع فغنّاه:

صوت

[الخفيف]

أنعَمَ الله لي بذا الوَجْهِ عيناً وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تذكرنّ حديثي يابن عمّي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا
لا أخون الصديقَ في السرّ حتّى يُنقلَ البحرُ بالغرابيل نقلا

قال: ثم انصرف القوم، فما رأى الحسن بنُ الحسنِ ابن عائشة بعدها.

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات منها:

صوت

[المتقارب]

تمرّ كَجَندلة المَنْجَنِيـ ـقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فماذا تُخَطِّرف من قُلّة ومن حَدَبٍ وإكامٍ تُوالي
ومن سيرها العَنَقُ المُسبطِـ ـرُّ والعَجْرِفيّةُ بعد الكلالِ
ألا يا لَقومٍ لِطَيْفِ الخيا لِ أرّق من نازحٍ ذي دَلالِ
يُثنّي التحيّة بعد السلا م ثمّ يُفدّي بعمٍّ وخالِ
خيالٌ لسَلْمى فقد عاد لي بنُكسٍ من الحبّ بعد اندمال

(١) الفرس المنجرد: القصير الشعر. والسلهب: الطويل.
(٢) يبذ الجياد: يسبق الخيل. والتقريب والحضر: ضربان من العدو.
(٣) الكميت: ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنَّه قال: يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحْشِيّاً، ولكنّ المُغنِّين جميعاً يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث، وقد وَصَف في هذه القصيدة الناقةَ ولم يذكر من صفتها إلاّ قولَه:

ومـن سـيـرهـا الـعَـنَـقُ الـمُـسْـبـطـرّ

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوهما وغنّوا فيهما. وقوله:

فـمـاذا تَـخَـطْـرَف مـن قُـلّـة

يعني أنّه يمرّ بالمَوْضع المُرْتفع فَيطفِره. وروَى الأصمعيّ: [المتقارب]

فـمـاذا تَـخَـطْـرَفَ مـن حـالـقٍ ومـن قُـلّـة وحـجـابٍ وجـال

فالحالق: ما أشرف. والحجاب: ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض. والجال: حَرْف الشيء، يقال له: جالٌ وجُولٌ. والعَنَق المُسْبطِرّ: المُسترسِل السهل. والعَجْرِفيّة: التعسف والإسراع. يقول: إذا كَلّتْ وتعِبتْ تعجْرفتْ في السير من بقيّة نفسها وشِدّتها. وروى الأصمعي فيها: [المتقارب]

خَـيـالٌ لِـجَـغْـدةَ قـد هـاجَ لِـي نُـكـاسـاً مـن الـحـبّ بـعـد انـدمـالِ

يقال: نُكْس ونُكَاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة. والاندمال: الإفاقة من العِلَّة، واندمال الجُرْح: بُرْؤه. فأمّا الأبيات التي يصِف فيها الناقَة فقولُه: [المتقارب]

فـسَـلِّ الـهـمـومَ بـعـيْـرانـةٍ مُـواشِـكـةِ الـرَّجْـع بـعـد انـتـقـالِ(١)
ذَمُـولٍ تَـزِفُ زَفِـيـفَ الـظَّـلـيـ ـم شَـمَّـرَ بـالـنَّـعْـفِ وَسْـط الـرِّئـالِ(٢)
وتَـرْمَـدُ هَـمْـلَـجَـةً زَعْـزَعـاً كـمـا انْـخَـرَطَ الـحَـبْـلُ فَـوْقَ الـمَـحـالِ(٣)
ومـن سـيـرهـا الـعَـنَـقُ الـمُـسْـبَـطِـرُّ والـعَـجْـرفـيّـةُ بـعـد الـكَـلالِ

(١) العيرانة: الناقة النشيطة.

(٢) الذمول: الناقة التي تسير سيراً ليناً، وقيل: الذميل سير فوق العنق. والزفيف: الإسراع ومقاربة الخطو. والظليم: ذكر النعام. وشمّر: مرّ مسرعاً. والرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام.

(٣) ترمدّ: تسرع في عدوها. والهملجة والهملاج: حسن سير الدابة في سرعة. والسير الزعزع: الشديد. والمحال والمحالة: البكرة العظيمة التي يستقى عليها.

كأنّي ورَحْلِي إذا رُعْتُها ... على جَمَزَى جازِئٍ بالرمالِ[١]

وأمّا صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأُتُن: [المتقارب]

فظَلَّ يُسَوِّفُ أبوالَها ... ويُوفي زيازِيَ حُدْبَ التِّلالِ[٢]
فطافَ بِتَعْشِيرِهِ وانْتَحَى ... جَوائلَها وهو كالمُسْتَجالِ[٣]
تَهَادَى حَوافِرُها جَنْدَلاً ... زَواهِقَ ضَرْبَ قُلاتٍ بِقالِ[٤]
رمَى بالجَرَامِيزِ عُرْضَ الوَجِيـ ... ـنِ وازمَدَّ في الجَرْيِ بعدَ انفتالِ[٥]
بشأوٍ له كَضَرِيمِ الحَرِيـ ... ـقِ أو شِقَّةِ البَرْقِ في عُرْضِ خالِ[٦]
يَمُرُّ كَجَنْدلَةِ المَنْجَنيـ ... ـقِ يُرْمَى بها السُّورُ يَوْمَ القتالِ
فماذا تَخَطْرفُ من حالقٍ ... ومِنْ حَدَبٍ وحجابٍ وَجالِ

الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذليّ. والغناء لابن عائشة. ولحن ابن عائشة مشكوك فيه: أيّ الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو، فيقال: إنّه خفيفُ الرَّمل، ويقال: إنّه هو الثقيل الأوّل، ويقال: إنه الرَّمل. فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنْصر في مَجْرى الوُسْطَى، وذكره إسحاق في موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه، ونسبه في موضع آخرَ إلى ابن أبي يَزَن المكيّ. ونسبه عمرو بن بانَةَ إلى مَعْبَد وقال: فيه خفيفُ رمَل آخر لمالك. وذكره يونس في أغاني ابن أبي يَزَن المكيّ ونسبه ولم يُجنّسه. وذكر ابن خُرْداذْبَه والهِشاميُّ أنّ فيه لهشام بن المُريَّة لحْناً من الثقيل الأوّل، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخطّ عليّ بن يحيى المنجم كما ذكرا. وذكر إسحاق أنّ الرمَل مطلق في مجْرى الوُسْطَى وأنّه لابن عائشة. وذكر أحمد بن المكيّ أنّه لأبيه، وذكر غيره أنّه غَلَطٌ وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرمَل لابن

---

(١) رعتها: ذعرتها، وأخفتها. والجَمَزَى: الحمار الوثاب السريع. والجازىء بالرمال: المكتفي بالرطب عن الماء.

(٢) يُسَوِّف: أراد يشمّ، ولم يرد في معاجم اللغة وإنما ورد: ساف واستاف وساوف بمعنى شمّ. ويوفي: يشرف. والزيازي: جمع زيزاءة، وهي الأرض الصلبة. وحُدْب التلال: التلال الصعبة.

(٣) التعشير: النهيق. وانتحى: قصد واعتمد. وجوائلها: ما جال منها. والمستجال: كأنما أصاب فرعاً فاستجال.

(٤) تهادى: تتهادى. والجندل: الصخر. والزواهق: المتقدمات، السابقات. والقُلاّت: جمع قلة وهي خشبة صغيرة تنصب وتضرب بعود كبير يقال له القال والقلى، وذلك في لعبة كانوا يلعبونها.

(٥) الجراميز: القوائم. والوجين: الغليظ من الأرض.

(٦) الشأو: الشوط. وشقة البرق: لمح منه. والخال: السحاب المتهيّء للمطر.

عائشة. وقال حَبَش: فيه لابن سُرَيج هَزَج خفيفٌ بالوُسْطى.

ومنها ـ وقد مضى تفسيره في الخبر واقتُصِر على البيت الأوّل منه ـ:

صوت

إذا ما انتشيتُ طَرحتُ اللْجا ... مَ في شِدْق مُنْجَردٍ سَلْهَبِ

الشعر للنّابغة الجَعْدي، والغِناء لابن عائشة: خفيف ثقيل بالوسطى عن الهِشاميّ وحَمّاد.

ومنها الصوت الذي أوّله:

أنعَم الله لي بذا الوجهِ عيناً

وقد جُمع مع سائر ما يُغنّى فيه من القصيدة، وهو: [الخفيف]

أثْلَ جُودِي على المتيَّم أثْلاَ ... لا تَزيدي فؤادَه أثْلَ خَبْلاَ

أثْلَ إنّي والراقصات بجَمْع ... يتبارَيْن في الأزِمّة فُتْلا[1]

سابحاتٍ يَقْطَعْن من عرفاتٍ ... بين أيدي المَطِيِّ حَزْناً وسهلا

والأكُفِّ المُطهَّراتِ على الرُّكْـ ... ـنِ لِشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلاَ

لا أخونُ الصَّدِيقَ في السِّرِّ حتّى ... يُنْقَلَ البحر بالغرابيل نَقْلا

أو تَمُورَ الجبالُ مَوْرَ سَحابٍ ... مُرْتَقٍ قد وَعَى من الماء ثِقْلا

أنعَمَ الله لي بذا الوجهِ عَيناً ... وبهِ مَرْحَباً وأهْلاً وسَهْلاً

حينَ قالت لا تُفشِيَنَّ حَديثي ... يابْنَ عَمّي أقْسَمْتُ قلتُ أجَلْ لا

فاتقي الله واقبلي العُذْرَ منّي ... وتَجافَيْ عن بعض ما كان زَلا

إن أكن سُؤْتُكُمْ به فلكِ العُتْـ ... ـبَى لَدَينا وحَقَّ ذاك وقَلاّ

لم أُرحِّب بأن سَخِطْتِ ولكن ... مَرْحَباً أن رضيتِ عنّا وأهلا

إنَّ شَخْصاً رأيتُهُ ليلةَ البد ... رِ عليه ابتنَى الجمالُ وَحَلاّ

جعلَ الله كلَّ أنثى فِداءً ... لكِ بَلْ خَدَّها لرجلَيْكِ نعلا

وَجْهُكِ الوَجْهُ لو سألتِ به المُزْ ... نَ مِنَ الحُسْنِ والجمال استهلاّ

(١) الراقصات: المسرعات في سيرها. وجمع: المزدلفة. سميت جمعاً لاجتماع الناس بها في الحج. والفُتْل: جمع فتلاء، وهي صفة للناقة التي في ذراعيها فَتْل.

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ، والغناء لمَعْبد في الأربعة الأبيات الأُوَل: خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمر بن بَانةَ. ولابن هَوْبَر في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق. ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيل أوّل، وآخَرُ بالبِنْصر أوّله استهلال، وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيفُ ثقيلٍ بالوسْطى. ولدَحْمان في التاسع والثالثَ عشرَ والرابعَ عشر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر. ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشرَ لحن من كتاب يونُس ولم يَقع إليَّ من يُجنّسه. ولابن سريج فيها بعينها رَمَل بالوُسْطى عن الهشاميّ، وفيها أيضاً للغَرِيض خفيفُ رملٍ بالبنصر. ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يجنّسه.

[طرب الوليد بن يزيد لغنائه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرِيّ وإسماعيل بن يُونس الشِّيعيّ وحَبِيب ابن نصر المُهَلَّبيّ قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا محمد بن سلاّم، وأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه عن شيخ من تنوخ، ولم يقل عمر بن شبّة في خبره: محمد بن سلاّم عن أبيه، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ، قال: كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد، فرأيت ابن عائشة عنده وقد غنّاه:

صوت

[الكامل]

إنّـي رَأيْـتُ صَبِـيـحَـةَ الـنَّـفْـرِ حُـوراً نَـفَـيْـنَ عـزيـمـةَ الـصَّـبْـرِ[1]
مِـثْـلَ الـكَـواكِـبِ فـي مَـطـالِـعِـهـا بَـعْـدَ الـعِـشـاءِ أَطَـفْـنَ بـالـبـدرِ
وخـرجـتُ أبـغِـي الأجْـرَ مُـحْـتَـسِـباً فـرجَـعْـتُ مَـوْفـوراً مـن الـوِزْرِ

قال إسحاق في خبره: والشعر لرجل من قريش، والغناء لمالك. هكذا في خبر إسحاق. وما وجدتُه ذَكره لمالك في جامع أغانيه. ووجدته في غِناء ابن سريج خفيفَ رَمل بالوُسْطى عن الهِشاميّ ـ قال: فطرِب الوليد حتّى كفر وألحد، وقال: يا غلام، اسقِنا بالسماء الرابعة، وكان الغِناء يعمَل فيه عملاً ضلّ عنه مَنْ بعدَه؛ ثم

(١) يوم النفر: يوم ينفر الناس من منى إلى مكة، وهو اليوم الثالث من عيد الأضحى.

قال: أحسنتَ والله يا أميري! أعِد بحقّ عبد شمس، فأعاد؛ ثم قال: أحسنت والله يا أميري! أعد بحقّ أُميّة، فأعاد؛ ثم قال: أعد بحق فلان، أعد بحق فلان، حتّى بلغ من الملوك نفسَه، فقال: أعد بحياتي، فأعاده، قال: فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلاّ قبّله وأهوى إلى هَنِه؛ فجعل ابنُ عائشة يضمّ فخذيهِ عليه؛ فقال: والله العظيم لا تَرِيم حتّى أُقبّله، فأبداه له فقبّل رأسه، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه، وبقي مجرّداً إلى أن أتَوْه بمثلها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال: اركبها ـ بأبي أنت ـ وانصرِفْ، فقد تركتَني على مثل المِقْلَى من حرارة غِنائك؛ فركِبها على بساطه وانصرف.

[الوليد يكرّم محتاجاً متذوقاً للغناء]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني محمد بن الحسن النَّخَعيّ قال: حدّثني محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبَعِي قال: خرج ابن عائشةَ المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه: [الوافر]

أبَـغْـدَكَ مَـعْـقِـلاً أرجـو وحِـصْـنـاً قَـدَ أعْـيـتِـنِـي الـمَـعـاقِـلُ والـحُـصُـونُ

ـ وهي أربعة أبيات، هكذا في الخبر، ولم يَذْكُر غيرَ هذا البيت منها ـ قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم وبمثل كارةِ القَصّار(١) كُسوةً، فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القُرى كان يشتهي الغِناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال: مَن هذا الراكبُ؟ قال: ابن عائشة المغني؛ فدنا منه وقال: جُعِلتُ فداءك، أنت ابن عائشة أُمّ المؤمنين؟ قال: لا، أنا مَوْلىً لقريش وعائشةُ أمّي وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر؛ قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكُسوَة؟ قال: غنّيت أميرَ المؤمنين صوْتاً فأطربته فكفَر وترك الصلاةَ وأمر لي بهذا المال وهذه الكُسوة؛ قال: جُعِلت فداءك، فهل تمُنّ عليّ بأن تُسمعنِي ما أسمعتَه إيّاه؟ فقال له: ويلك! أمثلي يُكلَّم بمثل هذا في الطريق! قال فما أصنع؟ قال: الحَقْني بالباب. وحرَّك ابنُ عائشة بغلةً شَقْراء كانت تحته لينقطع عنه؟ فعدا معه حتّى وافَيا البابَ كفَرَسَيْ رِهانٍ، ودخل ابن عائشة فمكَث طويلاً طمعاً في أن يَضْجَر فينصرفَ، فلم يفعل؛ فلمّا أعياه قال لغلامه: أدخلْه، فلما دخل قال له: ويلك! من

(١) كارة القصار: الثياب التي يكوّرها القصار ويحملها في ثوب واحد.

أين صَبّك الله عليّ! قال: أنا رجل من أهل وادي القُرَى أشتهي هذا الغناء؛ فقال له: هل لك فيما هو أنفعُ لك منه؟ قال: وما ذاك؟ قال: مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك؛ فقال له: جُعِلتُ فداءكَ، والله إنّ لي لبُنَيّةً ما في أذنها ـ علم الله ـ حَلْقة من الوَرِق فضلاً عن الذهب، وإنّ لي لزوجةً ما عليها ـ يشهد الله ـ قميصٌ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلّة[1] والفقر اللذَيْن عرّفتُكَهما وأضعفتَ لي ذلك، لكان الصوتُ أعجبَ إليّ وكان ابن عائشة تائهاً لا يغنّي إلاّ لخليفةٍ أو لذي جليل من إخوانه ـ فتعجّب ابن عائشة منه ورحِمه، ودعا بالدَّواة وكان يغنّي مُرتجِلاً، فغنّاه الصوتَ، فطرِب له طرباً شديداً، وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أن عُنُقه سينقصف، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئاً، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد فسأل ابنَ عائشة عنه، فجعل يَغِيب عن الحديث. ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتّى أُحضِر، ووصلَه صِلة سنيّة، وجعله في ندمائه ووكّله بالسَّقْي، فلم يزل معه حتّى مات.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال: حدّثنا محمد بن سلاّم قال: حدّثني عمر بن أبي خَلِيفة قال: كان الشَّعْبيّ مع أبي في أعلى الدار، فسمعنا تحتَنا غِناء حسناً، فقال له أبي: هل ترى شيئاً؟ قال: لا، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يتغنّى: [مجزوء الكامل]

قالتْ عُبَيْدُ تَجَرُّماً ... في القول فِعْلَ المازِح[2]

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه، فإذا هو ابن عائشة، فجعل الشَّعْبيّ يتعجّب من غِنائه ويقول: يُؤتِي الحِكْمَة من يشاء.

نسبة هذا الصوت

صوت

[مجزوء الكامل]

قالتْ عُبَيْد تَجَرُّماً ... في القول فعلَ المازح
أنجِزْ بعَمْرك وَعْدَنا ... فأظُنُّ حُبَّكَ فاضِحِي
فأجبتُها لو تعلمِيـ ... ـنَ بما تُجِنّ جوانحي

(١) الخلّة: الفقر، الحاجة، الخصاصة.

(٢) تَجَرُّماً: تجنّياً.

فيما أرى لرحمتي … من حمل حبٍّ فادحِ
ما في البرية لي هوًى … فاسمع مقالة ناصحِ
أشكو إليه جفاءكم … إلاّ سلام مصافحي

زعم حبَش أنّ الغِناء لابن عائشة خفيفُ ثقيل بالبِنْصَر.

[حجّه وغناؤه لفتيان من بني هاشم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: حدّثني بعض أهل المدينة قال: حدّثني من رأى ابن عائشة حاجّاً وقد دعاه فِتْيَةٌ من بني هاشم فأجابهم، قال: وكنت فيهم، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ المَجْلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضَر الطعام، فلما طعموا دعا بشراب فشربوا، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغنّيَ أبى ذلك وغضِب، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنّي فيه ابتدأ هو فغنّاه، فكانَ من فَطِن له يفعلُ ذلك به، فقال رجل منهم: حدّثني اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَميلاً بحديث عجيب؛ فقال القوم: وما هو؟ فقال: حدّثني أن جَمِيلاً بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يَرَى، فثار نافراً، مُقشعرّ الشعر، مُتغيّر اللَّوْن، إلى ناقة له مجتمعةٍ[1] قريبة من الأرض، مُوثَّقَة الخَلْق؛ فشدّ عليها رَحْلَه ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته، ثم ثنّى فشربتْ حتّى رَوِيتْ، ثم قال: اشدُد أداة رَحْلك واشرب واسقِ جملَك، فإني ذاهب بك إلى بعض مَذَاهبي، ففعلتُ فجال في ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتي، فسِرْنا بياضَ يَوْمنا وسَوَادَ ليلتنا، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا لا والله ما نَزَلنا إلا للصلاة، فلما كان اليوم الثالث دَفَعْنا إلى نسوة فمال إليهنّ فَوَجدنا الرجالَ خُلُوفاً[2]، وإذا قِدْرُ لِبأ[3] وقد جُهدتُ جوعاً وعَطَشاً، فلما رأيتُ القِدْر اقتحمتُ عن بعيري وتركتهم جانباً، ثم أدخلت رأسي في القِدر ما يَثْنِيني حَرُّها حتى رَوِيتُ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القدر فضاقتْ عليّ وإذا هي على رأسي قَلنسوةٌ، فضحكْنَ منّي وغَسَلْنَ ما أصابني، وأُتِي جميلٌ بقِرىً[4] فوالله ما التفتُّ إليه، فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَوَاعي الإبل، وقد

(١) ناقة مجتمعة: وثيقة الخلق، قوية.
(٢) خلوفاً: غائبين عن الحيّ.
(٣) اللِّبَأ: أول اللبن من النتاج.
(٤) القِرَى: ما يقدم للضيف.

كان السلطانُ أحلَّ لهم دَمَهُ إن وجدوه في بلادهم، وجاء الناس فقُلْنَ: ويْحَك! انجُ وتقدّمْ، فوالله ما أكبرَهم ذلك الإكبار، فإذا بهم يَرْمونه ويَطْردونه، فإذا غَشَوْهُ قاتلهم ورَمى فيهم، وقام بي جَمَلي، فقال لي: يَسِّر لنفسك مَرْكباً خَلْفي، فأردفَني خَلْفَه، لا والله ما انكسر ولا انحلّ عن فرصته حتى رجع إلى أهله، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما التفتَ إلى طعام وقال في ذلك: [الكامل]

إنّ الـمَـنـازِل هَـيَّـجَـتْ أطـرابـي ... واسْـتَـعْـجَـمَـتْ آيـاتُـهـا بـجـوابـي

وهي قصيدة طويلة. وقال أيضاً: [الطويل]

وَأحْـسَـنُ أيّـامِـي وَأبْـهَـجُ عِـيشَـتِـي ... إذا هِـيـجَ بِـي يَـومـاً وهُـنّ قُـعُـودُ

قال فقال ابن عائشة: أفلا أُغَنّي لكم ذلك؟ فقلنا: بلى والله، فاندفع فغنّاه، فما سَمِعَ السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك، وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحُسْنه والغناء وطِيبه؛ فقال له أصحابنا: يا أبا جعفر، إنّا مستأذنوك، فإن أذِنتَ لنا سألناك، وإن كَرِهتَ تركناك، فقال: سَلُوا فقالوا: نحبُّ أن تُغَنِّيَنَا في مجلسنا هذا ما نَشَطْتَ هذا الصوتَ فقط؛ فقال لهم: نعم ونعمة عَينٍ وكرامةً، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس.

نسبة هذا الغناء

صوت

[الكامل]

إنَّ الـمَـنـازِلَ هَـيَّـجَـتْ أطْـرَابِـي ... واسْـتَـعْـجَـمَـتْ آيـاتُـهـا بـجـوابِـي
قَـفْـرٌ تَـلـوحُ بـذي الـلُّـجيـن كـأنَّـهـا ... أنـضـاءُ وَشْـم أو سُـطُـور كـتـابِ(١)
لَـمّـا وقـفـتُ بـهـا الـقَـلُـوصَ تـبـادرتْ ... مـنّـي الـدمـوُعُ لـفُـرقـةِ الأحـبـابِ
وذكـرتُ عَـصْـراً يـا بُـثَـيْـنَـةُ شـاقَـنِـي ... إذ فـاتَـنِـي وذكـرتُ شَـرْخَ شـبـابِـي

الشعر لجميل. والغناء للهُذليّ ثاني ثقيل بإطلاق الوَتَر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق.

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه حدّثني عمرو بن أبي الكنّات الحَكَمِيّ قال: حدّثني يونس الكاتب

---

(١) أنضاء: جمع نضو، وهو المهزول من إبل أو غيرها.

قال: كنّا يوماً مُتَنَزِّهينَ بالعَقِيق أنا وجماعةٌ من قُرَيش، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني لَيْث وهو مُتَوكِّىء على يده، فلما رأى جماعَتَنا وسَمِعَني أُغنِّي جاءنا فسلَّم وجلس إلينا وتحدَّث معنا، وكانت الجماعة تَعْرِف سوءَ خُلُقِهِ وغَضَبَه إذا سئل أن يُغَنِّي، فأقبلَ بعضُهم على بعض يتحدثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء، يَسْتجِرُّون بذلك أنْ يَطْرَبَ فيُغَنِّي، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلتُ لهم أنا: لقد حدّثني اليومَ بعضُ الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدّثتكم إياه، قالوا: هاتِ؛ قلتُ: حدّثني هذا الرجلُ أنه مَرَّ بناحية الرَّبذَة[1] فإذا صِبْيَانٌ يتغاطَسُون في غَدِيرٍ، وإذا شابٌّ جَميلٌ منهوكُ الجسم عليه أثرُ العِلّة، والنحولُ في جسمه بَيِّنٌ، وهو جالسٌ ينظر إليهم، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال: من أيْنَ وَضَحَ[2] الراكب؟ قلتُ: مِنَ الحِمى[3]؛ قال: ومتى عَهْدُكَ به؟ قلتُ: رائحاً؛ قال: وأينَ كان مَبِيتُك؟ قلتُ: ببني فلان؛ فقال: أوّهْ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفّس الصُّعَدَاء تَنَفُّساً قلتُ إنه خَرَق حِجَابَ قلبه؛ ثم أنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

سَقَى بَلَداً أمْسَتْ سُلَيْمَى تَحُلُّهُ مِنَ المُزْنِ ما يَرْوَى به ويُسِيمُ[4]
وإن لم أكُن من قاطِنِيه فإنّه يَحُلّ به شخصٌ عليّ كَرِيمُ
ألا حَبّذا مَنْ لَيسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ لَدَيَّ وإن شَطَّ المزارُ نَعِيمُ
ومَنْ لامَنِي فيهِ حَمِيمٌ وصاحبٌ فَرُدَّ بِغَيْظٍ صاحِبٌ وحَمِيمُ

ثم سَكَنَ كالمَغْشيّ عليه، فَصِحْتُ بالصِّبْية، فأتَوْا بماءٍ فَصَبَبْتُهُ على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

[الوافر]

إذا الصَّبُّ الغَرِيبُ رَأى خُشُوعِي وَأنْفاسِي تَزَيَّنَ بالخُشُوعِ
وَلِي عَيْنٌ أضَرّ بها التفاتِي إلى الأجْزَاع مُطْلَقَةُ الدُّموعِ
إلى الخَلَوات يأنسُ فيكِ قلبي كما أنِسَ الغريبُ إلى الجميعِ

(١) الربذة: من قرى المدينة. (معجم البلدان: ٣/ ٢٤).
(٢) من أين وضح الراكب؟: من أين بدأ وطلع.
(٣) الحمى: حمى الربذة (معجم البلدان: ٢/٣٠٨).
(٤) يسيم الإبل: يرعاها.

فقلتُ له: ألاَ أنزلُ فأساعدَك، أو أكُرُّ عَوْدي على بَدْئي إلى الحِمَى في حاجةٍ إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة؟ فقال: جُزِيتَ خيراً وصَحِبَتْك السلامةُ! امضِ لِطِيَّتك[1]، فلو أني علمتُ أنك تُغْنِي عنّي شيئاً لكنتَ موضِعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولكنّك أدركتني في صُبَابةٍ من حَيَاتي يسيرةٍ، فانصرفتُ وأنا لا أراهُ يُمسِي لَيلتَهُ إلاّ مَيتاً؛ فقال القوم: ما أعجبَ هذا الحديث! واندفَعَ ابنُ عائشة فتغنّى في الشعرين جميعاً وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّة يومه، ولم يزل يُغَنِّينا إلى أن انصرفنا.

فأما نسبةُ هذين الصوتين فإنّ في الأوّل منهما لَحْناً من خَفِيف الرَّمَل الثقيل المطلَق في مَجْرى الوُسْطى، نَسَبه يحيى المكّيّ إلى مَعْبَد، وذكر الهِشَامِيّ أنه مَنْحول. وفي هذا الخبر أنّ ابنَ عائشةَ غَنّاه، وهو يُغَنّي في البيت الأوّل والثاني من الأبيات. وفيه للضَّيْزنيّ الملقب بنُبَيكة لحنٌ جيِّد من الثقيل الأوّل. وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم، وقد خَدَمَ المُعتَمد ثم شَخص إلى مصر فخدم خُمَارَوَيْه بنَ أحمد، ثم قَدِمَ بغدادَ في أيام المقتَدر، ورأيناه وشاهدناه، وكانت في يده صُبابة قويَّةٌ من إفضال ابن طُولُون واستغنَى بها حتى مات، وله صنعةٌ جَيِّدةٌ قد ذكرتُ ما وقع إليّ منها في المجرَّد[2]. وذكرتُ ممّا وقَع إليّ له في هذا الكتاب لَحْناً جَيِّداً في شعر سَعْد ذَلْفَاء، وهو: [الطويل]

ولَـمّـا وَقَـفْـنَـا دُونَ سَـرْحَـةِ مَـالِـكٍ

في موضعه من أخباره.

وأمّا الشعرُ الثاني الذي ذكرتُ في هذا الخبر الماضي أنَّ ابنَ عائشة غَنّاه فما رأيتُ له نِسْبةً في كتاب ولا سمعتُ فيه صنعةً من أحد، ولعله ممّا انطوَى عنّي أو لم يَشْتهِر فسقط عن الناس.

[تعدّدت الأسباب والموت واحدُ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن ابن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب

(١) امض لطيتك: امض لوجهتك.

(٢) المجرد: كتاب مجرد الأغاني لأبي الفرج.

ابن طَلْحة اللَّيْثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبلَ ابنُ عائشة من الشام حتى نَزَل قَصْرَ ذي خُشُبٍ[1] ومعه مالٌ وطِيبٌ وكُساً[2] فَشرِب فيه، ثم تَطَرَّقوا[3] إلى ظَهْر القَصْر فصعِدُوا، ثم نَظَرَ فإذا بِنِسْوَةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهنّ؟ قالوا: وكيف لنا بهنّ؟ فنَهض فلَبِسَ مُلاءة مَذْلوكة، ثم قام على شُرْفةٍ من شُرُفات القَصْر فتغنَّى: [الهزج]

وقـد قـالـت لأتـرابٍ لـهـا زُهْـرٍ تَـلاَقَـيْـنَـا
تَـعَـالَـيْـنَ فـقـد طَـابَ لـنـا الـعَـيْـشُ تَـعَـالَـيْـنَـا

فأَقْبلنَ إليه فطَرِبَ واستدارَ حتى سَقَطَ من السطح؛ وهذا الخبرُ يُذكَر على شرحه في خبر وفاته.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حَمَّاد: قرأتُ على أبي عن محمد بن سلاَّم عن جرير أبي الحُصَين قال: كان ابنُ عائشةَ إذا غَنَّى في صَوْت له من شعر الحطيئة وهو:

عَـفَـا مـن سُـلَـيْـمَـى مُـسْـحُـلاَنُ فـحـامِـرُهْ

نظر إلى أعطافه في كلّ رَنّة، فسئل يوماً - وقد دَبَّ فيه الشرابُ - عن ذلك، فقال: أنا عاشقٌ لهذا الصوت، وعاشقٌ لحديثه، وعاشقٌ لغريبه، وعاشقٌ لقول الحطيئة: إنّ الغناءَ رُقْيَةُ من رُقَى النَّيْك، ويُعجبني فهمُ الحطيئة بالغِناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء، وكيفَ لا أُعجَبُ به ومَحَلُّه منِّي هذا المحلّ! وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلاّ غَنّاه، فمن فَطِنَ له أكثَر سؤالَه إيّاه. وكان جرير يقول: إنه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده.

[وفاة ابن عائشة]

وتُوُفِّي ابنُ عائشة فيما قيل في أيّام هِشَام بن عبد الملك، وقيل في أيّام الوليد. وما أظنّ الصحيح إلاّ أنه تُوُفِّي في أيام الوليد، لأنه أقدمه إليه. وذكر من زَعَمَ أنّه تُوُفِّي في خلافة هشام، أنّه إنّما وفَد على الوليد وهو وليّ عهد.

---

(١) ذو خشب: وادٍ على مسيرة ليلة في طريق الشام. (معجم البلدان؛ ٢/ ٣٧٢).
(٢) كُساً: جمع كسوة.
(٣) تطرّقوا: ابتغوا طريقاً.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: ذكر عِمْرانُ بن هند أنّ الغَمْر بن يزيد خرج إلى الشأم، فلما نَزَلَ قَصْرَ ذي خُشُب شرب على سَطْحه، فغنى ابنُ عائشة صوتاً طَرِبَ له الغَمْر، فقال: ارْدُدْه، فأبى، وكان لا يَرُدُّ صوتاً لسوء خُلُقه، فأمَر به، فطُرِحَ من أعلَى السَّطح فمات، ويقال: بل قامَ من الليل وهو سَكْران ليَبول فسَقَط من السطح فمات.

قال إسحاق: فحدّثنا المدائنيّ قال: حدّثني بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَهُ وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذي خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليَها إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ، ولاّه هشامٌ وهو خاله، وكان في قصر هناك، فقيل له: أصلحَ الله الأمير، هذا ابنُ عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطْرِبَنا ويَنْصرِفَ من غَدٍ! فدعا به فسأله المُقَامَ عنده فأجابهُ إلى ذلك، فلمّا أخذوا في شُرْبهم أخرجَ المخزوميّ جواريَه، فنظر إلى ابن عائشةَ وهو يَغْمِز جاريةً منهنّ، فقال لخادمه: إذا خرج ابنُ عائشة يريد حاجته فارم به، وكانوا يشربون فوقَ سَطْح ليس له إفريزٌ ولا شُرُفات، وهو يُشْرِف على بُستانٍ، فلمّا قام ليبول رَمَى به الخادمُ من فوق السطح فمات، فقبرُهُ معروف هناك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طَلْحة الليثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيبٌ وكُساً، فشرب فيه، ثم تَطَوَّقُوا إلى ظهر القَصْر فصعدوا، ثم نظر فإذا بِنِسْوة يتمشّيْنَ في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهن؟ قالوا: وكيف لنا بهنّ؟ فنهَض فلبِس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرْفة من شُرَف القصر فتغنّى في شعر ابن أُذَينة: [الهزج]

وقــد قــالــت لأتْــرابٍ لــهــا زُهْــرٍ تــلاقَــيْــنَــا
تَــعَــالَــيْــنَ فــقــد طــاب لــنــا الــعَــيْــشُ تــعــالَــيْــنَــا

فأقبلن إليه، وطرِب فاستدار فسقط فمات. قال: وقال قوم: بل قَدِم المدينةَ فمات بها. قال: ولما مات قال أشْعَبُ: قد قلتُ لكم، ولكنّه لا يُغْنِي حَذَرٌ من قَدَر: زوِّجوا ابن عائشة رُبَيحة الشَّمَّاسِيّة تخرُج لكم بينهما مزاميرُ داود فلم تفعلوا، وجعل يَبْكي والناس يضحكون منه.

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

[الهزج]

سُلَيْمى أزْمَعَتْ بَيْنَا ... فأيْنَ تَقُولُها أيْنَا
وقد قالتْ لأترابٍ ... لها زُهْرٍ تلاقَيْنَا
تَعالَيْنَ فقد طابَ ... لنا العيشُ تعالَيْنَا
وغابَ البَرَمُ اللَّيْلَـ ... ـةَ وَالعَيْنُ فلا عَيْنَا[1]
فأقْبَلْنَ إليها مسـ ... ـرِعاتٍ يَتَهادَيْنَا
إلى مثلِ مَهَاةِ الرَّمْـ ... ـلِ تَكْسُو المَجْلِسَ الزَّيْنَا
إلى خَوْدٍ مُنَعَّمَةٍ ... خَفَقْنَ بها وفَدَّيْنَا
تَمَنَّيْنَ مُنَاهُنَّ ... فَكُنَّا ما تَمَنَّيْنَا

الشعر لعُرْوة بن أُذَينة، والغناء لابن عائشةَ لحنان أحدهما رَمَلٌ مطلقٌ في مَجْرى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ.

أخبرني الحسَين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: سمعتُ إبراهيمَ بن سَعْد يحلف للرشيد وقد سأله عمَّن بالمدينة يكره الغناءَ، فقال: من قَنَّعه الله بخِزْيِه مالكُ بن أنس، ثم حلف له إنه سمع مالكاً يُغَنِّي:

[الهزج]

سُلَيمى أزمعتْ بينَا ... فأين تقولها أينا

في عُرْسِ رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حَنْظَلَة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أبو غَسَّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال: مرَّ ابن عائشة بابن أُذَيْنَةَ فقال له: قل أبياتاً هَزَجاً أُغَنِّ فيها؛ فقال له: اجلسْ فجلس؛ فقال:

سليمى أزمعت بينا

الأبيات. قال أبو غَسَّان: فَحُدِّثتُ أنّ ابن عائشة رواها، ثم ضحك لما سمع قوله:

---

(١) البرم: الثقيل.

تَـمـنَّـيْـنَ مُـنَـاهــنّ فـكـنَّـا مـا تـمـنَّـيْـنـا

ثم قال له: يا أبا عامر، تمنَّيْنَك لمّا أقبلَ بَخَرُك، وأدبرَ ذَفَرُك[١]، وذبُل ذَكَرُك! فجعل يشتُمه. هذا لفظ إسماعيل بن يونس.

أخبرني الجَوْهريّ وإسماعيل بن يونس قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أبو غسَّان قال فحدّثني حمّاد الخَشَبِيّ قال: ذُكِر ابنُ أُذَينةَ عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نِعْم الرجل أبو عامِر، على أنه الذي يقول:

وقـد قـالـت لأتـراب لـهـا زُهْـرٍ تـلاقَـيْـنَـا

[ولي عهد المسلمين إذا طرب]

أخبرني محمد بن مزيد والحسَين بن يحيى قالا: حدّثنا حَمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن إسحاق بن أَيُّوبَ القُرَشِيّ قال: كان هِشَام بن عبد الملك مُكرِماً للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّباً للوليد، وكان، فيما يقال، زِنديقاً، فحمل الوليدَ على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ نُدَماءَ وشرب وتهتّك، فأراد هشامٌ قطعَهم عنه، فولاّه المَوْسِمَ في سنة عشرٍ ومائة، فرأى الناسُ منه تهاوناً واستخفافاً بدينه، وأمَر مولاه عيسى فصلّى بالناس، وبعث إلى المغنّين فغنَّوْه وفيهم ابن عائشة فغناه:

سُـلَـيْـمـى أجـمـعـتْ بَـيْـنَـا

فنعَر[٢] الوليدُ نَعْرةً أذِنَ[٣] لها أهلُ مكة. وأمر لابن عائشة بألف دينار، وخلَع عليه عدّة خِلَع، وحمله[٤]. فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناسُ، وأمر للمغنِّين بدون ذلك، فتكلم أهلُ الحجاز وقالوا: أهذا وليّ عهدِ المسلمين! وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خَلْعه، وأراده على ذلك فأبى؛ وتنكّر هشام للوليد، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط، وتعبث هشام بالوليد وخاصّته ومَوَاليه، فنزل

(١) البَخَر: رائحة الفم، والذَّفَر: خبث الريح. وقيل إن الذفر: يقع على الطيب والكريه. ويفرق بينهما من سياق الكلام، وفي الكلام هنا المراد: الرائحة الطيبة.

(٢) نعر الرجل: صاح وصوّت بخيشومه.

(٣) أذن: استمع.

(٤) حمله: منحه ما يركبه من دابة.

بالأَزْرق[١] بين أرض بَلْقَيْن وفَزَارة على ماء يقال له الأغْدَق[٢]، حتى مات هشام. انقضت أخباره.

ومما في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة

صوت

من رواية عليّ بن يحيى: [الكامل

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فَقُلْتُ لها قِرِي ... بَعْضَ الحَنِين فإنَّ شَجْوَكِ شائِقي

بأبِي الوليدُ وأمّ نَفْسِي كَلَّما ... بَدَتِ النُّجُومُ وذَرّ قَرْنُ الشارِقِ

أثْوَى فأكْرَمَ في الثَّوَاء وقُضِّيَتْ ... حاجاتُنا من عند أَرْوعَ باسِقِ

لا تَبْعَدنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حَدِيثاً للشَّراب العاتِقِ[٣]

ويروى: بالشراب العاتق. عروضه من الكامل. حنّت، يعني ناقتَه. وهذا البيت يتبع بيتاً قبلَه وهو:

فإلى الوليد اليومَ حنّتْ ناقتي ... تَهْوِي بِمُغْبَرِّ المُتُون سَمَالِقِ[٤]

وبعده «حنت إلى برق...». وقوله: «قِرِي» من الوَقَار، كأنها لما حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبها: قِرِي. وذَرَّ قرنُ الشارق: طلع قرن الشمس؛ يريد: بأبي الوليدُ وأمي في كل ليل ونهار أبداً. وأَثْوى: أنزَل. والثَّوَاء: الإقامة؛ قال الأعشى: [الطويل]

لقد كانَ في حَوْلٍ ثَوَاء ثويته ... تُقَضَّى لُبَاناتٌ ويَسأم سائمُ

والباسق: الطويل؛ قال الله عز وجل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي طِوالاً. ويروى:

لا تَبْعَدنَّ إداوةٌ مطروحةٌ

---

(١) الأزرق: ماء في طريق حاجّ الشام دون تيماء (معجم البلدان: ١/١٦٨).

(٢) لم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على مكان بهذا الاسم. وفي معجم ما استعجم وجدنا الأعذق وهو جبل في نواحي المدينة، ولم يذكره ياقوت.

(٣) كانت حديثاً: أي كانت الى عهد قريب.

(٤) السمالق: جمع سملق وهي الأرض المستوية، وقيل: القفر لا نبات فيه.

الشعر لعبد الرحمٰن بن أرْطأةَ المُحَارِبيّ. والغناء لابن عائشة. ولحنه المختار ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَر عن إسحاق. وفيه للهُذَلِيّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهِشَاميّ وابن المكيّ. فأوّلُ لحنِ الهذليّ استهلالٌ في: [الكامل]

حَـنَّـت إلـى بـرق فـقـلـت لـهـا قِـرِي

وأوّل لحن ابن عائشة: [الكامل]

بـأبـي الـولـيـدُ وأمّ نـفـسـي كـلّـمـا بـدت الـنُّـجُـومُ وذَرّ قـرنُ الـشـارِقِ

أخبار ابن أرطأة ونسبه

[توفي نحو ٥٠ هـ/نحو ٦٧٠ م]

هو عبدُ الرحمٰن بنُ أرطأة، وقيل: عبد الرحمٰن بنُ سَيْحانَ بنِ أرطأة بنِ سَيْحَان بنِ عمرو بنِ نُجَيد بن سَعْد بن لأَجِب بن رَبيعة بن شُكْم بن عبد الله بن عَوْف ابن زيد بن بكر بن عُمَير بن علي بن جَسْر بن مُحَارب بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَر بن نِزَار. وأمّ جَسْر بن مُحَارِب كأس بنت لُكَيز بن أَفْصَى بن عبد القيس، وأم عليّ بن جسر مَاوِيَّة بنت عليّ بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عمرو الشيباني أخبرني بها عمّي والصُّوليّ عن الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: وشُكْم بن عبد الله أوّل مُحَارِبيّ سادَ قومَه وأبَذَّهم[1] رأساً بنفسه، وكانوا جيراناً في هَوازنَ؛ وآلُ سَيْحان حلفاءُ حَرْبِ بنِ أميّة بنِ عبدِ شمس بن عبد مناف، وبمنزلةٍ بعضهم عندَهم خاصّة وعندَ سائر بني أميّة عامّة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بنِ عِمْران قال: بنو سَيْحان من بني جَسْر بن مُحَارب، وبنو عبد مناف تُقَوِّي حِلْفَهم، وهم عندي أعِزَّاؤهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّان قال: لما قتَل هشامُ بن الوليد أبا أُزَيْهر، بعثتْ قُرَيش أرطأة بن سَيْحان حَلِيفَ حَرْب بن أميّة إلى الشَّراة[2] يُحَذِّر مَنْ بها من تُجّار قُرَيش، وخرجَ حاجزُ الأَزْدِيّ ليُخْبِرَ قَوْمَه، فسبقَه أرطأةُ، وقال في ذلك وقد حذَّرهم فَنَجَوْا:

(١) بذّ فلان فلاناً: علاه وفاقه في حسن أو عمل كائناً ما كان. (لسان العرب مادة بَذّ).

(٢) الشراة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة. (انظر معجم البلدان: ٣/ ٣٣٢).

[البسيط]

مِـثْـلُ الـحَـلِـيـفِ يَـشُـدُّ عُـرْوَتَـهُ   يَـثْـنـي الـعِـنَـاجَ لـهـا مـع الـكَـرَبِ[١]
زَلَـمٌ إذا يَـسَـرُوا بـه يُـسُـرٌ   وَمُـنـاضِـلٌ يَـحْـمِـي عَـن الـحَـسَـبِ[٢]
هـل تَـشْـكُـرَنْ فِـهْـرٌ وتـاجِـرُهـا   دَأْبَ الـسُّـرَى بـالـلَّـيْـلِ والـخَـبَـبِ[٣]
حـتـى جَـلَـوْتُ لـهـم يَـقِـيـنَـهُـمُ   بِـبَـيَـانِ لا أَلْـسٍ ولا كَـذِبِ[٤]

[كان صاحب شراب ولم يكن شاعراً فحلاً]

وكان عبد الرحمٰن شاعراً مُقِلاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين، ولكنّه كان يقول في الشراب والغَزَل والفَخْر ومدح أحلافه من بني أميّة، وهو أحدُ المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه، وكان مع بني أميّة كواحدٍ منهم إلا أنّ اختصاصَه بآل أبي سُفْيان وآل عثمان خاصّة كان أكثرَ، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومُؤَانَستُه إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يَتنادَمان على الشَّراب.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان، وقيل: بل في الوليد بن عُتْبَة. وخبرُه في ذلك يُذكَر بعد هذا.

أخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدِيّ قال: قال عُتْبَة بن المِنْهال المُهَلَّبيُّ: حدّثني غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا: كان ابن سَيْحَان حَلِيفاً لقريش ينزِل بالمدينة، وكان نديماً للوليد بن عثمان، فأصابه ذات يوم خُمَارٌ[٥]، فَذَهب لسانُه وسَكَنَتْ أطرافُه وصرَخ أهلُه عليه، فأقبل الوليد إليه فَزِعاً، فلما رآه قال: أخي مَخْمورٌ وربِّ الكعبة، ثم أمَر غلاماً له فأتاه بشَراب من منزله في إداوة فأمَر به فأُسخن ثم سقاه إيّاه وقيّأه، وصنع له حِسَاءً وجعل على رأسه دُهْناً وجعل رجليه في ماء سُخْن، فما لَبِثَ أن انطلَقَ[٦] وذهبَ ما كان به. ومات الوليدُ بعدَ ذلك. فبينا ابنُ سَيْحان يوماً جالسٌ وبعضُ متاعه يُنقَلُ من بيت إلى بيت، إذ مَرت الخادم بإداوة الوليد التي كان

(١) العناج: خيط أو سير يشدّ في أسفل الدلو ثم يشدّ في عروتها أو في عرقوتها. والكرب: حبل يشدّ على عراقي الدلو ثم يثنى ثم يثلث.
(٢) الزلم: القِدْح الذي لا رِيش عليه، وجمعه أزلام. ويسروا: لعبوا الميسر.
(٣) الخبب: ضرب من العدو.
(٤) الألس والمؤالسة: الخداع والغشّ.
(٥) الخمار: ما يصيب الرأس من ألم الخمر وأذاها.
(٦) انطلق: أسهل، مشى بطنه.

داواهُ بما فيها من الشراب وقد يَبِسَتْ وتَقَبَّضت، فانتحب وقال: [الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانت حديثاً للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقي الأبيات.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال: كان الوليدُ بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفيان وابن سَيْحان وكان يُخْمَر[1] فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشقَّ النساء عليه الجُيُوبَ، فدُعِيَ له ابنُ سَيْحان، فلما رآه قال؛ اخْرُجْنَ عنِّي وعن أخي، فَخَرَجْنَ، فقال له: الصَّبوحَ أبا عبد الله، فجلس مُفِيقاً؛ فذلك حيثُ يقولُ ابنُ سَيْحان: [الكامل]

بأبي الوليدُ وأُمّ نفسي كلّما بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارِق
أثْوَى فأكرَمَ في الثَّوَاء وقَضَّيَتْ حاجاتُنا مِنْ عندِ أَرْوَعَ باسِقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ
وسَمَاحةٍ للمُعْتَفِين إذا اعتَفَوْا في ماله حَقّاً وقَوْلِ صادقِ[2]
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حَديثاً للشرابِ العاتِقِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الوليدُ بنُ عثمان يُكنَى أبا الجَهْم، وكان لابن سَيْحان صديقاً ونديماً، وكان صاحبَ شراب، فمرِض فعادَه الوليد وقال: ما تشتهي؟ قال: شراباً، فبعث فجاءه بشراب في إداوة. ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله.

أخبرني محمدُ بنُ خَلَف وَكِيعٌ قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عَبَاية قال: كان الوليدُ بنُ عثمان ذا غَلَّة في الحجاز يخرُجُ إليها في زمان التَّمْر بنَفَرٍ من قومه، يَجْنُون له ويُعَاونونه، فكان إذا حَضَر خروجُهم دفَعَ إليهم نَفَقَاتٍ لأهليهم إلى رَجْعَتهم، فخرَج بهم مَرَّة كما كان يَخْرُج وفيهم ابنُ سَيْحان، فأتى ابنَ سَيْحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجةٍ لا بدَّ منها، فاستأذنه فأذِنَ له، فقال له ابنُ سَيْحان: زَوِّدوني من شرابكم هذا، فزَوَّدُوه إداوةً ملأها له من شرابهم، فكان يَشْرَبها في طريقِهِ حتّى قَدِمَ على أهله، فألقاها في جانب بيته فارغةً، فمكثَ زماناً لا يذكرها، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلْقَاةً في الكُنَاسة فقال:

(١) يُخْمَر: يصاب بالخُمار.

(٢) المعتفون: جمع معتفٍ: وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق.

لا تَـبْـعَـدَنَّ إداوةٌ مـطـروحـةٌ كـانـت حَـدِيـثـاً لـلـشـراب الـعـاتِـقِ
إن تُـصْـبِـحـي لا شَـيْءَ فِـيـكِ فـرُبَّـمـا أُتْـرِعْـتِ مـن كـأسٍ تَـلَـذُّ لِـذائِـقِ
بـأبـي الـولـيـدُ وأُمِّ نـفـسـي كُـلَّـمـا بَـدَتِ الـنـجـومُ وذَرَّ قَـرْنُ الـشـارِقِ
كـم عـنـدَه مـن نـائـلٍ وَسَـمَـاحـةٍ وشـمـائـلٍ مَـيْـمـونـةٍ وخـلائِـقِ
وكـرامـةٍ لـلـمـعـتـفـيـن إذا اعْـتَـفَـوْا فـي مـالـه حَـقّـاً وقَـوْلٍ صـادِقِ
أَثْـوَى فـأكْـرَمَ فـي الـثَّـوَاءِ وقُـضِّـيَـتْ حـاجـاتُـنَـا مـن عـنـدِ أَرْوَعَ بـاسِـقِ
لَـمَّـا أتـيـنـاهُ أَتَـيْـنَـا مـاجـد الـ أخـلاق سَـبَّـاقـاً لِـقَـرْمٍ سـابِـقِ
قـال الـولـيـدُ يَـدِي لـكـم رَهْـنٌ بـمـا حَـاوَلْـتُـمُ مـن صـامـتٍ أو نـاطِـقِ
فـإلـى الـولـيـدِ الـيـومَ حَـنَّـتْ نـاقـتـي تَـهْـوِي بِـمُـغْـبَـرِّ الـمُـتُـونِ سَـمَـالِـقِ
حَـنَّـتْ إلـى بَـرْقٍ فـقـلـتُ لـهـا قِـرِي بَـعْـضَ الـحَـنِـيـنِ فـإنَّ شَـجْـوَكِ شـائـقـي

[ابن سيحان يضرب حدّ الخمر]

أخبرني عَمِّي قال: حدّثني محمد بن عبد الله التَّميمي الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل قال: حدّثني عمرو بن أبي الشَّيْباني عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسِيّ قال: قال حماد بن إسحاق: قرأتُ على أبي، قالا جميعاً: كان عبد الرحمٰن بن سَيْحان قد غاظ مَرْوانَ بنَ الحَكَم أيّامَ كان معاويةُ يُعاقِبُ بينه وبينَ سَعِيد بن العاص في ولاية الحَرَمَيْن، وأنكر عليه أشياءَ بَلَغَتْه فغاظتْهُ: مِن مدحه سعيداً وانقطاعِه إليه وسروره بولايته، فرَصَدَهُ حتى وجَده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سَكْران فضربه الحدَّ ثمانين سَوْطاً. وقدِم البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعَل يخبره بها، حتى انتهى به الحديثُ إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحدَّ ثمانين؛ فغضب معاوية وقال: والله لو كان حليفَ أبي العاص لمَا ضربه ولكنّه ضرَبه لأنه حليفُ حَرْب، أليس هو الذي يقول: [الطويل]

وإني امرؤٌ حِلْفٌ إلى أفضل الوَرَى عَدِيداً إذا ارْفَضَّتْ عَصا المُتَحَلِّفِ[1]

كذب وَالله مروان، لا يَضْربه في نبيذٍ أهلِ المدينة وشَكِّهم وحُمْقهم؛ ثم قال لكاتبه: أكتُب إلى مروان: فليُبْطِل الحدَّ عن ابن سيحان، وليَخْطُب بذلك على المِنْبر، وليَقُل إنه كان ضرَبه على شُبْهة ثم بَانَ له أنه لم يَشْرَب مُسْكِراً، وليُعْطِه ألفَيْ

(١) ارفضّت: تفرقت. والعصا: أراد الجماعة. والمتحلف: المحالفة، والتحالف.

درهم. فلما ورَد الكتابُ على مروان عَظُم ذلك عليه، ودعا بابنه عبد الملك فقرَأه عليه وشَاورَه فيه؛ فقال له عبد الملك: راجِعْه ولا تُكَذِّب نَفْسَك، ولا تُبْطِلْ حُكْمَك؛ فقال مروان: أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شيء أو أراده، لا والله لا أُراجِعُه. فلما كان يومُ الجمعة وفرَغ من الخطبة قال: وابنُ سيحان فإنا كشَفنا أَمْرَه فإذا هو لم يَشْرب مُسْكِراً، وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه، وقد أَبْطَلتُ عنه الحدّ. ثم نَزَل فأرسل إليه بألفي درهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقِدِيّ قال حدّثني عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال: كان عبد الرحمٰن بن سيحان المُحاربيّ شاعراً، وكان حلوَ الأحاديث، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها، وكان على ذلك يُصيب من الشراب، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بني أُميّة وأحداثهم ممّن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه، فلمّا وَلِيَ الوليدُ بن عُتْبة بن أبي سُفيان وعُزل مَرْوان وجَد مَرْوانُ في نفسه وكان قد سَبَعَه[1]، فحَقد ذلك عليه مَرْوان واضطغنه، وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سَيْحان فيشرب معه، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مَرْوان يفعل به الذي فعله، وقد كان مدحه ابن سيحان ووَصَله مَرْوان، ولكنّ مَرْوان أراد فضيحة الوليد، فرصدَه ليلةً في المسجد وكان ابن سيحان يخرج في السَّحَر من عند الوليد ثَمِلاً فيمرّ في المقصورة من المسجد حتّى يخرجَ في زُقاق عاصِم، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلّي، وكذلك عبد الله بن حَنْظَلة وغيرهما من القُرّاء يَبيتُون في المسجد يتهجّدون، فلمّا خرَج ابن سيحان ثمِلاً من دار الوليد أخذه مَرْوان وأعوانُه، ثمّ دعا له محمدَ بنَ عمرو وعبد الله بن حَنْظَلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شُرْطَتِه فحبسه؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلِم أنّ مَرْوان إنّما أراد أن يفضحه، وأنّه لو لقِيَ ابنَ سيحان ثَمِلاً خارجاً من عند غيره لم يَعْرِض له، فقال الوليد: لا يُبرِّئني من هذا عند أهل المدينة إلاّ ضربُ ابن سيحان، فأمر صاحبَ شُرْطَته فضربه الحدَّ ثم أرسله، فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرُج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له:

---

(١) سَبَعَه: ضغث عليه، عابه.

ما يُجْلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناسَ؛ قال: اخرجْ أيها الرجل، وكان عبد الرحمٰن قد حَمل له معه كُسْوة، فقال له: البَسْها ورُحْ معنا إلى المسجدبن سيحان في بيته لا يخرُج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له: ما يُجْلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرجْ أيها الرجل، وكان عبد الرحمٰن قد حَمل له معه كُسْوة، فقال له: البَسْها ورُحْ معنا إلى المسجد فهذا أَحْرَى أن يكذِّب به مُكذِّب، ثم تَرْحَلُ إلى أمير المؤمنين فتخبِرُه بما صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك؛ فراح مع عبد الرحمٰن في جماعة ولده متوسِّطاً لهم حتى دخل المسجدَ فصلّى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمٰن إلى الأسْطُوانة؛ فقائل يقول: لم يُضرب، وقائل يقول: أنا رأيته يُضْرَب، وقائل يقول: عُزّرَ أسواطاً[1].

[معاوية يبطل الحدّ عن ابن أرطأة]

فمكث أياماً ثم رحل إلى مُعاوية فدخل إلى يزيد فشرِب معه، وكلّم يزيدُ أباه مُعاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مَرْوان، فقال: قَبّح الله الوليد ما أضعفَ عقلَه! أما استحيا من ضربك فيما شرِب! وأمّا مَرْوان فإنّي كنتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومَودّتِك له، ولكنّه أراد أن يضعَ الوليدَ عندي ولم يُصِب، وقد صيّر نفسه في حدٍّ كنّا نُنزّهه عنه، صار شُرْطَيّاً! ثم قال لكاتبه: اكتب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، من عبد الله مُعاويةَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عُتْبة. أمّا بعد، فالعجَب لضربك ابنَ سَيْحان فيما تَشْربُ منه، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تَشْرَبه مما حُرّم عليك، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان، وطُفْ به في حِلَق المسجد وأخبرْهم أنّ صاحب شُرَطِك تعدّى عليه وظلَمه، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطَل ذلك عنه، أليس ابنُ سيحان الذي يقول:

[الطويل]

وإنّي امرُؤٌ أُنْمَى إلى أفضل الورَى عديداً إذا ارفَضّتْ عصا المُتحلّفِ
إلى نَضَدٍ من عبد شمس كأنّهم هِضابُ أجَا أركانُها لم تَقصَّفِ[2]

---

(١) التعزير: عقوبة دون الحدّ.
(٢) النضد: الأعمام والأخوال. وأجا: أصله أجأ، وهو أحد جبلي طيىء.

مياميـنُ يَـرْضَـوْن الـكِـفَـايَـة إنْ كُـفُـوا ... ويَـكْـفُـون مـا وُلُـوا بـغـيـر تـكـلُّـفِ
غَـطَـارِفَـة سـاسـوا الـبـلاد فـأحْـسَـنُـوا ... سِـيـاسَـتَـهـا حـتّـى أقـرّت لـمُـرْدِفِ[1]
فـمـن يـك مـنـهـم مُـوسِـراً يُـفْـش فَـضْـلَـهُ ... ومَـنْ يَـكُ مـنـهـم مُـعـسِـراً يَـتَـعـفَّـف
وإنْ تُـبْـسَـطِ الـنُّـعْـمَـى لـهـم يَـبْـسُـطـوا بـهـا ... أكُـفّـاً سِـبَـاطـاً نـفـعُـهـا غـيـرُ مُـقْـرفِ[2]
وإن تُـزْوَ عـنـهـم لا يَـضِـجُّـوا وتُـلْـفِـهِـمْ ... قـلـيـلـي الـتَّـشَـكِّـي عـنـدهـا والـتـكـلُّـفِ
إذا انـصـرفـوا لِـلْـحَـقِّ يَـوْمـاً تَـصَـرَّفـوا ... إذا الـجـاهـلِ الـحَـيْـرانُ لـم يَـتَـصَـرَّفِ
سَـمَـوْا فَـعَـلَـوْا فَـوْقَ الـبَـرِيَّـةِ كُـلّـهـا ... بـبُـنْـيـان عـالٍ مـن مُـنـيـفٍ ومُـشْـرِفِ

قال: وكتب له بأن يُعْطَى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لِقْحة[3] مما يوطِنُ السَّيالة[4] وأعطاه هو خمسمَائة دينار، وأعطاه يزيدُ مائتي دينار. ثمّ قدِم بكتاب مُعاوية إلى الوليد، فطاف به في المسجد، وأبطل ذلك الحَدّ عنه، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية. وكتب مُعاوية إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بابن سَيْحان، وما أراده بذلك. ودعا الوليدُ عبد الرحمٰن بن سَيْحان إلى أن يعود للشرب معه؛ فقال: والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا أبو مسلم الغِفَارِيّ قال: حدّثني موسى بن عبد العزيز قال: أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْريّ ـ هكذا قال وهو غلط ـ في شراب في إمارة مَرْوان، وكان حليفاً لأبي سُفْيان بن حَرْب، فضربه مَرْوان ثمانين سَوْطاً على رؤوس الناس، فكتب إلى مُعاوية يشكوه، فكتب إليه مُعاوية: أمّا بعد فإنّك أخذت حليف حَرْب فضربته ثمانين على رؤوس الناس، والله لتُبْطِلنَّها عنه، أو لأُقِيدَنّه منك؛ فقال مَرْوان لابنه عبد الملك: ما تَرَى؟ قال: أرى والله ألاّ تفعل؛ قال: وَيْحَكَ! أنا أعلم بعَزَمات معاوية منك، فصعِد المِنبَر فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، إنا كنا ضربنا ابنَ سَيْحان بشهادة رجل من الحَرَس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً، فاشهدوا أني قد أبطلتُ ذلك الحَدّ عنه.

أخبرني أحمد قال: حدّثنا عمر قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عِمْران قال: ضرَب مَرْوانُ عبدَ الرحمٰن بنَ سَيْحان في الخمر ثمانين

(١) الغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد الشريف السخي. والمردف: التابع.
(٢) أكفاً سباطاً: كثيرة العطاء. والمقرف: المشين.
(٣) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.
(٤) السيالة: أرض على طريق الحاج، وهي أول مرحلة لأهل المدينة. (معجم البلدان: ٣/ ٢٩٢).

سَوْطاً، فكتب إليه مُعاوية: أمّا بعد، فإنّك ضربتَ عبد الرحمٰن في نبيذ أهل الشأم الذي يستعمِلونه وليس بحرام، وإنما ضربتَه حيث كان حِلفُه إلى أبي سُفيان بن حَرْب، وايْمُ الله لو كان حليفاً للحَكَم ما ضربتَه، فأَبْطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرِب مَن أُخِذَ معه: أخاك عبدَ الرحمن بنَ الحَكَم؛ فأبطل مَرْوانُ عنه الحدّ؛ فقال ابنُ سَيْحان في ذلك يذكر حِلْفه: [الطويل]

إنّي امرؤ عَقْدي إلى أفضل الورَى ... عَديداً إذا ارفَضّتْ عصا المُتَحلِّفِ

وقال الطُّوسِيّ: كان عبد الرحمٰن بنُ الحَكَم أخو مَرْوان يشرَب مع ابن سَيْحان، فلمّا ضرَبه مَرْوانُ الحدَّ كتب إليه مُعاوية: والله لتُبْطِلنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرِب ظهرَه بالسَّوْط في السُّوق، أليس ابن سَيْحان الذي يقول:

سَمَوْتُ بِحِلْفي لِلطُّوال مِن الرُّبَى ... ولم تَلْقَني قِنّاً لدَى مَبْرَك الجُرْبِ[1]

إذا ما حَلِيف الذُّل أَقْمأ شَخْصَهُ ... وَدَبَّ كما دَبَّ الحَسِيرُ على نَقْبِ[2]

وهَصْتُ الحَصَى لا أُخْنِسُ الأَنفَ قابعاً ... إذا أنا رَاخَى لي خِنَاقي بَنو حَرْبِ[3]

[ابن أرطأة يرثي سعيد بن عثمان]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء وأحمد بن سُليمان الطُّوسِيّ قالا: حدّثنا الزُّبَيْر ابن بَكّار قال: حدّثنا عمّي مُصْعَب وغيره قالوا:

قدِم سعيد بن عثمانَ المدينةَ فقتله غِلْمانٌ جاء بهم من الصُّغْد[4]، وكان معه عبد الرحمٰن بن أَرْطاةَ بن سَيْحان حَلِيفُ بني حرب بن أمية، فهرَب عنه لما قتلوه، فقال خالد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط يرثي سعيدَ بن عثمان ـ وعثمانُ أخوه لأمه ـ:

[البسيط]

يا عينُ جودِي بدمع منكِ تَهْتانَا ... وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفّانَا

إنّ ابنَ زِينَةَ لم تصدُق مودّتُهُ ... وفرّ عنه ابنُ أرطأةَ بنِ سَيْحانَا

فقال ابن سَيْحانَ يعتذر من ذلك: [الطويل]

يقول رجالٌ قد دعاك فلم تُجِبْ ... وذلك من تِلْقاءِ مثلِك رائعُ

---

(١) القنّ: العبد. ومبرك الجرب: حيث تبرك الجمال المصابة بالجرب.

(٢) أقمأ: ذل وصغر. والحسير: المتعب المعيىٰ. والنقب: رقة الأخفاف.

(٣) وهصت الحصى: دققته. والخَنس: انخفاض القصبة وعرض الأرنبة. وقابعاً: مستخفياً.

(٤) الصّغد: كورة قصبتها سمرقند (انظر معجم البلدان؛ ٣/ ٤٠٩).

فإن كان نادَى دعوةً فسمعتُها فَشَلَّتْ يدي وأستَكَّ منِّي المسامعُ[١]
وإلا فكانتْ بالذي قال باطلاً ودارتْ عليه الدائراتُ القوارعُ
يلومونني أن كُنْتُ في الدّار حاسِراً وقد فَرَّ عنه خالدٌ وهو دَارِعُ[٢]

فقال بعض الشعراء يجيبه:

فَإنّكَ لم تَسْمَعْ وَلٰكِنْ رأيتَهُ بِعَيْنَيْكَ إذ مَجْراكَ في الدّارِ واسِعُ
وأسْلَمْتَهُ لِلصُّغْدِ تَدْمَى كُلُومُهُ وفارقتَهُ وَالصَّوْتُ في الدّارِ شائعُ
وما كان فيها خالدٌ بِمُعَذِّرٍ سواء عليكم صَمّ أو هو سامعُ[٣]
فلا زِلْتُما في غُلِّ سَوْءٍ بِعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشَّمَاتِ القَوَارعُ

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ قال حدّثنا العمَري عن العُتْبيّ قال: لما قُتل سعيدُ بن عثمان بن عفّان قالت أمّه: أشتهي أن يرثيَه شاعرٌ كما في نفسي حتى أُعطيَه ما يَحْتكِم؛ فقال ابن سَيْحان: [مجزوء الكامل]

إن كُنْتِ باكِيَةً فَتًى فابْكِي هَبِلْتِ على سعيدِ
فارَقْتَ أهْلَكَ بَغْتَةً وَجَلَبْتَ حَتْفَكَ من بعيدِ
أذْرِي دُمُوعَكِ وَالدِّما ءَ على الشَّهيدِ ابْنِ الشَّهيدِ

فقالت: هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه، ووصلتِ ابنَ سيحان. وكانت تندُبه بهذا الشعر.

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتُها عن عمّي عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: جلس ابنُ سَيْحان وخالدُ بن عُقْبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان، فجرى ذكرُه فبكيا جميعاً عليه، فقال ابن سَيْحان يرثيه: [الطويل]

ألاَ إنّ خيرَ النّاس إن كُنتَ سائلاً سعيدُ بنُ عثمانَ القَتِيلُ بلا ذَحْلِ[٤]
تداعَتْ عليه عُصْبَةٌ فارِسِيَّةٌ فأضحَى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلي

وقال خالد بن عُقْبة: [الطويل]

---

(١) استكّ: ضاق.
(٢) الدارع: لابس الدرع.
(٣) المعذّر: الذي ثبت له عذر.
(٤) الذحل: الثأر.

ألا إنَّ خيرَ النّاس نفساً ووالداً سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ
بَكَتْ عَيْنُ من لم يَبْكِهِ وَسْطَ يَثْرِبِ مَدَى الدَّهرِ منه بالدموع السَّوَاجِمِ
فإن تكن الأيامُ أَرْدت صُرُوفُها سَعِيداً، فمَنْ هذا عليها بسالِمِ

قال الحَزَنْبَلُ: أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سَيْحان قال عمّي وأنشدني السُّكَّريّ عن ابن حَبِيبَ والطُّوسِيّ له: [الخفيف]

رحِم الله صاحِبَيَّ ابنَي الحا رِث إذ يَنْهَيانِنِي أن أَبُوحَا
بالتي تيَّمتْ فؤادي وأن أُذْ رِي دموعي على ردائي سُفُوحَا
في مَغانِي منازلٍ من حبيبٍ باشرتْ بعدَه قِطَاراً وريحَا[1]
ولقد قُلتُ للفؤادِ ولٰكِنْ كان قِدْماً إلى هَوَاهُ جَمُوحَا
قُلتُ أقصِرْ عن بعضِ حُبِّكَ أزوَى إن بعضَ الحِبَابِ كان فُضُوحَا[2]
فعصاني، فليسَ يَسْمَعُ قولاً من حَمامٍ على الأراكِ، جُنُوحَا
أمّ يحيَى تقبَّل الله يحيى بقَبُولٍ كما تقَبّلَ نُوحَا
أمَّ يحيَى لولا طِلابُكِ قد سِحْ تُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسُوحَا
ولقد قلت لا أُحدِّث سِرّاً سرَّ أُخرَى ما دمتُ أمشِي صحيحَا

الغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ. وفيه لزُرَيق رَمَل.

قال أبو عمرو: وابنُ سيحان الذي يقول: [مجزوء الوافر]

ألا هل هاجَك الأظعا نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحَا

[هجاء ابن ارطأة لبني مطيع]

والناس يَرْوُونه لعمرَ بن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعاً. وقال أبو عمرو في خبره: كان ابنُ سَيْحانَ يحدِّث قال: كنت آلَفُ من قريش أهلَ بيتين سِوَى من كنت منقطعاً إليه من بني أمية: بني عبد الرحمٰن بن الحارث بن هِشام، وبني مُطِيع، فلما ضربني مروانُ الحدَّ جئتُ فجلست إلى بني مُطِيع كما كنت أجلس، فلما رأوني عرفتُ الكراهةَ في وجوههم، والله ما أقبلوا عليّ بحديثهم ولا وَسَّعُوا

(١) قطاراً: جمع قطر، وهو المطر.
(٢) الحِباب: الموادّة والحبّ.

لي، فانصرفتُ ورُحت إلى بني عبد الرحمٰن، فلما رأوْني أقبلوا بوجوههم عليّ وحَيَّوْا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسَّعوا، ورفعوني إلى حيثُ لم أكنْ أجلس، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدّثونني وقالوا: لعلك خشَعْتَ للذي لحقَك، أما والله لقد علم الناسُ أنك مظلوم، وظَلَّموا[1] مروانَ في فعله، ورأوْا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك، وقالوا: ما ضَرَّكَ ذلك ولا نَقصك ولا زادك إلا خيراً، ولم يزالوا حتى يسَطُوني، فقلت أمدحهم وأذمُّ بني مطيع: [الوافر]

لـقـد حَـرُمَـتْ وُدُّ بـنـي مُـطِـيـع ... حَـرَامَ الـدُّهْـنِ لـلـرَّجُـلِ الـحَـرام
وإن جَـنَـفَ الـزمـانُ مـددتُ حـبـلاً ... مَـتِـيـنـاً مـن حـبـال بـنـي هِـشَـامِ[2]
رَطِـيـبٌ عـودُهـم أبـداً وَرِيـقٌ ... إذا مـا اغـبـرَّ عِـيـدانُ الـلـئـامِ

وقال أبو عمرو في خبره: كان عبد الرحمٰن بن سَيْحان يُنَادِم الوليدَ بن عثمان على الشَّراب فيبيتُ عنده خوفاً من أن يظهر وهو سَكْرانُ فيُحَدَّ، فقالت له امرأته: قد صرتَ لا تبيت في منزلك وأظنّك قد تزوّجتَ، وإلاّ فما مَبِيتُك عن أهلك! فقال لها: [البسيط]

لا تـعْـذَمِـيـنـي نَـديـمـاً ماجِـداً أنِـفـاً ... لا قـائـلاً قـاذِفـاً خَـلْـقـاً بـبُـهْـتَـانِ
أغـرُّ رَاووقُـهُ مَـلآنُ صـافِـيـةٌ ... تَنفِي القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ[3]
سَـبِـيـئـة مـن قُـرَى بَـيْـروتَ صـافـيـة ... عَـذْراء أو سُبِـئَتْ من أرض بَيْسَانِ[4]
إنَّـا لـنَـشْـرَبُـهـا حـتـى تَـمِـيـلَ بـنـا ... كـمـا تَـمَـايـلَ وَسْـنـانٌ بـوَسْـنـانِ

[يشرب الخمر ويأمر بشربها]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزْهَر قال: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصِم بن الحَدَثَانِ قال: كان ابن سَيْحانَ صاحبَ شَراب، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سَرِيع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له: يابن سَرِيع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك

---

(١) ظلّموه: نسبوه إلى الظلم.
(٢) جنف الزمان: جار.
(٣) الراووق: ناجود الشراب الذي يُرَوّق به ويُصَفّى.
(٤) سبيئة: مسبوءة. من سبأ الخمر أي اشتراها ليشربها. وبيسان: مدينة بالغور الشامي (معجم البلدان: ١/٥٢٧).

أحمق، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشربْ أجْوده فإن الوِزْرَ واحد، ثم قال: [الطويل]

دَع ابنَ سَريع شُرْبَ ما مات مرةً وخُذها سُلافاً حيةً مُزّة الطَّعْمِ
تَدَعْك على مُلْكِ ابن ساسان قادراً إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فَشتّان بين الحَيِّ والميْتِ فاعتزمْ على مُزّةٍ صَفْراء راووقُها يَهْمِي
فإنّ سَرِيعاً كانَ أوصَى بِحُبِّها بَنِيه وَعَمّي جاوز الله عن عَمّي
ويا رُبَّ يوم قد شهدتُ بني أبي عليها إلى أن غاب تاليةُ النَّجْمِ[1]
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ تُدَار عليهم بالصغير وبالضّخْمِ
فماتوا وعاشوا والمُدَامَةُ بينهم مُشَعْشَعةٌ كالنجم تُوصَف بالوَهْمِ[2]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمَّاد عن أبيه عن عاصِم بن الحَدَثان قال: كان ابن سَيْحان حَلِيفَ حَرْب بن أمية يُنَادِم الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيط، ويشرب معه الخمر، وهو القائل: [البسيط]

إصبَحْ نَدِيمَك من صَهْباء صافيةٍ حتّى يَرُوحَ كريماً ناعمَ البالِ[3]
واشرَبْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجَاهَرةً واختَلْ فإنك من قوم أُولي خالِ[4]
أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ أيدي الرجال بما تَحْويه من مال
لولا رجاؤك قد شمَّرْتُ مُرْتَحِلاً عَنساً تُعَاقِبُ تَخْويداً بإرْقَالِ[5]
لما تَوَاصَوْا بقتلي قُمْتُ مُعْتَزِماً حتى حَمَيْتُ من الأعداء أَوْصالي
عَمّ الوليدُ بِمَعْرُوفٍ عَشِيرَتَهُ والأبْعَدُونَ حَظُوا منه بإفضالِ

قال: وكان ابن سَيْحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بيّنة، فتآمر به القومُ ومنع منه ابن خال له منهم؛ وخاف الوليد بن عُقْبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقَه وينقطع عنه، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم دية صاحِبهم، فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَدِيمُه وصفيُّه. وهو القائل في الوليد ـ وفيه غناء ـ:

(١) تالية النجم: أواخره.
(٢) المشعشعة: الممزوجة بالماء.
(٣) إصبح نديمك: اسقه الصبوح.
(٤) الخال: الخيلاء، الكبر.
(٥) العنس: الناقة القوية. والتخويد والإرقال: ضربان من السير السريع.

صوت

[البسيط]

بـاتَ الـوَلِـيـدُ يُـعـاطِـيـنـي مُـشَـعـشَـعـةً حتى هَـوَيْـتُ صَـرِيـعـاً بـيـن أصـحـابِـي

في الغناء: بات الكريم يعاطيني.

لا أستـطيـعُ نُـهـوضـاً إن هَـمَـمْـتُ بـه ومـا أُنَـهْـنَـهُـهُ مـن حَـسْـوٍ وتَـشْـرابِ[١]
حتّى إذا الـصُّـبْـحُ لاحَـتْ لـي جـوانـبُـه ولَـيْـتُ أسـحَـبُ نـحـوَ الـقـوم أثـوابِـي
كـأنّـنـي مـن حُـمَـيَّـا كـأسِـهِ جَـمَـلٌ صَـحَّـتْ قـوائـمُـهُ مـن بـعـد أَوْصـاب

ويروى:

كـأنّـنـي مـن حُـمَـيّـا كـأسِـه ظَـلِـعٌ

الغناء ليَحْيى المَكِّيّ - ورُوي: ضَلِعٌ - خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصر عن الهشامِيّ وبَذْل. قالت بذْل: وفيه لحنٌ آخرُ ليحيى، ولم تذكر طريقتَه.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني أبو فُهَيرة قال: دخل عبد الرحمٰن بن أَرْطَأة على سَعِيد بن العاص وهو أمير المدينة؛ فقال له: ألستَ القائل: [البسيط]

إنّـا لَـنَـشْـرَبُـهـا حتّـى تَـمِـيـلَ بـنـا كـمـا تَـمـايـل وَسْـنـانٌ بِـوَسْـنـانِ

فقال له عبد الرحمٰن: مَعَاذ الله أن أشربَها وأنعتَها، ولكنّي الذي أقول:

[الطويل]

سَموْتُ بِحِلْفي لـلطُّوالِ من الذُّرَى ولـم تَلْقَنِي كالنَّسْرِ في ملتقىً جَذْبِ
إذا ما حَـلِـيفُ الـقوم أَقْعَى مـكـانَـه ودَبَّ كـمـا يَـمْـشِي الـحَسِير من النَّقْبِ
وهَضْتُ الحَصى لا أَرْهَبُ الضَّيْمَ قائماً إذا أنـا راخَـى لـي خِـنَـاقي بـنـو حَـرْبِ

وقام يجرّ مِطْرفه بين الصفّين حتى خرج. فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال: لو أمرتَ بهذا الكلب فضرُب مائتيْ سَوْطٍ كان خيراً له؛ فقال: يا بنيّ، أضربُه وهو حليفُ حَرْب بن أُميّة ومعاويةُ خليفةٌ بالشام! إذاً لا يرضى! فلما حجّ معاويةُ لقيه بمنىً، فقال: إيهِ يا سعيد! أمرَك أحمقُك بأن تضرب حليفي مائتي

(١) نهنهه: زجره وكفّه.

سوط! أما والله لو جلدتَه سوطاً لجلدتُك سوطيْن! فقال له سعيد: ولم ذاك؟ أو لم تجلِدْ أنت حليفَك عمر بن جَبَلة! فقال له معاوية: هو لَحْمِي آكله ولا أُوكِله. قال: وكان ابن سَيْحان قد قال: [البسيط]

لا يَـغْـدَمـنِّـي نَـدِيـمِـي مـاجِـداً أنِـفـاً — لا قـائـلاً خـالـطـاً زوراً بـبُـهْـتـانِ
أُمْـسِـي أُعـاطـيـهِ كـأسـاً لـذَّ مَـشْـرَبُـهـا — كـالـمسكِ حُفَّتْ بنِسْرينٍ وريْحَانِ
سـبـيـئـةً مـن قُـرَى بَـيْـرُوت صـافـيـةً — أو الـتـي سُـبِـئَـتْ مـن أرضِ بَـيْـسـانِ
إنـا لـنَـشـربُـهـا حـتـى تَـمِـيـل بـنـا — كـمـا تـمَـايـل وسْـنَـان بـوَسْـنَـانِ

انقضت أخباره.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى [الخفيف]

يـا خَـلِـيـلَـيَّ هَـجِّـرا كـيْ تَـرُوحـا — هِـجْـتـمـا لـلـرَّواحِ قَـلْـبـاً قـريـحـا
إنْ تُـرِيـغـا لِـتَـعْـلَـمـا سِـرَّ سُـغْـدَى — تَـجِداني بِسِرِّ سُغْدَى شَحِيحا[1]
إنّ سُـغْـدَى لـمُـنْـيَـةُ الـمُـتَـمـنِّـي — جَـمَـعَـتْ عِـفّـةً ووَجْـهـاً صَـبـيـحـا
كـلَّـمَـتْـنِـي وذاكَ مـا نِـلْـتُ مـنـهـا — إنّ سُـغْـدَى تـرى الـكـلامَ ربـيـحـا

الشعر لابن مَيّادة، والغناء لحُنَيْن، ولَحْنه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجْرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدَحْمان لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، وأظنه هذا، وأنّ عَمْراً غلِط في نسبته إلى دَحْمان.

---

(١) أراغ: أراد.

أخبارُ ابن مَيّادة ونَسَبهُ

[توفي ١٤٩ هـ/٧٦٦ م]

اسمُه الرَّمّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان بن سُرَاقة بن حَرْمَلة، هكذا قال الزبير بن بكّار في نسبه، وقال ابن الكلبيّ: ثَوْبان بن سُراقَة بن سَلْمى بن ظالِم ويقال سُراقَة بن قَيْس بن سَلْمى بن ظالِم بن جَذِيمة بن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن ريث بن زيد بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. وأُمّه ميّادة أم ولَدٍ بَربَريّة ورُوي أنها كانت صَقْلَبِيّة. ويكنى أبا شُرَحْبيل، وقيل بل يُكْنى أبا شراحِيلَ. وكان ابن ميّادة يزعمُ أن أمّه فارسية؛ وذكرَ ذلك في شعره فقال:

[الطويل]

أنـا ابـنُ سَـلْـمـى وَجَـدّي ظـالـمُ وأُمّي حَـصَـانٌ أخـلـصـتْـها الأعـاجـمُ

أَلَـيْـسَ غـلامٌ بـيـن كِـسْـرَى وظـالـمٍ بـأكْـرَمِ مَـن نِـيـطَـتْ عـلـيـه الـتَّـمـائـمُ

أخبرني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدثني أبو مَسْلَمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني موسى ابن زهَير الفزَاريّ قال: أخبرني موسى بن سَيّار بن نَجِيح المُزَنيّ قال: أنشدني ابن ميّادة أبياته التي يقول فيها:

أَلَـيْـسَ غـلامٌ بـيـن كِـسْـرَى وظـالـمٍ بـأكْـرَمِ مَـنْ نِـيـطَـتْ عـلـيـه الـتَّـمـائـمُ

فقلت له: لقد أشحطْتَ بدار العجوز، وأبعدتَ بها النُّجْعَة[1]، فهلاً غَرَّبْتَ (يريد أنّها صَقْلَبِيّةٌ ومحلها بناحية المغرب) فقال: إي بأبي أنتَ، إنه من جَاعَ

(١) النجعة: طلب الكلأ في مواضعه، وجمعها نُجَع.

انتجع، فدَعْها تَسِرْ في الناس فإنه «مَنْ يَسْمَعِ يَخَلْ»[١]، قال الزبير: قال ابن مَسْلَمة: ولمّا قال ابن ميّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرِيّ[٢] يردّ عليه: [الكامل]

وما لكَ فيهم من أبٍ ذي دسيعةٍ ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَنَاتُ الكرائم[٣]
وما أنتَ إلاّ عَبْدُهُمْ إن تُرِبْهُمُ مِنَ الدَّهرِ يوماً تَشْتَرِبْكَ المقاسِمُ
رَمَى نَهْبَلٌ في فَرْج أُمِّك رَمْيَةً بِحَوْقَاءَ تَسْقِيهَا العُرُوق الثَّواجِمُ[٤]

قال أبو مَسْلَمة: ونَهْبل عبدٌ بني مُرّة كانت ميّادة تزوَّجته بعد سيِّدها وكانت صَقْلبيّة. وابنُ مَيّادة شاعرٌ فصيحٌ مُقَدَّم مُخَضرم من شعراء الدولتين، وجعله ابن سلاّم في الطبقة السابعة، وقَرَنَ به عُمَر بن لجأ والعُجَيف العُقَيليّ والعُجَير السَّلُوليّ.

[ابن ميادة يتعرّض للمهاجاة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكّري قال: حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان ابنُ ميّادة عِرّيضاً للشرّ، طالباً مُهَاجاةَ الشعراء ومُسَابَّة الناس. وكان يضرب بيده على جَنْب أمه ويقول:

[الراجز]

إعرَنْزِمِي مَيّادَ للقوافي[٥]

أي إني سأهجو الناس فيهْجُونك.

وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي هَفّان بهذه الحكاية مثلَه وزاد فيها: [الرجز]

إعْرَنْزِمِي مَيَّادَ للقوافِي واسْتَسْمِعيهنّ ولا تَخَافِي
سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ[٦]

(١) من يسمع يخل: هذا مثل معناه: من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه عليهم المكروه (انظر لسان العرب مادة خال).
(٢) الحكم بن معمر بن قنبر الخضري شاعر من خضر بن محارب كان معاصراً لابن ميادة، وعدّه الأصمعي من طبقته. (الأعلام: ٢٦٧).
(٣) الدسيعة: كرم الفعل.
(٤) الثواجم: الدائمة الصبّ.
(٥) اعرنزم: اشتد وصلب. والقوافي: الشعر.
(٦) القذاف والمقاذفة: الترامي، وهنا التهاجي.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثنا داود ابن عُلَّفَة الأسدِيّ قال: جاورتِ امرأةٌ من الخُضْر: (رَهْطِ الحَكَم الخُضْرِيّ) أبياتَ ابن مَيّادة، فجاءت ذاتَ يوم تَطْلُب رَحىً وثِفَالا[١] لتَطْحَن، فأعاروها إيَّاهما، فقال لها ابن ميّادة: يا أختَ الخُضْر أترْوِينَ شيئاً مما قاله الحكمُ الخُضْرِيّ لنا، يريد بذلك أن تسمع أمُّه، فجعلتْ تأبى فلم يزل حتى أنشدتْه: [الطويل]

أمَيّادَ قد أفسدتِ سيفَ ابن ظالم ... بِبَظْرِك حتى عاد أثْلَمَ باليَا

قال: وميّادة جالسةٌ تسمع. فضحِك الرمَّاح وثارتْ ميّادة إليها بالعَمود تَضْرِبها به وتقول: أيْ زانية، هَيا زانية، أإيّاي تَعْنين! وقام ابن ميّادة يخلِّصها فبَعْد لأْيٍ ما أنْقَذها، وقد انتزَعَتْ منها الرّحى والثِّفال.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني أبو حَرْمَلة مَنْظُور بن أبي عَدِيّ الفَزَارِيّ قال: حدّثني شَمَاطيط ـ وهو الذي يقول:

[الرجز]

أنا شَماطيطُ الّذي حُدِّثتَ بهْ ... متى أُنبَّهْ للغداء أَنْتَبِهْ

حتى يُقالُ شَرِهٌ ولستُ بِهْ

ـ قال: كنتُ جالساً مع ابن ميّادة فوردَتْ عليه أبياتٌ للحكم الخُضْريّ يقول فيها: [الطويل]

أأنتَ ابنُ أشبانِيّةٍ أَدْلَجتْ بهِ ... إلى اللؤم مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها[٢]

ـ أشبانية: صَقْلَبِيّة ـ قال: وأمه ميّادة تسمع فضرب جَنْبها وقال:

إعْرَنْزِمي مَيّادَ للقوافِي

فقالت: هذه جنايتك يابن مَن خَبُثَ وشرّ، وأهوتْ إلى عَصاً تريد ضَرْبه بها؛ ففرَّ منها وهو يقول:

يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقَا

فصِحْتُ به: أيُّهما المعنيّ؟ فقال: أضْرَعُهما خَدَّين وألأَمُهما جَدَّين؛ فضربتُ

---

(١) الثفال: بساط يوضع تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق.

(٢) المقلات: التي لها ولد واحد.

جنبها الآخر وقلتُ: فهي إذاً ميّادة. وخرجتُ أعدو في أثر الرَّمّاح وتبِعَتْنا ترمينا بالحجارة وتَفْتَرِي علينا حتى فُتناها.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني أبو داود الفَزَاريّ أنّ ميّادة كانت أمَةً لرجلٍ من كَلْب زوجةً لعَبْدٍ له يقال له نَهْبَل، فاشتراها بنو ثَوْبان بن سُراقة فأقبلوا بها من الشأم، فلما قَدِموا وصبحوا[(١)] بها المُلَيْحة (وهي ماءة لبني سَلْمى ورَحْلِ بن ظالم بن جَذِيمة) نَظَر رَجُلٌ من بني سَلْمى إليها وهي ناعسة تَمَايَلُ على بعيرها، فقال: ما هذه؟ قالوا: اشتراها بنو ثَوبان، فقال: وأبيكم إنّها لميّادةٌ تميدُ وتميل على بعيرها، فغَلَب عليها «ميّادةُ». وكان أبردُ ضلَّةً من الضَّلَلِ[(٢)] ورِثَّةً[(٣)] من الرِّثَثِ جِلْفا لا تَخْلُص إحدَى يديه من الأُخرى، يَرْعَى على إخوته وأهله، وكانت إخوته كلهم ظُرفاء غيرَه، فأرسلوا ميّادة تَرْعَى الإبلَ معه فوقَعَ عليها، فلم يشْعُرُوا بها إلاّ حُبْلى قد أقعسها[(٤)] بطنُها، فقالوا لها: لمَن ما في بطنك؟ قالت: لأَبْرَد، وسألوه فجعلَ يسكُت ولا يُجيبهم، حتى رمتْ بالرِّمّاح فرأوْا غلاماً فدْغماً[(٥)] نجيباً، فأقرّ به أبردُ. وقالت بنو سَلْمى: ويْلكم يا بني ثَوْبان ابتطِنوه[(٦)] فلعله يُنجِب؛ فقالوا: والله ما له غيرُ ميّادةَ، فبنَوْا لها بيتاً وأقعدوها فيه، فجاءت بعد الرّماح بثَوْبان وخليل وبشير بني أبْرد وكانت أوّل نسائه وآخرهن وكانت امرأة صِدق، ما رُميت بشيء ولا سُبّت إلا بنَهْبَل، قال عبد الرحمٰن بن جُهَيْم الأسديّ في هجائه ابن ميّادة: [الطويل]

لَعمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ ... لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها
ولم تدرِ حَمْراءُ العِجانِ أنَهْبَلٌ ... أبُوهُ أم المُرِّيّ تَبّ تَبابُها[(٧)]

قال أبو داود: وكان ابن ميّادة هجا بني مازن وفَزارة بن ذُبيان، وذلك أنهم

---

(١) صبحوا بها المليحة: أتوها صباحاً.
(٢) ضِلّة: لا خير فيه. والضِّلة: الضّلال.
(٣) رثّة: سفلة الناس.
(٤) أقعسها بطنها: كبر نتيجة الحمل حتى جعلها كالقعساء، والقعساء هي التي يخرج صدرها ويدخل ظهرها.
(٥) الفدغم: اللحيم الجسيم.
(٦) ابتطنوه: أي انتجوه واتخذوا منه ولداً.
(٧) العجان: الاست. وحمراء العجان: سبّ عند العرب.

ظلموا بني الصارد ـ والصارد من مُرّة ـ فأخذوا مالهم وغلبوهم عليه حتى الساعة؛ فقال ابن ميّادة: [الكامل]

فَلأُوردنَّ على جماعة مازِنٍ ... خَيلاً مُقلِّصةَ الخُصَى ورجالا
ظلّوا بذي أُرُكٍ كأنّ رؤوسهم ... شجَرٌ تخطّاه الربيع فحالا[1]

فقال رجل من بني مازن يردّ عليه: [الكامل]

يا بن الخبيثة يابن طَلّة نَهْبَلٍ ... هلاّ جَمَعْتَ كما زَعَمْتَ رجالا[2]
أببَظْرِ مَيْدَة أم بخُصيَيْ نَهْبلٍ ... أم بالفُساة تُنازل الأبطالا
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ ... تَبْغِي القتالَ لَتَلْقَيَنَّ قِتالا

قال: وبنو مُرّة يُسَمَّوْنَ الفُسَاة لكثرة امتيارهم التمر، وكانت منازلهم، بين فَدَك[3] وخَيْبَر فلُقِّبوا بذلك لأكلهم التمر، وقال يحيى بن عليّ في خبره ـ ولم يذكره عن أحد ـ: وقال ابن ميّادة يفتخر بأمّه: [الرجز]

أنا ابن مَيّادَة تَهْوِي نُجُبِي ... صَلْتُ الجبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبي[4]
تَرفعني أمي وينميني أبي ... فوق السحاب ودُوَيْنَ الكوكبِ

قال يحيى بن عليّ في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود الفزاريّ: إنّ ابن ميّادة قال يفخَر بنسب أبيه في العرب ونسب أمّه في العجم: [الطويل]

أَلَيْسَ غلامٌ بَيْنَ كِسْرَى وظالم ... بأكْرَمِ مَن نِيطَتْ عليه التَّمائمُ
لَوَ انَّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ ... وجئتُ بجَدّي ظالم وابنِ ظالِم
لظلّت رقابُ الناس خاضِعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجِم[5]

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسَّان دَماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابن مَيّادة واقفاً في المَوْسم يُنشِد: [الطويل]

لو انّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ

---

(١) ذو أرك: موضع بين تيماء والمدينة.
(٢) طلة الرجل: امرأته.
(٣) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان (معجم البلدان ٤/٢٣٨).
(٤) صلت الجبين: واضح الجبين.
(٥) التلعة: ما علا عن الأرض.

وذكر تمام البيت والذي بعده. قال: والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثّم، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال: أنت يا بن أبْرَد صاحب هذه الصفة! كذَبتَ والله وكذَبَ مَن سمِع ذلك منك فلم يُكذّبك؛ فأقبل عليه فقال: فَمَهْ يا أبا فِرَاس؛ فقال: أنا والله أوْلَى بهما منك، ثم أقبل على راويته فقال: اضممهما إليك: [الطويل]

لَوَ انّ جميع الناس كانوا بتَلْعَةٍ ... وجئتُ بجَدِّي دارِمٍ وابنِ دارِمِ
لظلَّتْ رِقابُ الناسِ خاضِعَةً لنا ... سُجُوداً على أقدامنا بالجماجِمِ

قال: فأطرق ابن مَيّادة فما أجابه بحرف، ومضَى الفرزدق فانتحلهما.

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمَّاد عن أبيه عن أبي داود قال: أمُّ بني ثَوْبان - وهم أبْرَد أبو ابن مَيّادةَ والعَوْثبانُ وقريض وناعضة، وكان العوثبان وقريض شاعرين - أمّهم جميعاً سَلْمَى بنت كَعْب بن زُهَير بن أبي سُلْمى. ويقال: إن الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدّهم زُهَير. قال إسحاق في خبره هذا: وحدّثني حُمَيد بن الحارث أن عُقْبة بن كَعْب بن زُهَير نزل المُلَيحة[1] على بني سَلْمَى بن ظَالِم فأكلوا له بعيراً، وبلغ ابن مَيّادة أن عقبة قال في ذلك شعراً، فقال ابنُ مَيَّادة يردّ عليه: [الكامل]

ولقد حلفتُ بربِّ مكةَ صادقاً ... لولا قرابةُ نِسْوةٍ بالحاجِرِ[2]
لَكَسَوْتُ عُقْبَةَ كُسْوةً مَشْهُورَةً ... تَرِدُ المَنَاهلَ من كلامٍ عائرِ[3]

وهي قصيدة؛ فقال له عُقْبة: [الوافر]

أَلَوْماً أنني أصبحتُ خالاً ... وذكرُ الخال يَنْقُصُ أو يزيدُ
لقد قَلَّدْتُ مِنْ سَلْمَى رجالاً ... عليهم مَسْحَةٌ وهُمُ العبِيدُ

فقال ابن مَيَّادة: [الوافر]

إن تَكُ خالَنا فقُبِحْتَ خالاً ... فأنت الخال تنقُص لا تزيدُ
فيوماً في مُزَيْنة أنتَ حُرٌّ ... ويوماً أنْتَ مَحْتِدُك العبيدُ

(١) المليحة: جبل غربي سلمى أحد جبلي طيّيء. وقيل: موضع في بلاد تميم. (معجم البلدان: ٥/ ١٩٦).
(٢) الحاجر: موضع قبل معدن النقرة (معجم البلدان ٢/ ٢٠٤).
(٣) الكلام العائر: السائر، المنتشر. يقال: قصيدة عائرة.

أحَـقُّ الـنّـاس أن يَـلْـقَـى هَـوَانـاً ويـؤكَـلَ مـالُـه الـعـبـدُ الـطَّـريـدُ

قال إسحاق: فحدّثني عَجْرَمة قال: كان ابن مَيَّادة أحمرَ سَبْطاً[١] عظيم الخَلْق طويلَ اللِّحية، وكان لَبّاساً عَطِراً، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطْيبَ عَرْفاً منه.

قال إسحاق: وحدّثني أبو داود قال: سمعت شيخاً عالماً من غَطَفان يقول: كان الرَّمَّاح أشعرَ غَطَفان في الجاهلية والإسلام، وكان خيراً لقومه من النابغة، لم يمدح غير قريش وقَيْس، وكان النابغة إنما يَهْذِي باليمن مضلّلاً حتى مات.

قال إسحاق: وحدّثني أبو داود أن بني ذُبْيانَ تزعُم أن الرَّمَّاح بن مَيَّادَة كان آخرَ الشعراء. قال إسحاق: وحدّثني أبو صالح الفَزَاريّ أن القاسم بن جُنْدَبٍ الفَزَارِيّ، وكان عالماً، قال لابن مَيّادة: والله لو أصلحتَ شعرَك لذُكِرتَ به، فإنّي لأراه كثيرَ السَّقَط؛ فقال له ابن ميادة: يابنَ جُنْدَب، إنما الشعر كنَبْلٍ في جَفِيرِك[٢] ترمي به الغرضَ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ وقاصدٌ[٣].

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: كان ابن مَيّادة حديثَ العهد لم يُدرِكْ زمانَ قُتَيبة بن مُسْلِم، ولا دخل فيمن عنَاه حين قال: «أشعرُ قيسٍ الملقَّبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان»، ولكنه شاعر مُجِيدٌ كان في أيام هِشَام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: كان ابن مَيَّادة فصيحاً يُحْتجُّ بشعره، وقد مدح بني أمية وبني هاشم: مدح من بني أمية الوليدَ بن يَزيد وعبدَ الواحد بنَ سليمان، ومدح من بني هاشم المنصورَ وجعفرَ بن سليمان.

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ قال: أخبرني طَمَّاحُ ابن أخي الرَّمَّاح بن مَيَّادة قال: قال لي عمّي الرّمّاح: ما علمتُ أنّي شاعرٌ حتى واطأتُ الحطيئة، فإنه قال: [الطويل]

عـفـا مُـسْـحُـلانُ من سُـلَـيْـمـى فَـحـامِـرُهْ تَـمَـشّـى بـه ظُـلْـمَـانُـهُ وجـآذِرُهْ

فوالله ما سمعتُه ولا رويتهُ فواطأته بطبعي فقلت:

(١) السبط: الطويل الحسن القدّ.
(٢) الجفير: الجعبة. الكنانة.
(٣) العاصد: الملتوي الذي لا يصيب الهدف.

فَذُو العُشِّ والمَمْدُورُ أَصْبَحَ قاوياً ... تَمَشَّى بِه ظُلْمانُهُ وجآذِرُهْ(١)

فلما أنشدتُها قيل لي: قد قال الحطيئة:

تَمَشَّى بِه ظِلْمانُه وجآذرهْ

فعلمتُ أني شاعرٌ حينئذٍ

[ابن ميّادة وأُمّ جحدر]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني موسى ابن زُهير بن مُضَرِّس قال: كان الرَّمّاح بن أَبْرَد المعروف بابن مَيّادة يَنْسُبُ بأمّ جَحْدَر بنت حَسّان المُرِّيَّة إحدى نساء بني جَذِيمَة، فحلف أبوها لَيُخْرِجَنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد؛ فقَدِمَ عليه رجلٌ من الشأم فزوَّجه إياها؛ فلقيَ عليها ابنُ ميّادة شِدّة، فرأيتُه وما لَقِيَ عليها، فأتاها نساؤها يَنْظُرْنَ إليها عند خروج الشاميّ بها. قال: فوالله ما ذَكَرْنَ منها جمالاً بارعاً ولا حُسْناً مشهوراً، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لِعَجَب. فلمّا خرج بها زَوْجُها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول:

[الطويل]

أَلاَ ليتَ شِعْرِي هل إلى أمّ جَحْدَرٍ ... سَبِيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرَا

إذا نَزَلَتْ بُصْرَى تَرَاخَى مَزارُها ... وأغلقَ بَوّابانِ مِن دُونِها قَصْرَا

فهل تأتِيَنِّي الرِّيحُ تَدْرُجُ مَوْهِناً ... بريّاكِ تَعْرَوْرِي بها جَرَعاً عُفْرَا(٢)

قال الزبير: وزادني عمّي مُصْعَب فيها:

فلو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أمّ جَحْدَرٍ ... إليّ لقد أَوْجَبت في عُنُقِي نَذْرا

ألا لا تَلُطِّي السَّتْرَ يا أمّ جَحدَرٍ ... كَفَى بِذُرَا الأعلام مِنْ دُوننا سِتْرا(٣)

لَعمرِي لئن أَمْسَيتِ يا أمّ جَحْدَرٍ ... نأيتِ لقد أبْلَيْتُ في طَلَبٍ عُذْرا

فَبَهْراً لقومي إذ يبيعونَ مُهْجَتِي ... بِغَانِيَةٍ بَهْراً لهم بعدَها بَهْرَا

---

(١) ذو العش: من أودية العقيق (معجم البلدان ٤/ ١٢٦). والممدور: موضع في ديار غطفان. (معجم البلدان ٥/ ١٩٧). والقاوي: الخالي.

(٢) تعروري: تركب. يقال: اعرورى فرسه: ركبه عرياً.

(٣) لا تلطّي: لا ترخي. وذرا الأعلام: قمم الجبال.

قال الزبير: بَهْراً هاهنا: يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهَرُهم، كما تقول: جَدْعاً وعَقْراً. وفي أوّل هذه القصيدة ـ على ما رواه يحيى بن عليّ عن حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث ـ يقول: [الكامل]

ألا لا تَعُدْ لِي لَوْعَةٌ مِثلُ لَوْعَتِي — عليكِ بأَدَمَى والهوى يَرْجِعُ الذِّكْرَا
عَشِيَّةَ أَلْوِي بالرِّدَاء على الحَشَا — كأنَّ رِدَائي مُشْعَلٌ دونَه جَمْرَا

قال حُمَيد بن الحارث: وأُمّ جَحْدَر امرأة من بني رَحل بن ظالم بن جَذِيمة ابن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النَّعَامِيّ أن أمّ جَحْدَر كانت امرأة من بني مُرّة ثم من بني رَحْل، وأنّ أباها بلغه مصيرُ ابنِ ميّادة إليها، فحلفَ ليزوِّجنَّها رجلاً من غير ذلك البلد، فزوّجها رجلاً من أهل الشأم فاهتداها[1] وخرج بها إلى الشأم، فتبعها ابنُ ميّادة، حتى أدركه أهلُ بيته فردّوه مُصْمِتاً[2] لا يتكلم من الوَجْد بها؛ فقال قصيدة أوّلها: [الطويل]

خَلِيلَيَّ من أَبناء عُذْرَة بَلِّغَا — رسائلَ منّا لا تَزِيدكما وِقْرَا[3]
أَلِمّا على تَيْماءَ نَسْأَلْ يَهُودَها — فإنَّ لَدَى تَيْماءَ من رَكْبِها خُبْرَا
وبالغَمْر قد جازتْ وجازَ مَطِيُّها — عليه فسَلْ عن ذاك نَيَّانَ فالغَمْرَا[4]
ويا ليتَ شِعْرِي هل يَحُلَّنّ أهلُها — وأهلُك رَوْضاتٍ ببَطن اللِّوَى خُضْرَا

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني أبو سعيد (يعني عبد الله بن شبيب) قال: حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك، وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرِّيَاحِيّ العُذْريّ قال: حدّثني عمر بن وَهْب العَبْسيّ قال حدّثني زياد بن عثمان الغَطَفانيّ من بني عبد الله ابن غَطَفان قال: كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[5] من طُول الثَّواء، فإذا

---

(١) اهتداها: زفّها إلى زوجها.
(٢) مصمتاً: صامتاً، ساكتاً لا يتكلم.
(٣) الوقر: الحمل الثقيل.
(٤) نيان والغمر: موضعان ببادية الشام قرب تيماء.
(٥) غَرِض: ضجر.

أعرابيّ يقول: يا مَعْشَر العرب، أمَا منكم رجلٌ يأتيني أعلِّله إذ غَرِضْنا من هذا المكان فأُخبره عن أمّ جحْدَر وعنّي؟ فجئتُ إليه فقلتُ: مَن أنت؟ فقال: أنا الرَّمَّاحُ ابنُ أَبرَد، قلت: فأخبرني ببَدْء أمركما؛ قال: كانت أمّ جَحْدَر من عَشِيرتي فأعجبتني، وكانت بيني وبينها خُلّة؛ ثم إني عَتَبْتُ عليها في شيء بلغني عنها، فأتيتها فقلتُ: يا أمّ جَحْدَر إنّ الوَصْل عليكِ مَرْدود؛ فقالت: ما قَضَى الله فهو خَيْر. فلبِثتُ على تلك الحال سنة، وذهبتْ بهم نُجْعَةٌ فتباعدوا، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً، فقلتُ لامرأة أخٍ لي: والله لئن دَنَتْ دارُنا من أمّ جَحْدَر لآتينَّها ولأطلبنَّ إليها أن تردّ الوَصْل بَيْنِي وبينها، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبداً، ولم يكن يومان حتى رَجَعُوا، فلمّا أصبحتُ غَدَوْتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سَنَدٍ[1] أبرقَ[2] طويلٍ، وإذا امرأتان جالستان في كِساءٍ واحدٍ بين البيتين، فجئتُ فسلَّمتُ، فردّت إحداهما ولم تردّ الأخرى، فقالت: ما جاء بك يا رمّاح إلينا؟ ما كنّا حَسِبنا إلاّ أنه قد انقَطع ما بيننا وبَيْنك؛ فقلت: إني جعلتُ عليّ نَذْراً لئن دَنَتْ بأمّ جَحْدَر دارٌ لآتينّها ولأطلبنّ منها أن تَرُدّ الوصلَ بَيْني وبينها، ولئن هي فَعَلَتْ لا نَقَضْتُه أبداً، وإذا التي تكلِّمني امرأةُ أخيها وإذا الساكتة أمّ جَحْدَر؛ فقالت امرأة أخيها: فادخُلْ مُقَدَّم البيت فدخلتُ، وجاءتْ فَدَخَلَتْ من مُؤخَّره فَدَنَتْ قليلاً، ثم إذا هي قد بَرَزَتْ، فساعةَ بَرَزَتْ جاء غرابٌ فَنَعَبَ على رأس الأَبْرَق فنظرتْ إليه وشَهَقَتْ وتغيّر وجهها؛ فقلتُ: ما شأنكِ؟ قالتْ: لا شيء؛ قلتُ: بالله إلاّ أَخْبَرتِنِي؛ قالت: أرى هذا الغرابَ يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلاّ ببلد غير هذا البلد؛ فَتَقَبَّضَتْ نفسي، ثم قلتُ: جاريةٌ والله ما هي في بيت عِيَافة[3] ولا قِيَافة[4]، فأقمتُ عندها، ثم تروّحتُ[5] إلى أهلي فمكثت عندهم يومين، ثم أصبحتُ غادياً إليها، فقالت لي امرأة أخيها: وَيْحَك يا رمّاح! أينَ تذهب؟ فقلتُ: إليكم؛ فقالت: وما تريدُ؟ قد والله زُوِّجَتْ أمُّ جَحْدر البارحة، فقلت: بمَنْ ويْحَكِ؟ قالت: برجل من أهل الشأم من أهل بيتها، جاءهم من الشأم فخطبها فزوَّجها وقد حُمِلتْ إليه، فمضيتُ إليهم

(١) السند: ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادي. وقيل: السند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح.

(٢) الأبرق من الجبال: ما كان له لونان أبيض وأسود.

(٣) العيافة: زجر الطير.

(٤) القيافة: تتبع الآثار ومعرفتها.

(٥) تروحت: مضيت.

فإذا هو قد ضرَب سُرَادقاتٍ، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أياماً، ثم إنه احتملها فذهب بها فقلتُ: [الطويل]

أجارتَنا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ ... علينا وبعضَ الآمنين تُصِيبُ
أجارَتَنا لَسْتُ الغَدَاةَ ببارحٍ ... ولكنْ مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ[1]
فإن تسألِينِي هل صَبَرْتَ فإنني ... صَبُورٌ على رَيْبِ الزَّمانِ صَلِيبُ

قال عليّ بن الحسين: هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابنُ مَيَّادة فأخذها بأعيانها، أما البيتان الأوّلان فهما لامرىء القيس قالهما لما احْتُضِر بأنْقِرَةَ في بيتٍ واحد وهو:

أجارتنا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ ... وإنّي مُقِيمٌ ما أقام عَسِيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية، وتمثل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبي طالب، فنقله ابن مَيّادة نقلاً. ونرجع إلى باقي شعر ابن ميّادة: [الطويل]

جَرَى بانْبِتَاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحْدَرٍ ... ظباءٌ وطيرٌ بالفِرَاق نَعُوبُ
نظرتُ فلم أَعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ ... لها الطيرُ قبلي واللبيبُ لبيبُ
فقالت حرامٌ أن نُرَى بعد هذه ... جميعَيْنِ إلا أن يُلِمَّ غريبُ
أجارتَنا صبراً فيا رُبَّ هالكٍ ... تَقَطَّعُ من وَجْدٍ عليه قلوبُ

قال: ثم انحدرْتُ في طلبها، وطَمِعتُ في كلمتها: «إلاّ أن نجتمع في بلد غير هذا البلد». قال: فجئت فدُرْتُ الشأمَ زماناً فتلقّاني زوجُها فقال: ما لك لا تغسِل ثيابكَ هذه! أرسلْ بِها إلى الدار تُغْسَل، فأرسلتُ بها؛ ثم إنّي وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب، فقالت أمُّ جَحْدر لجاريتها: إذا جاء فأعْلِمِيني؛ فلما جئتُ إذا أمُّ جَحْدَرٍ وراءَ الباب فقالت: وَيْحَكَ يا رَمَّاح! قد كنتُ أحسَب أن لك عقلاً! أمَا ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفُسنا عنه؟ انصرفْ إلى عشيرتك فإنّي أستحيي لك من هذا المُقَام؛ فانصرفتُ وأنا أقول:

---

(١) عسيب: جبل بعالية نجد (معجم البلدان: ٤/ ١٢٤).

صوت

[الطويل]

عَسَى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ ... ويجمَعَنا من نَخْلَتيْن طَرِيقُ
وتَضطَكَّ أعضادُ المَطِيِّ وبينَنا ... حديثٌ مُسَرٌّ دونَ كلّ رَفِيقِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشَاميّ أنه للحَجَبِيّ.

وقال حينَ خرج إلى الشأم ـ هذه رواية ابن شَبيب ـ: [الطويل]

ألا حيِّيا رَسْماً بذي العُشّ مُقْفِرا ... وربعاً بذي المَمْدورِ مستعجِماً قَفْرَا
فأعجبُ دارٍ دارُها غيرَ أنني ... إذا ما أتيتُ الدار تَرْجِعُني صِفْرا[١]
عشيةَ أَثْنِي بالرِّداء على الحَشَى ... كأنّ الحَشَى من دُونِه أُسعِرَتْ جَمْرَا
يَمِيلُ بنا شَحْطُ النَّوَى ثم نلتقي ... عِدَادَ الثُّرَيّا صادفتْ ليلَةً بَدْرَا
وبالغَمْرِ قد جازتْ وجاز مطيُّها ... فأسْقَى الغَوَادِي بَطْنَ نَيّانَ فالغَمْرَا
خَليليَّ من غَيْظِ بن مُرَّةَ بلِّغا ... رسائلَ منِّي لا تَزِيدكُما وِقْرَا
ألا ليت شِعْرِي هل إلى أمِّ جَحْدرٍ ... سَبِيلٌ، فأما الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرَا
فإنْ يَكُ نَذْرٌ راجعاً أمَّ جَحْدَرٍ ... عليَّ لقد أَوْذَمتُ في عُنُقِي نَذْرَا[٢]
وإني لأَسْتَنْشِي الحديثَ مِنَ اَجْلِها ... لأسْمَعَ منها وهي نازِحةٌ ذِكْرَا[٣]
وإني لأستحيي من الله أن أرَى ... إذا غَدَرَ الخُلاّنُ أنوِي لها غَدْرَا

أخبرني محمد بن مَزيد قال: حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: أنشدني أبو داود لابن مَيَّادة وهو يضحك منذُ أنشدني إلى أن سكت: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنّ الصّارِدِيَّةَ جاورتْ ... ليالِيَ بالمَمْدور غيرَ كَثِيرِ[٤]
ثلاثاً فلمّا أن أصابتْ فؤادَه ... بسَهْمَيْن من كَحْلٍ دعتْ بهَجِيرِ[٥]
بأَصهَبَ يَرْمِي للزِّمام برأسِه ... كأنّ على ذِفراه نَضْخَ عَبِيرِ[٦]
جَلَتْ إذ جَلَتْ عن أهلِ نَجْدٍ حَمِيدةً ... جَلاءَ غَنيٍّ لا جلاءَ فَقِيرِ

---

(١) صفراً: خالياً: يقال: رجع صفر اليدين، أي ليس في يديه شيء.
(٢) أوذمت: أوجبت.
(٣) استنشي الحديث: أبحث عنه.
(٤) الصاردية: نسبة إلى بني صارد، وهم حي من بني مرة بن عوف بن غطفان.
(٥) الهجير: الجمل المشدود بالهجار.
(٦) الأصهب: الذي شعره أسود وعلته حمرة. والذفرى: خلف الأذن. ونضخ عبير: أي كأنه بُلّل بالطيب.

وقالت وما زادتْ على أن تَبَسَّمَتْ عذيرَكَ من ذي شَيْبَةٍ وعَذِيري[١]
عَدِمتُ الهوى ما يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً لقلبي بسَهْمٍ في اليدين طَرِيرِ[٢]
وقد كان قلبي مات للوَجْد مَوْتةً فقد هَمَّ قلبي بعدَها بنُشُورِ

قال: فقلت: ما أضحكك؟ فقال: كذب ابنُ مَيَّادة، والله ما جَلَتْ إلاّ على حمار وهو يذكر بعيراً ويَصِفُه وأنها جَلَتْ جلاءَ غنيّ لا جلاءَ فقيرٍ، فأنطقه الشيطان بهذا كلِّه كما سمعت.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكَّار قال: حدّثني موسى بن زُهَير قال: مكثتْ أمُّ جَحْدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجُها عنها ومات ولدُها منه. فقدِمتْ نجداً على إخوتها وقد مات أبوها.

أخبرني سَيَّار بن نجيح المُزَنيّ قال: لقيتُ ابنَ مَيَّادة وهو يبكي فقلت له: ويْحك! ما لك؟ قال: أخرجتْني أمُّ جحدر وآلتْ يميناً ألاّ تكلِّمني، فانطلِقْ فاشفعْ لي عندها؛ فخرجتُ حتى غَشِيتُ رِوَاقَ بيتها فوجدتُها وهي تَدْمُكُ[٣] جَرِيراً[٤] لها بين الصَّلاَيةِ[٥] والمُدُقّ تريد أن تَخْطِم به بعيراً تحُجّ عليه؛ فقالت: إن كنت جئت شفِيعاً لابن مَيَّادة فبيتي حرامٌ عليك أن تُلْقِيَ فيه قَدَمَك. قال: فحجّتْ، ولا والله ما كلّمتْه ولا رآها ولا رأتْه. قال موسى قال سَيَّار: فقلت له: اذكرْ لي يوماً رأيتَه منها؛ فقال لي: أمَا والله لأخبرنّك يا سَيَّار بذلك: بعثتُ إليها عجوزاً منهم فقلتُ: هل ترَيْن من رجالٍ؟ فقالت: لا والله، ما رأيتُ من رجل؛ فألقيتُ رَحْلي على ناقتي ثم أرسلتُها حتى أَنَخْتُها بين أطنابِ بيتهم؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة، فما كان إلا ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لي فراشاً مرقوماً مطموماً، وطرحتْ لي وسادتين على عجُز الفِراش وأُخريين على مقدّمه؛ قال: ثم تحدّثْنا ساعةً وكأنما تُلْعِقُني بحديثها الرُّبَّ[٦] من حلاوته، ثم إذا هي تَصُبُّ في عُسٍّ[٧] مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان

(١) عذيرك: أي هات من يعذرك.
(٢) أقصد السهم: أصاب المقتل. والسهم الطرير: المحدّد.
(٣) تدمك: ترقّق، تليّن.
(٤) الجرير: حبل من أدم يخطم به البعير.
(٥) الصّلاية: كل حجر عريض يدقّ عليه.
(٦) الرُّبّ: دبس الرطب.
(٧) العس: القدح الضخم.

اللِّقَاح، فأخذتُ منها ذلك العُسَّ وكأنه قناةٌ فراوحتُه بين يديّ، ما ألقمتُه فمي ولا دَرَيْتُ أنه معي حتى قالت لي عجوز: ألا تصلّي يابنَ ميادة لا صلَّى الله عليك فقد أظلَّك صَدْر النهار! ولا أحسَب إلا أنّني في أوّل البُكْرة؛ قال: فكان ذلك اليومُ آخرَ يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها، وهو أظرفُ ما كان بيني وبينها.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حدّثني حكَم ابن طَلْحة الفَزَارِيّ ثم المَنْظُورِيّ قال: قال ابن مَيّادة: إنّي لأعلم أقصرَ يومٍ مرّ بي من الدهر، قيل له: وأيُّ يوم هو يا أبا الشُّرَحْبِيل؟ قال: يومٌ جئتُ فيه أمَّ جَحْدرٍ باكراً فجلستُ بفِنَاء بيتها فدعتْ لي بعُسٍّ من لبن فأُتيتُ به وهي تحدّثني، فوضعتُه على يدي وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتْني صلاةُ الظهر وما شربت. قال الزبير: وحدّثني أبو مسلمة موهوب بن رَشيد بمثل هذا، وزاد في خبره: وقال ابن مَيَّادة فيها أيضاً: [الطويل]

ألَـم تـر أن الـصـارِدِيَّـةَ جـاورتْ ... لـيـالـيَ بـالـمَـمـدُور غـيـرَ كـثـيـرِ
ثـلاثـاً فـلـمـا أن أصـابَـتْ فـؤادَه ... بِسَهْمَيْنِ من كحل دعتْ بـهِـجَيرِ
بـأحْـمـرَ ذَيّـالِ الـعَـسِـيـبِ مـفـرّجٍ ... كـأنّ عـلـى ذِفْـراه نَـضْـخَ عَـبِـيـرِ
حـلـفْـتُ بـربِّ الـراقـصـاتِ إلـى مِـنًـى ... زَفِيفَ القَطَا يقطعْنَ بطنَ هَبِيرِ(١)
لـقـد كـاد حـبُّ الـصـارِدِيَّـةِ بـعـدمـا ... عـلا فـي سَـوَاد الـرأسِ نَـبْـذُ قَـتِـيـرِ(٢)
يـكـون سَـفَـاهـاً أو يـكـونُ ضـمـانـة ... علـى ما مضى من نعمةٍ وعُصُورِ(٣)
عدِمتُ الـهوى لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ مُقْصِداً ... لِـقَـلْـبِـي بِـسَـهْـمٍ فـي الـفـؤاد طَـرِيـرِ
وقـد كـان قَـلْـبـي مـاتَ لِـلْـحُـبِّ مَوْتَـةً ... فـقـد هَـمَّ قـلـبِـي بـعـدهـا بِـنُـشُـورِ
جَـلَـتْ إذ جَـلَـتْ عن أهلِ نَجد حميدةً ... جـلاءَ غـنـيٍّ لا جـلاءَ فـقـيـرِ

ومما يغنَّى فيه من أشعار ابن مَيَّادة في النَّسِيب بأمّ جَحْدَرٍ قوله:

صوت

[الطويل]

ألاَ يـا لَـقَـوْمِـي لـلـهـوى والـتـذكُّـرِ ... وَعَـيْـنٍ قَـذَى إنـسـانِـهـا أمُّ جَـحْـدَرِ

(١) الهبير: رمل زرود في طريق مكة (انظر معجم البلدان ٥/ ٣٩٦).
(٢) نبذ القتير: القليل منه. وأراد بالقتير: الشيب.
(٣) ضمانةً: بلاءٌ.

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِي لم يَطِرْ ولا كَضُلُوعٍ فَوقَهُ لم تُكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

أخبرنا الحَرَمِيّ بن أبي العَلاءَ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا حكيم ابنُ طَلْحة الفَزَارِيّ عن رجل من كَلْبٍ قال: جنيْتُ جنايةً فغرِمْتُ فيها، فنهضتُ إلى أخوالي بني مُرّةَ فاستعنتُهم فأعانُوني، فأتيتُ سَيَّار بن نجيح أَحدَ بني سَلْمَى بنِ ظالم فأعانني، ثم قال: انهضْ بنا إلى الرمَّاح بن أَبْرَدَ - يعني ابن مَيَّادةَ - حتى يُعِينَكَ، فدَفَعْنا إلى بيتين له، فسألنا عنه فقيل: ذهب أمس؛ فقال سَيَّار: ذهب إلى أَمَةٍ لبني سُهَيل، فخرجْنا في طلبه فوقعْنَا عليه في قَرَارةٍ[1] بيضاء بين حَرَّتيْن، وفي القَرَارة غَنَمٌ من الضأنِ سُودٌ وبيضٌ، وإذا حمارٌ مقيَّد مع الغنم وإذا به معها، فجلسنا فإذا شابّة حلوة صفراء في دُرَّاعةٍ مُورَّسَةٍ[2]، فسلَّمْنا وجلسْنا؛ فقال: أَنْشِدِيهم مما قلتُ فيكِ شيئاً، فأنشدتْنا: [الطويل]

يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنني لأَعلَمُ لا أَلقاكِ من دونِ قابِلِ
إلى ذاك ما حارتْ أمورُك وانجَلَتْ غَيَايةُ حُبِّيكِ انجلاء المَخَايِلِ[3]
إذا حَلَّ أهلِي بالجِنَابِ وأهلُها بحيث التقَى الغُلاَّنُ من ذي أرائلِ[4]
أقولُ خُلَّةٌ بانتْ وأدبرَ وصلُها تقطَّع منها باقياتُ الحَبَائِلِ
وحالتْ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ورفعُ الأعادِي كلَّ حقٍّ وباطلِ
أقولُ لِعَذَّالَيَّ لما تَقَابَلا عليّ بلَوْمٍ مثلِ طعنِ المَعَابِلِ[5]
لا تُكْثِرا عنها السؤالَ فإنَّها مُصَلْصِلةٌ من بعض تلك الصَّلاَصِلِ[6]
من الصُّفْرِ لا وَرْهاءُ سَمْجٌ دَلاَلُها وليستْ من السُّودِ القِصَارِ الحَوائلِ[7]
ولكنها ريحانةٌ طال نَشْرُها وردتُ عليها بالضُّحَى والأَصائِلِ

---

(١) القرارة: المطمئن من الأرض.
(٢) مورَّسة: مصبوغة بالورس، وهو نبت أصفر.
(٣) الغياية: كل ما أظل الإنسان من سحاب أو غيره أو غيرهما. والمخايل: جمع مخيلة وهي السحابة التي تتخيلها ماطرة.
(٤) الجناب: أرض لغطفان. والغلان: منابت الطلح.
(٥) المعابل: جمع معبلة، وهي نصل طويل وعريض.
(٦) مصلصلة: مصوِّتة. والصلاصل: جمع صلصلة، وهي الحمامة.
(٧) الورهاء: الحمقاء. والسمج: الذي لا ملاحة فيه. والحوائل: جمع حائلة، وهي المتغيرة اللون.

ثم قال لها: قُومي فاطرَحي عنكِ دُرَّاعتكِ، فقالت: لا حتى يقولَ لي سَيَّار بن نجيح ذلك، فأبى سَيَّار؛ فقال له ابن ميادة: لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما، فقال لها فقامت فطرحتْها، فما رأيتُ أحلى منها. فقال له سَيَّار: فمالك يا أبا الشُّرَحْبِيل لا تشتريها؟ فقال: إذاً يفسُد حبُّها.

[ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثتني مُغِيرةُ بنتُ أبي عَدِيّ بن عبد الجَبَّار بن مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيَّار الفَزَارِيّة قالت: أخبرني أبي قال: جمعني وابن مَيَّادة وصَخْرَ بن الجَعْد الخُضْرِيّ مجلسٌ، فأنشدنا ابن مَيَّادَة قولَه: [الطويل]

يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنني ... لأعلَمُ لا ألقاكِ من دون قابِلِ

فأقبل عليه صخر فقال له: المحبّ المُكِبُّ يرجو الفائتَ ويَغُمّ الطيرَ، وأراك حسَنَ العَزَاءِ يا أبا الشُّرَحْبِيل؛ فأعرض عنه ابنُ مَيَّادة. قال أبو عَدِيّ فقلت:

صادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ سيلاً يَدْرَعُهْ ... بِهَضْبَةٍ تَرُدُّه وتدفَعُهْ[1]

ـ ويروى: دَرْءُ السَّيْلِ سيلٌ ـ فقال لي: يا أبا عديّ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذْرة: [الطويل]

هُوَ العَبْدُ أقصَى هَمِّهِ أنْ تسُبَّه ... وكان سِبَابُ الحرِّ أقصَى مدى العَبْدِ

قال الزبير: قوله يغمّ الطير يقول: إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره. قال: فلم يُجِرْ إليه صَخْر بن الجَعْد جواباً. يعني بقوله: «لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين» مُهَاجَاتَه الحَكَمَ الخُضْرِيّ، وكانا تَهَاجَيَا زماناً ثم كفَّ ابنُ مَيَّادة وسأله الصلحَ فصالحَه الحكمُ.

[ابن ميادة والحكم الخضري]

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاءَ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حدّثني أبو مَسْلمةَ موهوبُ بن رَشِيد عن عبد الرحمٰن بن الأحول التغلَبيّ ثمّ الخَوْلانيّ قال: كان أوّل ما بدأ الهجاءُ بين ابن مَيّادة وحَكَم بن مَعْمر الخُضْريّ أن ابن مَيّادة مرّ

---

(١) درء السيل: اندفاعه.

بالحكم بن مَعْمر وهو يُنْشِد في مصلَّى النبيّ ﷺ في جماعة من الناس قوله: [الكامل]

لِـمَـنِ الـدِّيـارُ كـأنّـهـا لـم تُـعْـمَـرِ بـيـن الـكِـنـاسِ وبـيـن بُـرْقِ مُـحَـجَّـرِ[١]

حتى انتهى إلى قوله:

يـا صـاحِـبَـيَّ ألـم تَـشِـيـمَـا بـارِقـاً نُضِحَ الصُّرَادُ به فهَضْبُ المَنْحَرِ[٢]

قـد بِـتُّ أرْقُـبُـه وبـات مُـصَـعِّـداً نَهْضَ المقيَّد في الدِّهاسِ المُوقَرِ[٣]

فقال له ابن مَيَّادة: ارفعَ إليّ رأسَك أيها المنشِد، فرفع حَكَم إليه رأسَه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا حكم بن مَعْمَر الخُضْرِيّ، قال: فوالله ما أنت في بيت حسب، ولا في أرُومة شِعْر؛ فقال له حكم: وماذا عِبْت من شعري؟ قال: عِبْتُ أنك أدْهستَ وأوْقرتَ؛ قال له حكم: ومن أنت؟ قال أنا ابن مَيّادة؛ قال: ويحك! فلم رَغِبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمك؟ قبّح الله والدينِ خيرُهما مَيّادة، أمَا والله لو وجدت في أبيك خيراً ما انتسبتَ إلى أمك راعيةِ الضأن. وأما إدْهَاسِي[٤] وإيقاري[٥] فإني لم آتِ خَيْبَر إلاّ مُمْتَاراً لا مُتَحامِلاً[٦]، وما عدوتَ أن حكيتَ حالَك وحالَ قومِك، فلو كنتَ سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك. فلم يفترقا إلا عن هجاء.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال: حدّثني عُمَر بن ضَمْرة الخُضْرِيّ قال: أوّلُ ما هاج الهجاءَ بين ابن مَيّادة وبين حَكَم بن مَعْمَر بن قَنْبَر بن جَحَاش بن سلمة بن ثَعْلَبة بن مالك بن طَرِيف بن مُحَارِب ـ قال: والخُضْر ولد مالكِ بن طَرِيف، سُمُّوا بذلك لأن مالكاً كان شديد الأُدْمَة، وكذلك خرج ولدهُ فسُمُّوا الخُضْر ـ أن حكَماً نزل بسُمَيرِ بن سَلَمة بن عَوْسَجة بن أَنَس بن يَزِيدَ بنَ مُعَاوية بن سَاعِدَةَ بن عَمْرو وهو خُصَيلة بن مُرّة. فأقبل ابنُ مَيَّادة إلى حَكَم لِيَعْرِضَ عليه شعرَه وليسمعَ من شعره، وكان حَكَم أسنّهما، فأنشدا جميعاً

---

(١) الكناس: موضع من بلاد غنيّ. والبُرَق: جمع برقة، وهي الأرض الغليظة. ومُحَجَّر: اسم لمواضع ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان.

(٢) الصراد وهضب المنحر؛ أسماء مواضع. ذكرها ياقوت في معجمه.

(٣) الدهاس: الأرض اللينة ليست برمل ولا تراب ولا طين يثقل فيها السير. والموقر: المثقل.

(٤) الإدهاس: السير في الدهس.

(٥) الإيقار: تحميل الدابة حملاً ثقيلاً.

(٦) المتحامل: الذي يتكلف الحمل بالأجرة.

جماعةَ القوم، ثم قال ابن مَيَّادة: والله لقد أعجبني بيتان قلتَهما يا حَكَم؛ قال: أو ما أعجبك من شعري إلا بيتان! فقال: والله لقد أعجباني، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه؛ فقال له حكم: فأيُّ بيتين هما؟ قال: حين تُسَاهِمُ بين ثوبيْها وتقول: [الطويل]

فــوالله مــا أدري أَزِيــدتْ مَــلاحَــةً وحُسناً على النِّسوَان أم ليس لي عقْلُ
تــسـاهـم ثـوبـاهـا فـفـي الـدِّرع غـادَةٌ وفـي الـمِـرْط لـفَّـاوانِ رِدْفـهُـمـا عَـبْـلُ[1]

فقال له حَكَم: أَوَ ما أعجبكَ غير هذين البيتين؟ فقال له ابن مَيّادة: قد أعجباني، فقال: أوَ ما في شعري ما أعجبك غيرُهما؟ فقال: لقد أعجباني؛ فقال له حَكَم: فإنّي سوف أعيب عليك قولك: [الطويل]

ولا بـرِح الـمَـمْـدور رَيّـان مُـخْـصِـبـاً وجِـيـدَ أعـالـي شِـعْـبـه وأسـافـلُـهْ[2]

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأيَّ شيء تريد! تركتُه لا يزال رَيّان مُخْصِباً. وتهاترا فغضِب حَكَم فارتحل ناقَته وهدَر ثم قال: [الرجز]

فــإنّــه يــومُ قَــريــضٍ ورَجَــزْ

فقال رجل من بني مُرّة لابن ميّادة: أهدِرْ كما هدَر يا رمّاح، فقال: إنّما يَغِطّ البَكْر. ثم قال الرَّمّاح: [الرجز]

فــإنّــه يــومُ قَــريــضٍ ورَجــزْ مَـن كـان مـنـكـم نـاكِـزاً فـقـد نَـكَـزْ
وبـيَّـنَ الـطِّـرْفُ الـنَّـجِـيـب فَـبَـرَزْ

قال الزُّبَيْر: يريد بقوله ناكزاً: غائضاً قد نزَف. قال الزُّبَيْر: وسمِعت رجلاً من أهل البادية يَنْزِع على إبلٍ له كثيرة من قَلِيب ويرتجز: [الرجز]

قـد نَـكَـزَتْ أنْ لـم تـكـن خَـسِـيـفَـا أو يـكـنِ الـبـحـرُ لـهـا حَـلِـيـفَـا[3]

[أم جحدر تفضّل ابن ميادة على الحكم وعَمَلَّس]

قال الزُّبَيْر: قال الجُمَحي: قال عُمَيْر بن ضَمْرَة: فهذه أوّل ما هاج التهاجِيَ

(١) تساهما: تقارعا. والدرع: قميص تلبسه المرأة في بيتها. والمرط: كساء يؤتزر به. واللفاء: الفخذ الضخمة. والعبل: الضخم.
(٢) جيد: سقي مطراً جَوْداً. والجَوْد: الغزير.
(٣) الخسيف: البئر التي تحفر في الصخر فلا ينزح ماؤها ولا ينقطع.

بينهما. قال الزُّبَيْر: قال الجُمَحِيّ: وحدّثني عبد الرحمٰن بن ضَبْعان المُحارِبيّ قال: كان ابن مَيّادة وحَكَم الخُضْرِيّ وعَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفة مُتَجاورِين مُتَحالِّين، وكانوا جميعاً يَتحدّثون إلى أمّ جَحْدَر بنت حَسّان المُرِّيَّة، وكانت أمّها مَوْلاة، ففَضَّلت ابنَ ميّادة على الحَكَم وعَمَلَّس فغضبا. وكان ابن مَيّادة قال في أم جَحْدَر:

[الطويل]

ألاَ لَيتَ شِعْرِي هَلْ إلى أمّ جَحْدَرٍ سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبرا
ويا ليت شِعْري هل يَحُلَّنّ أهلُها وأهلُكَ رَوْضاتِ ببطن اللِّوَى خُضْرا

وقال فيها أيضاً:

إذا رَكَدَتْ شَمْسُ النَّهار ووضَّعَتْ طَنافِسَها وَلَّيْنَها الأعْيُنَ الخُزْرَا[1]

الأبيات؛ فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرِيّ يهجُوانها ـ وهي تُنسب إلى حَكَم ـ:

لاَ عُوفِيَتْ في قَبْرِها أمّ جَحْدَرٍ ولا لَقِيَتْ إلاّ الكَلالِيب والجَمْرَا[2]
كما حادَثَتْ عَبْداً لئيماً وخِلْتُهُ مِنَ الزّادِ إلاّ حَشْوَ رَيْطاتِه صِفْرا
فيا ليتَ شِعْرِي هل رأتْ أمُّ جَحْدَرٍ أكُشَّكَ أو ذاقت مَغابِنَك القُشْرَا[3]
وهل أبصرتْ أرْساغَ أبْرَدَ أو رأت قفا أمّ رَمّاح إذا ما استقت دَفْرا[4]
وبالغَمْرِ قد صَرّت لِقاحاً وحادثَتْ عبيداً فسَلْ عن ذاك نَيّان فالغَمْرا[5]

وقال عَمَلَّس بن عَقيل بن عُلَّفة ويقال: بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل:

فلا تَضعا عنها الطنافسَ إنّما يُقَصِّر بالمِرْماة مَن لم يكن صَقْرا[6]

وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حَمّاد عن أبيه عن جرير بن رَبّاط وأبي

---

(١) وضّعت طنافسها: نظّمتها، نضّدتها.
(٢) الكلاليب: جمع كلاّب، وهو هنا الحديدة المعكوفة كالخطاف.
(٣) المغابن: جمع مغبن، وهو الإبط والرفغ والقُشْر: جمع أقشر، وهو الشديد الحمرة أو الأبرص. أما لفظ أكشّك الواردة في البيت فلم أعثر عليها في المعاجم ولعلها تصحيف من النساخ.
(٤) دفراً: دفعاً.
(٥) صرّ الناقة: شد ضرعها بخيط فلا تحلب. ولا يرضعها ولدها.
(٦) المرماة: سهم يتعلم به وفي بعض النسخ «الموماة»، وهي المفازة الواسعة.

داود قال: يُعرِّض بقوله: «من لم يكن صَقْرا» بابنِ مَيّادة أي أنّه هَجِين ليس من أَبَوَيْن متشابهين كما الصقر. وبعدَه بيت آخَرُ من رواية يحيى ولم يَرْوه الزُّبَيْر معه:

مُـنَـعَّـمـةٌ لـم تَـلْـقَ بـؤسـاً وشِـقْـوةً بِنَجْدٍ ولم يَكْشِف هَجِينٌ لها سِتْرَا

قالوا جميعاً: فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفَة:

أعُـلَّـفَ إنّ الـصـقـر لـيـس بـمُـدْلِـجٍ ولـكِـنَّـهُ بـالـلَّـيْـلِ مُـتَّـخِـذٌ وَكْـرَا
ومُـفْـتَـرِشٌ بـيـن الـجَـنَـاحـيـن سَـلْـحَـهُ إذا اللَّيْلُ ألقَى فوق خُرْطومهِ كِسْرَا[1]
فـإنْ يـكُ صـقـراً بـعـد لـيـلـة أمّـه ولـيـلـة جَـحّـافٍ فـأُفٌّ لـه صـقـرا
تَـشُـدّ بـكـفَّـيْـهـا عـلـى جِـذْل أَيْـرِهِ إذا هـي خـافـت مـن مَـطِـيَّـتـهـا نَـفْـرا

يريد أنّ أمّ عُلَّفَة من بني أَنْمار، وكان أبوه عَقِيلُ بن عُلَّفَة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بني أَنْمار يقال له جَحّاف، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها. وقال يحيى بن علي خاصّة في خبره عن حَمّاد عن أبيه عن أبي داود: إنّ جَحّاف بن إيَاد كان رجلاً من بني قِتَال بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة، وكان يَتحدث إلى امرأة عَقِيلِ بن عُلَّفَة ـ وهي أمّ ابنه عُلَّفَة بن عَقِيل ـ ويُتَّهم بها، وهي امرأة من بني أنمار بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلاَفَة، وكانت أحسن الناس وجهاً، وكان عَقِيل من أَغْيَر الناس، فربَطها بين أربعة أوتاد ودَهَنها بإهالة[2]، وجعلها في قرية نَمْل، فمرّ بها جحّاف بن إياد ليلاً فسمِع أنينَها، فأتاها فاحتملها حتى طَرحها بفَدَكَ، فاستعدت واليَها على عَقِيل. وقام عَقِيل من جوف الليل فأوقد عُشْوَة[3] ونظَرها فلم يجِدها ووجد أثر جَحّاف فعرَفه وتبِعه حتّى صَبّح القرية، وخَنَس جَحّاف عنها؛ فأتى الوالي فقال: إنّ هذه رأتني قد كَبِرتْ سِنّي وذهب بصري فاجترأتْ عليّ، وكان عَقيل رجلاً مهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنَعه لمَوْضعه من صِهْر بني مَرْوان. قال: فعَيّر ابنُ مَيّادة عُلَّفَةَ بن عَقيل بأمر جحّاف هذا في قوله: [الطويل]

فـإنْ يـكُ صـقـراً بـعـد لـيـلـة أمّـه ولـيـلـةِ جَـحّـافٍ فـأُفٌّ لـه صـقـرا

قال: ولَجَّ الهِجاءُ بينهما. وقال فيه ابن مَيّادة وفي حَكَم الخُضْرِيّ وقد عاون عُلَّفَة: [الطويل]

(١) الكسر: الشقة السفلى من الخباء وأراد هنا أن الليل ستره.
(٢) الإهالة: الشحم المذاب.
(٣) العُشْوَة والعِشْوَة: النار يستضاء بها.

لقد رَكِبَ الخُضْرِيُّ مِنّي وترْبَهَ ... على مَرْكَبٍ من نابِياتِ المَراكِبِ

وقال لعُلَّفَة: [الرجز]

يا ابنَ عَقِيلٍ لا تكن كَذُوبَا ... أأن شَرِبتَ الحَزْرَ والحَلِيبا[1]
من شَوْلِ زيد وشَمَمْتَ الطِّيبَا ... جَهْلاً تَجَنَّيتَ لِيَ الذنوبا

قال: ثم لم يُلْبِثْه ابن مَيّادة أن غلبه، وهاجَ التهاجي بينه وبين حَكَم الخُضْرِيّ، وانقطع عنه عُلَّفَة مفضوحاً. قال: وماتت أُم جَحْدَر التي كان يَنْسُب بها ابن مَيّادة على تَفِيئَةِ[2] ما كان بينه وبين عُلَّفَة من المُهاجاة، ونُعِيتْ له فلم يُصدِّق حتّى أتاه رجل من بني رَحْل يقال له عَمّار فنعاها له؛ فقال: [البسيط]

ما كنتُ أحسَبُ أنّ القَوْمَ قَد صَدَقُوا ... حتّى نعاها لي الرَّحْلِيُّ عَمّارُ

وقال يرثيها: [الطويل]

خَلتْ شُعَبُ المَمْدُور لَسْتَ بواجدٍ ... به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ وحَرْمَلِ[3]
تمنّيتَ أنْ تَلْقَى به أمَّ جَحْدَرٍ ... وماذا تَمَنَّى من صَدًى تَحتَ جَنْدَلِ[4]
فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمةٍ ... ولَلْبخلُ خيرٌ من عَناء مُطوّلِ

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعِدة ابن مرميء، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه أن ابن مَيّادة وحَكَماً الخُضْرِيّ تواعَدا المدينةَ ليتواقفا[5] بها، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش ـ أمهاتُهم من مُرَّة ـ إلى ابن مَيّادة فمنعوه من مُوَاقفة حَكَم، وقالوا: أتتعرض له ولست بكُفْئِه فيشتُم أمهاتِنا وأخوالَنا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان! ـ قال: وكان حَكَم يَسْجَع سَجْعاً كثيراً ـ فقال: والله لئن واقفتُه لأسْجَعَنّ به قبلَ المُقَارضة سَجْعاً أفضَحُه به فلم يَلْقَه. وذكر الزُّبَير له سَجعاً طويلاً غَثّاً لا فائدة فيه، لأنه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجَّع سَجْعاً مؤتلفاً كائتلاف

(١) الحزر من اللبن: الشديد الحموضة.
(٢) على تفيئة: على حين.
(٣) العضاه: شجر عظيم له شوك، واحدته عضاهة وعضهة. والحرمل: نبات حبه كالسمسم.
(٤) الجندل: الصخر.
(٥) يتواقفان: يقفان للمهاجاة والخصومة.

القوافي، إلا أن من أَسْلَمِه قولَه: والله لئن ساجعْتَني سِجَاعاً، لتجدنِّي شُجَاعاً، للجار منَّاعاً، ولأجدنّك هيَّاعاً[1]، للحَسَب مِضْياعاً؛ ولئن باطشْتُك بطَاشاً، لأُدْهِشنَّك إدهاشاً، ولأدُقَّنَّ منك مُشَاشاً[2]، حتى يجيء بولُك رَشَاشاً. وهذا من غَثِّ السَّجْع ورَذْلِه، وإنما ذكرتُه ليُسْتدلَّ به على ما دونه مما ألغيتُ ذكره. قال: ورجز به فقال: [الرجز]

يـا مَـعْـدِنَ الـلُّـؤم وأنـتَ جَـبَـلُـهْ ... وآخِـرَ الـلـؤم وأنـتَ أوّلُـهْ
جـاريـتَ سَـبَّـاقـاً بـعـيـداً مَـهَـلُـه ... كـان إذا جـارَى أبـاك يُـفْـشِـلُـهْ
فـكـيـف تَـرْجُـوهُ وكـيـفَ تـأمُـلُـهْ ... وأنـتَ شَـرُّ رَجُـلٍ وأنـذَلُـهْ
ألأمُـهُ فـي مـأزِقٍ وأجْـهَـلُـهْ ... أدْخَـلُـهُ بَـيْـتَ الـمـخـازي مُـدْخِـلُـهْ
فـالـلُّـؤمُ سِـرْبـالٌ لـه يُـسَـرْبَـلُـهْ ... ثـوبـاً إذا أنْـهَـجَـه يُـبـدِّلُـهْ[3]

فأجابه حَكَم: [الرجز]

يـابنَ الـتـي جِـيـرانُـهـا كـانَـتْ تَـضُـرّ ... وتَـتْـبَـعُ الـشَّـوْلَ وكـانـت تـمْـتَـصِـرْ[4]
كـيـف إذا مـارسْـتَ حُـرّاً تـنـتـصِـرْ

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جداً، أسقطتُها لكثرتها وقلة فائدتها

أخبرني الحَرَمي قال: حدّثنا الزُّبَير عن عبد الله بن إبراهيم قال:

أخبرني بعضُ من لقيت من الخُضْر: أن حكماً الخضريّ خرج يريد لِقاءَ ابنِ مَيَّادة بالرَّقم[5]، من غير مَوْعد فلم يَلْقَه، إمّا لأنه تغيَّب عنه وإما لأنه لم يصادفْه، فقال حكم: [البسيط]

فَـرَّ ابـنُ مَـيَّـادةَ الـرَّقْـطـاءِ مـن حَـكَـمِ ... بـالـصُّـغْـرِ مـثـلَ فِـرار الأعْـقـد الـدَّهِـمِ[6]
أصـبـحـتَ فـي أُقُـرٍ تَـعْـلُـو أطـاوِلَـهُ ... تَـفِـرُّ مـنّـي وقـد أصـبـحـتُ بـالـرَّقَـمِ[7]

(١) هيّاعاً: جباناً.
(٢) المشاش: رؤوس العظام.
(٣) أنهجه: أخلقه، أبلاه.
(٤) تمتصر: تحلب الناقة بأطراف أصابعها.
(٥) الرقم: موضع بالمدينة وقيل: جبال دون مكة بديار غطفان (معجم البلدان: (٣/ ٥٨).
(٦) الصّغْر: الهوان والذلّ. والأعقد الحيوان يعقد ذنبه ويلويه.
(٧) أقر: واد لبني مرة. (معجم البلدان: ١/ ٢٣٥).

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه: قال ابن مَيَّادة يهجو حَكَماً وينسبُ بأم جَحْدَرٍ: [الطويل]

يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنَّني لأعلَمُ لا ألقاكِ من دون قابِلِ

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدماً، فذكرتُ هاهنا منها ما لم يمضِ وهو قولُه:

فيا ليتَ رَثَّ الوَصْلِ من أمّ جَحْدَرٍ لنا بجديدٍ من أولاكَ البَدَائلِ
ولم يَبْقَ مما كان بيني وبينها من الوُدِّ إلا مُخْفَيَاتُ الرسائلِ
وإنّي إذا استَنْبهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ رُمِيتُ بحُبِّيها كَرَمْيِ المُنَاضِلِ

صوت

فما أَنْسَ م الأشياءِ لا أنسَ قولَها وأدمُعها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكَاحِلِ
تمتّع بذا اليوم القصيرِ فإنه رَهِينٌ بأيام الدُّهور الأطاولِ

الغناء في هذين البيتين لعليّ بن يحيى المنجم، ولحنه من الثقيل الثاني.

وكُنتُ امرَأً أَرْمِي الزَّوائلَ مرّةً فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائِلِ[1]
وعطّلتُ قوسَ اللهو من سَرَعانها وعادتْ سِهَامِي بين رَثٍّ وناصِلِ[2]

السَّرَعان: وَتَرٌ يعمل من عَقَبِ المتن. وهو أطول العَقَب.

إذا حَلَّ بَيْتِي بينَ بَدْرٍ ومازِنٍ ومُرَّةَ نِلْتُ الشَّمْسَ واشتَدَّ كاهِلِي

يعني بَدْرَ بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوْذَان بن ثَعْلبة بن عَدِيّ بن فَزارة بن ذُبْيَان، ومُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبيان، ومُرَّةَ بن فَزَارة، ومَازِنَ بن فَزَارة. وهي طويلة.

قال أبو الفرج الأصْبَهانيّ: أخذ إسحاق الموصليّ معنى بيت ابن مَيَّادة في قوله: «نلتُ الشَّمْسَ واشتدَّ كاهلي» فقال: [الطويل]

عطَسْتُ بأنفِ شامخ وتناولتْ يَدَايَ الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ

ولعَمْرِي لئن كان استعار معناه لقد اضطَلع به وزاد فأحسن وأجاد.

(١) يقال: فلان يرمي الزوائل: أي يُصبي النساء فيملن إليه.
(٢) السهم الناصل: الذي خرج من النصل.

وفي هذه القصيدة يقول: [الطويل]

فَضَلْنا قُرَيْشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائلِ

قال يحيى بن عليّ: وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيوب عن مُصْعَب، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب قال: قال إبراهيم بن هِشَام بن إسماعيل لابن ميّادة: أنت فَضَلْتَ قريشاً! وجرّده فضربه أسواطاً.

أخبرني الحَرميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال:

لما قال ابن مَيَّادة:

فضَلنا قُرَيشاً غيرَ رَهْطِ محمد وغيرَ بني مَرْوانَ أهلِ الفضائلِ

قال له الوليد بن يزيد: قدّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا؟! فقال: ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنُّه يمكنُ غيرُ ذلك. قال: فلما أَفْضت الخلافةُ إلى بني هاشم وفَد ابن مَيّادة إلى المنصور ومدحه؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه. كيف قال لك الوليد؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجّب.

[ابن ميادة والحكم الخضري بعريجاء]

أخبرني الحَرَمِي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال: حدّثنا العباس بن سَمُرَة بن عَبَّاد بن شَمَّاخ بن سَمُرَة عن رَيْحانَ بن سُوَيد الخُضْريّ وكان راويةَ حَكَم بن مَعْمر الخُضْرِيّ قال: تواعد حَكَمٌ وابن ميادة عُرَيجاء[1] - وهي ماءة - يتواقفان عليها، فخرج كلّ واحد منهما في نَفَرٍ من قومه؛ وأقبل صَخْر بن الجَعْد الخُضْرِيّ يَؤُمُّ حَكَماً، وهو يومئذ عدوّ حَكَم لِمَا كان فرَط بينهما من الهجاء في أُرْكُوبٍ[2] من بني مازِن بن مالك بن طَرِيف بن خَلَف بن مُحَارِب. فلما لقيه قال له: يا حكم، أهؤلاء الذين عَرّضْتَ للموت وهم وجوه قومك! فوالله ما دماؤهم على بني مُرّة إلا كدماء جِدَاية[3]؛ فعرَف حَكَم أن قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه، وقال لصخر: قد وعدني ابنُ ميّادة أن يُواقفني غداً

(١) عريجاء: موضع معروف. معجم البلدان: (٤/ ١١٣).
(٢) الأركوب: الرُّكب.
(٣) الجداية: الظبية.

بعرَيجاء لأن أُناشدَه، فقال له صخر: أنا كثير الإبل ـ وكان حَكَم مُقِلاً ـ فإذا وردتْ إبلي فارتجزْ، فإن القوم لا يشجُعُون عليك وأنت وحدَك، فإن لقيتَ الرجل نَحَر وأطعم فانحَرْ وأطعم وإن أتيتَ على مالي كلِّه. قال رَيْحان راويتهُ: فورد يومئذ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحاً ولم يوافِ لموعده، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى، ثم صرف وجوهَ إبل صخرٍ وردّها. وبلغ الخبرُ ابنَ مَيّادة ومُوَافاةُ حَكَم لموعده، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول: [الرجز]

أنـا ابـنُ مَـيّـادة عَـقّـارُ الـجُـزُرْ كـلُّ صَـفِـيٍّ ذاتِ نـابٍ مُـنْـفَـطِـرْ[1]

وظَلّ على الماء فَنَحر وأطعم. فلما بلغ حَكَماً ما صَنع ابنُ مَيّادة من نَحْرِه وإطعامِه شقَّ عليه مَشَقَّةً شديدةً. ثم إنهما بعدُ توافَيا بحِمَى ضَرِيّة، قال رَيْحان بن سُوَيْد: وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلاّ بقية كلأ بضريّة. قال: فسبقْنا ابنَ ميادة يومئذ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبَير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان. قال: وكان حَكَم كريماً على الوُلاةِ هناك يُتَّقى لسانُه. قال ريحان: فبَيْنا نحن عند المولاة وقد حطَطْنا براذعَ دوابّنا إذا راكبان قد أقبلا، وإذا نحن برمَّاح وأخيه ثَوْبانَ ـ ولم يكن لثوبانَ ضَرِيبٌ في الشجاعة والجمال ـ فأقبلا يتسايران، فلما رآهما حَكَمٌ عرفهما، فقال: يا رَيْحانُ، هذان ابنا أبْرَد، فما رأيك؟ أتَكْفِيني ثوبان أم لا؟ قال: فأقبلا نحَونا ورَمَّاح يتضاحَكُ حتى قبض على يد حكم وقال: مَرْحباً برجلٍ سكتُّ عنه ولم يسكتْ عني، وأصبحت الغداةَ أطلب سَلْمه يَسُوقني الذِّئبُ والسَّنة[2]، وأرجو أن أرعَى الحِمَى بجاهِه وبَرَكته، ثم جلس إلى جَنْب حَكَم وجاء ثوبانُ فقعد إلى جَنْبي؛ فقال له حَكَم: أما وربِّ المرسلين يا رَماح لولا أبياتٌ جَعلتَ تعتصم بهنّ وترجع إليهنّ ـ يعني أبياتَ ابن ظالم ـ لا ستوسقت[3] كما استوسق مَنْ كان قَبْلَكَ. قال ريحانُ: وأخذا في حديثٍ أسمع بعضَه ويخفَى عليّ بعضُه، فظَلِلْنا عند المرأة وذُبح لنا وهما في ذلك يتحادثان، مقبلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَذَّنا، حتى كان العِشَاء فشدَدْنا للرَّوَاح نوْمُ أهلَنا، فقال رَمّاح لحكم: يا أبا مَنِيع ـ وكانت كنيةَ حَكَم ـ: قد قضيتَ حاجتَك وحاجة مَنْ طلبتَ له من هذا العامل، وإن لنا إليه حاجةً في أن يُرْعِيَنَا؛ فقال له حكم: قد والله قضيت حاجتي

---

(١) الناقة الصفيّ: الغزيرة اللبن.

(٢) الذئب، والسنة: القحط والجدب الشديد.

(٣) استوسق: أطاع، انقاد.

منه وإني لأكره الرجوع إليه، ومامن حاجتك ثم رجع معه إلى العامل، فقال له بعد الحديث معه: إن هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بيني وبينه، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك وبمحْضَرِك. قال: فدعا به عاملُ ضَرِيّة وقال: هل لك حاجةٌ غير ذلك؟ قال: لا والله، ونسي حاجةَ رمّاح، فأذّكرتُه إياها، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان. فقال العامل لابن مَيَّادة: ما حاجتك؟ فقال: تُرْعيني عُرَيجاء لا يَعْرِضُ لي فيها أحدٌ، فأرْعاه إيّاها. فأقبل رَمَّاح على حَكَم فقال: جزاك الله خيراً يا أبا مَنِيع، فوالله لقد كان ورائي مِنْ قومي مَنْ يتمنى أن يرعَى عُريجاء بنصف ماله. قال فلمّا عزَما على الانصراف ودّع كل واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيَيْن. وانصرف ابنُ مَيّادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هشَام فاستغضبه على حكم في قوله: [الطويل]

ومـا ولـدتْ مُـرِّيَّـةٌ ذاتَ لـيـلـةٍ ... مـن الـدهـرِ إلا زاد لـؤمـاً جَـنِـيـنُـهـا

فأطْرده[1] وأقسم: لئن ظفِر به ليُسْرِجَنّه وليَحْمِلَنّ عليه أحدَهم. فقال رَمّاح ـ وساءه ما صنعوا ـ: عَمَدتُم إلى رجل قد صَلح ما بيني وبينه وأزْعِيت بوجهه فاستعديتُم عليه وجئتم بإطراده! وبلغ الحَكَم الخبرُ فطار إلى الشأم فلم يبرَحْها حتى مات. قال العباس بن سَمُرَة: مات بالشأم غَرقاً، وكان لا يُحْسِن العَوْمَ فمات في بعض أنهارها. قال: وهو وجْهُه الذي مَدح فيه أَسْود بن بِلاَل المُحَارِبيّ ثم السُّوائيّ في قصيدته التي يقول فيها: [الكامل]

واستـيـقـنـتْ أن لا بَـراحَ مـن الـسُّـرَى ... حـتـى تُـنَـاخَ بـأَسْـوَدَ بـنِ بِـلاَلِ
قَـرْمٌ إذا نـزَل الـوُفـودُ بـبـابـه ... سَـمَـتِ الـعـيـونُ إلـى أَشَـمَّ طُـوَالِ

[نقائض ابن ميادة وحكم الخضري]

ولحكم الخُضْرِي وابن مَيّادة مُنَاقضاتٌ كثيرة وأراجيزُ طِوالٌ طَويتُ ذكر أكثرها وألغيتُه، وذكرتُ منها لُمَعاً من جيّد ما قالاه لئلاّ يخلوَ هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يَستوعبَ سائرَه فيطولَ. فمما قاله حَكَمٌ في ابنِ ميّادة قولُه: [الطويل]

خَلِيلَيّ عُوجَا حَيِّيَا الدَّارَ بالجَفْرِ ... وقُولاَ لها سَقْياً لعَصْرِكِ من عَصْرِ[2]

---

(١) أطرده: أمر بطرده.
(٢) الجفر: موضع بناحية ضرية. (معجم البلدان ٢/١٤٦).

ومـاذا تُـحَـيِّـي مـن رُسُـومٍ تـلاعَـبَـتْ بهـا حَرْجَفٌ تَذْرِي بأذيالِها الكُذْرِ[١]

ومن جيّد قوله فيها يفتخر:

إذا يَـبِـسَـتْ عِـيـدانُ قـومٍ وجـدتَـنـا وعِيدَانُنا تُغشَى على الوَرَق الخُضْرِ
إذا الـنـاسُ جاؤوا بـالـقُـرُوم أتـيـتُـهـم بِـقَـرْم يُـسـاوي رأسُـه غُـرَّةَ الـبـدرِ
لـنـا الـغَـوْرُ والأنـجـاد والـخَـيْـلُ والـقَـنَـا عـلـيـكـم وأيـامُ الـمَـكـارِمِ والـفـخـرِ

ومن جيد هجائه قولُه:

فـيـا مُـرّ قـد أخـزاكِ فـي كـلِّ مـوطـنٍ من اللؤم خَلاَّتٌ يزِدْنَ على العَشْرِ[٢]
فـمـنـهـنّ أن الـعـبـدَ حـامي ذِمَـارِكـم وبئس المحامي العبدُ عن حَوْزة الثَّغْرِ
ومـنـهـنّ أن لـم تـمـسَـحُـوا وجـهَ سابـقٍ جَـوَادٍ ولـم تـأتـوا حَـصَـانـاً عـلـى طُـهْـرِ
ومـنـهـنَّ أن الـمـيّـتَ يُـدْفَـن مـنـكـمُ فَـيَـفْـسُـو عـلـى دُفَّـانه وهـو فـي الـقـبـرِ
ومنـهـنّ أن الـجـارَ يـسـكُـن وَسْـطَـكُـمْ بـريـئـاً فـيُـلْـقَـى بـالـخـيـانـةِ والـغَـدْرِ
ومـنـهـنّ أن عُـذْتُـم بـأَزْقَـطَ كَـوْدَنٍ وبئس المحامي أنت يا ضَرْطةَ الجَفْرِ[٣]
ومـنـهـنّ أن الـشـيـخ يـوجَـدُ مـنـكُـم يَـدِبُّ إلـى الـجـاراتِ مُـحْـدَوْدِب الـظـهـرِ
تَبِيتُ ضِبَابُ الضِّغْنِ تَخْشَى احتراشَها وإن هي أمستْ دونها ساحلُ البحرِ[٤]

فأجابه ابن مَيّادة بقصيدةٍ طويلة، منها قولُه مجيباً له عن هذه الخصال التي سبَّهم بها: [الطويل]

لـقـد سَـبـقـتْ بـالـمُـخْـزِيـات مُـحَـارِبٌ وفـازَت بـخَـلاَّتٍ عـلـى قـومِـهـا عَـشْـرِ
فـمـنـهـنّ أن لـم تَـعْـقِـروا ذاتَ ذِرْوةٍ لـحـقٍّ إذا مـا احْـتِـيـج يـومـاً إلـى الـعَـقْـرِ
ومـنـهـنّ أن لـم تـمـسَـحُـوا عـربـيّـةً من الخَيْل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومـنـهـنّ أن لـم تـضـرِبـوا بـسـيـوفـكـم جَـمَـاجِـمَ إلا فَـيْـشَـلَ الـقُـرّحِ الـحُـمْـرِ[٥]

---

(١) الحرجف: الريح الباردة التي تهبّ بشدّة.
(٢) خلاّت: جمع خلة، وهي الخصلة، والسمة.
(٣) الكودن: البرذون الهجين. والجفر: ولد المعزى.
(٤) ضباب الضغن: ما يغلي في الصدور من أضغان وأحقاد. والاحتراش: أن يقعقع بالعصا في قفا جحره. (وانظر لسان العرب مادة حرش).
(٥) الفيشل، والفيشلة: طرف الذكر.

ومنهنّ أن كانت شيوخُ محارِب كما قد علمتم لا تريشُ ولا تَبري[1]
ومنهنّ أخزى سوءةٍ لو ذكرتُها لكنتم عبيداً تخدُمون بني وَبْرِ
ومنهنّ أن الضأن كانت نساءَكم إذا اخضرّ أطارفُ الثّمام من القَطْرِ[2]
ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحَارِبٍ تُرِيغ الصِّبَا تحت الصَّفِيح من القَبْرِ[3]
ومنهنّ أنْ لو كان في البحر بعضُكُمْ لخبَّثَ ضَاحِي جِلْدِهِ حَوْمَةَ البحرِ

ومما قاله ابن ميّادة في حكم قولُه من قصيدة أوّلها: [الطويل]

أَلا حَيِّيَا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها بحيثُ التقتْ رُبْدُ الجِنَاب وعِينُها[4]

ويقول فيها:

فلمّا أتاني ما تقولُ مُحارِبٌ تغنَّتْ شياطيني وجُنَّ جُنُونُها
ألم تَرَ أنَّ الله غَشَّى مُحارِباً إذا اجتمعَ الأقوامُ لوناً يَشِينُها
ترى بوجوه الخُضْر خُضْرِ مُحارِبٍ طوابعَ لؤم ليسَ يَنْفَكُّ طِينُها
لقد سَاهَمَتْنَاكُمْ سُلَيمٌ وعامرٌ فَضِمْنَاهُمُ إنّا كذاكَ نَدِينُها
فصارتْ لنا أهلُ الضَّئين مُحَارِبٍ وصارتْ لهم جَسْرٌ وذاكَ ثَمِينُها
إذا أخذتْ خُضْرِيَّةٌ قائمَ الرحَى تَحَرَّكَ قُنباها فطارَ طَحِينُها[5]
وما حَمَلتْ خُضْرِيَّةٌ ذاتِ ليلةٍ من الدهر إلاّ ازدادَ لؤماً جَنِينُها

فقال حَكَمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته: [الطويل]

لأنتَ ابنُ أَشبانيّةٍ أَدْلَجتْ به إلى اللّؤم مِقْلاتٍ لئيم جَنِينُها
فجاءتْ بِرَوّاثٍ كأنّ جَبِينَه إذا ما صَغَا في خِرْقَتَيها جَبِينُها
فما حَمَلتْ مُرِّيَة قطُّ ليلةً من الدهر إلاّ ازداد لؤماً جَنِينُها
وما حَمَلتْ إلا لألأم مَنْ مَشَى ولا ذُكِرتْ إلاّ بأمرٍ يَشِينُها
تزوّجُ عشوانُ الضَّئِينَ وتَبْتَغِي بها الدَّرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لَبُونُها[6]
أظنَّتْ بنو عشوانَ أنْ لَستُ شاتماً بشَتْمِي وبَعْضُ القَوْمِ حَمْقَى ظُنُونُها

---

(١) لا تريش ولا تبري: لا تريش السهام ولا تبريها، وهو كناية عن أنها لا تضر ولا تنفع.
(٢) الثمام: نبات ضعيف، والقطر: المطر.
(٣) تريغ: تطلب.
(٤) الرُّبْد: جمع أربد، وهو الأغبر اللون والجناب: موضع.
(٥) القنب: البظر.
(٦) عشوان: يظهر أنها قبيلة، ولم أعثر عليها.

مَـدَانِـيـسُ أبـرامٌ كـأنّ لِـحَـاهُـمُ لِحَى مُسْتَـهِبّاتٍ طِوَالٍ قُـرُونُـهـا(١)

قال الزبير: فحدّثني مَوْهوب بن رشيد قال: فسمع هذه القصيدة أحدُ بني قَتّال ابن مُرّة فقال: ما له أخزاه الله يهجو صِبيَتَنَا! قال: وهم أجفَى قوم غَضَباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به.

قال: وبلغ إبراهيم بن هشام قولُه في نساء بني مُرّة إذ يقول:

ومـا حَـمَـلـتْ إلا لألأم مَـنْ مَـشَـى

فَغَضِبَ ثم نَذَر دَمَه؛ فَهَرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عبد الرحمٰن ابن ضَبْعان الحُضْرِيّ قال: لقيَ ابنُ ميّادة صَخْر بن الجَعْد الخُضْرِيّ فقال له: يا صخر، أَعَنْتَ عليّ ابنَ عَمِّك الحَكَم بنَ مَعْمَرٍ! فقال له صخر: لا والله يا أبا الشُّرَحْبيل ما أعنتُهُ عليك، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخَيَّل إليّ، ولقد هاجَيْتُه فكنتُ أظنّ أنّ شَجَرَ الوادِي يُعِينه عليّ.

ومن جيِّد قَوْل ابنِ ميّادة في حَكَم قصيدتُهُ التي أوّلها:

صوت

[الطويل]

لـقـد سبَـقَـتْـكَ الـيَـوْمَ عَـيْـنـاكَ سَـبْـقَـةً وأبـكـاكَ مـن عَـهْـدِ الـشَّـبـابِ مـلاعـبُـهْ
فـوالله مـا أدرِي أيَـغـلِـبُـنـي الـهَـوَى إذا جَـدَّ جِـدُّ الـبَـيْـن أم أنـا غـالـبُـهْ
فإن أستطِعْ أغْلِبْ وإن يَغلِبِ الهَوى فـمثلُ الـذي لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ

ـ في هذه الأبيات غِناءٌ يُنسَبُ ـ يقول فيها في هجاء حَكَم:

لـقـد طالَ حَبْسُ الـوَفْـدِ وَفْـدِ مُـحَـارِبٍ عن الـمجد لـم يَأْذَنْ لـهـم بَعْدُ حاجِبُهْ
وقـال لـهـم كُـرُّوا فـلـسـتُ بـآذِنٍ لـكـم أبداً أو يُخصِيَ التُّرْبَ حاسِبُهْ

وهي قصيدة طويلة.

(١) أبرام: سيئو الأخلاق. والمستهبّات: التيوس الهائجة للضراب.

[مكانة ابن ميادة عند الوليد بن يزيد]

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني جلال بن عبد العزيز المُرضيّ ثم الصارِدِيّ عن أبيه: قال جلال: وقد رأيتُ ابنَ مَيّادة في بيت أبي، قال: قال لي ابنُ ميّادة: وصلتُ أنا والشعراءُ إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة. وكان مَوْلًى من مَوَالي خَرَشَةَ يقال له شُقْران يَعِيب ابن ميّادة ويَحْسُده على مكانه من الوليد، فلما اجتمعت الشعراءُ قال الوليد بن يزيد لشُقْران: يا شُقْران، ما عِلْمُك في ابن ميّادة؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنّه: [الطويل]

لـئـيـمٌ أتـاه الـلـؤمُ مـن كـلّ جـانـبٍ لـئـيـمٌ يُـبَـارِي فـيـه أَبْـردُ نَـهْـبَـلاَ

فقال الوليد: يابن ميّادة، ما عِلْمُك في شُقْران؟ قال: عِلْمِي يا أميرَ المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتَبَتْه على أربعين دِرهماً ووعدها ـ أو قال: وعدَتْهُ ـ أن تُجيزه بعشرين درهماً فقَبَّضَتْه إيّاها، فأغنِه عنّي يا أمير المؤمنين، فليس له أَصْلٌ فأحتَقِرَه، ولا فَرْعٌ فأهتَصِرَه؛ فقال له الوليد: اجْتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغَ إليك في الشَّتيمة، فقَصَر شُقْرانُ صاغراً، ثم أنشدتُه، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري، وأمر لي بمائة لِقْحةٍ وفحلها وراعيها وجاريةٍ بِكْرٍ وفَرَسٍ عتيق، فاخْتلتُ ذلك اليومَ وقلتُ:

[البسيط]

أعـطـيْـتَـنِـي مـائـةً صُـفْـراً مَـدَامِـعُـهـا كـالـنـخـل زَيّنَ أعلَى نَـبـتِـهِ الـشُّـرَبُ[1]

ويُرْوَى:

كـأنـهـا الـنـخـلُ رَوَّى نَـبْـتَـهـا الـشُّـرَبُ

يَـسُـوقُـهـا يـافِـعٌ جَـعْـدٌ مـفـارِقُـهُ مـثْلُ الـغُـرَاب غَـذَاه الـصَّـرُّ والـحَـلَـبُ
وهَـامَـةٌ ذاتُ فَـرْقٍ نَـابُـهـا صَـخِـبُ وذا سَـبِـيـبٍ صُـهَـيْـبِـيّـاً لـه عُـرُفٌ[2]

لم يذكر الزُّبير في خبره غيرَ هذه الأبيات الثلاثة، وهي من قصيدة للرّمّاح طويلة يمدح فيها الوليدَ بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرتُ من مُختارها هاهنا طَرَفاً، وأوّلها: [البسيط]

---

(١) الشُّرَب: جمع شَرَبَة، وهي حوض يحفر حول الشجرة ويملأ ماءً لتروى.

(٢) السبيب: شعر الناصية والذنب.

هَلْ تَعرفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرَها سَافِي الرِّياح ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ[(١)]
دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٌّ مسائحُها كأنها ظَبْيَةٌ تَرْعَى وتَنْتَصِبُ

المسائح: ما بين الأُذُن إلى الحاجب من الشَّعَر. وتنتصب: تَقِفُ إذا ارتاعتْ منتصبةً تتوجَّس.

تحنُو لأكْحَلَ ألْقَتْهُ بمَضْيَعَةٍ فقَلْبُها شَفَقاً من حَوْلِه يَجِبُ[(٢)]

يقول فيها:

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجْعَتها وأملحَ الناسِ عَيْناً حينَ تَنْتَقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألُها ولستُ عندَ خَلاء اللَّهو أَغْتَصِبُ
في مِرْفَقَيْها إذا ما عُونِقَتْ جَمَم على الضَّجِيع وفي أنيابها شَنَبُ[(٣)]
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطبُ
قد جُبْتُها جَوْبَ ذي المِقْراض مِمْطَرَةً إذا استوى مُغْفَلاتُ البِيدِ والحَدَبُ[(٤)]
بِعَنْتَرِيس كأن الدَّبْرَ يَلْسَعُها إذا تَرَنَّمَ حادٍ خَلْفَها طَرِبُ[(٥)]
إلى الوليد أبي العبّاس ما عجِلتْ ودونَه المُعْطُ من لُبْنانَ والكُثُبُ[(٦)]

وبعد هذا البيت قولُه:

أعطيتَني مائةً صُفْراً مَدامِعُها. . . . إلخ

لمّا أتيتُك مِن نَجْدٍ وساكِنِه نَفَحْتَ لي نَفْحَةً طارتْ بها العَرَبُ
إنّي امرُؤٌ أعْتَفِي الحاجاتِ أطْلُبُها كما اعْتَفى سَنِقٌ يُلْقَى له العُشُبُ[(٧)]

السَّنِق: الذي قد شَبع حتّى بَشِمَ، يقول: أطلب الحاجة بغير حِرْص، ولا كَلَبٍ، كما يَعْتَفِي هذا البعير البَشِمُ من غير شرهٍ ولا شدة طَلَب.

---

(١) سافي الرياح: هبوبها وتغيرها. ومستنّ المطر: المنصب بغزارة.
(٢) يجب: يخفق، يضطرب.
(٣) الجمم: كثرة اللحم، والشنب: بياض الأسنان وحسنها.
(٤) المقراض: المقصّ. والممطرة: ثوب يلبس فوق الثياب يقي من المطر. والمغفلات: التي لم ينتبه إليها ولم يهتمّ بها والمعنى غير مستقيم ولعلها المعقلات وهي الأرض التي تمسك الماء. والحدب: الغلظ في الأرض مع ارتفاع.
(٥) العنتريس: الناقة الصلبة الشديدة. والدَّبْر: النحل.
(٦) المعط: جمع معطاء، وهي الأرض لا نبات بها.
(٧) أعتفي: أطلب.

ولا أُلِحّ على الخُلاّن أسألُهم كما يُلِحّ بعظْم الغارب القَتَبُ(١)
ولا أُخادع نَدْمانِي لأخدَعَه عن ماله حين يَسْتَرْخِي به اللَّبَبُ(٢)
وأنت وابناك لم يوجد لكم مَثَلٌ ثلاثة كلّهم بالتاج مُعتَصِبُ
الطيّبون إذا طابَتْ نفوسُهُم شُوسُ الحواجب والأبصار إنْ غَضِبُوا
قِسنِي إلى شُعراء الناسِ كلِّهِم وادعُ الرُّواة إذا ما غَبَّ ما اجتَلَبُوا(٣)
إنّي وإن قال أقوام مَديحَهُم فأحسنوه وما حابوا وما كَذَبوا
أجري أمامَهُم جَرْيَ امرىء فَلَج عِنانُه حين يَجْري ليس يَضْطَرِبُ

[بين ابن ميادة وشقران]

أخبرني يحيى بن علي قال: أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أخبرني أبو الحسن ـ أظنّه المدائنيّ ـ قال: أخبرني أبو صالح الفزاريّ قال: أقبل شُقْران مولى بني سَلاَمان بن سعْد هُذَيْم أخي عُذْرة بن سعد بن هُذَيْم، قال: وهذَيْم عبدٌ حَبَشِي كان حَضَنَ سعداً فغلَب عليه، وهو ابن زيد بن ليْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره ـ فلَقِيَه ابنُ ميّادة فقال له: ما هذا معك؟ قال: تمرٌ امترتُه لأهلي يقال له: زُبُّ رُباح(٤) فقال له ابن ميّادَة يُمازِحه:

[الطويل]

كأنك لم تَقْفُل لأهلك تَمْرةً إذا أنْتَ لم تَقْفُل بزُبّ رُبَاحِ

فقال له شُقران: [الطويل]

فإنْ كان هذا زُبَّه فانطلق به إلى نِسْوةٍ سُودِ الوُجوه قِباحِ

فغضِب ابن ميّادة وأمضّه وأنحَى عليه بالسوط فضرَبه ضَرَبات وانصرف مُغْضباً؛ فكان ذلك سَبب الهِجاء بينهما. قال حمّاد عن أبيه وحدّثني أبو عليّ الكَلْبيّ قال:

اجتمع ابن ميّادة وشُقْران مَوْلَى بني سَلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ابن

(١) الغارب: الكاهل. والقتب: الرحل.
(٢) اللبب: البال.
(٣) غبّ الطعام: أنتن.
(٤) زبّ رُباح: ضرب من التمر (لسان العرب مادة ربح).

ميّادة: يا أمير المؤمنين، أتجمَع بيني وبين هذا العبد وليس بمِثْلي في حَسبِي ولا نَسَبي ولا لِسَاني ولا مَنْصِبِي! فقال شُقْران: [الطويل]

لَعَمْرِي لئن كنتُ ابن شَيْخَي عَشِيرتي ... هِرَقْلٍ وكِسْرَى ما أرانِي مُقَصِّرا
وما أَتَمنَّى أنْ أكون ابن نَزْوَةٍ ... نَزَاها ابنُ أرْضٍ لم تجِدْ مُتَمَهّرا
على حائلٍ تَلْوِي الصِّرار بكَفِّها ... فجاءتْ بخَوّارٍ إذا عُضّ جَرجرا[1]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن زُبَيْر قال: حدّثني جلال بن عبد العزيز، وقال يحيى بن خلاّد عن أبي أيُّوب بن عبد العزيز قال: استأذن ابنُ ميّادة على الوليد بن يزيد وعنده شُقْران مَوْلَى قُضاعة، فأدخله في صُندوق وأذِن لابن مَيّادة؛ فلمّا دخل أجلسه على الصُّندوق واستنشده هِجاء شُقْران فجعل يُنشِده ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقْران وجعل يَهدِر كما يهدِر الفَحْلُ ويقول: [الوافر]

سأَكْعَمُ عن قُضاعةَ كَلْبَ قيسٍ ... عَلى حَجَرٍ فيُنْصِتُ للكَعامِ[2]
أسِيرُ أمامَ قَيْسٍ كلَّ يومٍ ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع: [الكامل]

إنّي إذا الشعراءُ لاقَى بعضُهُمْ ... بعضاً ببَلْقَعةٍ يريد نِضالَها
وقَفوا لمُرْتَجِزِ الهدير إذا دنتْ ... منه البِكارة قطَّعَتْ أبوالَها[3]
فتركتُهم زُمَراً تَرَمَّزُ بالّلحى ... منها عَنافِقُ قد حَلَقْتُ سِبالَها[4]

فقال له ابن ميّادة: يا أميرَ المؤمنين اُكفُف عنّي هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفِرَه، ولا فرعٌ فأهصِرَه؛ فقال الوليد: أشهد أنّك قد جَرْجرت كما قال شُقْران:

فجاءتْ بخوّار إذا عُضّ جرجرا

قال يحيى في خبر: واجتمع ابن مَيّادة وعِقَال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد،

(١) خَوّار: ضعيف. وجرجر: صَوّت.
(٢) كعم البعير: شدّ فاه لئلا يعض.
(٣) الهدير المرتجز: المتتالي. والبكارة: جمع البكرة الفتية من الإبل.
(٤) العنفقة: الشعرات بين الذقن وطرف الشفة السفلى. والسبال: شعر الشارب.

وكان عقالٌ شديد الرأي في اليمن، فغمز[١] عِقالٌ ابنَ مَيّادة واعتلاه؛ فقال ابن مَيّادة: [الطويل]

فَجَزنا ينابيع الكلام وبَحْرَهُ فأصبحَ فيه ذو الرِّواية يَسْبَحُ
وما الشِّعرُ إلاّ شعرُ قيس وخِندِفِ وقولُ سِواهم كُلْفَةٌ وتَملُّحُ[٢]

فقال عِقَالٌ يُجيبه: [الطويل]

ألاَ أبْلِغ الرَّمَّاح نقْضَ مَقالةٍ بها خَطِلَ الرَّمَّاحُ أو كان يَمْزَحُ
لئن كان في قيسٍ وخِندفَ ألْسُنٌ طِوالٌ وشِعْرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خَرق الحيُّ اليمانون قبلَهمْ بحورَ الكلام تُسْتَقى وهي تَطْفَحُ
وهُمْ عَلَّموا مَنْ بعدَهم فتعلَّموا وهُم أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا
فللسابقين الفضلُ لا يُجْحَدُونه وليس لمَخلوقٍ عليهم تَبجُّحُ

[حنين ابن ميادة إلى وطنه]

أخبرني الحرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال: حدّثني ابن مَيّادة قال: قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين - وهو موضع كان الوليد يَنْزِله في الربيع -: [الطويل]

لَعَمْرُك إني نازلٌ بأَبايِنٍ لِصَوْءَرَ مشتاقٌ وإن كُنتُ مُكْرَما[٣]
أبِيتُ كأنّي أرمَدُ العين ساهرٌ إذا بات أصحابي من الليل نُوَّما

قال: فقال لي الوليد: يابن مَيّادة كأنّك غَرِضْت[٤] مِن قُربنا؛ فقلتُ: ما مِثْلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه، ولكن: [الطويل]

ألا لَيتَ شِعْرِي هل أَبيتنّ ليلةً بِحَرَّةِ ليلَى حَيْثُ رَبَّتَنِي أهْلي[٥]
وهل أسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أصواتَ هَجْمَةٍ تَطَالعُ من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ[٦]

(١) غمزه: حطّ من قدره.
(٢) التملح: تكلف الملاحة.
(٣) صَوْأر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام (معجم البلدان: ٣/ ٤٣١).
(٤) غرض: ضجر، ملّ.
(٥) حرّة ليلى: في ديار بني مرة بن عوف من غطفان. (انظر معجم البلدان: ٢/ ٢٤٧). وربّتَ الصبيّ تربيتاً: ربّاه تربية.
(٦) الهجمة: القطعة الكبيرة من الإبل ما بين الثلاثين والمائة. والهجل المطمئن من الأرض.

بـلادٌ بـهـا نِـيـطَـتْ عـلـيَّ تَـمـائِـمـي وقُـطِّـعْـن عنِّـي حينَ أدركـنـي عَـقْـلِـي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطِن حابِسي فأَيْسِرْ عليَّ الرزق واجمَع إذاً شَمْلي

فقال: كم الهَجْمَة؟ قلت: مائة ناقة؛ فقال: قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَرَاء[1]. قال ابن مَيّادة: فذكرتُ وِلْداناً لي بنَجْد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا، وإذا استَسْقَوْه سقاهم الله وأنا، وإذا استَكْسَوْه كساهم الله وأنا، فقال: يابن ميّادة، وكم وِلْدانُك؟ فقلت: سبعةَ عشرَ؛ منهم عشرةُ نَفَرٍ وسبعُ نِسوة، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي؛ فقال: يابن مَيّادة قد أطعمهم الله وأميرُ المؤمنين، وسقاهم الله وأميرُ المؤمنين، وكسَاهم الله وأميرُ المؤمنين؛ أمّا النساء فأربعُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا الرجال فثلاثُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا السقْي فلا أرى مائة لِقْحة إلاّ ستُرويهم، فإن لم تُروِهم زِدتُهم عينَيْن من الحجاز؛ قلتُ: يا أمير المؤمنين، لسنا بأصحابِ عيون يأكُلنا بها البَعُوض، وتأخذُنا بها الحُمَّيَاتُ؛ قال: فقد أخلفها الله عليك؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العامَ: مائةَ لِقْحة وفَحْلها وجارية بِكْر وفَرَس عَتِيق.

[معارضة ابن ميادة لابن القتّال]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني شدّاد بن عُقْبة عن عبد السلام بن القَتّال قال: عارضني ابن ميّادة فقال: أنشدني يابن القَتّال، فأنشدتُه: [الطويل]

ألاَ لـيـت شـعـري هـل أبـيـتَـنّ لـيـلـةً بـصـحـراءَ مَـا بـيـن الـتَّـنُوفـة والـرّمْلِ[2]
وهـل أزجُـرنّ الـعِـيـسَ شـاكـيـةَ الـوَجـى كما عَسَلَ السِّرحانُ بالبَلَدِ المَحْلِ[3]
وهـل أسْـمَـعَـنَّ الـدهـرَ صَـوْتَ حـمـامـةٍ تُـغَـنّـي حـمَـامـاتٍ عـلـى فَـنَـنٍ جَـثْـلِ[4]
وهـل أشـرَبَـنّ الـدَّهـرَ مُـزْنَ سَـحـابـةٍ عـلـى ثَـمَـدِ الأفـعـاةِ حـاضِـرةً أهْـلِـي[5]
بـلادٌ بـهـا نـيـطـتْ عـلـيّ تـمـائِـمـي وقُـطِّـعـنَ عـنِّـي حـيـن أدركـنـي عـقْـلـي

(١) العشراء: الناقة الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر.
(٢) التنوفة: المفازة، القفر من الأرض.
(٣) العيس: النوق. والوجى: الحفا، وقيل شدته. وعسل السرحان: عرج الذئب واضطرب في مشيه.
(٤) الفنن: الغصن، والجثل: الكثير الورق.
(٥) الثمد: الماء القليل. والأفعاة: ماءة في ناحية هضب الوراق، وقيل هضبة لبني كلاب.

قال: فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن مَيّادة وحدَه.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق ابن إبراهيم قال: حدّثني رجل من كَلْب، وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال: أمر الوليد بن يزيد لابن مَيّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بني كلب، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهي الغرائب، وأنْ يُمسِكوا التّلاد، فقال ابن مَيّادة: [الطويل]

ألم يَبْلُغْكَ أنّ الحيّ كلباً ... أرادوا في عطيّتك ارتدادا
وقالوا إنّها صُهْبٌ ووُرْقٌ ... وقد أعطيتَها دُهْماً جِعادا

فعلِموا أنّ الشعر سيبلغ الوليد فيُغضِبُه، فقالوا له: انطلِق فخذها صُفْراً جِعاداً.

[رثاء ابن ميادة الوليد بن يزيد]

وقال يحيى بن عليّ في روايته: لما قتِل الوليد بن يزيد قال ابن مَيّادة يرثيه:

[الطويل]

ألاَ يا لَهْفَتَيّ على وليدٍ ... غداةَ أصابَهُ القَدَرُ المُتاح[1]
ألاَ أبكي الوليد فتى قُرَيْشٍ ... وأسمَحها إذا عُدّ السّماحُ
وأجبَرها لذي عَظْم مَهِيضٍ ... إذا ضنّت بِدرّتها اللّقاحُ[2]
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فِعْلاً ... وأمراً ما يسوغ به القَرَاحُ

قال يحيى وغنّى فيه عُمَرُ الوادي ولم يذْكُر طريقةَ غِنائه.

[بين ابن ميادة وعمرو بن عثمان]

أخبرنا الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثنا محمد بن زُهَيْر بن مُضَرِّس الفَزارِيّ عن أبيه قال: أخصب جَنابُ الحجاز الشاميّ فمالتْ لذلك الخِصْب بنو فَزَارة، وبنو مُرّة، فتحالُّوا[3] جميعاً به. فبينا ذات يوم أنا وابن مَيّادة جالسان على

(١) القدر المتاح: القدر المقدّر.
(٢) العظم المهيض: المكسور.
(٣) تحالوا به: حلّوا به متجاورين.

قارعة الطريقِ عشاءً إذا راكبان يُوجِفان[١] راحلتين حتّى وقفا علينا، فإذا أحدهما بحر الريح وهو عثمان ابن عمرو بن عثمان بن عفان معه مَوْلى له، فنَسَبْنا وانتسب لنا، وقد كان ابن مَيّادة يُعَلِّلني بشعره، فلمّا انقضى كلامُنا مع القُرَشيّ ومولاه استعدتُ ابنَ مَيّادة ما كنّا فيه، فأنشدني فخراً له يقول فيه: [الكامل]

وعلى المُلَيْحَة من جَذِيمةَ فِتْيةٌ ... يتمارضون تمارضَ الأُسْدِ
وترى الملوكَ الغُرَّ تَحتَ قِبابِهِمْ ... يَمْشُونَ في الحَلَقاتِ والقِدِّ[٢]

قال: فقال له القُرشِيّ: كذبتَ؛ قال ابن مَيّادة: أفي هذا وحدَه! أنا والله في غيره أكذَبُ؛ فقال له القُرشِيّ: إنْ كنتَ تريد في مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربّك ودفعتَ قوله، ثم قرأ عليه: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [سورة قريش: ١٠٦] حتّى أتى على آخرها، ونهَضَ هو ومولاه وركِبا راحلتَيْهما؛ فلمّا فاتا أبصارَنا قال ابن مَيّادة:

[الطويل]

سمِينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَهُ ... وغَثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ

[ابن ميادة وسنان بن جابر]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرِّيّ قال: كان ابن مَيّادة قد هاجَى سِنَان بن جابر أحد بني حُمَيس بن عامر بن جُهَيْنة ابن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسْلَم، فقال ابن مَيّادة له فيما قال من هِجائه: [الطويل]

لقد طالما عَلّلتَ حُجْراً وأهلَه ... بأعراض قيسٍ يا سنانُ بن جابِرِ
أأهجو قُرَيْشاً ثم تكرَه رِيبتي ... ويَسرِقُنِي عِرْضِي حُمَيْسُ بنُ عامر

قال: وقال فيهم أيضاً: [الطويل]

قِصار الخُطَى فُرْق الخُصَى زُمَرُ اللِّحَى ... كأنّهم ظِرْبَى اهترشنَ على لَحْم[٣]
ذكرتُ حَمَام القَيْظ لما رأيتُهم ... يُمَشُّون حَوْلي في ثيابهم الدُّسم[٤]
وتُبْدِي الحُمَيْسِيّاتُ في كلّ زِينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهْم

---

(١) أوجف الراحلة: جعلها تعدو بسرعة.
(٢) القدّ: سيور من الجلد تشد بها الأسرى.
(٣) الظربى: جمع ظربان، وهو دويبة كالهرة منتنة الرائحة.
(٤) الدُّسم: الوسخة، القذرة.

قال: ثم إنّ ابنَ مَيّادة خَرَجَ يبغي إبِلاً له حتى ورد جُبَاراً(١) ـ وهو ماءٌ لحُمَيس ابن عامر ـ فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنَّت، فنَشدها إبلَه فذكرتْها له وقالت: ممن أنت؟ قال: رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور؛ فأذِنَتْ له وقالت: ادخل حتى نَقْرِيكَ وقد عَرَفَتْه وهو لا يدري؛ فلمَّا قَرَتْه قال ابن مَيّادة: وَجَدتُ ريحَ الطِّيب قد نَفح عليّ من البيت، فإذا بِنْتٌ لها قد هَتَكَت السِّتْر، ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمرُ وهي مؤتزرةٌ به، فأطلقتْه وقالت: انظرْ يابنَ مَيّادة الزانية! أهذا كما نَعَتَّ، فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها؛ فقالت: أهذه كما قلتَ!: [الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيسِيّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُرُوجاً كآثار الصِّغار من البَهْمِ

قال: قلتُ: لا والله يا سيّدتي، ما هكذا قلتُ ولكن قلت: [الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيسيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فروجاً كآثار المُقَيْسرةِ(٢) الدُّهْمِ

وانصرف يتشبَّب بها، فذلك حين يقول: [الطويل]

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشَّوْقِ والهَوَى ... لِزينبَ نارٌ أُوقِدَتْ بجُبَارِ
كأنّ سناها لاحَ لي من خَصَاصةٍ ... على غَيْرِ قَصْدٍ والمَطِيُّ سَوَارِي(٣)
حُمَيسيّةٌ بالرَّمْلَتَينِ مَحلُّها ... تَمُدّ بِحِلْفٍ بيننا وجِوَارِ

قال أبو داود: وكانت بنو حميس حُلفَاء لبني سَهْم بن مُرّة، ثم للحُصَيْن بن الحُمَام، وتمدّ وتمُتّ واحد.

رجع إلى الشعر

[الطويل]

تُجاورُ من سَهْم بن مُرّة نِسوةً ... بمُجْتَمَع النقبين غير عَوارِي
نَواعِم أبكاراً كأنّ عيونَها ... عُيونُ ظِباءٍ أو عيونُ صُوارِ(٤)
كأنّا نراها وهي منّا قريبةٌ ... على متْن عضْماءِ اليَدَيْنِ نَوارِ(٥)

---

(١) جبار: ماء لبني حميس بن عامر بين المدينة وفيد. (معجم البلدان ٢/ ٩٨).

(٢) المقيسرة: الإبل المسانّ. والدُّهم: السود جمع دهماء.

(٣) الخصاص: كل خرق في باب أو برقع.

(٤) الصوار: القطيع من البقر.

(٥) العصماء: ما في يديها بياض من الظباء والوعول. ونوار: نفور.

تَتَبَّعُ من حِجْر ذُرا مُتَمَنِّع لها مَعْقِلٌ في رأس كلّ طَمار[١]
يَدُور بها ذو أسهُم لا ينالها وذو كَلَبات كالقِسيّ ضَواري
كأنّ على المَتْنَيْن منها وَدِيّةً سَقَتْها السواقي من وَدِيّ دَوارِ[٢]
يَظَل سحيقُ المِسْك يقطرُ حَوْلَها إذا الماشِطاتُ احتفنه بمَداري[٣]
وما رَوْضَةٌ خضراءُ يضربها النّدى بها قُنَّةٌ من حَنْوَةٍ وعَرارِ[٤]
بأطيبَ من ريح القَرَنْفُل ساطعاً بما التفّ من دِرْع لها وخمَارِ
وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمَةً على غفلَةٍ فاستسمعت لخُوارِ[٥]
بأحسنَ منها يومَ قامتْ فأَتْلعتْ على شَرَكٍ من رَوْعةٍ ونفارِ[٦]
فليتَكِ يا حسناءُ يابنةَ مالكٍ يَبيع لنا منكِ المَودّة شَارِي

[ابن ميادة وزينب بنت مالك]

أخبرني بهذا الخبر الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني أبو حَرْمَلَة مَنْظُور ابن أبي عَدِيّ الفَزارِيّ ثم المَنْظوريّ عن أبيه قال: حدّثني رَمّاح بن أَبْرَد قال:

خرجتُ قافلاً من السَّلْع[٧] إلى نَجْد حتى إذا كنتُ ببعض أَهْضام[٨] الحَرّة (هكذا في نُسختي، وأظنّه هِضاب الحَرة) رُفِع لي بيتٌ كالطِّراف[٩] العظيم، وإذا بفِنائه غَنَمٌ لم تَسْرَحْ، فقلت: بيت من بيوت بني مُرّةَ وبِي من العَيْمَة[١٠] إلى اللبن ما ليس بأحد، فقلت: آتيهم فأُسلِّم عليهم وأشْرَب من لبنهم، فلما كنت غيرَ بعيد سلّمت فردّتْ عليّ امرأةٌ بَرْزة[١١] بفِناء البيت، وحَيّت ورحّبت واستنزلتني فنزلتُ،

---

(١) حجر: ديار ثمود. والطِّمار: المكان المرتفع.
(٢) الوديّ: فسيل النخل وصغاره واحدتها وديّة.
(٣) في عجز البيت خلل، وسببه تصحيف في كلمة «احتفنه».
(٤) القنة: الجبل الصغير. والحنوة: نبات طيب الريح. والعرار: نبت طيب الرائحة.
(٥) الخوار: صوت الظباء والبقر.
(٦) أتلعت: مدت عنقها.
(٧) سلع: جبل بقرب المدينة، وسلع جبل في ديار هذيل. (انظر معجم البلدان ٣/ ٢٣٦).
(٨) أهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الأرض.
(٩) الطراف: بيت من أدم ليس له كفاء.
(١٠) العيمة: شهوة اللبن.
(١١) البرزة: المرأة التي تبرز للرجال وتحادثهم وهي عفيفة عاقلة.

فدعَتْ بلبن ولِبأٍ ورِسْل من رِسْل تلك الغنم، ثم قالت: هَيا فلانةُ البَسي شَفّاً[١] واخرُجي، فخرجتْ عليّ جاريةٌ كأنّها شمعة ما رأيتُ في الخَلْق لها نظيراً قبْلُ ولا بعدُ، فإذا شَفُّها ذاك ليس يُوارِي منها شيئاً وقد نَبَا عن رَكَبِها[٢] ما وقع عليه من الثوب فكأنّه قَعْبٌ مُكْفأ[٣]، ثم قالت: يابن مَيّادة الخبيثة، أنت القائل:

وتُبْدِي الحُمَيْسيّات في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِّغار مِن البَهْمِ؟

فقلت: لا والله ـ جعلني الله فِداك يا سيّدتي ما قلت هذا قط، وإنّما قلت:

وتُبْدِي الحُمَيسيّاتُ في كل زينةٍ ... فُروجاً كآثار المُقَيْسِرة الدُّهْمِ

قال: وكان يقال للجارية الحُمَيْسيّة: زينب بنت مالك، وفيها قال ابن مَيّادة قصيدته: [الطويل]

أَلِمّا فَزُورَا اليومَ خيْرَ مَزارِ

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال: حدّثني مَوْهُوب بن رشيد الكِلاَبيّ قال:

أعطى الوليد بن يزيد ابن مَيّادة جاريةً طَبَرِيةً[٤] أعجميَّة لا تُفْصِح، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجْمَة، فعشِقَها وقال فيها: [الوافر]

جزاكَ الله خيراً من أميرِ ... فقد أعطيتَ مِبْراداً سَخُونَا
بأهلي ما أَلَذّك عندَ نفسي ... لَوَ انّك بالكلام تُعَرِّبِينا
كأنّكِ ظَبْيَةٌ مَضَغَتْ أراكاً ... بوادِي الجِزْع حين تُبَغِّمِينَا[٥]

[من صفات ابن ميادة]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني إسحاق بن شُعَيْب بن إبراهيم ابن محمد بن طَلْحة قال: ورَدتُ على بني فَزارة ساعياً[٦]، فأتاني ابنُ مَيادة مُسَلِّماً

(١) الشفّ: الثوب الرقيق الشفاف.
(٢) الرَّكَب: الفرج، وقيل: ظاهره.
(٣) قعب مكفأ: قدح ضخم مقلوب.
(٤) طبرية: نسبة إلى طبرستان.
(٥) يغّمت الظبية: صوتت بأرخم ما يكون من صوتها.
(٦) الساعي: عامل الصدقات.

عليّ، وجاءتْني بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بني جَعْفَر بن كِلاب كان لهم جاراً وكان مُخطَّطاً[١] مَوْسوماً بجمال، فلمّا رأيتُه أعجبني، فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم: أي أخوالي هذا؟ فوالله إنّه ليَسُرّني أنّ أرى فيكم مثْلَه، فقالوا: هذا - أمْتَعَ الله بك - رجلٌ من بني جعفر بن كِلاب وهو لنا جارٌ. قال: فأصغى إليّ ابن مَيّادة، وكان قريباً منّي، وقال: لا يغرنّك - بأبي أنت - ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقل له؛ فسمعه الجعفريُّ فقال: أفيّ تَقع يابن ميّادة وأنت لا تقْري ضيفك؟ فقال له ابن مَيّادة: إن لم أقره قراه ابن عمّي وأنت لا تقْرِي ولا ابنُ عمّك. قال ابن عِمران: فضحِكت مما شهِد به ابن ميّادة على نفسه.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن المُعَلّى بن نُوح الفَزارِيّ قال: حدّثني خال لي كان شريفاً من سادات بَني فَزارة قال: ضِفتُ ابن مَيّادة فأكرمني وتحفّى بي[٢] وفَرّغ لي بيتاً فكنتُ فيه ليس معي أحد، ثم جاءني بقَدَح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولّى، فلم يَنْشَب أن جاءني بآخرَ فتناولتُ منه شيئاً يسيراً، فما لبثتُ حتّى عاد بآخرَ فقلتُ: حَسْبُك يا رَمّاح فلا حاجةَ لي بشيء؛ فقال: اشرَب بأبي أنت، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مَدْحُوراً[٣].

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني عمّي مُصْعَب عن جَدّي عبدِ الله بن مُصْعَب قال: أتينا ابنَ مَيّادة نتَلقّى منه الشعرَ؛ فقال لنا: هل لكم في فضل شَنَّةٍ[٤]؟ فظننّاها تمراً، فقلنا له: هاتِ، لنَبْسُطَه بذلك، فإذا شَنّةٌ فيها فَضْلَةٌ من خَمْر قد شُرِب بعضُها وبقي بعضٌ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه.

أخبرنا الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمٰن الكَثِيريّ قال: حدّثني نعمة الغِفارِيّ قال: قدِم ابن مَيّادة المدينة فدُعي في وَليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمةُ حَرَساً يضربون الزَّلاّلين[٥] بالسِّياط

(١) مخططاً: جميلاً.
(٢) تحفّى بي: بالغ في الاحتفاء بي وإكرامي.
(٣) مدحوراً: مبعداً، مطروداً.
(٤) الشنة: الخلق من كل الآنية المصنوعة من الجلد.
(٥) الزلال: الذي يأتي الوليمة من غير دعوة.

يمنعونهم من الدخول، فرجع وهو يقول: [الطويل]

ولـمّـا رأيـتُ الأَصْـبَـحِـيّـة قـنّـعـتْ مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوَى العمائمُ[1]
تـركـتُ دِفـاعَ الـبـاب عـمّـا وراءَه وقلتُ صحيحٌ من نجا وهو سالمُ

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال: قال الوليد بن يزيد لابن مَيّادة في بعض وفادَاته عليه: مَن تركتَ عند نسائك؟ قال: رَقيبين لا يُخالفاني طَرْفة عيْن: الجُوع والعُرْي. وهذا القول والجواب يُرْوَى أنّ عمرَ بنَ عبد العزيز وعَقِيل ابن عُلّفَة تراجعاهما، وقد ذُكِرا في أخبار عَقِيل.

[مدحه أبا جعفر المنصور]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حدّثني عمّي مُصْعَب وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر، وأخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب أنّ ابن مَيّادةَ مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها: [الكامل]

طـلـعـتْ عـلـيـنـا الـعِـيـسُ بـالـرَّمّـاحِ

ثم خرج من عند أهله يُريده، فمرّ على إبله فحُلبت له ناقةٌ من إبله، وراح عليه راعيه بلبنها فشربه ثم مَسَحَ على بطْنِه ثم قال: سبحان الله! إنّ هذا لهو الشَّرَه! يكفيني لبن بكْرة وأنا شيخ كبير، ثم أخرج وأغترب في طلب المال! ثم رجعَ فلم يخرج. وهذه القصيدةُ من جَيّد شعر ابن مَيّادة، أوّلها: [الكامل]

وكـواعـبٍ قـد قُـلْـنَ يَـوْمَ تَـوَاعُـدٍ قَـوْلَ الـمُـجِـدِّ وهُـنّ كـالـمُـزّاحِ
يـا لـيـتَـنـا فـي غـيـر أمـرٍ فَـادِحٍ طَـلَـعَـتْ عَـلَـيْـنـا الـعِـيـسُ بـالـرَّمّـاحِ
بَـيْـنـا كـذاكَ رأيـنَـنـي مُـتَـعَـصِّـبـاً بـالـخَـزِّ فَـوق جُـلالـةٍ سِـرْداحِ[2]
فـيـهـنّ صـفـراءُ الـمَـعـاصِـم طَـفْـلَـةٌ بـيْـضـاءُ مـثـلُ غَـرِيـضـةِ الـتُّـفّـاحِ[3]
فـنـظَـرنَ مـن خَـلَـلِ الـحِـجـالَ بـأعـيـنٍ مَـرْضَـى مُـخـالِـطُـهـا الـسَّـقَـامُ صِـحَـاحِ
وارتـشْـنَ حـيـن أردن أنْ يـرمِـيـنَـنـي نَـبْـلاً بـلا رِيـشٍ ولا بِـقـدَاحِ[4]

---

(١) الأصبحية: ضرب من السياط منسوبة إلى ذي أصبح أحد ملوك حمير. وقنعت: علت الرؤوس.
(٢) الجلالة: الناقة العظيمة. والسرداح: الناقة الطويلة، وقيل: الكثيرة اللحم.
(٣) الطفلة: الرخصة الناعمة. والغريض: الطريّ.
(٤) ارتاش النبل: اتخذ له ريشاً.

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم:

فلئِنْ بقِيتُ لألحقَنّ بأبْحُرٍ ... يَنْمينَ لا قُطْعٍ ولا أنزاحِ(١)
ولآتينّ بَني عليّ إنّهُمْ ... مَن يأتهم يُتَلقّ بالإفلاحِ(٢)
قومٌ إذا جُلِب الثناء إليهِمُ ... بِيعَ الثناء هناك بالأرباحِ
ولأجْلِسَنّ إلى الخليفة إنّه ... رَحْبُ الفِناء بواسع بحباحِ

وهي قصيدة طويلة.

[ابن ميادة يصف مطراً بمكة أيام الحج]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثنا إسحاق بن أيوب بن سَلَمة قال: اعتمرتُ في رجب سنة خمس ومائة، فصادفني ابن ميّادة بمكة وقدِمها مُعْتَمِراً، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إليّ ابن مَيّادة الغَدَ من ذلك اليوم، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيْث فيقولون: صَعِق فُلان وانْهدم منزل فلان؛ فقال ابن مَيّادة: هذا العَيْث(٣) لا الغَيْث؛ فقلت: فما الغيث عندك؟ فقال: [الطويل]

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ ذي صَواعِقٍ ... ولا مُخْرِقات ماؤُهنّ حَمِيمُ
إذا ما هبطْنَ الأرضَ قد مات عُودُها ... بَكَيْنَ بها حتّى يَعيش هَشِيمُ

[بعض شعره المستحسن]

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني موسى بن زُهَيْر عن أبيه قال: جلست أنا وعيسى بن عُمَيْلة وابن مَيّادة ذات يوم، فأنشدنا ابنُ مَيّادة شعره مَلِيّاً ثم أنشدنا قوله: [الطويل]

ألاَ ليتَ شِعْري هل أبيتنّ ليلةً ... بحَرّة ليلَى حيث ربَّتَني أهلي
بلادٌ بها نِيطتْ عليّ تمائمي ... وقُطِّعن عنّي حين أدركني عَقلي
وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات هَجْمَةٍ ... تَطالعَ من هَجْلٍ خَصِيبٍ إلى هَجْلِ

---

(١) القطع: جمع أقطع، وهو الذي انقطع ماؤه. والأنزاح: جمع نزح، وهو الماء الكدر.
(٢) علي في البيت هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.
(٣) العيث: الفساد.

صُهَيْبِيّةٍ صفراء تُلْقي رِباعها ... بمُنْعَرِجِ الصَّمّان والجَرَعِ السهل

تلقي رِباعها: تطرحَ أولادها. وواحد الرباع رُبَع.

وهل أجمعنّ الدهرَ كَفِّيَّ جَمْعَةً ... بمَهْضومةِ الكَشْحَيْن ذاتِ شَوىً عَبْلِ

مُحلَّلةٍ لي لا حَراماً أتيتُها ... من الطيبات حين تَرْكُض في الحِجل

تميلُ إذا مالَ الضجيع بعطفِها ... كما مالَ دِعْص من ذُراً عَقِد الرملِ(١)

فقال له عيسى بن عُمَيْلَة: فأين قولك يا أبا الشُّرَحْبِيل: [الطويل]

لقد حَرَّمت أُمّي عليّ عَدِمْتُها ... كَرائمَ قومي ثمّ قِلّةُ ماليا

فقلت له: فاعطِف إذاً إلى أمَة بني سُهيل فهي أعنَدُ وأنكَدُ، وقد كنتُ أظنّ أن مَيّادة قد ضربت جأشك(٢) على اليأس من الحرائر، وأنا أُداعبه وأُضاحكه؛ فضحِك وقال: [الطويل]

ألم تَر قوماً يَنْكِحون بمالِهمْ ... ولو خَطَبتْ أنسابُهم لم تُزَوَّجِ

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني عمّي مُصْعَب وغيرُه أن حُسَيْنَة اليساريّة كانت جميلة - وآلُ يسَار من موالي عُثمان رِضوانُ الله عليه يسكنون تَيْماء، ولهم هناك عدد وجَلَد، وقد انتسبوا في كلب إلى يَسار بن أبي هند فقبلهم بنو كَلْب - قال: وكانت عند رجل من قومها يقال له: عيسى بن إبراهيم بن يسار، وكان ابن مَيّادة يزورها، وفيها يقول: [الوافر]

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئْنا ... وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بني يَسارِ

قال: فدخل عليها زوجها يوماً فوجدَ ابن مَيّادة عندها، فهمّ به هو وأهلُها؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسَيْنة حتى أفلت ابنُ مَيّادة؛ فقال في ذلك:

لقد ظلّتْ تُعاونني عليهمْ ... صَمُوتُ الحِجْل كاظمةُ السِّوارِ

وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ ... يُقطِّع سَلْحَهُ خَلْفَ الجِدارِ

(١) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة. وعقد الرمل: المتراكم منه.

(٢) ضربت جأشك: قطعت أملك من الاقتران بالحرائر.

[ابن ميّادة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال: حدّثني عبد الله بن خالد بن دُفَيْف التَّغْلَبِيّ عن عثمان بن عبد الرحمٰن بن نُمَيْرة العَدَوِيّ عن أبي العَلاء بن وَثّاب قال:

قَدِمَ ابن مَيّادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمرُ عنده في الليل، فقال عبد الواحد لأصحابه: إنّي أهُمّ أن أتزوّج، فابغوني أيِّماً؛ فقال له ابن ميّادة: أنا أدُلُّك، أصلحك الله أيها الأمير، قال: على من يا أبا الشُّرَحْبيل؟ قال: قدِمتُ عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمَن فيه الجنّةُ وأهلُها، فوالله لبَيْنا أنا أمشي فيه إذْ قادتني رائحة عطْر رجل حتّى وَقَفتْ بي عليه، فلمّا وقع بصري عليه استلهاني حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتّى تكلّم، فخِلْته لما تكلّم يتلو زبوراً أو يدْرُس إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتّى سكَت، فلولا معرفتي بالأمير لشككتُ أنّه هو، ثم خرَج من مُصلاّه إلى داره، فسألت: من هو؟ فأُخْبِرتُ أنّه للحيَّيْن وبين الخليفتين، وأنّ قد نالته ولادة من رسول الله ﷺ لها نور ساطع من غُرّته وذؤابته، فنعم الْمنْكِحُ ونعم حَشْو الرحْل وابنُ العشِيرة، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العبادَ وجاب ذكرهُ البلاد. فلمّا قضَى ابن مَيّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره: ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وأمّه فاطمة بنت الحُسَيْن، فقال ابن مَيّادة: [الطويل]

لهم نَبْوَةٌ لم يُعْطِها الله غيرَهم ... وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّم[1]

قال يحيى بن عليّ: وممّا مدَح به عبدَ الواحد لمّا قدِم عليه قولُه: [الكامل]

مَن كان أخطأه الربيعُ فإنّما ... نُصِرَ الحجازُ بغَيْثِ عبدِ الواحِد
إنّ المدينةَ أصْبَحتْ مَعْمُورَةً ... بمُتَوّجٍ حُلْو الشمائلِ ماجِد
ولقد بَلَغْتَ بغير أمرِ تَكَلُّفٍ ... أعلَى الحظوظِ برغْم أنفِ الحاسدِ
وملكتَ ما بين العراق ويَثْرِبٍ ... مُلْكاً أجارَ لمسلم ومُعاهِدِ

(١) النبوة: كل ما ارتفع عن الأرض، وهنا النبوة: الرفعة والمكانة السامية.

مَالَيْهِمَا ودَمَيْهِمَا من بعد ما غَشَّى الضَّعِيفَ شُعَاعُ سيفِ المارِدِ

[ابن ميادة والأمير عبد الصمد بن علي]

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني سَعِيد بن زَيْد السُّلَمِيّ:

إنّا لَنُزُولٌ أنا وأصحابٌ لي قَبْل الفِطْر بثلاثِ ليالٍ على ماءٍ لنا، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتفٌّ بثوب والسماءُ تَغْسِلُه حتى أناخَ إلى أجَم عَرَفْتُه، فلمّا رأيناه لَثِقاً[1] قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقَيّدنا جَمَلَه، فلما أقلعتِ السماءُ عنّا وهو معنا قاعدٌ قامَ غِلْمَةٌ منّا يرتجزون والرَّجُلُ يَنْتَسب لنا ولا عَرَفناه، فارتجزَ أحدُهم فقال: [الرجز]

أنا ابنُ مَيّادةَ لَبّاسُ الحُلَلْ أَمَرُّ من مُرٍّ وأَحْلَى من عَسَلْ

حتى قال له الرّجل: يابن أخي، أتَدْري من قال هذا الشعر؟ قال: نعم، ابنُ ميادة قال: فأنا هو ابنُ ميّادة الرّمّاح بن أَبْرَدَ، وبات يُعلِّلنا من شعره، ويقطعُ عنّا الليلَ بنَشِيده، وسَرَيْنا راحلين فَصَبَّحنا مكة فقضينا نُسُكَنا، ولَقِيَه رَجُلان من قومه من بني مُرّة فعَرَفهما وعرفَاه وأفطرنا بمكة، فلما انصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن بفارسَيْن مُسَوّدين وراجِلَيْن مع المرِّيّين يقولون: أينَ ابنُ ميّادة؟ فقلنا: ها هو وقد بَرَزْنا من خَيْمة كنّا فيها، فقلنا لابن مَيّادة: ابرُزْ؛ فلما نَظَر إلى المرِّيّين قال:

إحدَى عَشِيّاتِك يا شميرجْ

ـ قال: وهذا رَجَزٌ لبعض بني سُلَيم يقوله لفرسه: [الرجز]

أقولُ والرّكبةُ فوقَ المِنْسَجْ إحدَى عَشِيّاتِك يا شميرجْ[2]

ويروى: مشمرج ـ فقالوا لابن مَيّادة: أجب الأميرَ عبدَ الصمد بن عليّ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نَفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدْوَة[3]، فدخل أحد المسوِّدين، ثم خرج فقال: ادخل يا أبا شَجَرة، فَدَخَلتُ على عبد الصمد بن عليّ فوجدتُه جالساً مُتَوَشِّحاً بمِلْحَفَةٍ مُوَرَّدة؛

(١) لثقاً: مبتلاً.

(٢) منسج الدابة: ما بين العرف وموضع اللبة، وقيل: هو للدابة بمنزلة الكاهل للإنسان.

(٣) دار الندوة: أحدثها قصي بن كلاب، ليجتمع فيها القوم ويتشاوروا. (معجم البلدان: ٢/٤٢٣).

فقال لي: مَنْ أنت؟ قلتُ: رَجُلٌ من بني سُلَيم؛ فقال: ما لك تُصاحبُ المُرِّيّ وقد قَتَلُوا معاوية بنَ عمرو! وقالت الخَنْساءُ: [الطويل]

أَلاَ مـا لِـعـيـنـي أَلاَ مـا لَـهـا ... لـقـد أَخْـضَـلَ الـدَّمْـعُ سِـرْبـالَـهـا
فـآلَـيْـتُ آسَـى عـلـى هـالـكٍ ... وأســألُ نـائـحـةً مـالَـهـا[1]
أبـعـدَ ابـنِ عـمـرو مِـنَ آلِ الـشَّـريـ ... ـد حَـلَّـتْ بـه الأرضُ أثـقـالَـهـا
فـإن تَـكُ مُـرَّةُ أَوْدَتْ بـه ... فـقـد كـان يُـكـثِـر تَـقْـتـالَـهـا

أتَرْوِيها؟ قلتُ: نعم أصلحَ الله الأمير، وما زال من المعركة حتى قَتَل به خُفَافُ بن عمرو المعروف بابن نُدْبة كَبْشَ القومِ مالكَ بن حِمَارٍ الفَزَاريّ ثم الشَّمخِيّ، أمَا سمِع الأميرُ قولَ خُفَاف بن نُدْبَةَ في ذلك: [الطويل]

فإن تَكُ خَيْلي قد أُصِيب صَمِيمُها ... فَعَمْداً على عينٍ تَيمّمْتُ مالِكَا
تيمّمتُ كَبْشَ القومِ حين رأيتُه ... وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعَالِكَا
أقولُ له والرمحُ يأطِرُ مَتْنَه ... تَأمّل خُفَافاً إنّني أنا ذَلِكَا[2]

وقد تَوَسَّط معاويةُ بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتلَ، وقتلَ كبشَ القوم الذي أُصِيب بأيديهم؛ فقال: لله دَرُّك! إذا وَلَدَت النساءُ فَلْيلِدِنَ مثلَك! وأمر لي بألف درهم، فدُفِعت إليَّ وخَلَع عليّ. وأُدخِل ابنُ ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة؛ فقال له: لا سلّم الله عليك يا ماصَّ كذا من أمه؛ فقال ابن ميّادة: ما أكثرَ الماصِّين! فضحِك عبدُ الصّمد، ودعا بدفتر فيه قصيدةُ ابن ميّادة التي يقول فيها:

لـنـا الـمُـلْـكُ إلاّ أنَّ شَـيْـئـاً تَـعُـدُّه ... قُـرَيْـشٌ ولـو شِـئـنـا لَـدَاخَـتْ رِقابُـها[3]

ثم قال لابن ميّادة: أُعتق ما أَملِك إن غادرتَ منها شيئاً إن لم أَبلُغ غيظَك، فقال ابن ميّادة: أُعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتاً قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أَقُلْه؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له: أأنتَ قلتَ هذا؟ قال نعم؛ قال: أفكُنتَ أمِنْتَ يابنَ ميّادة أن يَنْقَضّ عليك بازٍ من قريش فَيَضْرِبَ رأسك! فقال: ما أكثر البازِين! أفكان ذلك البازي آمِناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميَه فتَشُولَ[4] رِجْلاه!

---

(١) تريد الشاعرة الخنساء: آليت لا آسى.
(٢) يأطر: يعطف، يثني.
(٣) داخت رقابها: خضعت.
(٤) تشول رجلاه: ترتفعان. وهنا كناية عن الموت.

فضَحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عبد الصمد بن شَبِيب قال قال أبو حُذَافَة السَّهْميّ: سَبّ رجلٌ من قُرَيش في أيام بني أميّة بعض ولد الحسن بن عليّ عليهما السلام، فأغلظ له وهو ساكتٌ والناسُ يَعْجَبون من صَبْره عليه، فلما أطال أقبل الحَسَنِيّ عليه متمثّلاً بقول ابن ميّادة: [الطويل]

أظنَّتْ سَفَاهاً من سَفَاهة رأيِها ... أَنَ اهْجُوهَا لمّا هَجَتْني مُحَارِبُ
فلا وأبِيها إنّني بعَشِيرَتي ... ونَفْسِيَ عن ذاك المَقَامِ لراغِبُ

فقام القُرَشيّ خَجِلاً وما ردَّ عليه جواباً.

[مدحه جعفر بن سليمان]

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلاّم قال: مدح ابنُ ميّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة، فأخبرني مِسْمَع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه. قال فقال له: جزاكَ الله خيراً! ممّن أنتَ رحمك الله؟ قلتُ: أحدُ بني مِسْمع؛ قال: ممّن؟ قلتُ: من قَيْس بن ثعلبة؛ قال: ممّن؟ عافاك الله! قلتُ: من بكر بن وائل؛ قال: والله لو كنتُ سمِعتُ ببكر بن وائل قط أو عرفتُهم لمدحتك، ولكني ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عَرَفتهم، ثم مدح جعفراً فقال: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما سُيُوفُ بَنِي عَلِيٍّ ... بنابِيَةِ الظُّبَاةِ ولا كِلالِ[1]
هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثُوا أباهُمْ ... تُرَاثَ محمّدٍ غَيرَ انتحالِ
وهم تَرَكوا المقالَ لهم رفيعاً ... وما تَرَكوا عليهم من مقالِ
حَذَوتُمْ قومَكم ما قد حَذَوْتُمْ ... كما يُحْذَى المثالُ على المِثَالِ
فَرُدُّوا في جِراحكُمُ أَسَاكم ... فقد أبْلَغتمُ مُرَّ النَّكالِ[2]

يُشير عليه بالعَفْو عن بني أميّة ويُذَكّره بأرحامهم.

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ عن سليمان المَدِيني عن محمد بن سلاّم، قال يحيى قال أبو الحارث المُرّيّ فيما ذكره إسحاق من أخباره: قال جعفر بن

(١) الظباة: جمع ظبة وهي حد السيف والسنان والنصل.

(٢) الأسى: العلاج، المداواة، والآسي: الطبيب.

سليمان لابن ميّادة: أتحبُّ أن أُعطيَك مثلَ ما أعطاك ابنُ عَمِّك رِيَاح بن عثمان؟ فقال: لا، أيُّها الأمير، ولكن أعطني كما أعطاني ابنُ عَمِّك الوليد بن يزيد.

[هجاؤه بني أسد وبني تميم]

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال: قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة: أأنت الذي تقول: [الطويل]

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبُوا ... وتَغْضَبْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضَابُها

قال: لا والله! ما هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلتَ؟ قال: قلتُ:

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبُوا ثمّ تَغْضَبُوا ... وتَغْدِلْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضَابُها

قال: صَدَقتَ هكذا قلتَ. وهذه القصيدةُ يَهجو بها ابنُ ميّادة بني أسد وبني تميم، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان:

وأَحْقَرُ مَحْقُورٍ تَمِيمٌ أخوكُمُ ... وإن غَضِبَتْ يَرْبُوعُها ورِبَابُها
أَلاَ ما أُبالِي أن تُخَنْدِفَ خِنْدِفٌ ... ولستُ أُبالِي أن يَطِنَّ ذُبابُها
ولو أنّ قَيساً قَيس عَيْلاَنَ أقسمتْ ... على الشَّمْسِ لم يَطْلُعْ عليكم حِجَابُها
ولو حاربتْنا الجنُّ لم نَرفع القَنا ... عن الجنّ حتى لا تَهِرّ كِلاَبُها
لنا المُلْكُ إلاّ أنّ شيئاً تَعُدُّه ... قُرَيشٌ ولو شِئنا لَذَلَّتْ رِقابُها
وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها ... مَعَاذَ الإلٰهِ أن أكونَ أَهَابُها
وإنّي لَقَوّالُ الجوابِ وإنّني ... لَمفتَجِرٌ أشياءَ يُعيِي جوابُها
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ ... يداكَ وفات الرِّجلَ منك ركابُها

[ابن ميادة وسماعة بن أشول]

قال إسحاق في خبره: فحدّثني جَبْر بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال سَمَاعة بن أشْوَل النعامي يعارض ابنَ ميّادة: [الطويل]

لعلّ ابنَ أشبانيّةٍ عارضتْ به ... رِعَاءَ الشُّوِيّ من مُرِيح وعازِبِ(١)
يُسَامِي فروعاً من خُزَيمة أحرزتْ ... عليه ثنايا المجد من كل جانبِ

(١) الشّوِيّ: اسم جمع للشاة.

فقال ابن ميّادة: مَن هذا؟ لقد أغلقَ عليّ أغلقَ الله عليه! قالوا: سَمَاعة بن أَشْول؛ فقال: سماعةُ يُسَمِّع[١] بي، وأَشْوَلُ يَشُول بي[٢]، والله لا أُهاجِيهِ أبداً، وسكت عنه.

[هجاؤه عبد الرحمٰن بن جهيم الأسدي]

وقال عبد الرحمٰن بن جُهَيم الأسديّ أحدُ بني الحارث بن سعد بن ثَعْلبة بن دُودان بن أسد يردّ على ابن ميّادة، وهي قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتاً: [الطويل]

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميّادة الذي ... رَبَا وهي وَسْطَ الشَّوْلِ تَذْمَى كِعابُها
شَرَنْبَثَة الأطرافِ لم يَقْنَ كَفَّها خِضَابٌ ... ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها[٣]
أرمّاحُ إن تَغْضَبْ صناديدُ خِنْدِفٍ ... يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها واعتيابُها[٤]

ويروى «اغتيابها» من الغِيبة. و«اعتيابها» من العَيْب.

ولو أغْضَبَتْ قَيْسٌ قُريشاً لَجَدَّعَتْ ... مَسَامعَ قَيسٍ وهي خُضْعٌ رِقابُها
لقد جَرَّ رمّاحُ ابن واهصةِ الخُصَى ... على قومه حَرْباً عظيماً عَذَابُها[٥]
وقد عَلِمَ المملوحُ بالشؤم رأسُهُ ... قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قَيساً غِضابُها
ولم تَحْمِها أيامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ ... وأيامَ قَتْلَى كانَ خِزْياً مُصابُها
ولا يَوْمَ لاقينا نُميراً فَقُتِّلَتْ ... نُمَيرٌ وفَرَّتْ كَعْبُها وكِلابُها
وإن تَدْعُ قَيساً لا تُجِبْكَ وَحَوْلَها ... خُيُولُ تميم سَعْدُها ورِبَابُها
ولو أنّ قيساً قيسَ عَيْلان أَصْحرت ... لأنواء غَنْمٍ غَرَّقتها شِعابُها[٦]
ولو أنّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ ... لكان لنا إشراقُها واحتجابُها
ولكنّها لله يَمْلِك أمرَها ... بقُدْرته إصعادها وانصبابُها
لَعَمْري لئن شابتْ حَلِيلةُ نَهْبَلٍ ... لَبِئسَ شبابُ المرءِ كان شبابُها

---

(١) سمع به: فضحه.
(٢) يشول بي: يرفعني، ويشهرني.
(٣) شرنبثة الأطراف: غليظة الأطراف.
(٤) قَصَبَه: عابه والقَصْب: المصدر من قَصَب.
(٥) ابن واهصة الخصى: كناية عن أنه ابن راعية ضأن.
(٦) أصحرت: نزلت الصحراء.

ولم تدرِ حَمْراءُ العِجَانِ أَنَهْبَلٌ أبوهُ أم المُرّيّ تَبٌّ تَبَابُها
فإن يكُ رَمَّاحُ بنُ ميّادةَ التي يُصِنّ إذا باتتْ بأرضٍ ترابُها[1]
جَرَى جَرْيَ موهونِ القُوَى به لئيمةُ أعراقٍ إليه انتسابُها
فلن تَسْبق المضمارَ في كلّ مَوْطِنٍ من الخيل عندَ الجِدِّ إلاّ عِرابُها
ووالله لولا أنّ قَيْساً أذِلّةٌ لئامٌ فلا يُرْضَى لحُرٍّ سِبابُها
لألحقتُها بالزِّنج ثم رَمَيْتُها بشنعاءَ يُعْيي القائلين جَوَابُها

[ابن ميادة وأبان بن سعيد]

أخبرني يحيى بن علي عن حمّاد عن أبيه قال: وجدتُ في كتاب أبي عمرو الشَّيْباني فعرضتُه على أبي داود فَعَرفه أو عامّتَه، قال: إنّا لجلوسٌ على الهَجْم[2] في ظلّ القَصْر عَشِيَّةً، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نَفَرٍ يَقُودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد ابن عُيَينة بن حِصْن وهو في جماعة من بني عُيَينة، قال: فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ، فقلنا: مَن القوم؟ فقال أحدهم: أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتي؛ فقال أبان لأحد بَنِيه: اذهبْ بهذه الناقة فأطلِقْ عنها عند بيت أمّك؛ فقال له ابنُ ميّادة: هذا يا أبا جعفر السّعْلاة[3]، أفلا أُنشِدُك ما قلتُ فيها؟ قال: بَلَى فهات؛ فقال: [الطويل]

قَعَدْتُ على السّعلاة تَنقُضُ مِسْحَها وتُجْذَبُ مِثْلَ الأَيْم في بُرة الصُّفْرِ[4]
تُيَمِّم خيرَ الناس ماءً وحاضراً وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدري[5]
فإني على رَغْم الأعادِي لقائلٌ وجَدْتُ خِيَارَ الناسِ حَيَّ بني بدرِ
لهم حاضرٌ بالهَجْم لم أرَ مثلها من الناس حيّاً أهل بَدْوٍ ولا حَضْرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلساً مجلسٌ لهم يَفِيءُ عليه الظلُّ من جانب القَصْرِ
أُخُصُّ بها رَوْقَيْ عُيَينةَ إنه كذاك ضحاحُ الماء يأوي إلى الغَمْرِ[6]
فأنتم أحقُّ الناس أن تتخيَّروا الـ ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلد القَفْرِ

---

(١) يصن: ينتن.

(٢) الهجم: ماء لبني فزارة. (معجم البلدان ٤/٣٩٣).

(٣) السعلاة: أنثى الغول.

(٤) المسح: البلاس. والأيم: الحية. والبرة: حلقة من صفر أو غيره توضع في لحم أنف البعير.

(٥) الحاضر: الحي العظيم.

(٦) لم أجد في المعاجم التي بين يديّ «ضحاح» وإنما الموجود ضحضاح، وبها ينكسر الوزن فلعل الكلمة تصحيف «ضحال» جمع ضحل. والغمر: الماء الكثير.

قال: فكان أوّل قائم من القوم ركضةُ بن عليّ بن عُيَينة، وهو ابن عمّ أبان وعَبْدة بنت أبان، وكانت إبلُه في العَطن وهي أكرمُ نَعَم بني عُيَينة وأكثرُه، فقال: ما سمعتُ كاليوم مَدِيحَ قَوْمٍ قطّ، حُكْمُك ماضٍ في هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن ميّادة: يا بني عُيَينة، إني لم آتكم لتتبارَى لي شياطينكم في أموالكم، إنما كان عليّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعْطوني أبْكُراً أبيعها في دَيْني. فأقامَ عندَ أبان بن سعيدٍ خمسةَ عشرَ يوماً، ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقةٌ لابن أبان عُشَراءُ أو رَبَاعيةٌ. قال يحيى في خبره: وقال يعقوب بن جعفر بن أبَان بن سَعِيد بن عُيَينة: إنّي على الهَجْم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّف راحلتَه في الحِيَاض فيردّه الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت: اشرَعْ في هذا الحوض؛ فلما شَرَع فسَقَى قال: مَن هذا الفتى؟ فقيل: هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيَينة؛ فقال: [الطويل]

بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن ... لآباء سَوْءٍ يَلْقَهم حيثُ سَيَّرا
فما العود إلا نابِتٌ في أُرُومه ... أبَى شَجَرُ العِيدان أن يتغيّرا

قال إسحاق: سألت أبا داود عن قوله:

كذاك ضَحاحُ الماءِ يَجْرِي إلى الغَمْرِ

فقال: أراد أنّ الأمرَ كلَّه والسؤدد يصير إليه، كما يصير الماءُ إلى الغَمْرة حيث كانت.

[ابن ميادة وأيوب بن سلمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيوب المَدِينيّ قال: أخبرني مُصْعَب بن الزبير قال: ضافَ ابنُ ميّادة أيّوبَ بن سَلَمة فلم يَقْرِه، وابنُ ميّادة من أخوال أيوب بن سلمة، فقال فيه: [الطويل]

ظَلِلْنا وُقُوفاً عند باب ابن أختنا ... وظَلّ عن المعروف والمجدِ في شُغُلِ
صَفاً صَلَدٌ عند النَدَى ونَعَامَةٌ ... إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ[1]

---

(١) الصلَد: الصلب، وحرك لضرورة الوزن، والعصل: جمع أعصل وهو المعوج.

[ابن ميادة ورياح بن عثمان]

قال أبو أيوب وأخبرني مُصعب قال: قدم ابنُ ميّادة على رِيَاح بن عثمان، وقد وَلِيَ المدينةَ وهو جَادٌّ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه، فقال له: اتخذْ حَرَساً وجُنْداً من غَطَفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَك، وحَذَارِ من قريش؛ فاستخفّ بقوله ولم يقبل رأيه؛ فلمّا قُتلَ رِيَاحُ قال ابن ميّادة:

[الوافر]

أمَـرْتُـكَ يـا رِيَـاحُ بـأمـر حَـزمٍ ... فـقـلـتَ هَـشِـيـمـةٌ مـن أهـل نـجـد
وقـلـتُ لـه تـحـفّـظ مـن قُـريـشٍ ... ورَقِّـع كـلَّ حـاشـيـةٍ ويُـرْدِ
فَـوَجْـداً مـا وَجَـدْتُ عـلـى رِيَـاحٍ ... ومـا أغـنـيـتُ شـيـئـاً غـيـرَ وَجْـدِي

[تشبيبه بالنساء]

أخبرني عمّي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل قال: حدّثني أكثم بن صَيْفِيّ المُرّيّ ثم الصارديّ عن أبيه قال: كان ابنُ ميّادة رأى امرأة من بني جُشَم بن معاوية ثم من بني حَرَام يقال لها: أمّ الوليد، وكانوا سارُوا عليه، فأُعجبَ بها وقال فيها: [الطويل]

ألاَ حَـبّـذا أمُّ الـولـيـدِ ومَـرْبَـعٌ ... لـنـا ولـهـا نَـشْـتُـو بـه ونَـصِـيـفُ

ويروى:

.... ومَـرْبَـع ... لـنـا ولـهـا بـالـمـشـتـوى ومـصـيـفُ
حَـرَامِـيَّـةٌ أمّـا مَـلاَثُ إزارِهـا ... فَـوَعْـثٌ وأمّـا خَـصْـرُهـا فـلـطـيـفُ[1]
كـأنَّ الـقُـرُونَ الـسُّـودَ فـوقَ مَـقَـذِّهـا ... إذا زَالَ عـنـهـا بُـرْقُـعٌ ونَـصِـيـفُ[2]
بـهـا زَرَجُـونـاتٌ بـقَـفْـرٍ تَـنَـسَّـمـت ... لـهـا الـريـحُ حتى بـيـنـهـنّ رَفِـيـفُ[3]

قال: فلما سمع زَوْجُها هذه الأبيات أتاها فحلَف بطلاقها: لئن وَجَدَ ابنَ

(١) ملاث الإزار: ما دون الخصر من الجسم. والوعث: السمين.
(٢) القذّ: ما بين الأذنين من خلف، والنصيف: الخمار.
(٣) الزرجونة: شجرة العنب، وكل شجرة زرجونة، (فارسي معرب).

ميّادة عندها لَيُدُقّنَّ فَخِذَها، ثم أعرض عنها واغترّها[١]، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقّ فخذها، واحتمل فرحل ورحل بها معه؛ فقال ابن ميّادة: [الوافر]

أتـانـا عـامَ سـار بـنـو كـلابٍ حَـرامـيّـون لـيـسَ لـهـم حَـرَامُ
كـأنّ بـيـوتـهـم شـجـرٌ صِـغـارٌ بِـقِـيـعـانٍ تَـقِـيـلُ بـهـا الـنَّـعـامُ
حَـرامـيّـون لا يَـقْـرُون ضَـيْـفـاً ولا يَـدْرون مـا خُـلُـقُ الـكـرامِ[٢]

قال: ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب. فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها أمّ البَخْتَرِيّ، وكان يتحدّث إليها مدّة مُقَامهم، ثم ارتحلوا فقال فيها:

[الطويل]

أرِقـتُ لِـبَـرْقٍ لا يُـفَـتِّـر لامـعُـهْ بشُهْب الرُّبَى والليلُ قد نام هاجعُهْ
أرِقتُ لـه من بـعـد مـا نـام صُحْبَتي وأعـجـبـنـي إيـمـاضُـه وتـتـابـعُـه
يُـضـيءُ صَـبِـيـراً مـن سَـحـابٍ كـأنّـه هِـجـانٌ أرنّـتْ لـلـحـنـيـن نـوازعُـهْ[٣]
هَـنِـيـئـاً لأمّ الـبَـخْـتَـرِيّ الـرِّوَى بـه وإن أَنْهَجَ الحبلُ الذي النأيُ قاطعُهْ[٤]
لقد جَعَل الـمُسْتَبضِعُ الغشّ بيننا لِـيَـصْـرِمَ حَـبْـلَـيـنـا تَـجُـوز بـضـائـعُـهْ
فـمـا سَـرْحـةٌ تَـجْـرِي الـجـداولُ تـحـتـهـا بِـمُـطَّـرد الـقِـيـعَـانِ عَـذْبٍ يـنـابِـعُـهْ
بـأحـسـنَ مـنـهـا يـومَ قـالـتْ بـذي الـغَـضَـا أَتَـرْعَـى جـديـدَ الـحـبـلِ أمْ أنـتَ قـاطـعُـهْ

أخبرني عمّي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال: وذكر أبو الأشْعَث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة من بني سَلْمَى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهْثَة ـ وهم بطن يقال لهم البهثاء ـ فأبوْا أن يزوّجوه وقالوا: أنت هَجِينٌ ونحنُ أشرفُ منك؛ فقال: [الطويل]

فـلـو طـاوعَـتْـنـي آلُ سَـلْـمَـى بـن مـالـكٍ لأعـطـيـتُ مَـهْـراً مـن مَـسَـرَّةَ غـالـيَـا
وسِـرْبٍ كـسِـرْبِ الـعِـيـن مـن آل جَـعْـفـرٍ يُـغَـادِيـنَ بـالـكُـحْـل الـعُـيُـونَ الـسـواجِـيَـا
إذا مـا هَـبَـطْـنَ الـنِّـيـلَ أو كُـنّ دونـه بِـسَـرْوِ الـحِـمَـى أَلْـقَـيْـنَ ثَـمّ الـمَـرَاسِـيَـا

(١) اغترّها: طلب غرتها.
(٢) في البيت إقواء.
(٣) الصبير من السحاب: الأبيض، أو الكثيف. والهجان من الإبل: البيض.
(٤) الروى: الارتواء. وأنهج الحبل: بلي.

[موته في صدر خلافة المنصور]

قال أحمد بن إبراهيم: مات ابنُ ميّادة في صَدْر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ إليه ولا مدحه، لِمَا بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة ثوابه لهم.

أخبار حُنَين الحِيري ونسبه

[توفي ١١٠ هـ/٧٢٨ م]

حنين بن بَلْوَع الحِيرِيّ مختلف في نسبه، فقيل: إنه من العِبَادِيِّين من تَميم، وقيل: إنه مِنْ بني الحارث بن كعب، وقيل: إنه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم، ويُكْنَى أبا كعب، وكان شاعراً مُغَنِّياً فَحْلاً من فُحُول المُغَنِّين، وله صنعة فاضلة متقدّمة، وكان يسكن الحِيرَة ويُكْرِي الجمالَ إلى الشأم وغيرها، وكان نصرانياً. وهو القائل يصفُ الحِيرَة ومنزلَه بها:

صوت

[المنسرح]

أنـا حُـنَـيـنٌ ومَـنْـزِلـي الـنَّـجَـفُ ... وما نَـدِيـمـي إلاّ الـفَـتَـى الـقَـصِـفُ[1]

أَقْـرَعُ بـالـكـأس ثَـغْـرَ بـاطـيـةٍ ... مُـتْـرَعَـةٍ، تـارةً وأَغـتـرفُ[2]

مـن قـهـوةٍ بـاكَـرَ الـتِّـجَـارُ بـهـا ... بـيـتَ يَـهُـودٍ قـرارُهـا الـخَـزَفُ[3]

والـعـيـشُ غَـضٌّ ومـنـزلـي خَـصِـبٌ ... لـم تَـغْـذُنـي شِـقْـوَةٌ ولا عُـنُـفُ

الغناء والشعر لحُنَين، ولحنُهُ رَمَل بالبنصرِ. وفيه لابن المكّيّ خفيفُ ثقيل قديم. ولعَرِيبَ فيه خفيفُ ثقيل آخر عن الهِشَاميّ.

---

(١) الفتى القصِف: الفتى الميال إلى اللهو واللعب.

(٢) الباطية: إناء الخمر.

(٣) القهوة: الخمر.

[غناؤه لهشام بن عبد الملك]

أخبرنا وَكِيع قال: قال حماد حدّثني أبي عن أبي الخطّاب قال: وحدّثني ابن كُنَاسة عن سليمان بن داود، مولًى ليحيى، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ عن المدائني قالوا جميعاً: حجّ هشامُ بن عبد الملك وعديلُه الأبرشُ الكلبيّ، فوقف له حُنَين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامرٌ له، وعليه قُلَنْسِيَة طويلة، فلمّا مرّ به هشام عَرَض له؛ فقال: مَنْ هذا؟ فقيل: حُنَين؛ فأمر به فحُمِل في مَحْمِلٍ على جمل وعَدِيلُه زامرهُ، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى:

صوت [مجزوء الوافر]

أَمِـنْ سَـلْـمَـى بِـظَـهْـر الـكـو ... فَـةِ الآيـاتُ والـطَّـلَـلُ
يـلـوحُ كـمـا تـلـوحُ عـلـى ... جـفـون الـصَّـيـقـلِ الـخِـلَـلُ[1]

ـ الصنعة في هذا الصوت لحنَين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره ـ قال: فأمر له هشام بمائتي دينار، وللزامر بمائة. وذكر إسحاق في خبره عن أبيه الخطّاب أنه غنّى هشاماً: [مجزوء الرمل]

صوت

صـاحِ هـل أبـصـرتَ الـخَـبْـ ... ـتـيْـن مـن أسـمـاءَ نَـارَا[2]
مَـوْهِـنـاً شُـبَّـت لـعـيـنـيـ ... ـكَ ولـم تُـوقَـدْ نـهـارَا
كَـتَـلالَـي الـبَـرْقِ فـي الـمُـزْ ... نِ إذا الـبَـرْقُ اسْـتَـطَـارَا
أذكَـرَتْـنـي الـوصـلَ مـن سُـعْـ ... ـدَى وأيّـامـاً قِـصَـارَا

ـ الشعر للأحوص، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبّابة في مَجْرى الوُسْطَى عن إسحاق. ونسبه ابن المكّيّ إلى الغَرِيض. وقال يونس: فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما. وقال الهِشَاميّ: فيه لمالك خفيفُ رملٍ ـ قال: فلم يزل هشام يستعيده

---

(١) الصيقل: جلاء السيوف، وجفن السيف: غمده. والخلل: جمع خلة، وهي بطانة يغشى بها جفن السيف.

(٢) الخبتان: صحراء بين مكة والمدينة. (معجم البلدان: ٢/ ٣٤٣).

حتى نَزَلَ من النجف، فأمر له بمائتي دينار. وقال: إسحاق: قيل لحُنَين: أنتَ تُغَنِّي منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عَقَاراً إلاّ أتيتَ عليه! فقال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أَقْسِمها بين الناس، أَفَتَلُومُونَني أن أُغلِيَ بها الثمن!.

[غناؤه بالأبطح]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصعَب بن الزُّبير عن بعض المكيّين، وأخبرني به الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء وحَبِيب بن نصر قالا: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني عَمِّي مُصْعَب قال: حدّثني شيخ من المكيّين يقال له شَرِيس قال: إنّا لبالأبطَح[1] أيامَ الموسم نَشْتَرِي ونَبيع إذ أقبل شَيْخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بَغْلة شَهْبَاءَ ما ندري أهو أشدّ بياضاً أم بغلته أم ثيابه؛ فقال: أينَ بيتُ أبي موسى؟ فأشرنا له إلى الحائط؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبي موسى، ثم استقبلنا ببغلته ووجههِ ثم اندفع يُغَنِّي:

صوت

[الخفيف]

أَسْعِدِيني بدمعةٍ أَسْرابِ ... من دموع كثيرة التَّسْكابِ[2]
إنّ أهل الحِصَاب قد تركوني ... مُغْرَماً مُولَعاً بأهل الحِصابِ[3]
فارقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاق مِيتةً من إيابِ
سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيْت أبي مو ... سى إلى النخل من صُفِيّ السِّبابِ[4]
كم بذاكَ الحَجُون من حَيّ صِدْق ... وكهولٍ أعفَّةٍ وشبابِ[5]
أهلُ بيتٍ تتايعُوا للمنايا ... ما عَلَى الموت بعدَهُم من عِتابِ[6]

---

(١) الأبطح: بمكة يضاف إليها فيقال أبطح مكة كما يضاف إلى منى فيقال أبطح منى. (انظر معجم البلدان: ١/ ٧٤).

(٢) أسراب جمع سرب، وهو الماء السابل.

(٣) الحصاب: موضع رمي الجمار بمنى.

(٤) صفي السباب: موضع بمكة (معجم البلدان ٣/ ٤١٥).

(٥) الحجون: جبل بأعلى مكة (معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

(٦) تتايعوا: وقعوا في الشرّ من غير روية. (لسان العرب مادة تيع) وفي بقية نسخ الأغاني تتابعوا، وهي أفضل.

فلـيَ الـوَيـلُ بـعـدَهـم وعـلـيـهـم صِـرتُ فـرداً ومَـلّـنـي أصحـابِـي

ـ الشعر لكَثير بن كَثِير بن المطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهميّ. والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مَجْرى الوُسطى. وفيه لابن أبي دُبَاكِل الخُزَاعيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْدَاذْبَه ـ قال: ثم صَرَف الرجل بغلَته وذهب، فتبعناه حتى أدركناه، فسألناه مَن هو؛ فقال: أنا حُنَين بن بَلْوَع وأنا رجلٌ جَمّال أُكْرِي الإبل، ثم مضى.

[بينه وبين ابن محرز]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ، قال: كان حُنَين غُلاماً يحمل الفاكهة بالحِيرَة، وكان لطيفاً في عمل التحيّات، فكان إذا حَمَلَ الرياحين إلى بيوت الفِتْيان ومياسير أهل الكوفة وأصحابِ القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقَتَهُ وحُسْنَ قَدِّه وحلاوتَهُ وخفّةَ رُوحِهِ استحْلَوْه، وأقام عندهم وخفّ لهم، فكان يسمع الغناءَ ويَشْتهيه ويُصْغِي إليه ويستَمعه ويُطِيل الإصغاء إليه، فلا يكاد يُنْتَفَعُ به في شيء إذا سَمِعَه، حتى شَدَا منه أصواتاً فأسمعها الناسَ ـ وكان مطبوعاً حسَنَ الصوت ـ واشتَهَوْا غناءَه والاستماعَ منه وعِشْرتَهُ، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه، وبَلَغ منه مَبْلغاً كبيراً، ثم رَحَلَ إلى عُمَر بن داود الواديّ وإلى حَكَم الواديّ، وأخذ منهما، وغَنَّى لنفسه في أشعار الناس، فأجاد الصَّنْعة وأحكمها، ولم يكن بالعراق غيرُه فاستولَى عليه في عَصْره. وقَدِمَ ابنُ مُحْرِزٍ حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبرُه حُنَيناً، وقد كان يَعْرفه، فخَشِيَ أن يعرفه الناس فَيَسْتَحلُوه ويَسْتَوْلِيَ على البلد فَيَسْقُطَ هو، فقال له: كم مَنَّتك نفسُك من العراق؟ قال: ألف دينار؛ قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذْها وانصرف واحلف لي أنك لا تعود إلى العراق؛ فأخذها وانصرف.

أخبرني عمِّي وعيسى بن الحُسَين قالا: حدّثنا أبو أيوب المدائنيّ عن أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان ابنُ مُحْرز قَدِمَ الكوفة وبها بِشْرُ بن مَرْوان، وقد بلغه أنه يَشْرَبُ الشراب ويَسْمَعُ الغِناء، فصادفه وقد خرَج إلى البَصْرَة؛ بلغ خبرُه حُنَينَ بنَ بَلْوَع فتلطَّف له حتى دعاه؛ فغنّاه ابنُ مُحْرز لحنَه ـ قال أحمد بن إبراهيم

وهو من الثقِيل الثاني من جَيِّد الأغاني ـ:

صوت

[المتقارب]

وَحُـرُّ الـزَّبَـرْجَـدِ فـي نَـظْـمِـهِ عـلـى وَاضِـحِ الـلِّـيـتِ زَانَ الـعُـقـودَا[1]
يُـفَـصِّـلُ يـاقـوتُـهُ دُرَّهُ وكـالـجَـمْـرِ أَبْـصَـرْتَ فـيـهِ الـفَـرِيـدَا[2]

قال: فسمِع شيئاً هاله وحيّره، فقال له حُنين: كم مَنّتْك نفسُك من العراق؟ قال: ألفَ دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك في عَوْدتك وبَدْأتك ودَعِ العراق لي وامضِ مُصاحَباً حيث شئت ـ قال: وكان ابن مُحْرز صغير الهمَّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤثِرُ على الخَلْوَة شيئاً ـ فأخذها وانصرف.

[غناؤه في حمص]

وقال حمّاد في خبره: قال أبي: حدّثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال: خرجت إلى حِمْص ألتمِس الكَسْبَ بها وأرتاد مَنْ أستفيدُ منه شيئاً، فسألت عن الفِتْيان[3] بها وأين يجتمعون، فقيل لي: عليك بالحَمَّامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه، فإذا فيه جماعة منهم، فأنِسْتُ وانبسطت، وأخبرتُهم أني غَرِيب، ثم خرجوا وخرجتُ معهم، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم، فلما قعدنا أُتينا بالطَّعام فأكلنا، وأُتينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم في مُغَنٍّ يُغنّيكم؟ قالوا: وَمَنْ لنا بذلك؟ قلت: أنا لكم به، هاتوا عُوداً فأُتِيتُ به، فابتدأتُ في هُنيّات[4] أبي عَبّاد مَعْبد، فكأنما غَنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لِغنائي ولا سُرُّوا به، فقلت: ثَقُل عليهم غناءُ مَعْبَد بكثرة عَمَله وشدّته وصعوبة مذهبه، فأخذتُ في غناء الغَرِيض فإذا هو عندهم كلا شيءٍ وغنّيتُ خَفَائف ابن سُرَيج، وأهزاجَ حَكَم، والأغانيَ التي لي، واجتهدتُ في أن يفهموا، فلم يتحرّك من القوم أحدٌ، وجعلوا يقولون: ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا؛ فقلت في نفسي: أرى أنّي سأفتضح اليوم بأبي مُنَبِّه فضيحةً لم يَفْتَضِح أحدٌ قطُّ

(١) اللِّيت: صفحة العنق.
(٢) الفريد: الدرّ إذا نظم وفصّل بغيره.
(٣) الفتيان: فئة يدينون بالفتوة وخصال الرجولة وفيهم صفات يربون أنفسهم عليها.
(٤) الهنيات: الأراجيز.

مثلَها. فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنَبِّه، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنه جَمّال، فوثبوا جميعاً إليه وسَلّموا عليه وقالوا: يا أبا مُنَبِّه أبطأتَ علينا، وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحاً، وخنَسْتُ أنا حتى صرتُ كلا شيءٍ خوفاً منه، فأخذ العُودَ ثم اندفع يغنّي: [الخفيف]

طَرِبَ البحر فاعبُرِي يا سفينهْ … لا تَشُقِّي على رجالِ المدينهْ

فأقبل القومُ يصفِّقون وَيَطرَبون ويَشرَبون، ثم أخذ في نحو هذا من الغِنَاء؛ فقلت في نفسي: أنتم هاهنا! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدةِ. فلمَّا أصبحتُ شَدَدتُ رَحْلي على ناقتي واحتقبْتُ رَكْوَةً من شراب ورَحَلت متوجِّهاً إلى الحِيرة، وقلت: [الخفيف]

ليت شعري متى تَخُبُّ بي النّا … قةُ بين السَّدِير والصِّنَّيْنِ
مُحْقِباً رَكْوَةً وخُبْزَ رُقَاقٍ … وبُقُولاً وقطعةً من نُونِ[1]
لستُ أبغِي زاداً سواها من الشا … م وحسبي عُلالةٌ تَكْفِيني[2]
فإذا أُبْتُ سالماً قلت سُحْقاً … وبِعَاداً لمعشرٍ فارقوني

[غناؤه خالداً القسريّ]

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه، وأخبرنا به وَكِيع في عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لي إسحاق، فلا أدري أأَدرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرْسَلاً، قال إسحاق: وذكر ابن كُنَاسة أن خالدَ بنَ عبد الله القَسْرِيّ حرّم الغِنَاء بالعراق في أيامه، ثم أذِنَ للناس يوماً في الدخول عليه عامّة، فدخل إليه حُنَين ومعه عودٌ تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عِيالي فحرّمها الأميرُ فأضَرَّ ذلك بي وبهم؛ فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عوده وقال: هذا؛ فقال له خالد: غَنِّ؛ فحرّك أوتاره وغنّى:

---

(١) النون: الحوت.
(٢) العُلالة: ما يتعلل به.

صوت [الخفيف]

أيها الشامتُ المُعَيِّر بالدهـ ـرِ أأنت المُبَرّأُ الموْفُورُ
أم لديك العهدُ الوثيق من الأيـ ـامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خلَّدن أم مَنْ ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ

قال: فبكى خالد وقال: قد أذِنتُ لك وحدَكَ خاصَّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا مُعَرْبِداً. فكان إذا دعِي قال: أفيكم سفيهٌ أو مُعربِد؟ فإذا قيل له: لا، دخل.

شعر هذا الصوت المذكور لعديّ بن زيد، والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن عمرو. وقوله: المبرأ، يعني المبرأ من المصائب. والموفور: الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء، يقال: وُفِرَ الرجل يُوفر. ولديك بمعنى عندك هاهنا.

[غناؤه بشر بن مروان]

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحّاف الكوفيّ قال: حدّثنا قَعْنَب ابن المُحْرِز الباهليّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبِيّ جميعاً، وأخبرني محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشَّعْبيّ قال: لما وليَ بِشْرُ بن مَرْوان الكوفةَ كنتُ على مَظالمه، فأتيتُه عشيَّةً وحاجبهُ أعْيَن (صاحب حمّام أعْيَن) جالس، فقلت له: استأذنْ لي على الأمير؟ فقال لي: يا أبا عمرو، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها؛ فقلت: أعْلِمْه ـ وخَلاَكَ ذَمٌّ ـ فقد حدث أمر لا بدّ لي من إنهائه إليه ـ وكان لا يجلس بالعَشِيّ ـ فقال: لا، ولكن اكتب حاجتَكَ في رُقْعة حتى أوصِّلَها إليه؛ فكتبتُ رقعة، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبيّ ممن يُحتَشَمُ منه فأْذَنْ له، فأذن لي فقال: ادخل، فدخلت فإذا بشرُ بن مروان عليه غِلالةٌ[1] رقيقة صفراء ومُلاءَةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال، وعلى رأسه إكليل من رَيْحان، وعلى يمينه عِكْرمةُ بن رِبْعيّ، وعلى يَساره خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء، وإذا بين يديه حُنَين بن بَلْوَع معه عودُه، فسلمت فردّ عليّ السلام ورحّب وقرّب، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال؛ فقلت: أصلح الله

(١) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع.

ألأمير، عندي لك السترُ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجْمُل، والشكرُ على ما تُولِيني؛ فقال: كذاك الظنّ بك، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودهُ في حُجْره وعليه قباء خُشْك شَوِي[١] ـ وقال إسحاق: خشكون[٢] ـ ومُسْتُقَة[٣] حمراء وخُفّان مُكعَّبان[٤]، فسلم عليّ، فقلت له: كيف أنت أبا كعب؛ فقال: بخير أبا عمرو؛ فقلت: احْزِق[٥] الزِّير[٦] وارْخِ البَمّ[٧] ففعل؛ وضرب فأجاد؛ فقال بشرٌ لأصحابه: تلومونَنِي على أن آذنَ له في كل حال! ثم أقبل عليّ فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك حَزْقُ الزير؟ فقلت: ظننت أن الأمر هناك؛ فقال: فإن الأمر كما ظننتَ هناك كلّه. ثم قال: فمن أين تعرف حُنَيناً؟ فقلت: هذا بطَّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغَنّى حُنَين فأجاد، فطرِبَ وأمر له بجائزة، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ. وقد وجدت هذا الخبَر بخط أبي سَعِيد السُّكَّريّ يأثِره[٨] عن محمد بن عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جَدّه أنه كان عند بِشْر ابن مَرْوان يوم دخل عليه الشّعبيّ هذا المَدْخَل وأن حُنَين بن بَلْوَع غَنّاه: [الطويل]

هُمُ كتموني سَيْرَهُم حين أزمَعُوا وقالوا اتّعدنا للرَّوَاح وبكَّرُوا[٩]

وهذا القول خطأ قبيح، لأن هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لعَلُّويَه رمل بالوسطى، وغُنِّي للمأمون فيه فقال: سَخِرُوا من أبي الفضل أعزّه الله.

[بعض من أوصاف الحيرة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد بن إسحاق: قرأت على أبي، وقال

---

(١) خشك شَوِي: قميص خشن (فارسية).
(٢) خشكون: أي زاهي اللون (فارسية).
(٣) المستقة: فروة طويلة الكم (فارسية معربة).
(٤) مكعبان: موشيان.
(٥) احزق: شد.
(٦) الزير: أرفع أوتار العود.
(٧) البمّ: أغلظ أوتار العود.
(٨) يأثره: يرويه.
(٩) اتّعدنا: تواعدنا.

أبو عُبَيد الله الكاتب حدّثني سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال: وكان بعضُ وُلاة الكوفة يذُمُّ الحِيرَةَ في أيام بني أميّةَ، فقال له رجل من أهلها ـ وكان عاقلاً ظريفاً ـ: أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المَثَلُ في الجاهليّة والإسلام! قال: وبماذا تُمْدَح؟ قال: بصحّة هوائها، وطيبِ مائها، ونُزْهةِ ظاهِرِها، تَصْلُح للخُفِّ والظِّلف، سَهْلٌ وجَبَلٌ، وباديةٌ وبُسْتان، وبَرٌّ وبَحْر، مَحَلُّ الملوك وَمَزارُهم، ومَسْكنُهم ومَثْواهم، وقد قَدِمْتَها ـ أصلحك الله ـ مُخِفّاً فَرَجَعْتَ مُثْقِلاً ووَرَدْتَها مُقِلاً فأصارتْك مُكْثِراً؛ قال: فكيف نعرفُ ما وَصَفْتَها به من الفضل؟ قال: بأن تصير إليّ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذَّاتِ العَيْش، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرَةَ فيه؛ قال: فاصنعْ لنا صَنِيعاً واخرُجْ من قولك؛ قال: أفعلُ، فصنع لهم طَعاماً وأطعمهم من خُبْزها وسَمَكِها وما صِيدَ من وَحْشها من ظِبَاءٍ ونَعَام وأرانبَ وحُبارَى[1]، وسقاهم ماءَهَا في قِلاَلها، وخَمْرَها في آنِيَتِها، وأجلَسَهُمْ على رَقْمِها[2] ـ وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياءُ ظريفة ـ ولم يستَخْدِم لهم حُرّاً ولا عَبْداً إلاّ من مُوَلَّدِيها ومولَّداتها من خَدَم ووصائفَ ووُصَفَاء كأنهم اللؤلؤ، لُغَتُهم لُغَةُ أهلِها، ثم غَنَّاهم حُنَين وأصحابُهُ في شِعْر عَدِيّ بن زيْد شاعِرِهم وأعْشَى هَمْدان لم يتجاوزْهما، وحَيَّاهم بِرَياحِينِها، ونَقَّلهم[3] على خَمْرها، وقد شَرِبُوا بفواكهها؛ ثم قال له: هل رأيتَني أستعنتُ على شيء مما رأيتَ وأكلتَ وشَرِبتَ وافترشتَ وشَمَمْتَ وسَمِعْتَ بغير ما في الحِيرَة؟ قال: لا والله، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك ونَصَرْتَه فأحسنتَ نُصْرَتَه والخروجَ ممّا تَضَمَّنْتَه، فبارك الله لكم في بلدكم.

قال إسحاق: ولم يكن بالحِيرة مذكورٌ في الغِناء سِوَى حُنَين إلا نَفَراً من السِّدْرِيِّين يقال لهم: عَبَاديس، وزَيْد بن الطُّلَيس، وَزَيْد بن كعب، ومالك بن حُمَمَة، وكانوا يغنُّون غِناء الحِيرَة بين الهَزَج والنَّصْب[4] وهو إلى النصب أقرب ولم يُدوَّن منه شيءٌ لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول. وما سَمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلا لمالك بن حُممة، أخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سَعْد.

وقال وكِيع في خبره عن إسحاق حدّثني أبو بِشْر الفَزَاريّ قال: حدّثني بِشْر بن

---

(١) الحبارى: طائر رمادي اللون ذو عنق طويل.

(٢) الرقم: خزّ موشى.

(٣) نقّلهم: أطعمهم النقل، والنقل ما يؤكل مع الخمر كالتفاح والفستق وغيرهما.

(٤) النصب: ضرب عن أغاني العرب كالحداء.

الحسين بن سليمان بن سَمُرة بن جُنْدَب قال: عاش حُنَين بن بَلْوَع مائةَ سنة وسبع سنين، وكان يقال إنه من جَدِيس؛ قال وقيل أيضاً: إنه من لَخْم؛ وكان هو يزعم أنه عِبَادِيّ وأخواله من بني الحارث بن كعب.

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال: حدّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال: كنتُ مع الرشيد في السنة التي نَزَل فيها على عَوْنٍ العِبَاديّ، فأتاني عَوْن بابن ابن حُنَين بن بَلْوَع، وهو شيخ، فغنّاني عدّة أصوات لجَدِّه، فما استحسنتها، لأنّ الشيخ كان مشوَّه الخَلْق، طَنَّ الغِناء[1]، قليلَ الحلاوة، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفْرُغ منه، فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج: [الكامل]

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ... ما بين قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكُر أني سَمِعتُه من أحد قطّ أحسنَ مما سمعتُه منه، فقلتُ له: لقد أحسنتَ في هذا الصوت، وما هو من أغاني جَدّك ولا من أغاني بلدك، وإني لأعجبُ من ذلك! فقال لي الشيخ: والصليبِ والقُرْبان ما صنِعَ هذا الصوتُ إلا في منزلنا وفي سِرْدَابٍ لجَدّي، ولقد كاد أن يأتيَ على نفس عمتي؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال:

[حنين في ضيافة ابن سريج]

حدّثني أبي أن عُبَيد بن سُرَيج قدم الحِيرةَ ومعه ثلثمائة دينار. فأتى بها منزلَنا في ولاية بِشْر بن مَرْوان الكوفةَ، وقال: أنا رجلٌ من أهلِ الحجاز من أهل مكة، بلغني طِيبُ الحِيرَة وجَوْدةُ خَمْرَها وحُسْنُ غِنائك في هذا الشعر: [الوافر]

حَنَتْني حانياتُ الدهر حتّى ... كأنّي خاتلٌ يَدْنُو لصَيْدِ
قريبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ولستُ مُقَيَّداً أنّي بِقَيْدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تَنْفَدَ وأنصرف إلى منزلي. فسأله جَدِّي عن اسمه ونسبه فغيَّرهما وانتمى إلى بني مخزوم، فأخذ جدّي المال منه وقال: موَفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ ما يَحْتاج إليه مثلُك ما نَشِطْتَ

(١) طن الغناء: أي ذو صوت عال في الغناء.

للمُقَام عندنا، فإذا دَعَتك نفسُك إلى بلدك جهَّزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقتَه عليك إلى أن جئتنا. وأسكنه داراً كان يَنْفرد فيها، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جَدِّي ولا أحدٌ من أهلنا أنه يُغَنِّي، حتى انصرف جَدِّي من دار بِشْر بن مَرْوان في يوم صائفٍ مع قيام الظّهيرة، فصار إلى باب الدار التي كان أنزَلَ ابن سُرَيج فيها فوجدهُ مُغْلَقاً فارتابَ بذلك، ودقّ الباب فلم يُفْتَح له ولم يُجبْه أحدٌ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنتَهُ ولا جَوَارِيَه، ورأى ما بين الدار التي فيها الحُرَم ودار ابن سُرَيج مفتوحاً، فانتضَى سيفَه ودخل الدار ليقتُل ٱبنته؛ فلمّا دخلها رأى ابنتَهُ وَجَوَارِيَه وقوفاً على باب السِّرْداب وهُنَّ يومِئْنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء، فلم يلتفت إلى إشارتهنّ لِمَا تداخَلَهُ، إلى أن سَمِع تَرَنُّمَ ابنِ سُرَيْج بهذا الصوت، فألقى السيفَ من يده وصاح به ـ وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه، ولكن بالنعت والحِذْق ـ: أبا يحيى، جُعِلْتُ فداءك، أتيتنا بثلثمائة دينار لتُنْفِقَها عندنا في حِيرَتنا! فوحقِّ المسيح لا خرجتَ منها إلا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك، ثم دخلَ إليه فعانقه ورحَّب به ولَقِيَهُ بخلاف ما كان يلقاه به، وسأله عن هذا الصوت، فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقتِ. فصار معه إلى بِشْر ابن مَرْوان فوصَله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّة، ثم وصَله بعد ذلك بمثلها؛ فلَمَّا أراد الخروجَ ردّ عليه جَدّي مالَه وجَهَّزه ووصلَه بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة إلى الحِيرة، ورجعَ ابنُ سُرَيج إلى أهله وقد أخَذ جميعُ مَنْ كان في دارنا منه هذا الصوتَ.

[غنّى للناس فمات بسبب الازدحام]

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني حَسَّان بن محمد الحارثيّ قال: حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا عُبَيد بن حُنَين الحِيريّ قال: كان المغنُّون في عصر جَدِّي أربعة نَفَرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق، والذين بالحجاز: ابنُ سَريج والغَرِيض ومَعْبَد، فكان يَبْلُغُهم أنّ جَدِّي حُنَيناً قد غَنَّى في هذا الشعر:

[الكامل]

هَلاّ بَكَيْت على الشباب الذاهبِ ... وكَفَفْتَ عن ذَمّ المَشِيبِ الآئبِ
هذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ سَقَيْتُهُمْ ... من خمر بابلَ لذّةً للشارِبِ
بَكَرُوا عَلَيّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم ... من ذات كُوبٍ مثل قَعْبِ الحالِبِ

بـزجـاجـةٍ مـلْءِ الـيَـدَيْـن كـأنّـهـا قِـنْـدِيـلُ فِـصْـح فـي كَـنِـيـسـة راهِـبِ

قال: فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّي وقالوا: ما في الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منّا، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز، لا نَزُوره ولا نَسْتَزِيرُه. فكتبوا إليه ووجَّهُوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون: نحنُ ثلاثةٌ وأنت وَحْدَكَ فأنت أَوْلَى بزيارتنا، فشخَص إليهم، فلمّا كان على مَرْحلة من المدينة بَلَغَهُم خبرُه فخرَجوا يَتَلَقَّوْنَه، فلم يُرَ يَوْمٌ كان أكثرَ حَشْراً ولا جَمْعاً من يومئذٍ، ودخلوا، فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم مَعْبَد: صِيرُوا إليَّ؛ فقال له ابنُ سُرَيج: إن كان لك من الشرف والمُرُوءة مثلُ ما لِمَوْلاتي سكينة بنت الحسين عَطَفْنا إليك؛ فقال: ما لي من ذلك شيء، وعَدَلوا إلى منزل سُكَينة. فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذْناً عامّاً فغَصَّت الدّارُ بهم وصَعِدُوا فوق السطح، وأمرتْ لهم بالأطعمة فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا جَدِّي حُنيناً أن يغنِّيَهم صوتَه الذي أوّله:

هـلاً بـكـيـتَ عـلـى الـشـبـاب الـذاهـبِ

فغنَّاهم إيّاه بعد أن قال لهم: ابدأوا أنتم؛ فقالوا: ما كنّا لنتقدَّمَك ولا نُغنِّيَ قبلك حتى نسمع هذا الصوتَ؛ فغنّاهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً، فازدحم الناسُ على السطح وكَثُروا ليسمعوه فسقط الرِّواق على مَنْ تَحْتَه فَسَلِمُوا جميعاً وأُخرجوا أصحَّاءَ، ومات حُنَينٌ تحتَ الهَدْم؛ فقالت سُكَينة عليها السلامُ: لقد كدّر علينا حُنَينٌ سرورَنا، انتظرناه مُدة طويلةً كأنّا والله كُنّا نَسُوقه إلى مَنِيّتِه.

نسبة ما في الخبر الأوّل من الغناء

صوت

[الكامل]

وتَـرَكْـتُـهُ جَـزَرَ الـسِّـبـاعِ يَـنُـشْـنَـهُ مـا بـيـنَ قُـلَّـةِ رأسِـهِ والـمِـعْـصَـم
إن تُـغْـدِفـي دُونـي الـقِـنَـاعَ فـإنّـنـي طَـبٌّ بـأخـذ الـفـارِس الـمـسْـتَـلـئِـم(١)

الشعر لعَنْتَرَة بن شَدّاد العَبْسيّ، والغناء فيه لحُنَين ثاني ثقيلٍ.

ومنها:

(١) أغدفت المرأة القناع: أرسلته على وجهها. والطَّبّ: الحاذق، الماهر، الخبير. والمستلئم: لابس اللأمة، وهي الدرع.

صوت

[الوافر]

حَـنَـتْـنـي حَـانِـيـاتُ الـدهـر حتّـى ... كـأنّـي خـاتِـلٌ يَـدْنُـو لِـصَـيْـدِ
قَـرِيبُ الـخَـطْـو يَـحْـسَـبُ مَـنْ رآنـي ... ولَـسْـتُ مُـقَـيَّـداً أنّـي بـقَـيْـدِ

الغناءُ لحُنَين الحِيرِيّ ثقيل أوّلُ. وفيه لإبراهيم المَوْصِليّ ماخُورِيّ جميعاً عن ابن المكّيّ، ووافقه عمرو بن بَانَةَ في لحن إبراهيم الموصليّ، ونسبة الشعر الذي غَنَّاه حُنَينٌ في منزل سُكَينة ـ ﷺ ـ يقال إنه لعَدِيّ بن زَيْد، وقيل: إنّ بعضه له وقد أضافه المغنُّون إليه. ولحَنُه خَفِيفُ ثَقِيلٍ مُطلق في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق.

صوت
من المائة المختارة

رَاعَ الـفُـؤادَ تَـفَـرُّقُ الأحـبـابِ ... يَـومَ الـرحـيـل فـهـاجَ لـي أطْـرابـي
فَـظَـلِـلـتُ مـكـتـئـبـاً أُكَـفْـكِـفُ عَـبْـرةً ... سَـحّـاً تَـفِـيـضُ كـواشـلِ الأسـراب
لـمّـا تَـنَـادَوْا لـلـرحـيـل وقَـرَّبـوا ... بُـزْلَ الـجِـمَـال لِـطِـيَّـةٍ وذَهَـابِ(١)
كـاد الأسـى يَـقْـضـي عـلـيـك صـبـابـةً ... والـوجـهُ مـنـك لِـبَـيْـنِ إلـفـك كَـابِـي

عروضه من الكامل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغَرِيض، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتَر في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق. وقال حَبَشٌ وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى. وذكر حبش: أنّ للغريض أيضاً فيه خفيفَ ثقيل بالوُسْطى ولمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى. وهذه الأبياتُ قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مَرْوان كانت حَجَّت في خلافته.

[عمر بن أبي ربيعة وقصته مع بنت عبد الملك]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال: أخبرني أبو هَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزُّبَيْريّ والمدائنيّ ومحمد بن سَلاّم والمُسَيَّبيّ أنّ بنتاً لعبد الملك بن مَرْوان حَجَّت، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعَّده إن ذكرها في شعره

(١) البازل: البعير الذي انشق نابه، واستكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة.

بكلّ مكروه؛ وكانت تحبُّ أن يقول فيها شيئاً وتتعرَّض لذلك، فلم يَفعل خَوْفاً من الحجَّاج. فلمّا قضتْ حَجَّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت له: مِنْ أين أنت؟ قال: من أهل مَكّة؛ قالت: عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله! قال: ولم ذاك؟ قالت: حَجَجتُ فدخلتُ مكة ومعي من الجواري ما لم تَرَ الأعينُ مثلَهنّ، فلم يستطع الفاسقُ ابن أبي ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتاً نَلْهو بها في الطريق في سَفَرنا! قال: فإني لا أراه إلاّ قد فعل؛ قالت: فأتِنا بشيء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرةُ دنانيرَ؛ فمضى إليه فأخبره؛ فقال: لقد فعلتُ، ولكن أُحبُّ أن تَكْتُمَ عليّ؛ قال: أفعل؛ فأنشده: [الخفيف]

رَاعَ الفُؤادَ تَفَرُّقُ الأحباب ... يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أَطْرابي

وهي طويلة. وأنشده: [الخفيف]

هَاجَ قلبي تَذَكُّرُ الأحبابِ ... واعترتْني نوائبُ الأطرابِ

وهي طويلة أيضاً، يقول فيها:

أَقْتُلِينِي قَتْلاً سريعاً مُريحاً ... لا تكوني عَلَيَّ سَوْطَ عَذَاب
شَفَّ عنها مُحَقَّق جَنَدِيٌّ ... فهي كالشمس من خلال سَحَابِ[١]

ـ ذكر حَبَشٌ أنّ في هذه الثلاثة الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيل بالبِنصر ـ قال: فعادَ إليها الرجل فأنشدَها هاتين القصيدتين فدفَعَتْ إليه ما وعدتْه به.

(١) المحقق: ثوب عليه وشي على صورة الحقق. والجندي: نسبة إلى الجند وهو أحد مخاليف اليمن.

ذكر الغريض وأخباره

[توفي ٩٥ هـ/٧١٤ م]

الغَرِيض لَقَبٌ لُقِّبَ به، لأنه كان طَرِيَّ الوجه نَضِرًا غَضّ الشباب حَسَنَ المنظر، فلُقِّبَ بذلك. والغريض: الطريّ من كل شيء. وقال ابن الكلبيّ: شُبِّه بالإغريض وهو الجُمَّار[1] فسُمِّيَ به، وثَقُلَ ذلك على الألْسِنة فحذفت الألف منه، فقيل له: الغريض. واسمه: عبد الملك، وكنيته: أبو يزيد.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غسّان عن جماعة من المكيِّين أنه كان يكنّى أبا مَرْوان. وهو مَوْلَى العَبَلات، وكان مُوَلَّداً من مُوَلِّدِي البَرْبَر. ووَلاَؤُه وولاءُ يحيى قَيْل وسُمَيَّة للثريَّا (صاحبة عُمرَ بن أبي ربيعة) وأخواتِها: الرُّضَيَّا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر، وقد مضت أخبارُهنّ في صدر الكتاب.

[تعلمه النوح ونوحه في المآتم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني محمد بن نصر الضُّبَعيّ قال: حدّثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسْكين، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثني عمر بن شَبّة قال: حدّثني أبو غَسّان محمد بن يحيى، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْريّ والمَدَائنيّ ومحمد بن سَلام، وقد جمعت رِواياتهم في قصة الغريض، قالوا:

(١) الجُمّار: شحم النخل. (انظر لسان العرب مادة جمر).

كان الغريض يضرب بالعود وينقر الدفّ ويُوقِع بالقضيب، وكان جميلاً وَضِيئاً، وكان يُصنِّع نفسه ويُبرِّقها. وكان قبل أن يُغَنّي خيّاطاً. وأخذ الغناءَ في أوّل أمره عن ابن سُرَيج، لأنه كان يَخْدُمُهُ. فلما رأى ابنُ سُرَيج طَبْعَه وظَرْفَه وحَلاَوةَ مَنْطِقه خَشيَ أن يأخذ غناءَه فيغلِبَه عليه عند الناس ويفوقَه بحسن وجهه وجسده؛ فاعتَلّ عليه، وشكاه إلى مَوْلَيَاته، وهنّ كنّ دَفَعْنه إليه ليعلّمه الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مَوْلَيَاته وعرّفهنّ غرضَ ابن سُرَيج في تنحيته إيّاه عن نفسه، وأنه حسده على تَقَدّمه؛ فقلن له: هل لك في أن تسمع نَوْحَنا في قَتْلانا فتأخُذَه وتغنّي عليه؟ قال: نعم فافعلْنَ، فأسَمعْنَه المراثي فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثي، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرَب دونَه الحُجُب ثم يَنُوح فيفتتن كلٌّ من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه الشَّجَا[(١)]. فكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلا عارضه[(٢)] الغريض فيه لحناً آخر. فلما رأى ابن سُرَيج موقع الغَرِيض اشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأَرْمَالَ والأَهْزَاجَ فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصَّرت الغناءَ وحذفتَه؛ قال: نعم يا مخنَّث حين جعلتَ تَنُوح على أمّك وأبيك.

قال إسحاق وحدّثني أبو عُبَيدة قال: لما غضِب ابنُ سُرَيج على الغَرِيض فأقْصَاه وهجَره لحِق بحَوْراءَ وبَغُوم ـ جاريتين نائحتَيْن كانتا في شِعْب ابن عامِر بمكة، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما ـ فرأتَاه يوماً يعصِر عينيه ويبكي؛ فقالتا له: مالك تبكي؟ فذكر لهما ما صنع به ابنُ سُرَيج؛ فقالتا له: لا أَرْقأَ الله دمعَك! أُلزُزْ رأسك بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا، فإن ضِعْتَ بعدَها فأبعدك الله.

[رأي الناس في غنائه]

قال إسحاق: وحدّثني أبو عبد الله الزُّبَيْريّ قال: رأيت جَريراً في مجلسٍ من مَجالس قريش فسمعتُه يقول: كان المغنُّون بمكة أربعة، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد؛

---

(١) الشجا: الحزن.

(٢) عارضه: باراه وناقضه.

فسألناه عن ذاك، فقال: كان السيِّدَ أبو يحيى بن سُرَيج والتابعَ أبو يزيد الغَريض. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريضُ أحْذَقَ أهلِ زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سُرَيج، وما زال أصحابنا لا يُفرقون بينهما لمقاربتهما في الغناء. قال الزُّبَيريّ وقال بعض أهلي: لو حُكِّمتُ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرّقتُ بينهما، وإنما تَفْضيلي أبا يحيى بالسَّبْق، فأمّا غيرُ ذلك فلا، لأنّ أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترَف وفي ميدانه جرى، فكان كأنّه هو؛ ولذلك قالت سُكَينة لما غنّى الغريض وابن سريج:

عُـوجِـي عـلـيـنـا رَبّـة الـهـودَجَ

والله ما أُفرِّق بينكما، وما مَثَلُكما عندي إلا كَمَثَل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدْرَى أيّ ذلك أحسن.

قال إسحاق: وسمِعت جماعةً من البُصَراء عند أبي يتذاكرونهما، فأجمعوا على أن الغَرِيض أشْجَى غِناءً، وأنّ ابن سريج أَحْكَمُ صنعةً.

قال إسحاق: وحدّثني أبو عبد الله الزُّبَيْرِيّ قال: حدّثني بعض أهلي قال: حَجَجنا فلمّا كنّا بِجَمْع سَمِعنا صوتاً لم نسمع أحسنَ منه ولا أَشْجَى، فأصْغَى الناسُ كلّهم إليه تعجباً من حسنه، فسألتُ: مَنْ هذا الرجلُ؟ فقيل لي: الغَرِيض، فتتابع جماعةٌ من أهل مكّةَ فقالوا: ما نعرِف اليومَ أحداً أحسنَ غِناءً من الغَرِيض، ويدلّك على ذلك أنه يعترِض بصوته الحاجّ وهم في حَجّهم فيُصْغُون إليه. فسألوا الغريض عن ذلك، فقال: نعم، فسألوه أن يُغَنِّيَهم فأجابهم، وخرج فوقَف حيث لا يُرَى ويسْمع صوتُه فترنّم ورجَّع صوتَه وغنّى في شعر عمرَ بن أبي ربيعة:

أيُّـهـا الـرائـحُ الـمُـجِـدّ ابْـتِـكـارَا قـد قَـضَـى مِـن تِـهَـامَـةَ الأَوْطَـارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوتِ، وتكلّم الناسُ فقالوا: طائفةٌ من الجِنّ حُجَّاجٌ.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الخفيف]

أيُّـهـا الـرائـحُ الـمُـجِـدّ ابـتِـكَـارَا قـد قَـضَـى مِـن تِـهَـامَـةَ الأَوْطَـارَا

مَـنْ يـكُـنْ قـلـبُـه الـغَـداةَ خَـلِـيّـاً ... فـفـؤادِي بـالـخَـيْـفِ أَمْـسَـى مُـعَـارَا[1]
لـيـت ذا الـحـجّ كـان حَـتْـمـاً عـلـيـنـا ... كـلَّ شـهـرَيْـن حِـجَّـةً واعـتِـمـارَا

عَرُوضه من الخَفِيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن مُحْرِز، ولحنهُ من القَدْر الأَوْسط من الثقيل الثاني بالخنصر في مَجْرَى الوُسْطَى. وفيه لحن للغَرِيض من رواية حمّاد عن أبيه.

[أمير مكة ينفي الغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ وإسماعيل بن يُونُس قالا: حدّثنا عمر ابن شَبّة قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال: بلغني أن مَعْبَداً وابن سُرَيْج والغريض اجتمعوا بمكّة ذَاتَ ليلة فقالوا: هَلُمَّ نَبْكِ أهلَ مكّة، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيّاً عن يونُسَ الكاتِب أنّ أميراً من أمراء مكَّةَ أمر بإخراج المُغَنّين من الحَرَم، فلمّا كان في الليلة التي عزَم بهم على النَّفْي في غَدِها اجتمعوا على أبي قُبَيْس ـ وكان مَعْبد قد زارهم ـ فبدأ معبد فغنّى ـ كذا رُوِيَ عن يونس ولم يذكره الباقون ـ:

صوت

[الطويل]

أَتِـرْبَـيَّ مِـن أَعْـلَـى مَـعَـدٍّ هُـدِيـتُـمَـا ... أجِـدا الـبُـكَـا إنّ الـتـفـرُّقَ بـاكِـرُ
فـمـا مُـكْـثُـنـا دام الـجَـمِـيـلُ عـلـيـكـمـا ... بِـثَـهْـلان إلاّ أن تُـزَمَّ الأبـاعِـرُ[2]

ـ عَرُوضه من الطويل. هكذا ذكره ولم ينسبْه ولا جنّسه ـ قال: فتأوّه أهل مكّةَ وأَنُّوا وتمخَّطُوا. واندفع الغَرِيض يُغنِّي: [الخفيف]

أيُّـهـا الـرائـحُ الـمُـجِـدّ ابـتِـكـارَا ... قـد قَـضَـى مِـن تِـهـامَـةَ الأَوطـارَا

فارتفع البكاء والنحيب. واندفع ابن سريج يغني: [الخفيف]

جَـدِّدِي الـوصـلَ يـا قُـرَيْـبُ وجُـودِي ... لِـمُـحِـبٍّ فِـراقُـه قـد أَلَـمّـا
لـيـس بـيـن الـحـيـاة والـمـوت إلاّ ... أن يَـرُدُّوا جِـمَـالَـهُـمْ فـتُـزَمّـا

---

(١) الخيف: موضع بمكة عند منى.

(٢) ثهلان: جبل في بلاد بني نمير (معجم البلدان: ٢/ ٨٨).

فارتفع الصُّراخُ من الدُّور بِالوَيْل والحَرَب[1]. قال يونس في خبره: واجتمع الناسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأَعْفَاهم. وذكر الباقون أنّ الغَرِيض ابتدأ بلَحْنه:

أيُّها الراكب المُجِدّ ابتِكارًا

وتلاه ابن سريج في «جَدِّي الوصل». قال: وارتفع الصراخ فلم يُسْمَع من مَعْبَد شيء ولم يقدِر على أن يُغنّي.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: أخبرني عبد الرحمٰن بن محمد السّعْدِيّ قال: حَضَرتُ شَطْبَاءَ المُغنِّيَة جارية عليّ بن جعفر ذاتَ يوم تُغنّي:

لَيس بين الرَّحِيل والبَينِ إلاّ ... أنْ يَرُدُّوا جِمالَهم فَتُزَمّا

فطرِب عليّ بن جعفر وصاح: سبحان الله العظيم! ألاَ يُوكون[2] قِرْبة! ألاَ يَشُدُّون مَحْمِلاً! ألاَ يُعَلِّقون سُفْرَة[3]! ألاَ يُسَلِّمون على جارٍ! هذه والله العجلةُ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونسُ قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا محمد بن يحيى قال زعم عُبَيد بن يَعْلى قال: قال لي كَثِير بن كَثِير السَّهْمِيّ: لمّا ماتتِ الثُّريّا أتاني الغَرِيض فقال لي: قل لي شعراً أَبْكِ به عليها؛ فقلت:

صوت

[الوافر]

أَلاَ يا عينُ مَا لَكِ تَدْمَعِينَا ... أَمِنْ رَمَدٍ بكيتِ فتُكْحلِينَا

أَمَ انتِ مريضة تَبْكِينَ شَجْواً ... فَشَجْوُكِ مثلُهُ أبكَى العيونا

فناح به عليها. قال: وأخبرني من رآه بين عمودَيْ سَرِيرها يَنُوح به. الغناء للغَرِيض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوُسْطى عن ابن المكّيّ. وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول.

---

(١) صرخ بالحرب: أي قال واحرباه. والحَرَب: المكروه.

(٢) أوكى القربة: شدها بالوكاء، وهو رباط القربة.

(٣) السفرة: الطعام.

[سكينة بنت الحسين تساوي بين الغريض وابن سريج]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني محمد ابن سلاّم وأخبرنا وَكِيع قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم عن جرير، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً أنّ سُكَينة بنت الحُسَين حَجّت فدخل إليها ابن سُرَيج والغَرِيض وقد استعار ابن سُرَيج حُلَّةً لامرأة من قُرَيش فَلَبِسَها؛ فقال لها ابنُ سُرَيج: يا سيّدتي، إني كنتُ صنعتُ صوتاً وحَسَّنْتُه وتَنَوَّقْت[1] فيه، وخَبَأته لك في حَرِيرةٍ في دُرْجٍ مملوءٍ مِسْكاً فنازَعَنِيهِ هذا الفاسق - يعني الغَرِيض - فأردنا أن نتحاكم إليكِ فيه، فأيُّنا قَدَّمْتِهِ فيه تقدَّم؛ قالت: هاته؛ فغنّاها: [السريع]

عُـوجِـي عـلـيـنـا رَبَّـةَ الـهَـوْدَجِ إنّـكِ إلاّ تَـفْـعَـلِـي تَـحْـرَجِـي[2]

فقالت: هاتِه أنتَ يا غَرِيض؛ فغنّاها إياه؛ فقالت لابن سُرَيج: أعِدْه، فأعاده، وقالت: يا غَرِيضُ، أعِدْه فأعاده؛ فقالت: ما أُشَبِّهُكُما إلا بالجَدْيَيْن: الحارّ والبارد لا يُدْرَى أيُّهما أطيب. وقال إسحاق في خبره: ما أشَبِّهُكُما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسَان لا يُدْرَى أيّهما أحسن.

نسبة هذا الصوت

صوت

[السريع]

عُـوجِـي عـلـيـنـا رَبَّـةَ الـهَـوْدَجِ إنّـكِ إلاّ تَـفْـعَـلِـي تَـحْـرَجِـي
إنّـي أُتِـيـحَـتْ لـي يَـمَـانِـيَّـةٌ إحـدى بـنـي الـحـارثِ مـن مَـذْحِـجِ
نَـلْـبَـثُ حَـوْلاً كـامـلاً كُـلَّـه لا نـلـتـقـي إلا عـلـى مَـنْـهَـجِ
فـي الـحـجِّ إن حَـجَّـت ومـاذا مِـنًـى وأهـلُـه إن هـي لـم تَـحْـجُـجِ
أيـسـرُ مـا نـالَ مُـحِـبٌّ لـدى بَـيْـنِ حـبـيـبٍ قـولُـهُ عَـرِّجِ

عَروضُه من السريع. والشعرُ للعَرْجِيّ. والغِناء لابن سُرَيْج ثاني ثقيل بالوُسْطَى عن عَمْرو. وفيه للغَرِيض ثقيل أوّل بالوُسْطَى عن حَبَش. ولإسحاق في الأوّل

(١) تنوقت فيه: جودته.

(٢) تحرجي: تأثمي.

والثالث ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن عمرو. وللأَبْجَر فيه ثاني ثقيل بالخِنْصَر في مَجْرَى البِنْصَر عن ابن المكيّ. ولِعلُّوَيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامِيّ. ولحكمَ خفيفُ رملٍ عنه أيضاً.

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو بن بِشْر قال: حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر قال: حدّثني حمزة بن عُتْبة اللّهبيّ عن عبد الوهاب بن مُجاهِد أو غيره قال: كنت مع عَطاء بن أبي رَباح فجاءه رجل فأنشده قَوْلَ العَرْجِيّ:

إنّـي أُتِـيـحَـتْ لـي يـمـانِـيّـةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله:

فـي الـحَـجّ إن حَـجَّـتْ وماذا مِـنًـى وأهـلُـه إنْ هـي لـم تَـحْـجُـجِ

قال فقال عطاء: بمنىً والله وأهلِه خَيْرٌ كثيرٌ إذ غيَّبها الله وإيّاه عن مَشاعره.

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثني إسحاق قال: وَلِيَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزوميُّ فما رأى الناس مثلَه في عفافه ونُبْلِه، فإنّه لنائم ليلة في جَناح له إذ مر به سكرانُ يَتَغنّى:

عُـوجِـي عـلـيـنـا رَبّـةَ الـهَـوْدَجِ

فأشرف عليه فقال: يا هذا شرِبتَ حراماً! وأيقظتَ نِياماً! وغَنّيتَ خطأً! خُذْه عنّي! فأصلَحه له وانصرف.

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق عن حمزة بن عُتْبَة اللهبِيّ قال: مرّ الأبجر بعَطاء وهو سكرانُ فَعَذَلَه وقال: شهّرتَ نفسَك بالغِناء واطّرَحْتَها وأنت ذو مُرُوءة، فقال: امرأته طالقٌ ثلاثاً إنْ برِحْتَ أو أُغنّيَك صوتاً، فإن قلتَ لي: هو قبيحٌ تركتُه؛ فقال له عَطاء: هاتِ ويحكَ! فقد أضررتَ بي، فغنّاه:

فـي الـحـجّ إنْ حـجَّـتْ ومـاذا مِـنًـى وأهـلُـه إنْ هـي لـم تَـحْـجُـجِ

فقال له عَطاء: الخيرُ والله كلُّه هناكَ حجّتْ أو لم تَحُجّ، فاذهب الآن راشداً فقد برّتْ يمينُكَ.

[الغريض وابن أبي عتيق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدّثني المُغِيرة بن محمد قال: حدّثني هارون بن مُوسى الفَرْوِيّ قال: حدّثني بعضُ المَدَنيِّين قال: خرج ابن أبي عتيق على نَجِيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه[1] من طُرَف المدينة المَشَارِب[2] وغير ذلك، فَلَقي فتىً من بني مَخْزُوم مُقْبِلاً من بعض ضِياعِه، فقال: يابن أخي، أَتَصْحَبُني؟ قال: نعم؛ قال المَخْزُومِيّ: فمَضَيْنا حتى إذا قرُبْنا من مكّة جَنَبْنا عنها حتّى جُزْناها فصِرْنا إلى قصرٍ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأُذِن له، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عَجُوزٌ بَرْبَرِيّة مُخْتَضبة، لا أشكّ في ذلك، وإذا هو الغَرِيض وقد كَبِر، فقال له ابن أبي عتيق: تشوّقْنا إليك، وأهدَى له ما كان معه، ثم قال له: نُحِبُّ أنْ نسمعَ؛ قال: أُدْع فُلانة ـ جاريةً له ـ فجاءت فغنّت، فقال: ما صنعتِ شيئاً، ثم حل خِضَابَه وغَنّى:

عُـوجـي عـلـيـنـا رَبّـةَ الـهَـوْدَجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه قَطُّ، فأقمنا عنده أياماً كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير. ثم قال له ابن أبي عتيق: إني أريد الشُّخُوصَ، فلم يَبْقَ بمكّة تُحْفَةُ عَدَنِيّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلاّ أَوْقَر به راحلتَه. فلمّا ارتحلنا وبرَزْنا صاح به الغَرِيض: هيًا هيًا، فرجعنا إليه؛ فقال: ألم تَرْوُوا عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يُحشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلةَ البدر»! فقال له ابن أبي عتيق: بلى؛ فقال: هذه سِنٌّ لي انْتَزَعَتْ فأُحِبّ أن تَدْفِنَها بالبقيع، فخرجْنا والله أَخْسَرَ اثنين لم نَعتَمِر ولم ندخُل مَكّة، حاملَيْن سِنّ الغَرِيض حتّى دفنّاها بالبقيع.

[غناؤه أهل المدينة وسرورهم بغنائه]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال: خرج الغَرِيض من قوم فغنّاهم هذا الصوت: [الطويل]

جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقرَّبَنِي يومَ الحِصاب إلى قَتْلي

---

(١) أوقره: حمّله.

(٢) المشارب: جمع مِشربة، وهي إناء يشرب به.

فاشتد سرورُ القوم، وكان معهم غلام أعجبه، فطلب إليهم أن يُكلِّموا الغلامَ في الخَلْوَة معه ساعةً ففعلوا، فانطلق مع الغلام حتّى تَوارَى بصَخْرة، فلما قضى حاجتَه أقبل الغلامُ إلى القوم، وأقبل الغَرِيض يتناول حَجَراً حَجَراً يَقْرَع به الصخرَة، ففعل ذلك مراراً، فقالوا له: ما هذا يا غريض؟ قال: كأنّي بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلها تَشهد علينا بما كان منّا إلى جانبها، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها عليّ ذلك اليوم.

نسبة هذا الصوت

صوت

جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها ... فقرَّبَنِي يومَ الحِصاب إلى قَتْلي
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنما ... معي فتحدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بِي لهم من تَرَقُّبٍ ... ولكِنَّ سِرِّي ليس يَحْمِلُهُ مِثْلي

عَرُوضه من الطويل. الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَرَ في مجرى البِنْصَر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات. وذكر يونس أن فيه لَحْناً لمالك، وفيه للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ والهشاميّ وعليّ ابن يحيى وحمّاد بن إسحاق. ولمَعْبَد فيه ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن حبش. ولابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوُسْطى عنه.

[عمر وجميل يتعارضان الشعر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال: حدّثني أبو هِفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبيّ والمدائنيّ وابن سلاّم أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُعارض جَمِيلاً، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها، فيقال: إنّ عمر في الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَميل، وإنّ جَمِيلاً أشعرُ منه في اللاميّة. وقال الزُّبير فيما أخبرني به الحَرَمِيّ بن أبي العلاء عنه: من الناس من يُفَضِّل قصيدة جَميل اللاميّة على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة مَلْسَاء المتون، مُستوية الأبيات، آخِذٌ بعضُها بأذناب بعض، ولو أنّ جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِج عليه وعَثَرَ كلامُهُ به.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مَوْلى هشام بن الوليد المخزوميّ وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة: [الرمل]

يـا أبـا الـحـارِث قَـلْـبـي طـائـرٌ فـاسـتـمِـعْ قَـوْلَ رشـيـدٍ مُـؤْتَـمَـنْ

قال: شَهِدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأبْطَح، فأنشد جَمِيل قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلي بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال: يا أبا الخطّاب، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً؟ قال: نعم، فأنشدَه قولَه:

جَرَى نـاصـحٌ بـالـوُدّ بَـيْـنـي وبَـيْـنَـهـا

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطّاب والله لا أقول مثل هذا سَجِيسَ الليالي[1]؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبَتك أحدٌ، وقام مُشَمِّراً.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: رأيتُ علماءنا جميعاً لا يشكُّون في أنّ أحسن ما يُرْوَى في تعظيم السرّ قولُ عمر:

ولـكـنَّ سِـرِّي لـيـس يَـحْـمِـلـه مِـثْـلـي

قال الزبير: وحدّثني محمد بن إسماعيل قال حدّثني ابن أبي الزّناد قال: إنما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجِنَاب.

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلاَّس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائنيّ أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة فلمّا بلغ إلى قوله: [الطويل]

فـقُـمْـنَ وقـد أَفْـهَـمْـنَ ذا الـلُّـبِّ أَنَّـمـا فَعَلْنَ الذي يَفْعَلْنَ مِن ذاك مِن أَجْلي

صاحَ الفرزدق وقال: هذا والله الشعرُ الذي أرادتْهُ الشعراء فأخطأَتْهُ وبكَتِ الديارَ.

(١) لا أقول مثل هذا سجيس الليالي: لا أقوله أبداً.

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني

سِوَى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكر مع أخباره فمن ذلك قصيدة عمر التي أوّلها:

جَـرَى نـاصـحٌ بـالـوُدّ بـيـنـي وبـيـنَـهـا

صوت [الطويل]

قِفِي البغلةَ الشهباءَ بالله سَلِّمِي ... عُزَيزة ذاتَ الدَّلِّ والخُلق الجَزْلِ
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الذي بها ... كمِثْل الذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْل
فقُلْنَ لها هذا عِشَاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ

عَرُوضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ثقيل أوّل بالوُسْطى عن عمرو بن بَانَة وعليّ بن يحيى، وقيل إنه لمالك، ولابن مُحْرز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن الهِشَامِيّ. ولابن سُرَيج في الأوّل ثقيل والثاني خفيف آخر بالوُسْطى وهو الذي فيه استهلال. ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبِنْصَر. ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسَّبابة في مجْرى الوُسْطى عن ابن المكيّ.

ومنها:

صوت [الرمل]

يا أبا الحارِث قَلْبي طائرٌ ... فاستمِعْ قولَ رشيدٍ مؤتَمنْ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم ... غيرَ أن أقتُلَ نفسي أو أُجَنّْ
حَسَنُ الوجهِ نقيٌّ لونُهُ ... طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المُحْتَضَنْ

عروضه من الرَّمل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغِناءُ لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالوُسْطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة، وذكر ابن المكّيّ أنه للغَرِيض في الثاني والثالث، وفيهما رَمَلٌ يقال إنه لأهل مكة ويقال: إنه لعبد الله بن يُونس صاحب أيْلة[1]. وفيه ثقيلٌ أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنه لابن سُرَيج، وذكر غيره أنه لمحمد ابن السِّنْدِيّ المكّيّ، وأنه غنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه.

---

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. معجم البلدان ١/ ٢٩٢.

أخبرني إسماعيل بن يُونُس قال: حدّثنا عُمَرُ بن شبَّة قال: حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال: كان ابن عائشة يُغنِّي الهَزَج والخفيف، فقيل له: إنك لا تستطيع أن تُغنّي غناءً شجيّاً ثقيلاً؛ فغنَّى:

يـا أبـا الـحـارث قـلـبـي طـائِـرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية عن مَوْلىً لآل الغَرِيض قال: حدّثني بعض مَوْلَياتي وقد ذَكَرْنَ الغريض فترحَّمن عليه وقُلْن: جاءنا يوماً يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقتَه، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً، وكنّا نَلْقَى من الناس عَنَتاً بسببه، وكان ابن سُرَيج في جِوَارنا فدفعناه إليه فَلَقِنَ الغناءَ، وكان من أحسن الناس صوتاً ففَتَن أهلَ مكةَ بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته، فلمّا رأى ذلك ابنُ سُرَيج نَحّاه عنه، وكانت بعضُ مَوْلَياته تُعَلِّمه النِّياحة فبرَّز فيها، فجاءني يوماً فقال: نَهَتْني الجنُّ أن أنُوحَ وأسمعتْني صَوْتاً عجيباً فقد ابتنيتُ عليه لحناً فاسمعيه منّي، واندفع فغنّى بصوت عجيب في شعر المرَّار الأسديّ: [الطويل]

حَلَفْتُ لها بالله ما بَيْنَ ذي الغَضا وهضْبِ القَنَانِ من عَوانٍ ولا بِكْرِ[1]
أَحَبُّ إلينا منكِ دَلاً وما نَرَى به عندَ لَيْلَى من ثوابٍ ولا أجْرِ

فكذّبناه وقلنا: شيء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن، فكان في كل يوم يأتينا فيقول: سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان، فلم يَزَل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكة في جَمع لنا سهِرْنَا فيه ليلَتنا والغَرِيض يُغنِّينا بشعر عمر بن أبي ربيعة: [المتقارب]

أمِنْ آلِ زينبَ جدَّ البُكُورُ نَعَمْ فلأيِّ هواها تَصِيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عَزِيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفةً ذَعَرَتْنا وأفْزَعَتْنا، فقال لنا الغريض: إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سَمِعْتُهُ، وأُصبح فأبْني عليه

(١) القنان: جبل لبني أسد فيه ماء يدعى العسيلة (معجم البلدان ٤/ ٤٠٥).

غنائي؛ فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتُهُ نغمَةُ الغَرِيض بعينها فصدَّقْناه تلك الليلةَ.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها.............. البيتان

عَروضه من الطويل. غنَّاه الغريض ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَشٍ. قال: ولعَلُّويه فيه ثقيل أوّل آخر بالبِنْصَر ومنها:

صوت [المتقارب]

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ البُكُورُ ... نَعَمْ فلأيِّ هواها تَصِيرُ

أبا لغَوْرِ أم أَنْجَدتْ دارُها ... وكانتْ حديثاً بعهدي تغُورُ

نَظَرتُ بخَيْفِ مِنىً نظرةً ... إليها فكاد فؤادي يَطِيرُ

هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ ... وما خِلْتُ شمساً بليلٍ تسيرُ

ألم تَرَ أنك مستشرفٌ ... وأنّ عدوّك حَوْلي حضورُ

عَرُوضه من المتقارب. الشعر للنُميْرِيّ، وقيل: إنه ليزيد بن معاوية. والغناء لسِيَاط خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطى عن عمرو. ولابن سُرَيج فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى؛ أوّله:

هي الشمسُ تَسْري بها بَغْلَةٌ

وفيه للغَريض ثاني ثقيل بالبِنْصر عن الهشاميّ وحماد، وذكر غيرهما أنه لابن جامع. وذكر حَبَشٌ أن فيها لابن مُحرز ثقيلاً أوّل بالبنْصر.

[الغريض وسكينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قال أبو عبد الله مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ: اجتمع نِسْوَةٌ فذكَرْنَ عمرَ بن أبي ربيعةَ وشِعرَه وظَرْفَه وحُسْنَ مجلسه وحديثَهُ وتشوَّقْنَ إليه وتمنَّيْنه، فقالت سُكَينة: أنا لكُنَّ بِه، فَبَعَثَتْ إليه رسولاً ووعدته

الصَّوْرَيْن[١] لليلةٍ سَمَّتها، فوافاها على رواحله ومعه الغَرِيض، فحدثهنّ حتى وافى الفجرُ وحان انصرافُهُنَّ، فقال لهنّ: إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده، ولكن لا أَخلِطُ بزيارتكنّ شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

[البسيط]

ألْـمِـمْ بـزيـنـبَ إنّ الـبَـيْـنَ قـد أفـدا قَـلَّ الـثَّـواءُ لَـئِـنْ كـان الـرحـيـلُ غَـدَا[٢]

قال: وانصرفَ عمر بالغَرِيض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غَرِيض، إني أُريد أن أُخبرك بشيء يتعجّل لكَ نفعُهُ ويبقى لك ذكرُه، فهل لك فيه؟ قال: افعلْ من ذلك ما شئتَ وما أنت أهلُه؛ قال: إني قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعراً فامضِ به إلى النِّسْوَة فأَنْشِدْهُنَّ ذلك وأخبِرْهُنَّ أني وجَّهتُ بك فيه قاصداً؛ قال: نعم. فحمَل الغريضُ الشعرَ ورَجَع إلى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها: جُعلتُ فداكِ يا سيِّدتي ومولاتي، إن أبا الخطّاب - أبقاه الله - وجَّهني إليك قاصداً، قالت: أوَ لَيْسَ في خيرٍ وسرور تركتهُ؟ قال: نعم؛ قالت: وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حَفِظه الله؟ قال: جُعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حمّلني شعراً وأمرني أن أُنْشِدَكِ إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

ألْـمِـمْ بـزيـنـبَ إنّ الـبَـيْـنَ قـد أَفِـدَا قَـلَّ الـثَّـواءُ لـئِـن كـان الـرحـيـلُ غَـدَا

الشعر كلّه؛ قالت: فيا وَيْحه! فما كان عليه ألاّ يرْحَل في غده! فوجّهتْ إلى النِّسوة فجمعْتهنّ وأنشَدْتهُنّ الشعرَ. وقالت للغريض: هل عَمِلتَ فيه شيئاً؟ قال: قد غَنّيتُهُ ابنَ أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغنّاه الغريض؛ فقالت سُكَينة: أحسنتَ والله وأحسنَ ابن أبي رَبيعةَ لولا أنّكَ سَبَقْتَ فغنّيته عُمَرَ قَبْلنا لأَحْسَنَّا جائزَتَكَ، يا بُنَانةُ، أعطِيهِ بكلّ بيت ألف درهم، فأخرجتْ إليه بُنَانةُ أربعةَ آلاف درهم فدفعتْها إليه؛ وقالت سُكَينة: لو زَادَنا عُمَرُ لزِدْنَاك.

---

(١) الصَّوْران: موضع بالبقيع (معجم البلدان؛ ٣/ ٤٣٢).
(٢) أفد: دنا وقرب.

نسبة هذا الغناء

صوت

[البسيط]

أَلْـمِـمْ بـزيـنَـبَ إنّ الـبَـيْـنَ قـد أَفِـدا قـلَّ الـثَّـواءُ لَـئِـنْ كـان الـرحـيـلُ غَـدَا
قـد حَـلَـفَـتْ لـيـلـةَ الـصَّـوْرَيْـن جـاهِـدةً ومـا عـلـى الـحُـرّ إلا الـصَّـبْـرُ مُـجـتَـهِـدا
لأخـتـهـا ولأُخْـرَى مـن مَـنـاصِـفِـهـا لـقـد وَجـدتُ بـه فـوقَ الـذي وَجَـدَا(١)
لَـعَـمْـرُهـا مـا أرانـي إن نَـوىً نَـزَحـتْ وهـكـذا الـحـبُّ إلا مَـيِّـتـاً كَـمَـدَا(٢)

عَرُوضه من البسيط. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سُرَيج، وله فيه لحنان: أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو، وفيه لحنٌ للغَريض خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر عن الهِشَاميّ وحمّاد، وذكر عمرو أنّه لمالك، أوّله الرابع ثم الأوّل، ومن الناس مَنْ يَنْسُب هذا إلى مَعْبَد؛ وأوّله:

يـا أمّ طَـلْـحـة إن الـبَـيْـنَ قـد أفِـدا

وذلك خطأ، اللحنُ الذي عَمِله مَعْبَد غير هذا وهو:

صوت

[البسيط]

يـا أمّ طَـلْـحـة إن الـبَـيْـنَ قـد أفِـدا قَـلَّ الـثَّـوَاءُ لـئـنَ كـان الـرحـيـلُ غَـدَا
أَمْـسَـى الـعِـرَاقِـيُّ لا يَـدْرِي إذا بَـرَزَتْ مَـنْ ذا تَـطَـوَّفَ بـالأركـان أو سَـجَـدا

عَرُوضه من البسيط. الشعر للأحْوص، ويقال: إنه لعمر أيضاً، والغِناء لمَعْبَد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهِشاميّ.

[الغريض وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال: حجّت عائشة بنت طَلْحَة بن عُبَيْد الله فجاءتها الثُّريّا وأخواتُها ونساءُ أهل مكّة القُرَشيّات

(١) المناصف: جمع مِنْصَف، وهو الخادم.
(٢) النوى: البعد، وهنا الدار. ونزحت النوى: بعدت.

وغيرهُنّ، وكان الغَريض فيمن جاء فدخل النِّسوةُ عليها فأمَرت لهنّ بكُسْوة وألطاف[١] كانت قد أعدّتها لمَنْ يَجيئها، فجعلتْ تخْرج كلّ واحدة ومعها جاريتُها ومعها ما أمرتْ لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مَوْلياتهُ مع جَواريهنّ الخِلَعُ والألطافُ؛ فقال الغريض: فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّي منها فإنها كريمةٌ بنت كِرام واندفع يغنّي بشعر جَميل: [الطويل]

تـذكّـرتُ لـيـلـى فـالـفـؤاد عَـمِـيـد وشَـطّـتْ نـواهـا فـالـمَـزارُ بـعـيـد

فقالت: ويلَكم! هذا مَوْلى العَبَلات بالباب يُذكّر بنفسه هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحِكت وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دَعَتْ له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن أنت غَنَّيْتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيءٌ سمّته له ذهب عن ابن سلاّم) قال: فغنّاها في شعر كُثَيّر: [الطويل]

وما زِلْتُ من لَيْلَى لَدُن طَرَّ شاربي إلـى الـيـوم أُخْـفِـي حبّـهـا وأُداجِـنُ
وأحمِـلُ في لَـيْـلَـى لـقـومٍ ضَـغِـيـنـةً وتُـحـمَـل في لَـيْـلَـى علـيّ الـضـغـائـنُ

فقالت له: ما عَدَوْتَ ما في نفسي، ووصلَتْه فأجزلت. قال إسحاق: فقلتُ لأبي عبد الله: وهل علِمتَ حديثَ هذين البيتين؟ ولم سألتِ الغريضَ ذلك؟ قال: نعم.

[الشعبي عند مصعب وزوجته عائشة]

حدّثني أبي قال: قال الشَّعْبيّ: دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصْعَب بن الزُّبَير على سَرير جالسٌ والناس عنده، فسلّمت ثم ذهبتُ لأنصرف، فقال لي: أُدْنُ فدنوتُ حتى وضعت يدي على مَرافِقه[٢]، ثم قال: إذا قمتُ فاتْبعني فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طَلْحة فتبعتُه، فلما طعن في الدار التفتَ إليّ فقال: ادخلْ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجرته وتبِعتُه، فالتفتَ إليّ فقال: ادخل، فدخلتُ معه، فإذا حَجلة[٣]، وإنها لأوّل حَجَلة رأيتُها لأمير، فقمتُ ودخلَ الحجلة فسمِعتُ

(١) الألطاف: الهدايا.
(٢) المرافق: جمع مِرفَق أو مِرفقة وهي المخدّة.
(٣) الحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب.

حركة، فكرهت الجلوسَ ولم يأمرني بالانصراف، فإذا جارية قد خرجتْ فقالت: يا شَعْبيّ إنّ الأمير يأمرك أن تجلس، فجلست على وِسَادة ورُفع سَجْف[١] الحَجَلة، فإذا أنا بمُصعبَ بن الزُّبيْر، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، قال: فلم أر زوجاً قطُّ كان أجملَ منهما: مصعب وعائشة، فقال مصعب: يا شعبيّ هل تعرف هذه؟ فقلت: نعم أصلح الله الأمير؛ قال: ومَنْ هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشةُ بنت طلحة، قال: لا، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي

وذكر البيتين. ثم قال: إذا شئتَ فقُمْ، فقمتُ. فلما كان العَشِيُّ رُحْتُ وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلّمتُ، فلما رآني قال لي: أُدْنُ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مرافقه، فأصغى إليّ فقال: هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قطّ؟ قلت: لا والله؛ قال: أفتدري لِمَ أدخلناك؟ قلتُ: لا؛ قال: لِتُحدِّثَ بما رأيتَ، ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فَرْوة فقال: أَعْطِه عشرةَ آلاف درهم وثلاثين ثوباً، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصّار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة.

[عائشة بنت طلحة وأزواجها]

قال: وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر وكان أبا عُذْرتها[٢] ثم هَلك، فتزوجها مصعب فقُتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر فبَنى بها بالحيرة، ومُهِّدتْ له يوم عُرْسه فُرُش لم يُرَ مثلُها: سبْعُ أذرع في عَرْض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مرّات؛ فلَقِيَتْه مَوْلاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حفْص، كمُلت في كل شيء حتى في هذا. فلما مات ناحت عليه وهي قائمةٌ، ولم تنُح على أحد منهم قائمةً ـ وكانت العربُ إذا ناحتْ المرأة قائمة على زوجها عُلم أنّها لا تريد أن تتزوّج بعده ـ فقيل لها: يا عائشة ما صنعت هذا بأحد من أزواجك! قالت: إنّه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن في أحد منهم: كان سيِّد بني تيْم، وكان أقرب القوم بي قَرابة، وأردتُ ألاّ أتزوّج بعده!!

(١) السجف: الستر.

(٢) العذرة: البكارة. وأبو عذرتها زوجها الأول الذي أفتض بكارتها.

وأخبرني بخبر مُصْعَب والشَّعبيّ وعائشة أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوَانَة قال: خرج مصعب بن الزُّبَيْر من دار الإمارة يريد دارَ موسى بن طَلْحة، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبيّ، ثم ذكر باقي الحديث مثلَه، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغَنّين. قال ابن عمَّار: وأخبرني به داود بن جَميل بن محمد بن جَميل الكاتب عن ابن الأعرابيّ: قال ابن عمّار: وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ أن الشّعبيّ قال: دخلتُ المسجد وفيه مُصعَب بن الزُّبيْر فاستدْناني فدنَوْت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إليّ وقال: إذا قمتُ فاتْبعني. ثم ذكر باقيَ الحديث أيضاً مثلَ الذي تقدّمه.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الطويل]

وما زِلتُ من ليلَى لَدُن طَر شاربي ... إلى اليوم أُخْفي حُبّها وأُداجِنُ
وأحمِل في ليلَى ضغائنَ مَعْشَرٍ ... وتُحْمَل في ليلَى عليّ الضغائنُ

عروضه من الطويل. الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمٰن. والغِناء لمَعْبَد ثقيل أوّل بالبِنْصر عن حَبَش. وفيه لحْن للغَريض.

[الغريض يغنّي عبد الملك في مكة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: كان الغَريض إذا غَنّى بيتين لكثيّر قال: أنا السُّرَيْجيّ حقاً، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غِنائه وكان من جيّد غنائه. وقَدمَ يزيدُ بن عبد الملك مكّةَ فبعث إلى الغريض سِرّاً فأتاه فغنّاه بهذا اللحن وهو فيهما: [الطويل]

وإنّي لأَرعَى قومَها من جَلالها ... وإن أظهروا غِشاً نَصحت لهم جَهْدي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها ... صديقاً ولم أحمِلْ على قومها حِقْدي

فأشير إلى الغريض أن اسْكُتْ؛ وفطِن يزيد فقال: دعوا أبا يزيد حتى يُغَنِّيني بما يُريد، فأعاد عليه الصوتَ مراراً، ثمّ قال: زِدْني ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو بن شَأس الأَسَدِيّ: [الطويل]

فَوَانَدمي على الشباب ووانَدَمْ ندِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذمّ
أرادتْ عراراً بالهَوان ومن يُرِدْ عراراً لعَمْري بالهوان فقد ظَلَمْ

قال: فَطرب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة. قال إسحاق: فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديثَ، وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً، فقال أبو عبد الله: كان قدوم يزيد مكّة وبِعْثَتُه إلى الغريض سِرّاً قبل أن يُسْتَخلَف؛ فقلت له: فَلِم أُشير إلى الغريض أن يسكتَ حين غنّاه بشعر كثيّر:

وإنّي لأَرْعَى قومَها من جَلالها

وما السببُ في ذلك؟ فقال أبو عبد الله: أنا أُحدِّثُكه.

[قصة اختلاف عبد الملك مع زوجته عاتكة]

حدّثني أبي قال: كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبّاً لعاتكة امرأته وهي ابنة يزيد بن معاوية وأُمّها أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك، فغَضِبتْ مرّة على عبد الملك، وكان بينهما باب فحَجبته وأغلقتْ ذلك الباب، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له عمر بن بِلال الأسديّ، فقال له: ما لي عندك إن رضِيَتْ؟ قال: حُكْمُك. فأتى عُمر بابها وجعل يَتَباكى، وأرسل إليها بالسلام، فخرجتْ إليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلْن: ما لك؟ قال: فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها، فقد علِمتْ مكاني من أمير المؤمنين معاويةَ ومن أبيها بعدَه، قلن: وما لك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرُهما فقَتَل أحدُهما صاحبَه، فقال أمير المؤمنين: أنا قاتلٌ الآخر به، فقلتُ: أنا الوليّ وقد عفوتُ؛ قال: لا أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ، فرجوتُ أن يُنْجيَ الله ابني هذا على يدها؛ فدخلْنَ عليها فذكَرْنَ ذلك لها؛ فقالت: وكيف أصنع مع غضبي عليه، وما أظهرتُ له؟ قُلْن إذاً والله يُقْتَل، فلم يزَلْن حتى دعتْ بثيابها فأجمرَتْها[1] ثم خرجت نحوَ الباب، فأقبل حُدَيج الخَصِيّ قال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قد أقْبَلتْ؛ قال: ويلك ما تقول؟ قال: قد والله طلعتْ! فأقبلتْ وسلّمت فلم يَرُدَّ عليها، فقالت: أما والله لولا عمرُ ما جئتُ، إنّ أحد ابنيه تعدّى على الآخر فقتَلَه

(١) أجمرتها: بخرتها وطيبتها.

فأردتَ قَتْلَ الآخر وهو الوليّ وقد عفا؛ قال: إني أكره أن أُعَوِّد الناسَ هذه العادَة؛ قالت: أَنشُدُك الله يا أمير المؤمنين، فقد عَرفتَ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يَزيد، وهو ببابي، فلم تزل به حتى أخذتْ برِجله فقبّلتها؛ فقال: هو لك، ولم يَبْرَحَا حتى اصطلحا؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيتَ؟ قال: رأينا أثَرك، فهاتِ حاجَتَك، قال: مَزْرَعة بعُدَّتها وما فيها، وألف دينار، وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي قال: ذلك لك، ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر:

وإِنــي لأرعــى قــومــهــا مــن جَــلالــهــا

البيتين فعلِمت عاتكة ما أراد، فلما غُنِّيَ يزيد بهذا الشعر كَرِهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به في أُمّه، ولم يَكْرَهه يزيدُ وقال: لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنّي به لما كان عَيْباً، فكيف وإنما هو مَثَلٌ تمثّل به أميرُ المؤمنين في أجمل العالَمينَ!

قال أبو عبد الله: وأمّا خبره لما غَنّى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشْعَث لما قُتِل بعثَ الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرَار بن عمرو بن شأس فلما ورد به وأوصَل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرأه، فكلما شكّ في شيء سأل عراراً عنه فأخبره، فعجب عبدُ الملك من بَيانه وفصاحته مع سَواده، فقال متمثّلاً:

[الطويل]

وإنَّ عــراراً إن يــكــن غــيــرَ واضِــحٍ فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ

فضحك عَرار من قوله ضَحِكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مِمَّ ضحِكت ويلَك! قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا؛ قال: فأنا والله هو؛ فضحِك عبدُ الملك وقال: حظٌّ وافق كلِمة، ثم أحسنَ جائزَته وسرّحه.

قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغرِيض أن يغنّيَ يزيدَ بمُتَمثّلات عبد الملك في الأمور العِظام، فلما تبيّن كراهَةَ مواليه غناءه فيما تَمثّل به في عاتكة أراد أن يُعقِبَه ما تَمثّل به في فتح عظيم كان لعبد الملك، فغنَّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار.

نِسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

وإنّي لأرعَى قومَها من جَلالِها وإن أظهروا غِشّاً نَصحتُ لهم جُهدي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لِقومها صديقاً ولم أحمِل على قومها حِقدي

عروضُه من الطويل. الشعر لكُثَيِّر والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق. وذكر حبَشٌ أن فيه لقفا النّجار ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لعلويه ثقيل أوّل.

[الغريض ومعبد]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: حدّثني إبراهيم عن يُونس الكاتب قال حدّثني معْبَد قال: خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسنُ غنائه في لَحْنه: [الطويل]

وما أَنسَ م الأشياءِ لا أنسَ شادِناً بمكّة مَكْحولاً أسِيلاً مَدامعُهْ(١)

وقد كان بلغني أنه أوّل لحن صنَعَه وأن الجِنّ نهته أن يُغنّيَه لأنه فَتَنَ طائفةً منهم، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسْنه، فلما قدمتُ مكّة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله، فأتيتُه فقرَعتُ البابَ فما كلّمني أحد، فسألتُ بعضَ الجيران فقلت: هل في الدار أَحَدٌ؟ قالوا لي: نعمْ، فيها الغريض، فقلت: إني قد أكثرتُ دقَّ الباب، فما أجابني أحدٌ! قالوا: إن الغريض هناك، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبني أحد، فقلت: إن نفعني غنائي يوماً نفعني اليومَ، فاندفعتُ فغنّيت لحني في شعر جَميل: [الطويل]

عَلِقتُ الهَوى منها وَلِيداً فلم يزل إلى اليومِ يَنْمي حبُّها ويزيدُ

فوالله ما سمِعتُ حركة الباب، فقلت: بطَل سِحْري وضاع سَفَري وجِئتُ أطلُبُ ما هو عسيرٌ عليّ، واحتقرت نفسي وقلت: لم يتوهّمني لضَعْفِ غِنائي عنده، فما شعرتُ إلا بصائح يصيح: يا مَعْبد المغنّي، افْهَم وتَلَقّ عني شعرَ جميل الذي تُغنّي فيه يا شقيّ البخت، وغنّى:

---

(١) الشادن: ولد الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه.

صوت

للغريض ولم تُذكر طريقته

وما أَنس م الأشياءِ لا أَنس قولَها ... وقد قرّبَتْ نِضْوي أَمِصْرَ تريد
ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى ... أتيتُك فاعذِرني فدَتْك جُدودُ
خَليليّ ما أُخفي من الوجد باطن ... ودمعي بما قلتُ الغداةَ شَهيدُ
يقولون جَاهِد يا جميلُ بغزوة ... وأيّ جِهادٍ غيرهن أُرِيدُ
لكلّ حديثٍ عندهنّ بشاشةٌ ... وكلّ قتيلٍ بينهنّ شَهيدُ

عروضه من الطويل. قال: فلقد سمِعتُ شيئاً لم أسمع أحسنَ منه، وقصّر إليّ نفسي وعلِمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه، وقلت: إنه لَحَرِيّ بالاستتار من الناس تَنْزيهاً لنفسه وتعظيماً لقَدْره، وإنّ مثلَه لا يستحقّ الابتذال. ولا أن تتداوله الرجال، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعاً، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يصيح بي: يا معبد، انتظر أُكلّمْك، فرجعتُ، فقال لي: إن الغريض يدعوك، فأسرعتُ فَرِحاً فدنوتُ من الباب، فقال لي: أَتُحبّ الدخول؟ فقلتُ: وهل إلى ذلك من سبيل؟ فقرع الباب فَفُتِحَ فقال لي: ادخل ولا تُطِلِ الجلوس؛ فدخلتُ فإذا شمس طالعةٌ في بيت، فسلَّمتُ فردّ السلامَ، ثم قال: اجلس فجلست، فإذا أنبلُ الناس وأحسنُهم وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً، فقال: يا مَعْبد، كيف طرأت[1] إلى مكة؟ فقلت: جُعِلتُ فداءك! وكيف عرفْتَني؟ فقال: بصوتك؛ فقلتُ: وكيف وأنت لم تسمعه قط! قال: لمّا غنّيتَ عرفتُك به وقلت: إن كان مَعْبَدٌ في الدنيا فهذا؛ فقلت: جُعلت فداءك؛ فكيف أجبتَني بقولك:

وما أنسَ م الأشياءِ لا أنسَ قولَها ... وقد قَرّبتْ نِضْوِي أمصرَ تريدُ

فقال: قد علمتُ أنك تريد أن أُسمِعَك صوتي:

وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ شادِناً ... بمكّة مكحولاً أَسِيلاً مدامِعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نهِيتُ أن أُغنِّيَه فغنّيتُك هذا الصوتَ جواباً لِما سألتَ وغنّيتَ، فقلت: والله ما عَدوتَ ما أردتُ، فهلْ لك حاجةٌ؟ فقال لي: يا أبا عبّاد، لولا مَلالةُ الحَديثِ وثِقلُ إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك، فاعْذِرْ

---

(١) طرأ: أقبل.

فخرجتُ من عنده، وإنّه لأجلّ الناس عندي، ورجعتُ إلى المدينة فتحدّثتُ بحديثه وعجِبتُ من فِطْنتِه وقِيافَتِه، فما رأيت إنساناً إلاّ وهو أجلّ منه في عيني، وذكرتُ جَميلاً وبُثَيْنَةَ فقلتُ: ليتني عرفت إنساناً يُحدّثني بقصّة جميل وخبر الشعر فأكونَ قد أخذتُ بفضيلة الأمر كلّه في الغِناء والشعر.

[خبر لقاء جميل وبثينة]

فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهورٌ، وقيل لي: إن أردتَ أن تُخَبَّرَ بمشاهدته فأتِ بني حَنْظلة، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يُخبِّرُكَ الخَبر؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال: نعم، بينَا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل مُنْطَوٍ على رَحْله كأنّه جانٌّ فسلّم عليّ ثم قال: ممن أنت يا عبدَ الله؟ فقلت: أحدُ بني حَنْظَلة؛ قال: فانتسِبْ؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَخذِي الذي أنا منه؛ ثم سألني عن بني عُذْرة أين نزلوا؛ فقلت له: هل ترى ذلك السَّفْح؟ فإنهم نزلوا من ورائه؛ قال: يا أخا بني حَنْظَلة، هل لك في خير تصطنعه إليّ؟ فوالله لو أعطيتَني ما أصبحتَ تَسُوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّي لك عليه؛ فقلت نعم، ومن أنت أوّلاً؟ قال: لا تسألني من أنا ولا أُخبرك غيرَ أني رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم، فإن رأيتَ أن تأتيَهم فإنّك تجد القومَ في مجلسهم فتَنْشُدُهم بَكْرَةً أَدْمَاء[1] تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً من السِّمة، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك، وإلا استأذَنتهم في البيوت وقلتَ: إن المرأة والصبيَّ قد يَريان ما لا يَرَى الرجالُ، فتَنْشُدهم ولا تَدَع أحداً تُصِيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلاّ نَشدتَها فيه، فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزُور يقتسمونها، فسلَّمت وانتسبتُ لهم ونَشدتهم ضالّتي، فلم يذكروا لي شيئاً؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت: إنّ الصبيّ والمرأة يَريانَ ما لا ترى الرجالُ، فأذِنُوا؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتُها بيتاً بيتاً أنشُدُهم فلا يذكرون شيئاً، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حَرّ الشمس وعَطِشْتُ وفَرغْتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منّي التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسي: سوءةً! وَثِقَ بي رجلٌ وزعم أن حاجَته تعْدِل مالي ثم آتيه فأقول: عَجَزتُ عن ثلاثة أبيات! فانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أُرْخِيَ مُؤخّرهُ ومقدّمُه، فسلّمت فرُدّ عليّ

(١) تنشدهم بكرة أدماء: تسألهم ناقة فتية بيضاء.

السلامُ، وذكرتُ ضالّتي، فقالت جارية منهم: يا عبد الله، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلاّ قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيتَ الشراب؛ قلت: أجَلْ؛ قالت: ادخل؛ فدخلتُ فأتتني بصَحْفَة فيها تمرٌ من تمر هَجر[١]، وقَدح فيه لبنٌ والصَّحْفة مِصريّة مُفَضّضَةٌ والقَدَح مفضَّض لم أر إناءً قطُّ أحسنَ منه؛ فقالت: دونَك؛ فتجَمعْتُ وشربتُ من اللبن حتى رَوِيتُ، ثم قلتُ: يا أمة الله، والله ما أتيتُ اليومَ أكرمَ منكِ ولا أحقَّ بالفضل، فهل ذكرتِ من ضالّتي شيئاً؟ فقالت: هل تَرى هذه الشجرة فوق الشَّرَف[٢]؟ قلت نعم. قالت: فإن الشمس غَرَبَتْ أمسِ وهي تُطِيف حولَها ثم حال الليل بيني وبينها؛ فقمتُ وجزَيْتُها الخيرَ وقلت: والله لقد تغذيتُ ورَوِيتُ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ فأطفتُ بها، فوالله ما رأيتُ مِن أثرٍ فأتيتُ صاحبي فإذا هو مُتَّشِحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عقيرته[٣] يُغنّي قلتُ: السلام عليك؛ قال: وعليك السلام ما وراءك؟ قلتُ: ما ورائي من شيء؛ قال: لا عليك! فأخبرْني بما فعلتَ فاقتصَصتُ عليه القِصّة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذي صنعتُ؛ فقال: قد أصبتَ طَلبتكَ؛ فَعجبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً، ثم سألني عن صفة الإناءيْن: الصَّحْفةِ والقَدَح فوصفتُهما له، فتنفّس الصُّعَداء وقال: قد أصبتَ طَلِبتَكَ وَيْحَكَ! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنّها رأتها تُطيف بها؛ فقال: حسبُك! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلي إلى مَباركها دعوتُه إلى العَشاء فلم يدنُ منه، وجلس منّي بمَزْجَر الكلب، فلما ظنّ أنّي قد نِمتُ رمَقتُه فقام إلى عَيْبة[٤] له فاستخرج منها برْدَين فائتَزَر بأحدهما وتردَّى بالآخر، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة. واستبطنتُ الواديَ فجعلتُ أُخفي نفسي حتّى إذا خِفْتُ أن يراني انبطحتُ، فلم أزل كذلك حتّى سبقتُه إلى شَجرات قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أسمَع كلامَهما فاستترتُ بهنّ، وإذا صاحبتُه عند الشجرة فأقبل حتّى كان منها غير بعيدٍ، فقالت: اجلس، فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرمَ سؤال سمِعتُ به قطّ وأبعدَه من كل ريبة، وسألته مثل مسألته، ثم أمرتْ جاريةً معها فقرّبتْ إليه طعاماً، فلمّا أكل وفَرغ، قالت: أنشدني ما قلتَ: فأنشدها:

---

(١) هجر: قرية قرب المدينة (معجم البلدان: ٥/ ٣٩٣).

(٢) الشرف: المكان العالي المرتفع.

(٣) رفع عقيرته: رفع صوته.

(٤) العيبة: وعاء من أدم يوضع فيه المتاع.

عَلِقتُ الهوَى منها وليداً فلم يَزَل إلى اليوم يَنْمِي حبُّها ويَزِيدُ

فلم يزالا يتحدّثان، ما يقولان فُحْشاً ولا هجْراً، حتّى التفتت التفاتة فنظرتْ إلى الصبح، فودّع كلّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ ودَاع، ما سمعتُ به قطّ ثم انصرفا، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خَطْوة ثمّ يلتفت إلى صاحبه، فجاء بعدما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال: يا أخا بني تَميم، حتّى متى تَنام! فقمتُ وتوضّأتُ وصَلّيت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثمّ دعوتهُ إلى الغَداء فتغدّى، ثم قام إلى عيبته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبُردان مما كستْه الملوك، فأعطاني أحدَهما وقال: أما والله لو كان معي شيء ما ذخَرْتُه عنك، وحدّثني حديثَه وانتسب لي، فإذا هو جميل بن مَعْمَر والمرأة بُثَينة، وقال لي: إني قد قلتُ أبياتاً في مُنْصرفي من عندها، فهل لك إنْ رأيتَها أن تُنْشِدها؟ قلت: نعم؛ فأنشدني: [الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قَرِّبَت نِضْوِي أمصرَ تُرِيدُ

الأبيات، ثم ودّعني وانصرف، فمكثتُ حتّى أخذتِ الإبلُ مراتِعَها، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي، ثم ارتديت بالبُرْد وأتيت المرأةَ فقلتُ: السلامُ عليكم، إنّي جئتُ أمسِ طالباً واليومَ زائراً، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمِعتُ جُوَيْرِية تقول لها: يا بُثَينة، عليه والله بُرْدُ جميلٍ، فجعلت أُثْني على ضَيْفي وأذكرُ فضلَه، وقلت: إنّه ذكركِ فأحسنَ الذكر، فهلْ أنت بارزةٌ لي حتّى أنظرَ إليكِ؟ قالت: نعم، فَلَبِست ثيابها ثم بَرَزت ودعت لي بطُرَفٍ، ثم قالت: يا أخا بني تميم، والله ما ثوْباك هذان بمُشْتبهين، ودعَتْ بعَيْبَتها فأخرجتْ لي مِلْحَفة[1] مَرويّة[2] مُشْبَعَة من العُصفر، ثم قالت: أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتَخْلعَنّ مِدْرَعَتَك[3] ثم لتَأتَزِرنَّ بهذه المِلْحَفة فهي أشبهُ ببُردِك، ففعلت ذلك وأخذتُ مِدْرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي، وأنشدتُها الأبيات فَدَمعت عيناها، وتحدّثنا طَويلاً من النهار، ثم انصرفتُ إلى إبلي بمِلْحَفَة بُثَيْنَة وبُرْدِ جميلٍ ونَظْرةٍ من بُثَيْنة. قال مَعْبد: فجزيتُ الشيخ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالاً بنَظْرة من

(١) الملحفة: لباس يلبس فوق الثياب لاتقاء البرد ونحوه.
(٢) مرويّة: نسبة إلى «مرو».
(٣) المدرعة: ضرب من الثياب يصنع من الصدف.

الغَريض واستماع لغِنائه، وعلم بحديثِ جميل وبُثَيْنة فيما غَنّيتُ أنا به وفيما غنّى به الغَريض على حقِّ ذلك وصِدْقه فما رأيتُ ولا سمِعْتُ بزوجين قطّ أحسن من جميل وبُثَيْنة، ومن الغريض ومنّي.

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلها من قصيدة واحدة. منها:

صوت

[الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ ... إلى اليوم يَنْمِي حبُّها ويزيدُ
وأفنيتُ عُمْرِي في انتظاري نوالَها ... وأفنتْ بذاكَ الدهرَ وهو جَدِيدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ
وما أنسَ م الأشياءِ لا أنسَ قولها ... وقد قَرّبت نِضْوي أمِصرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيونُ التي ترى ... لَزُرتُك فاعذِرْني فدتْك جُدُودُ
إذا قلتُ ما بي يا بُثَيْنةُ قاتلي ... من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدِّي بعض عقلي أعِشْ به ... تَوَلّتْ وقالتْ ذاك منكَ بَعِيدُ

عرُوضه من الطويل. الشعر لجميل بن معمّر. والغِناء لمعْبد في الأوّل والثاني والثالث والسادس والسابع. ولحْنهُ ثقيل أوّل بالسبابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق وعمرو بن بانة. وذكر عمرو والهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّل آخَرَ للهُذليّ، وأنّ فيه خفيف ثقيل يُنْسبُ إلى مَعْبَد وإلى الغرِيض وإلى إبراهيم، أوّله، «وما أنس م الأشياءِ» وفي الأربعة الأبْيات الأُول ثاني ثقيل بالبِنْصَر لابن أبي قباحة. ولإسحاقَ في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوُسْطى عن الهشاميّ. وأوّلُ هذه القصيدةِ فيه غناءٌ أيضاً، وهو موصول بأبيات أُخر:

صوت

أَلا لَيتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ ... ودهراً تَوَلّى يا بُثَيْنُ يعودُ
فنَغْنَى كما كنّا نكون وأنتُم ... قريبٌ وما قد تَبْذُلِينَ زَهِيدُ
ألاَ ليتَ شِعْرِي هل أبيتَنّ ليلةً ... بوادي القُرَى إنّي إذاً لسعيدُ
وهل أَلْقَيَن سُعْدَى من الدهر ليلةً ... وما رثَّ من حبل الصفاء جديدُ

فَقَد تَلْتَقِي الأهواءُ بعد تَفاوُتٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهي بَعِيدُ

في البيتين الأوّلين خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مَجْرى البِنْصر، ذكر حبش أنّه لإسحاق، وليس يُشْبه أنْ يكونَ له. وفي الثالث وما بعده لابن سُرَيْج ثاني ثقيل بالبِنْصر عن حَبَش أيضاً.

أخبرني إسماعيل بن يُونس إجازةً قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أبو غسّان قال حدّثني الوليد بن هشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سَلمة المَخْزُومِيّ قال: خرجتُ مع أعمامي وأنا على نجِيب ومعنا شيخٌ، فلمّا أسْحَرْنا[(١)] قال لي أعمامي: انزل عن نَجِيبك واحمل عليه هذا الشيخَ واركب جَمَلَه، ففعلت؛ فإذا الشيخ قد أخرج عُوداً له من غِلاَف، ثمّ ضرَب به وغنّى:

[الرجز]

هَاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ ... لمّا غَدَوْا فانْشَمَرُوا[(٢)]

فقلتُ لبعض أصحابنا: مَنْ هذا قال: الغَرِيض.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الرجز]

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ ... لمّا غَدَوْا فانْشَمَرُوا

عَلَى بِغالٍ شُحَّجٍ ... قد ضَمَّهُنَّ السفَرُ[(٣)]

فيهنّ هِنْدٌ ليتَنِي ... ما عُمِّرتْ أُعَمَّرُ

حتى إذا ما جاءها ... حَتْفٌ أتانِي القَدَرُ

عَرُوضه من الرجز. الذي قال عمر:

هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ

بالقاف، فجعَله الغَرِيضُ لما غنّي فيه: «الغَرِيضَ» يعني نفسَه. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغِناء لابن سُرَيْج. ذكر يُونُس أنّ له فيه لحنيْن. وذكر إسحاق أنّ

---

(١) أسحر: دخل في السحر.
(٢) انشمروا: أسرعوا.
(٣) الشحاج: صوت البغل. وشاحج: البغل المصوّت، والشُّحَّج جمعه.

أحدهما رَمَلٌ مطلق في مَجْرَى البِنْصَر ولم يذكر الآخرَ، وذكر الهِشاميّ أنّ الآخَرَ خفيفُ رَمَلٍ. وفيه للغريض ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل: إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرّمَل للغريض. وأوّل هذا الصوت في كتاب يونُس: [الرجز]

هـــاج فـــؤادي مَـــخْـــضَـــرُ ... بـــذي عُـــكـــاظِ مُـــقْـــفِـــرُ
حـــتّـــى إذا مـــا وازنـــوا الـــ ... ـمَـــرْوَةَ حـــيـــن ائْـــتَـــمَـــرُوا
قـــيـــل انـــزلُـــوا فـــعَـــرِّسُـــوا ... مـــن لـــيـــلـــكـــم وانـــشَـــمِـــرُوا
وقـــولُـــهـــا لأخْـــتِـــهـــا ... أمُـــطْـــمَـــئِـــنٌّ عُـــمَـــرُ

[الغريض يغني الوليد في مكة]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: ذكر السَّعْديّ أنّ الوليد ابن عبد الملك قدِم مكّة، فأراد أن يأتيَ الطائفَ، فقال: هل من رجل عالِم يُخْبِرني عنها؟ فقالوا: عُمَرُ بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عادَ فسأل، فذكَرُوه، ثم عاد فذكَرُوه فقال: هاتوه؛ وركِب معه فجعل يُحَدِّثُه ثم حوّل عمرُ رداءه ليُصْلِحه على نفسه، فرأى الوليدُ على ظهره أثراً، فقال: ما هذا الأثرُ؟ قال: كنت عند جاريةٍ لي إذ جاءتْني جاريةٌ برسالة من عند جاريةٍ أُخْرى وجعلتْ تُسَارُّني بها، فغارت التي كنتُ عندها فعَضَّت مَنْكِبي، فما وجدتُ ألَمَ عَضّتها من لذّة ما كانتْ تلك تنفُثُ في أُذُني حتى بَلَغَتْ ما ترى، والوليد يَضْحَك. فلما رجع عمرُ قيل له: ما الذي كنتَ تُضْحِكُ به أميرَ المؤمنين؟ قال: ما زِلْنا في حديث الزّنا حتى رَجَع. وكان قد حَمَل الغَرِيض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ عندي أجملَ الناس وجهاً وأحسنَهم حديثاً، فهل لك أن تسمَعه؟ قال: هاتِه، فدعا به فقال: أسمِعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شيء قلتَه؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر - ومن الناس مَنْ يرويه لجميل -:

صوت

[الكامل]

إنـي لأحـفـظُ سِـرَّكـم ويَـسُـرُّنـي ... لـو تَـعْـلَـمِـيـنَ بـصـالـحٍ أن تُـذْكَـرِي
ويـكـون يـومٌ لا أرَى لـك مُـرْسَـلاً ... أو نَـلْـتـقِـي فـيـه عـلـيّ كـأشـهُـرِ
يـا لـيـتـنـي ألْـقَـى الـمـنـيّـةَ بـغْـتـةً ... إنْ كـان يـومُ لـقـائـكـم لـم يُـقْـدَرِ
مـا كـنـتِ والـوعـدَ الـذي تَـعِـدِيـنَـنـي ... إلاّ كـبَـرْقِ سَـحَـابـةٍ لـم تُـمْـطِـرِ

هـذا الـغـريـمُ لـنـا ولـيس بِـمُـعْـسِـرِ   تُقْضَى الـدُّيونُ وليس يُنْجِزُ عـاجـلاً

ـ عروضه من الكامل. وذكر حَبَش أنّ الغِنَاء للغَرِيض، ولحنه ثقيل أوّل بالبِنْصَر ـ قال: فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له: يا عمر، هذه رُقْيَتُك، ووصله وكساه وقضى حَوائجَه.

[رأي نصيب في عُمَر وجميل وكثيّر]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عَوانةَ قال: حدّثني رجل من أهل الكوفة قال: قدِم نُصَيْبٌ الكوفة، فأرسلني أبي إليه، وكان له صديقاً، فقال: أقرئْهُ منّي السلامَ وقل له: إنْ رأيتَ أن تُهْدِيَ لنا شيئاً مما قلتَ! فأتيتُه في يوم جُمُعة وهو يصلِّي، فلما فَرغ أقرأتهُ السلام وقلتُ له، فقال: قد علِم أبوك أنِّي لا أُنشِد في يوم الجمعة ولكنْ تلْقاني في غيره فأبلغُ ما تحبّ، فلمّا خرجتُ وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْتُ إليه؛ فقال: أَتَرْوي شيئاً من الشعر؟ قلتُ نعم؛ قال: فأنشدني، فأنشدتُه قولَ جميل: [الكامل]

إنـي لأحـفـظُ غَـيْـبَـكـم ويَـسُـرُّنـي   لـو تـعـلـمـيـن بـصـالـحٍ أن تُـذْكَـرِي

الأبيات المتقدّمة؛ فقال نُصَيْبٌ: أمْسِكْ! أمْسِكْ! لله دَرُّه! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال، ولقد نحَت للناس مثالاً يحْتذون عليه، ثم قال: أمّا أصدَقُنا في شعره فجَميل، وأمّا أوصفُنا لربّات الحجال[1] فكثَيِّر، وأمّا أكذبنا فعُمَرُ بن أبي ربيعة، وأما أنا فأقول ماأعْرِف.

وقال هارون بن محمد الزيّات: حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه: أن الغريض سمِع أصواتَ رُهْبان بالليل في دَيْر لهم فاستحسنها، فقال له بعض مَنْ معه: يا أبا يزيد، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحناً؛ فصاغ مثله في لحنه:

يـا أمّ بـكـرٍ حُـبّـك الـبـادِي   لا تَـصْـرِمـيـنـي إنّـنـي غـادي

فما سُمِعَ بأحسنَ منه.

(١) ربات الحجال: كناية عن النساء.

نسبة هذا الصوت

صوت

[مزاحف الكامل]

يـا أمّ بـكـرٍ حُـبّـك الـبـادِي ... لا تَـضـرِمـيـنـي إنّـنـي غـادي
جَـدّ الـرحـيـلُ وحـثّـنـي صـحـبـي ... وأُريـد إمـتـاعـاً مـن الـزّادِ

عروضه من مُزَاحَف الكامل. الشعر لسعيد بن عبد الرحمٰن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ. والغناء للغريض خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسْطى. وفيه لابن المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش. وفيه لإبراهيم بن أبي الهَيثم هَزَج.

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمرُ بن شَبّة عن أيوب بن عبَاية عن عمرو بن عُقْبة ـ وكان يُعْرف بابن الماشطة ـ قال: خرجتُ أنا وأصحاب لي فيهم إبراهيمُ بن أبي الهيثم إلى العقيق، ومعنا رجلٌ ناسك كنا نحتشِم منه، وكان محموماً نائماً، وأحببنا أن نسمَع مَن معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه، فقلت له: إنّ فينا رجلاً يُنْشد الشعر فيُحْسِن، ونحن نُحِبّ أن نَسْمَعه، ولكنّا نهابُك، قال: فما عليّ منكم؛ أنا محموم نائم، فاصنعوا ما بدا لكم؛ فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنّى:

يـا أمّ بـكـرٍ حُـبُّـك الـبـادِي ... لا تَـضـرِمـيـنـي إنّـنـي غـادي
جَـدّ الـرحـيـلُ وحـثّـنـي صـحـبـي ... وأُريـد إمـتـاعـاً مـن الـزّادِ

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسكُ فجعل يَرْقُص ويَصيح: أريد إمتاعاً من الزاد، والله أُريد إمتاعاً من الزاد، ثم كشف عن أيْره وقال: أنا أنيك أمّ الحُمّى! قال: يقول لي ابنُ الماشطة: أعتقتُ ما أملِك إن كان ناك أمّ الحُمّى أحدٌ قبله.

أخبرني به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءَتَه وما قاله بعد ذلك.

[وفاة الغريض]

وكانت وفاة الغَرِيض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأشْبه أنّه مات في خلافة سليمان، لأن الوليد كان وَلّى نافع بن عَلْقمة مكة فهرَب منه الغرِيض وأقام باليَمَن واستوطنها مدّة ثم مات بها. وأخبرني بخبره

الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيّبي قال: أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثني أبو غسّان أن نافع بن عَلْقمة لما وُلِّيَ مكّة خافه الغريضُ ـ وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه ـ فهرَب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه. قال: فحدّثني رجلٌ من أهل مكّة كان يخْدُمه أنّه دفع إليه يوماً رَبْعةً[1] له وقال له: صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها لي طيباً؛ قال: فصِرتُ بها إليه، فلقيني نافعُ بن عَلْقَمة فقال: هذه رَبْعَةُ الغَرِيض والله! فلم أقدِر أن أكتُمَه، فقلت: نعم؛ قال: ما قِصَّته؟ فأخبرتُه الخبر؛ فضحِك وقال: سِرْ معي إلى المنزل ففعلت، فملأها طِيباً وأعطاني دنانير، وقال: أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأسَ عليه؛ فسِرْتُ إليه مسروراً فأخبرتُه بذلك فجزَع وقال: الآن ينبغي أن أهرُب، إنما هذه حيلةٌ احتالها عليّ لأقع في يده؛ ثم خرج من وقته إلى اليَمن، فكان آخر العهد به.

قال إسحاق فحدّثني هذا المخزوميّ أن الغَرِيض لمّا صارَ إلى اليمن وأقام به اجتزنا به في بعض أسفارنا، قال: فلما رآني بكَى؛ فقلت له: ما يُبْكِيك؟ قال: بأبِي أنتَ وأمّي! وكيف يَطيبُ لي أن أعيشَ بين قوم يَرَوْنَني أحْمِلُ عُودي فيقولون لي: يا هَناهُ[2] أتبيع آخرةَ الرَّحْل! فقلت له: فارجعْ إلى مكّة ففيها أهلك، فقال: يابن أخي، إنّما كنتُ أستلِذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوِه، وقد أوطَنتُ[3] هذا المكانَ ولستُ تاركَهُ ما عشتُ، قلنا له: فغَنِّنا بشيء من غنائك فتأبّى، ثم أقسمْنا عليه فأجاب، وعَمَدْنا إلى شاةٍ فذبحناها وخَرَطْنا من مُصْرانها أوتاراً، فشدّها على عُوده واندفع فغنّى في شعر زُهَير: [الوافر]

جَرَى دَمْعي فهيَّج لي شُجُونا ... فقلبي يُسْتَجنُّ به جُنونا[4]

فما سمعنا شيئاً أحسنَ منه؛ فقلنا له: ارْجع إلى مكّة، فكلُّ مَن بها يشتاقُك. ولم نَزَل نُرغّبه في ذلك حتى أجاب إليه، ومَضَينا لحاجتنا ثم عُدْنا فوجدناه عليلاً،

---

(١) الربعة: جونة العطر.
(٢) الهن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، وقد يزاد في النداء الألف والهاء، فيقال: يا هناه. (لسان العرب مادة هنا).
(٣) أوطنت المكان: اتخذته وطناً.
(٤) استجنّ به: صار مجنوناً به.

فقلنا: ما قصّتك؟ قال: جاءني منذ ليالٍ قومٌ، وقد كنتُ أغنّي في الليل، فقالوا: غَنِّنا؛ فأنكرتُهم وخِفتُهم، فجعلت أُغنّيهم؛ فقال لي بعضُهم غَنِّني: [مجزوء الوافر]

لـقـد حَـثُّـوا الـجـمـالَ لِـيَـهْـ ـرِبُـوا مـنّـا فـلـم يَـئِـلُـوا[1]

ففعلت؛ فقام إليّ هنٌ منهم أزَبُّ[2] فقال لي: أحسنتَ والله! ودقّ رأسي، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى، ولا أُراني إلا سأموت، قال: فأقمنا عنده بقيّة يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وانصرفنا.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عُمَر بن شبّة عن أبي غسّان قال: زعم المكّيُّون أنّ الغريض خرج إلى بلاد عَكٍّ فغنّى ليلاً: [مجزوء الوافر]

هُـمُ ركْـبٌ لـقُـوا ركـبـاً كـمـا قـد تـجـمـعُ الـسُّـبُـلُ

فصاح به صائحٌ اكفُفْ يا أبا مروان، فقد سَفَّهتَ حُلَماءَنا، وأصبيت سفهاءَنا، قال: فأصبح ميّتاً.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن الخطّاب قال: حدّثنا رجل من آل أبي قَبِيلٍ ـ يقالُ له مُحْرز ـ عن أبي قبيل قال: رأيتُ الغَرِيض، وقال إسحاق في خبره المذكور: حدّثني محمد بن سلام عن أبي قبيل ـ وهو مولىً لآل الغَرِيض ـ قال: شهدتُ مَجْمعاً لآل الغريض إما عُرْساً أو خِتَاناً فقيل له: تَغَنَّ، فقال: هو ابنُ زانية إن فعل، فقال له بعضُ موَاليه: فأنت والله كذلك! قال: أَو كذلك أنا؟ قال: نعم؛ قال: أنت أعلم بي والله؛ ثم أخذ الدُّفَّ فرمَى به وتَمَشَّى مِشْيَةً لم أرَ أحسنَ منها، ثم تَغَنَّى: [الطويل]

تَـشَـرَّبَ لـونَ الـرَّازِقـيِّ بـيـاضُـه أو الزعفرانِ خالط المِسكَ رادعُهُ[3]

فجعل يُغَنِّيه مُقْبِلاً ومُدْبِراً حتى التوتْ عُنُقه وخَرَّ صَريعاً وما رفعناه إلاّ ميّتاً، وظَنَنّا أنّ فالِجاً عاجَلَه. قال إسحاق وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مِسْكين قال: إنما نهتْهُ الجنّ أن يتغنّى بهذا الصوت، فلمّا أغضبه مَوَاليه تَغَنّاه فقتَلتْه الجنّ في ذلك.

---

(١) لم يئلوا: لم يجدوا موئلاً يعتصمون به.
(٢) الأزبّ: الكثير الشعر.
(٣) الرازقيّ: القطن.

نسبة هذه الأصوات

صوت

منها: [الوافر]

جَرَى دَمْعي فهيَّج لي شُجونَا فقلبي يُسْتَجَنُّ به جُنونا
أأبكي للفِرَاق وكلُّ حيٍّ سيبكي حين يَفْتَقِد القَرِينا
فإن تُصْبِحْ طُلَيْحَةُ فارَقَتْني بِبَيْنٍ فالرَّزِيَّةُ أن تَبِينا
فقد بانتْ بكُرْهِي يوم بانتْ مُفَارِقةً وكنتُ بها ضَنِينا

الشعر لزُهَير، والغناء للغَرِيض عن حَبَش. وقيل: إنه لدَحْمان وفيه لأبي الوَرْد خفيفُ رمَلٍ بالوُسْطى عن حبش والهِشاميّ.

انقضت اخبار الغريض. ومنها:

صوت

من المائة المختارة في رواية جَحْظَة

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا
على آثارهنّ مُقَلَّـ ـصُ السِّرْبال مُعْتَمِلُ(١)
وفيهم قلبُك المَتبو لُ بالحسناء مُخْتَبَلُ
مُخَفَّفة بحَمْل حما ئلِ الدِّيباج والحُلَلِ(٢)
أسائل عاصماً في السِّـ ـرِّ أينَ تُراهُمُ نَزَلُوا
فقال هُمُ قَرِيبٌ منـ ـكَ لو تَفْعوك إذ رَحَلُوا

الشعرُ للحَكَم بن عَبْدَل الأسَديّ، والغناء في اللحن المختار للغَرِيض، ولحنُه خفيفُ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مَجْرَى الوُسْطَى في الأوّل والثاني من الأبيات. وذكر الهِشاميّ أن فيهما لحناً لمَعْبد من الثقيل الأوّل. وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سُرَيْج رمَل بالسَّبابة في مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق. وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوُسْطى عن حَبَش. وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ الذي صحَّ فيه أربعةُ ألحان:

---

(١) مقلّص السّربال: مشمّره. والمعتمل: الذي يعمل بنفسه.

(٢) في البيت إقواء.

منها لحنان في خفيف الثقيل للغَرِيض ومالك، ولحنان في الرمل لابن سُرَيج ومُخَارِق. وذكر ابنُ الكَلْبيّ أنّ فيها لعَرِيبَ رمَلاً ثالثاً، وذكر حَبَشٌ أنّ فيها لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل بالبِنْصَر، ولابن مِسْجَح رَمَلاً بالبِنْصر، ولابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر. هذه الألحان كلها في «لقد حثُّوا» والذي بعده.

أخبار الحكم بن عبدل ونسبُه

[توفي نحو ١٠٠ هـ ـ ٧١٨م]

هو الحكم بن عَبْدل بن جَبَلَة بن عمرو بن ثَعْلبة بن عِقَال بن بِلال بن سَعْد بن حِيَال بن نصْر بن غاضرة بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة، شاعرٌ مُجيدٌ مُقدَّم في طبقته هجَّاءٌ خبيثُ اللسان، من شعراء الدولة الأُمويَّة، وكان أعرج أحدبَ. ومنزلُه ومنشؤه الكوفة.

[رسول الحَكَم عصاه]

أخبرني محمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثنا محمد بن إدريس القَيْسيّ بواسِط قال: حدّثنا العُتْبيّ قال: كان الحكَم بن عَبْدَل الأَسَدِي أعرجَ لا تُفارقه العصا، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك؛ وكان يكتُب على عصاه حاجتَه ويبعث بها مع رُسُله، فلا يُحْبَسُ له رسولٌ ولا تُؤَخر له حاجةٌ؛ فقال في ذلك يحيى بن نَوْفَل: [الطويل]

عَصَا حكَم في الدار أوّلُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقْصى ونُحْجَبُ
وكانتْ عَصَاً موسى لِفِرْعَوْنَ آيَةً ... وهذي لعمرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعْصى ويُحْذَرُ سُخْطُها ... ويُرْغَب في المَرْضاة منها وتُرْهَبُ

قال: فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحِك الناس منها؛ فكان ابنُ عَبْدل بعد ذلك يقول ليحيى: يابن الزانية! ما أردتَ من عصاي حتى صَيَّرتها ضُحكةً؟ واجْتَنَب أن يَكْتُب عليها كما كان يفعل، وكاتب الناسَ بحوائجه في الرِّقاع.

[الحَكَم وصديقه الأعمى]

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ، وأخبرني ابن عمّار قال: حدّثني يعقوب

ابن نُعَيْم قال: حدّثنا أبو جعفر القُرَشيّ قال: كان للحكَم بن عَبْدَل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيّة، وكان ابن عبدل قد أُقْعِد، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما، والحكمُ يُحْمَلُ وأبو عُليَّة يُقَاد، فلَقِيهما صاحبُ العَسَس بالكوفة فأخذهما فحبسهما، فلمّا استقرّا في الحبس نظر الحَكَمُ إلى عصا أبي عُليّة موضوعة إلى جانب عصاه، فضحِك وأنشأ يقول: [مجزوء الكامل]

حَـبْـسِـي وحَـبْـسُ أبـي عُـلـيَّـ ... ـة مـن أعـاجـيـب الـزمـان
أَعْـمَـى يُـقَـادُ ومُـقْـعَـدٌ ... لا الـرِّجْـلُ مـنـه ولا الـيَـدَانِ
هـذا بـلا بَـصَـرٍ هـنـا ... كَ وبـي يَـخُـبُّ الـحـامـلانِ
يـا مَـنْ رأى ضَـبَّ الـفَـلاَ ... ةِ قَـرِيـنَ حُـوتٍ فـي مـكـانِ
طِـرْفـي وطِـرْفُ أبـي عُـلَـيَّـ ... ـةَ دَهْـرَنـا مُـتَـوافـقـان
مَـنْ يَـفْـتَـخِـرْ بـجـوادِه ... فَـجَـيَـادُنـا عُـكَّـازتـانِ
طـرْفَـانِ لا عَـلَـفَـاهُـمَـا ... يُـشْـرَى ولا يَـتَـصَـاوَلاَنِ
هَـبْـنِـي وإيّـاه الـحـريـ ... ـقَ أكـان يَـسْـطَـع بـالـدُّخـانِ

قال: وكان اسم أبي عُليّة يحيى، فقال فيه الحَكَمُ أيضاً: [الطويل]

أقـول لـيـحيى لـيـلـةَ الـحـبس سَادِراً ... ونَـوْمِـي بـه نَـوْمُ الأَسِـيـرِ الـمُـقَـيَّـدِ(١)
أَعِـنِّي عـلـى رَعْـي الـنـجوم ولـحْـظِـهـا ... أُعِـنْكَ عـلـى تـحـبير شِـعْـرٍ مُـقَـصَّـدِ(٢)
فـفـي حـالـتَـيْـنـا عِـبـرةٌ وتَـفَـكُّـرٌ ... وأَعـجبُ شيءٍ حَـبْسُ أعـمَـى ومُـقْـعَـدِ
كِـلاَنـا إذا الـعُـكَّـازُ فـارقَ كَـفَّـهُ ... يُنِـيـخ صَـرِيعاً أو عـلى الوجه يَسْجُدُ(٣)
فـعُـكَّـازة تَـهْـدي إلـى الـسُّـبْـل أَكْـمَـهـاً ... وأُخرى مَقَامَ الرِّجل قـامـت مـع الـيَـدِ

[اجتماع العرجان]

أخبرني محمد بن عِمْرَان الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال: حدّثني أحمد بن بُكَير الأَسَدِيّ قال: حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ الأسديّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال: وَلِيَ الشُّرْطَةَ بالكوفة رَجُلٌ أَعْرَجُ، ثم وَلِيَ الإمارةَ آخرُ

(١) سادراً: متحيراً.
(٢) الشعر المقصّد: المنقح المطوّل.
(٣) في البيت إقواء.

أعْرَجُ، وخرج ابنُ عَبْدلٍ وكان أعرج، فلقي سائلاً أَعْرَجَ وقد تَعَرَّض للأمير يسأله، فقال ابن عَبْدَلٍ للسائل: [الكامل]

أَلْقِ العصاء ودَعِ التخامُعَ والتَمِسْ عَمَلاً فهَذِي دَوْلَةُ العُرْجَانِ(١)
لأَميرِنا وأميرِ شُرْطَتِنا مَعاً يا قَوْمَنا لِكلَيْهِمَا رِجْلانِ
فإذا يكونُ أميرُنا ووزيرُنا وأنا فإنّ الرابعَ الشيطانُ(٢)

فبلغت أبياتُه ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكُفَّ عنه. وحدّثنيه الأخفش عن عُبَيد الله اليَزيديّ عن سليمان بن أبي شَيْخ عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال: وَلِيَ عبدُ الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطّاب الكوفةَ وضُمَّ إليه رجُلٌ من الأشعريّين يقال له سهل، وكانا جميعاً أعرَجيْن، ثم ذكر باقيَ الحديث مثلَ حديث يعقوب بن نُعَيْم.

[الحكم وعبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنب بن المُحرز الباهليّ عن الهَيْثَم الأَحْمَرِيّ قال: كانت لابن عَبْدَلٍ الأسديّ حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشْر بن مَرْوان، فجعل يدْخُل عليه ولا يتهيأ له الكلامُ، حتى جاءه رجلٌ فقال: إني رأيتُ لك رؤيا، فقال: هاتِها، فقصَّها عليه؛ فقال ابنُ عبْدَل: وأنا قد رأيتُ أيضاً؛ قال: هاتِ ما رأيتَ، فقال: [الكامل]

أَغْفيتُ قبلَ الصُّبْحِ نومَ مُسَهَّدٍ في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها
فَحَبوتَني فيما أرى بوليدةٍ مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عليّ قِيامُها
وبِبَدْرةٍ حُمِلتْ اليّ وبغلةٍ شَهْباء ناجيةٍ يَصِلُ لِجامُها(٣)
ليتَ المنابرَ يابنَ بِشْر أصبحتْ تُرقَى وأنتَ خطيبُها وإمامُها

فقال له ابنُ بشر: إذا رأيتَ هذا في اليَقظة أتعرفُه؟ قال: نعم وإنما رأيتُه قُبَيل الصبح، قال: يا غلام، ادْعُ فلاناً، فجاء بوكيله، فقال: هاتِ فلانة فجاءت،

(١) التخامع: السير سير الأعرج.
(٢) في البيت إقواء.
(٣) ناجية: سريعة، ويصل لجامها: يصوِّت.

فقال: أين هذه مما رأيتَ؟ قال: هي هي؛ وإلاّ فعليه وعليه؛ ثم دعا له ببَدْرة فقال: مثلَ ذلك، وببغلة فركِبها وخرج؛ فلقِيَه قَهْرمانُ عبد الملك[١]، قال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: بِكَم؟ قال: بستمائة، قال: هي لك، فأعطاه ستمائة، فقال له: أما والله لو أبيتَ إلا ألفاً لأعطيتُك، قال: إيّاي تُندِم! لو أبيتَ إلاّ ستّةً لبِعتُك.

[هجاؤه محمد بن حسان]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمريّ عن الهَيثم عن ابن عياش عن لَقيط قال: تزوّج محمد بن حسَّان بن سَعْد التَّميميّ امرأةً من ولَد قيْس بن عاصم وهي ابنة مُقاتل بن طَلْبة بن قَيس، زوّجها إيّاه رجلٌ منهم يقال له زياد، فقال ابن عَبْدل: [الطويل]

أبــاعَ زيــادٌ ســوَّد الله وجــهَــهُ ... عَـقِـيـلَـةَ قـوم سـادةٍ بـالـدراهـم
ومـا كـان حـسّـانُ بـن سـعـدٍ ابـنُـه ... أبو المسك من أكفاء قَيْس بن عاصِم
ولـكـنّـه ردّ الـزمـانَ عـلـى استِـهِ ... وضيَّع أمرَ المُحْصَناتِ الكرائم
خُـذِي دِيَـةً مـنـه تـكُـنْ لـكِ عُـدّةً ... وجيئي إلى باب الأمير فخاصِمي
فلو كنت في رَوْحٍ لما قلتُ خاصِمي ... ولـكـنّـما أُلقيت في سجن عارِمِ[٢]

قال: فلمّا بلغَ أهلَها شعرُه أَنِفُوا من ذلك، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها. قال: وكان محمد بن حسّان عاملاً على بعض كُوَر السَّواد، فسأله ابن عَبْدل حاجةً فردَّه عنها، فقال فيه هذا الشعرَ وغيرَه وهجاه هجاءً كثيراً.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال: حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسَدِيّ عن محمد بن بِشْر السَّلامِيّ عن محمد بن سهْل راوية الكُمَيت، فذكر نحواً مما ذكره عَمّي وزاد فيه قال: وكانت المرأةُ التي تزوَّجها مُعَاذَة بنت مُقَاتل بن طَلْبة، فلما سَمِعَت ما قال ابن عَبْدل فيها نَشَزَت[٣] على زوجها وهرَبَتْ إلى أهلها، فتوسَّطوا ما بينهما وافتُديتْ منه بمال وفارقها.

---

(١) القهرمان: الوكيل، أو أمين الدخل والخرج.

(٢) سجن عارم: سجن كان لابن الزبير فسجن فيه محمد بن الحنفية، ثم اتخذه الحجاج لسجن الناس. (معجم البلدان ٤/ ٦٦).

(٣) نشزت على زوجها وبه: أبغضته.

[فحشه في شعره]

أخبرني عَمّي قال: حدّثني الكُرّانيّ عن العُمَريّ عن عَطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريّا قال: سمِع ابنُ عبدل الأسديّ امرأةً وهي تتمشّى بالبِلاط تتمثل بقوله:

[الطويل]

وأُعسِرُ أحياناً فتشتدّ عُسْرَتي ... وأُدرِكُ ميسورَ الغِنَى ومَعي عِرْضي

فقال لها ابنُ عَبْدل ـ وكان قريباً منها ـ: يا أُخَيَّةُ أتعرفين قائلَ هذا الشعر؟ قالت: نعم، ابن عَبْدل الأسَدِيّ. قال: أفتُثبِتينَه معرفةً؟ قالت: لا؛ قال: فأنا هو، وأنا الذي أقول: [الطويل]

وأُنعِظُ أحياناً فينقدُّ جلدُهُ ... وأعذِلُهُ جُهدي فلا ينفعُ العَذْلُ[1]
وأزدادُ نَعْظاً حين أُبصِرُ جارتي ... فأُوثِقُه كيما يَثُوبَ له عَقْلُ
وَرُبَّتَما لم أَدْرِ ما حِيلَتي له ... إذا هو آذاني وغَرَّ به الجهلُ
فآويتُهُ في بطن جَارِي وجارتي ... مكابرةً قُدْماً وإنْ رَغِم البَعْلُ[2]

فقالت له المرأة: بئس والله الجارُ للمُغِيبة[3] أنتَ، فقال: إي والله، وللتي معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها.

[بينه وبين ابن هبيرة]

أخبرني محمد بن زكريّا الصّحّاف قال: حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ قال: حدّثنا الهَيْثَم بن عَدِيّ وأخبرني به حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عليّ بن الحسن قال: حدّثني أبو خالد الخُزَاعيّ الأسْلَمِيّ عن الهيثم بن عديّ عن ابن عَيّاش قال: قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفيّ واسطاً على ابن هُبَيرة وكان بخيلاً، فأقبل حتى وقَف بين يديه ثم قال: [الطويل]

أتيتك في أمرٍ مِنَ امرِ عشيرتي ... وأَعْيَا الأمورِ المُفْظِعَاتِ جَسِيمُها
فإن قلتَ لي في حاجتي أنا فاعلٌ ... فقد ثَلِجَتْ نفسي وولّتْ همومُها

---

(١) أنعظ الذكر: انتشر، قام، وأنعظ الرجل: شبق.
(٢) قدماً: مضيّاً، إقداماً.
(٣) المغيبة: التي غاب عنها زوجها.

قال: أنا فاعل إن اقتصدتَ، فما حاجتك؟ قال: غُرْمٌ لَزِمَنِي في حَمالة[1]؛ قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مُنَاصِفُوكَها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف عليَّ التُّخْمَة إن أتممتَها؟ قال: أكره أن أُعوِّد الناسَ هذه العادَة؛ قال: فأعطِني جميعَها سرّاً وامنعني جميعَها ظاهراً حتى تُعوِّد الناسَ المنعَ وإلاّ فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبُون؛ فضحِك ابنُ هُبَيرة قال: ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك؛ فجثا بين يديه وقال: امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان؛ قال: أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنه ـ ما عَلِمتُ ـ حلاّف مَهِين فأخذها وانصرف.

[رثاؤه شهداء الطاعون بالكوفة]

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال: حدّثنا العَنزِيّ قال: حدّثني محمد بن معاوية الأسَدِيّ قال: حدّثني مشايخنا من بني أسد محمدُ بن أنس وغيرُه قالوا:

لَمّا وَقَع الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضِرة ومات فيه بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضِريّ صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكانوا ظُرَفاء، وبنو عمٍّ لهم، فقال الحَكَمُ بن عَبْدل الغاضِريّ يرْثيهم: [الطويل]

أبـعـدَ بـنـي زِرٍّ وبـعـدَ ابـن جَـنْـدَلِ ... وعمرو أُرَجّي لذَّة العيش في خَفْضِ
مَضَوْا وبَقينا نـأمُلُ الـعيشَ بعدَهم ... ألاَ إن مَنْ يَبْقَى على إثْر مَنْ يَمْضي
فـقـد كـان حَـوْلي مـن جِـيَـادٍ وسـالـم ... كُـهُـولٌ مَـسَـاعِـيرُ وكلُّ فـتىً بَـضّ[2]
يَرَى الـشُّـحَّ عـاراً والـسـمـاحةَ رِفْـعَـةً ... أغـرُّ كـعـودِ الـبـانـةِ الـنـاعـمِ الـغَـضّ

[هجاؤه محمد بن حسان]

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب أبي مُحلِّم قال: سأل الحكَم بن عبدل أخو بني نصر بن قُعَين محمد بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألته إيّاها، فردّه ولم يَقْضها؛ فقال فيه ابنُ عَبْدَل: [الوافر]

رأيـتُ مـحـمـداً شَـرِهـاً ظَـلُـومـاً ... وكــنــتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَــصْــدِ

---

(١) الحمالة: الضمان، الكفالة.

(٢) مساعير: جمع مسعار، وهو الذي يؤجج نار الحرب. والفتى البضّ: الطريّ الناعم.

يقول أماتني ربّي خداعاً أمات الله حسّانَ بن سَعْدِ
فلولا كَسْبُه لَوُجِدْتَ فَسْلاً لئيم الكَسْب شأنُك شأنُ عَبْدِ[1]
ركِبتُ اليه في رَجُلٍ أتاني كريم يَبْتغي المعروفَ عندي
فقلتُ له وبعضُ القول نُصْحٌ ومنّه ما أُسِرُّ له وأُبْدِي
تَوَقَّ دراهمَ البَكْريّ إنّي أخافُ عليك عاقبةَ التعدّي
أُقَرِّبُ كلّ آصرةٍ ليدنو فما يزدادُ مِنّي غيرَ بُعْدِ
فأُقسمُ غيرَ مُسْتثنٍ يميناً أبا بَخرٍ لتتّخمَنّ رَدّي

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنْزيّ قال: حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأسدِي قال: حدّثني محمد بن أنس السَّلاميّ قال: حدّثني محمد بن سَهْل الأسَدِيّ راويةُ الكُمَيْت أنّ الحَكَم بن عَبْدَل الأسَدِيّ أتى محمد بن حَسّان بن سعد التَّميميّ وكان على خراج الكوفة، فكلّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خَراجه؛ فقال: أماتني الله إن كنتُ أقدِر أن أضعَ من خراج أمير المؤمنين شيئاً؛ فانصرف ابنُ عبدل وهو يقول: [البسيط]

دَعِ الثلاثين لا تَعْرِض لصاحبها لا باركَ الله في تلك الثلاثينا
لَمّا علا صوتُه في الدار مُبْتكراً كأشتفان يرى قوماً يَدُوسُونا
أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً إمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفْتونا
لا يُعطِك الله خيراً مثلَها أبداً أقسمتُ بالله إلاّ قلتَ آمينا

قال: فلم يضع له شيئاً مما على الرجل؛ فقال فيه: [الوافر]

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظَلُوماً وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ أماتني ربّي خداعاً أماتَ الله حَسّانَ بنَ سَعْدِ
فما صادفتَ في قَحْطان مِثْلي ولا صادفتُ مِثْلَك في مَعَدِّ
أقلَّ براعةً وأشدَّ بُخلاً وألأمَ عندَ مسألةٍ وحَمْدِ
نَحَوْتُ محمداً ودُخانُ فيه كَريح الجَعْرِ فوقَ عَطِين جِلْدِ[2]
فأُقسمُ غيرَ مُسْتثنٍ يميناً أبا بخرٍ لَتَتَّخِمَنّ ردّي
فلو كنتَ المهذَّبَ من تميمٍ لَخِفْتَ ملامَتي ورَجَوْتَ حَمْدي

(١) الفسل: النذل، الرذل.
(٢) الجعر: نجو كل ذات مخلب من السباع. والجلد العطين: المنتن، الفاسد.

نَـكَـهْـتَ عـلـيّ نَـكْـهـةَ أَخْـدَرِيّ ... شَـتِـيـمِ أعْـصَـلِ الأنـيـابِ وَرْدِ[١]
فـمـا يـدنـو إلـى فَـمِـهِ ذُبـابٌ ... ولـو طُـلِـيَـتْ مَـشَـافِـرُه بـقَـنْـدِ[٢]
فـإن أهـديـتَ لـي مـن فِـيـك حَـتْـفـاً ... فـإنّـي كـالـذي أهـديـتَ مُـهْـدِي

قال محمدُ بن سَهْل: وما زال ابنُ عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جدّاً. قال: واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكَارِي ليسوق بغله أو حمارَه فيقول: عَدْ، أماتَ الله حَسَّانَ بن سعْد، فإذا سمع ذلك أبوه قال:

بل أماتَ الله ابني محمداً، فهو عَرَّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً.

[ابن عبدل وأبو المهاجر]

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريّا الصَّحَّاف قال: حدّثنا قَعْنَبُ بن مُحْرِز قال: أخبرنا الهَيْثم بن عَدِيّ قال: دعا أبو المُهَاجر الحَكَمَ بن عَبْدَل ليشرب عنده وله جارية تغنّي فغنَّت فقال ابن عبدل: [الكامل]

يـا أبـا الـمُـهـاجـر قـد أردتَ كـرامـتـي ... فـأهـنـتَـنـي وضـررتَـنـي لـو تَـعْـلَـمُ
عـنـد الـتـي لـو مَـسَّ جِـلْـدي جِـلْـدها ... يـومـاً بَـقِـيـتُ مـخـلَّـداً لا أَهْـرَمُ
أو كـنـتُ فـي أَحْـمَـى جـهـنَّـمَ بـقـعـةً ... فـرأيـتُـهـا بَـرَدَتْ عـلـيّ جـهـنَّـمُ

قال: فجعل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له: ويْحَك! والله لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك، ولكن لها مِنّي ولدٌ.

[ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز عن المدائني قال: كان عمر بن يزيد الأسديّ مُبخَّلاً[٣] ووجده أبوه مع أمةٍ له فكان يُعَيَّر بذلك، وجاءه الحكمُ بن عبدل الأسديّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا إليه

---

(١) الأخدري: الأسد، والشتيم: العابس، وأعصل الأنياب: أعوج الأنياب في صلابة والورد: الأحمر الضارب إلى الصفرة.
(٢) القند: عصارة قصب السكر إذا جمد.
(٣) مبخلاً: موصوفاً بالبخل.

وهو يأكل تمراً فلم يَدْعُهم إليه. وذكروا حاجتهم فلم يَقْضِها، فقال فيه ابن عبدل:

[البسيط]

جِئنا وبين يديه التمر في طَبَقٍ فما دعانا أبو حَفْص ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دَنَسٍ لؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

[ابن عبدل وامرأة من الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن الحسن الأحْول عن أبي نصر عن الأصمعيّ قال: كانت امرأة موسِرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد فاستعانت بابن عبدل في دَينها، وقالت: إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تُعرِّض بأنها تُزَوِّجه نفسها. فقام ابن عبدل في دَينها حتى اقتضاه؛ فلما طالبها بالوفاء كتبتْ إليه:

[الوافر]

سَيُخطئكَ الذي حاولتَ منّي فَقَطِّعْ حَبْلَ وصلكَ من حبالي
كما أخطاكَ معروفُ ابن بِشْر وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

[ابن عبدل وعبد الملك بن بشر بن مروان]

قال: وكان ابنُ عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله؛ فقال له: أخمسمائة أحَبُّ إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل؟ قال: ألف في قابل. فلما أتاه قال له: ألف أحبّ إليك أم ألفان في قابل؟ قال: ألفان، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً.

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرَانِيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال: دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر، فقال له: ما أحدثتَ بعدي؟ قال: خطبتُ امرأة من قومي فردَّت عليّ جوابَ رسالتي بِبَيْتي شعرٍ، قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخطئكَ الذي حاولتَ منّي فَقَطِّعْ حَبْلَ وصلكَ من حبالي
كما أخطاكَ معروف ابن بشر وكنتَ تعدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبدُ الملك، ثم قال: لجاد ما أَذْكَرتَ بنفسك، وأمر له بألفي درهم.

[ابن عبدل وبشر بن مروان]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ وحَبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال: حدّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال: حدّثني مِنْجاب بن الحارث قال حدّثني عبد الملك بن عفّان قال: كان الحكم بن عبدل الأسديّ ثم الغاضرِيّ صديقاً لبشر بن مروان، فرأى منه جَفاءً لشُغلٍ عَرَض له، فغبر[1] عنه شهراً، ثم التَقَيا فقال: يابن عبدل، ما لك تركتَنا وقد كنت لنا زَوّاراً، فقال ابنُ عبدل:

[الخفيف]

كنتُ أُثني عليك خيراً فلمّا ... أضمَر القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصِبٍ قَنِيتُ حيائي ... لم اقُل غيرَ أن هجرتُك باسا
لم أُطِق ما اردتَ بي يابن مروا ... ن سَتَلْقَى إذا أردتَ أُناسا
يَقْبلون الخَسيس منك ويُثنو ... ن ثناءً مُدَخْمَساً دِخْمَاسا[2]

فقال له: لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناءً مدخمساً، ووصَله وحَمَله وكساه.

[بينه وبين ابن هبيرة]

أخبرني الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ قال: وحدّثني محمد بن معاوية قال: حدّثني مِنْجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال:

أراد عُمر بن هُبَيْرة أن يُغْزِي الحكَم بن عَبْدل الغاضريّ، فاعتل بالزَّمانة[3] فحُمِل وأُلْقِي بين يديه فجرَّده فإذا هو أعرج مفلوج، فوضع عنه الغزو وضمَّه اليه وشخص به معه إلى واسط فقال الحكم بن عبدل: [الطويل]

لعَمْري لقد جرّدتني فوجدتني ... كثير العيوب سَيِّءَ المُتَجرَّد
فأعفيْتَنِي لمّا رأيتَ زَمانتي ... وَوُفِّقت منّي للقضاء المُسَدَّدِ

فلما وصل عمر إلى واسط شكا إليه الحكمُ بن عبدل الضَّبعة[4] فوهبَ له

---

(١) غبر عنه: ذهب.
(٢) الثناء المدخمس: الرديء الذي ليس له حقيقة.
(٣) الزمانة: المرض المزمن.
(٤) الضبعة: شدة الشهوة إلى الجماع.

جاريةً من جواريه، فواثَبها ليلةَ صارتْ إليه فنكحَها تسعاً أو عشراً طَلَقاً[١]، فلما أصبحتْ قالت له: جُعِلتُ فِداك من أيِّ الناس أنت؟ قال: امرؤٌ من أهل الشام، قالت: بهذا العمل نُصِرْتُم.

[بينه وبين الحجاج]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عليل قال: حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راويةِ الكُمَيْت فقال فيه: ضرب الحجاج البَعْثَ على المُحْتَلِمين ومن أَنْبتَ من الصِّبيان، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرِّد فَتَضمّه إليها وتقول له: «بأبي» جَزَعاً عليه، فَسُمِّي ذلك الجيشُ «جيش بأبي»، وأُحْضِر ابنُ عبدل فجُرّد فوُجد أعرج فأُعْفِيَ؛ فقال في ذلك:

لعمري لقد جَرّدتني فوجدتني

البيتين، وزاد معهما ثالثاً وهو: [الطويل]

ولستُ بذي شَيْخَيْن يلْتَزمانه ... ولكن يَتِيمٌ ساقطُ الرِّجل واليدِ

[شعره في زوجته]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجاب عن عبد الملك بن عفّان قال: تزوّجَ ابن عبدل امرأةً من همدان فقالوا له: على كم تزوّجت؟ فقال: [الطويل]

تَزوّجتُ هَمْدانيّةً ذات بهجةٍ، ... على نَمَط عادية ووسائدِ[٢]
لعمري لقد غاليتُ بالمَهْر إنه ... كذاك يُغَالَى بالنساء المَواجِدِ[٣]

قال: فلما دخل بها كرهها فقال: [الوافر]

أعاذِلَتيّ من لومٍ دعاني ... أقِلاّ اللومَ إن لم تَعْذِراني

---

(١) طلقاً: شوطاً واحداً.
(٢) النمط: ضرب من البسط له خمل رقيق. والعادية القديمة.
(٣) المواجد: جمع ماجدة، وهي الحسنة الخلق.

فإني قد دُلِلتُ على عجوز مُبَرقَعة مخَضَّبة البَنانِ
تَغَضّن جلدُها واخضرّ إلا إذا ما ضُرِّجَت بالزعفرانِ
فلما أن دخلتُ وحادثتني أَظَلَّتني بيوم أَرْوَنانِ[1]
تُحدّثني عن الأزمان حتى سمعتُ نداءَ حُرٍّ بالأذان
فقالت قد نَكَحتُ اثنين شتّى فلما صاحَباني طَلّقاني
وأربعةً نكحتُهم فماتوا فليتَ عَريفَ حيٍّ قد نعاني
وقالت ما تِلادُكَ قلتُ مالي حمار ظالع ومَزَادتانِ
وبُوريٌّ وأربعةٌ زُيُوف وثَوبا مُفْلِس مُتَخَرِّقان[2]
وقِطعةُ جُلّة لا تمرَ فيها ودَنّا عومةٍ مُتَقابِلانِ[3]
فقالت قد رَضِيتُ فسمِّ ألفاً ليسمع ما تقولُ الشّاهدانِ
وما لكِ عندنا ألفٌ عَتِيد ولا تِسْعٌ تُعَدّ ولا ثَمَانِ
ولا سَبْعٌ ولا سِتٌّ ولكن لكم عندي الطويلُ من الهَوانِ

[رثاء بشر بن مروان]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ قال: كان الحَكَمُ بنُ عَبْدل الأسَدِيّ منقطعاً إلى بِشْر بن مَرْوان، وكان يَأْنَس به ويُحبّه ويَسْتطِيبه، وأخرجه معه إلى البَصْرة لمّا وَلِيَها فلما مات بِشْر جَزع عليه الحَكَمُ وقال يَرْثيه: [الكامل]

أصبحتُ جَمَّ بَلابِل الصَّدْرِ مُتَعجِّباً لتصرُّفِ الدّهرِ[4]
ما زلتُ أطلبُ في البلاد فتىً ليكون لي ذُخراً من الذُّخرِ
ويكون يسعدني وأُسعِده في كلّ نائبةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظَفِرَتْ يدايَ به جاء القَضاءُ بحَيْنِه يَجْري[5]
إنّي لفي هَمٍّ يباكرني منه وهمٌّ طارقٍ يَسْري[6]

(١) يوم أورنان: صعب.
(٢) البوريّ، والبورية: حصير منسوج من القصب.
(٣) جلة: قفة كبيرة للتمر.
(٤) البلابل: جمع بلبال، وهو شدة الهم والوسواس.
(٥) الحَيْن: الموت.
(٦) الهم الطارق: الآتي ليلاً.

فلأَصْبِرَنَّ وما رأيتُ دوىً ... للهمّ غيرَ عزيمةِ الصبرِ[١]
والله ما استعظمتُ فُرْقَتَه ... حتى أحاط بفضله خُبْرِي

أخبرني ابن دُرَيْد قال: حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال: لما ظَفِرَ ابن الزُّبيْر بالعراق وأخرج عنها عُمّال بني أميّة خرج ابن عَبْدل معهم إلى الشأم، وكان ممّن يدخُل إلى عبد الملك ويَسْمُر عنده، فقال لعبد الملك ليلةً: [البسيط]

يا ليتَ شِعْرِي وليتٌ رُبَّمَا نَفَعَتْ ... هل أُبْصِرَنَّ بني العَوَّام قد شُمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتشريد إنهمُ ... على البَرِيّة حَتْفٌ حيثما نزَلُوا
أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد ... ذلّت لِعزِّك أقوامٌ وقد نَكَلُوا

فقال عبد الملك ـ ويُرْوَى أنه قائل هذا الشعر ـ: [البسيط]

إن يُمكِن الله من قَيْس ومن جَدَسٍ ... ومن جُذَام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ
نَضرِب جَماجِمَ أقوامٍ على حَنَقٍ ... ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سائر الأممِ

[ابن هبيرة وبنت ابن عبدل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم عن أبيه قال: حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن رجل من بني أسد قال: خرج يَزيدُ بن عُمَر بن هُبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غَاضِرة، وأُقيمت الصلاةُ، فنزل يُصَلِّي واجتمع الناسُ لمكانه في الطريق وأشرَف النساءُ من السطوح، فلما قضى صلاتَه قال: لمن هذا المسجدُ؟ قالوا: لبني غاضرة، فتمثل قول الشاعر: [الكامل]

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِراً ... إلا فَصَمْنَ بساقها خَلْخَالا[٢]

فقالت له امرأةٌ من المُشْرِفات:

ولقد عَطَفْنَ على فَزَارة عَطْفَةً ... كَرَّ المَنِيحِ وجُلْنَ ثَمَّ مَجَالا[٣]

فقال يزيد: مَنْ هذه؟ فقالوا: بنت الحكم بن عَبْدل، فقال: هل تلد الحيةُ إلا حَيّةً! وقام خَجِلاً.

---

(١) الدوى: الدواء.
(٢) فصمن: كسرن.
(٣) المنيح: فرس قيس بن مسعود الشيباني

[بعض ما روى من قصص حول ابن عبدل]

أخبرني محمد بن خَلف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أحمد بن الهَيْثَم قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن عطاء بن مُصْعب عن عاصم بن الحَدَثان قال: كان ابن عَبْدَل الأسَدِيّ أعرج أحدبَ، وكان من أطيب الناس وأملحِهم فلَقِيه صاحبُ العَسَس ليلةً وهو سَكْرانُ محمولٌ في مِحَفَّة[1]، فقال له: من أنت؟ فقال له: يا بَغِيض أنت أعرفُ بي من أن تسألَني مَن أنا، فاذهبْ إلى شُغْلك فإنّك تعلمُ أن اللصوصَ لا يَخْرُجون بالليل للسَّرِقَةِ محمولين في مِحفّة، فضحك الرجلُ وانصرف عنه.

أخبرني هاشم بن محمّد قال: حدّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع قال: حدّثني أبو عَدْنان عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عيّاش قال: رأيتُ ابن عَبْدَل الأسديّ وقد دخل على ابن هُبَيْرة فقال له: أنشدْني شيئاً، فقال: أُنْشدك مَقُولةً أيها الأميرُ؟ قال: هات، فأنشده هذه الأبيات ـ وهي قديمة وقد تمثّل بها ابن الأشْعث حينَ خرج، ويُرْوَى أنها لأَعْشى هَمْدان. [الطويل]

نجمّ ولا نُعطَى وتُعْطَى جُيُوشُهم ... وقد مـلأوا مِـن مـالـنـا ذا الأكـارعِ
وقـد كـلّـفُـونـا عُـدّةً وروائـعـاً ... فَـقَـدْ وأبـي رُغـنَـاكُـمْ بـالـرَّوائِـعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من ألْفِ فَرْسخ ... إلـيـكـم بـمُـحـمّـرٌ مـن الـموت ناقِـعِ

قال: فغضب ابنُ هُبَيرة من تعريضه به، وقال له: والله لولا أنّي قد أمّنتك واستنشدْتُك لضرَبتُ عُنقَك.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان أبو عبد الله قال: حدّثنا القاسم بن عبد الرحمٰن قال: كانت للحكم بن عَبْدل جاريةٌ سوداء، وقد كان يَميل إليها فولَدَتْ له ابناً أسودَ، فكان من أعرم[2] الصِّبيان فقال فيه: [الرجز]

يَـا رُبَّ خـالٍ لـكَ مُـسْـودّ الـقَـفَـا ... لا يَـشْـتَـكـي مـن رِجْـلـه مَـسّ الـحَـفَـا
كـأنّ عَـيْـنَـيْـه إذا تـشـوّفـا ... عَـيْـنـا غُـرابٍ فـوقَ نِـيـقٍ أشْـرَفـا[3]

أخبرنا محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان أبو عبد الله قال: حدّثنا عُبَيد الله بن

(١) المحفة: رحل يحف بثوب تركب فيه المرأة.
(٢) من أعرم الصبيان: من أشرس الصبيان وأشدهم.
(٣) النيق: أرفع مكان في الجبل.

محمد قال: حدّثنا المدائنيّ قال: كان عُمَرُ بن يزيد الأسديّ بخيلاً على الطعام، فدخل عليه الحَكَمُ بن عبدل الشاعر وهو يأكل بطّيخاً فسلّم فلم يرد عليه السلام ولم يَدْعُه إلى الطعام، فقال ابنُ عَبْدل يَهْجُوه: [البسيط]

فـي عـمـر بـن يـزيـد خـلَّـتـا دَنَـسٍ بُـخْـلٌ وجُـبْـنٌ ولـولا أَيْـرُه سـادا
جـئْـنَـاه يـأكـل بِـطّـيـخاً عـلـى طَـبَـقٍ فـمـا دعـانـا أبـو حـفـصٍ ولا كـادا

قال وكان عُمر على شُرْطة الحجّاج وكان بخيلاً جِدّاً، فأصابه قُولَنْج فحقَنَه الطبيبُ بدهن كثير، فانحلّ ما في بطنه في الطَّسْت فقال للغلامُ: ما تصنع به؟ قال: أصُبُّه قال: لا، ولكن ميِّز منه الدُّهنَ واستصبح به.

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال: حدّثنا أبو هِفَّان قال: كان لعبد الملك بن بِشْر بن مَرْوان كاتبٌ يقال له محمّد بن عُمَير وكان كلّما مدَحَه ابنُ عبْدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتبُهُ هذا يُسارُّه فوقف وأنشأ يقول: [الكامل]

أَلْـقَـيْـتَ نَـفْـسَـك فـي عَـرُوض مَـشَـقَّـةٍ وحَـصَـادُ أنـفـك بـالـمَـنـاجِـل أَهْـونُ[1]
فـبـحـقِّ أُمِّـك وهـي غـيـرُ حـقـيـقـة بـالـلِّـيـن والـلُّـطـف الـذي لا يُـخْـزَن
لا تُـدْنِ فـاكَ إلـى الأمـيـر ونَـحِّـه حـتـى يُـداوِي نَـتْـنَـه لـك أهـونُ
إن كـان لـلـظَّـرِبَـان جُـحْـرٌ مُـنْـتِـنٌ فـلـجُـحْـر أنـفِـكَ يـا مـحـمـدُ أنـتـنُ

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيرفيّ قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال:

خطب ابنُ عبدل امرأةً من هَمْدَان يقال لها: أُمُّ رياح فلم تتزوجْه، فقال: أما والله لأفضحنَّكِ ولأُعيِّرنَّكِ فقال: [الطويل]

فلا خيرَ في الفِتْيان بعد ابنِ عَبْدلٍ ولا فـي الـزوانـي بـعـد أُمّ رِيـاح
يُـرى بـحـمـدِ الله مـاضٍ مُـجَـرَّبٌ وأمّ رِيَـاحٍ عُـرْضَـةٌ لـنِـكَـاحـي

قال: فتحاماها الناسُ فما تزوجتْ حتّى أسنّتْ. وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال: وُلد، للحكم بن عَبْدَل ابنٌ فسماهُ بِشْراً، ودخل على بِشْر بن مروان

(١) العروض: الطريق في عرض الجبل.

فأنشده: [المتقارب]

سَمَّيتُ بِشراً ببشر النَّدَى فلا تَفْضَحنِّي بتَصْداقِها
إذا ما قُريشٌ قُريشُ البَطا ح عند تجمُّع آفاقِها
تسامَتْ قُرومُهم للنَّدى تُباري الرِّياحَ بأوْراقِها
فمالُك أنفعُ أموالِها وخُلْقُك أكرمُ أخلاقِها

فأمر له بألفيْ دِرهم، وقال: استعِنْ بهذه على أمرك. وبإسناده عن محمد بن سهل قال: اقترض ابن عَبْدَل مالاً من التّجار وحلفَ لهم بالطلاق ثلاثاً أنْ يقضِيهم المال عند طلوع الهلال، فلمّا بقي من الشهر يومان قال: [المنسرح]

قد بات هَمِّي قِرْناً أُكابِدُهُ كأنّما مَضْجَعِي على حَجَرِ
من رَهْبَةٍ أنْ يُرَى هلالُ غدٍ فإنْ رأوه فحقّ لي حَذَري
من فقدِ بيضاء غادةٍ كَمُلتْ كأنها صورةٌ من الصُّورِ
أصبحتُ من أهلي الغداةَ ومِن مالي على مثل ليلةِ الصَّدرِ[1]

فبلغ خبرُه عبد الملك بن بِشْر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعفه له، فقال فيه:

[الرجز]

لمّا أتاه الذي أُصِبْتُ بِهِ وأنْشَدُوه إيّاه في شِعْري
جاد بضِعْفَيْ ما حلَّ من غُرمي عفواً فزالت حرارةُ الصَّدْرِ
لأشكرنَّ الذي مَننْتَ بِهِ ما دُمْتُ حياً وطال لي عُمْري

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: اجتمع الشعراءُ إلى الحجّاج وفيهم ابن عَبْدل. فقالوا للحجاج: إنما شعرُ ابن عَبْدل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف، فقال له: قد سمعتَ قولهم فاستمع منّي، قال هات، فأنشده قوله: [الطويل]

وإنّي لأَسْتَغْني فما أبْطَرُ الغِنَى وأَعْرِضُ مَيْسُوري لمَنْ يبْتَغِي قَرْضي
وأُعْسِرُ أحياناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتي فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنى ومعي عِرْضي

حتى انتهى إلى قوله:

ولستُ بذِي وَجْهَين فيمن عَرَفْتَهُ ولا البُخْلُ فاعلَمْ من سَمائي ولا أَرْضي

فقال له الحجاج: أحسنت! وفضّله في الجائزة عليهم بألفي دِرْهم.

---

(١) أصبحت على مثل ليلة الصدر: أي متحيراً.

صوت من المائة المختارة

[المتقارب]

أجَدّ بعَمْرةَ غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأننا شانُها
فإنْ تُمس شطّت بها دارُها وباحَ لك اليومَ هِجْرانُها
فما رَوْضةٌ من رِياض القطا كأنّ المَصابيحَ حَوْذَانُها[1]
بأحسن منها ولا مُزْنَةٌ دَلُوحٌ تَكَشَّفَ إدْجانُها
وعَمْرَةُ من سَرَوات النِّسا ء تَنْفَحُ بالمِسك أردانُها

أجدّ: استمرَّ، وغُنْيانُها: استغناؤها، أم شأننا شأنها: يقول أم هي على ما تحبّ، وشطّتْ: بعُدَت، قال ابن الأعرابيّ: يقال: شطّتْ وشَطَنَت وشَسَعَت وتشسّعت وبعُدت ونأت وتزحزحت وشَطَرت؛ قال الشاعر:

لا تَتْرُكنّي فيهمُ شَطيرا[2]

ومنه سُمِّي الشاطر[3]، وباح: ظَهَر، ومنه باحة الدار وأنشد: [الوافر]

أتكْتُمُ حُبّ سَلْمَى أم تَبُوحُ

والرّوْضَة: موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير، وكذلك الحديقة. وقوله:

كأنّ المصابيحَ حَوْذَانُها

أراد كأنّ حوْذانها المصابيحُ فقلَب، والعرب تفعل ذلك؛ قال الأعشى:

... كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابِها

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر. والمُزْنَةُ: السحابةُ. والدَّلُوحُ: الثقيلةُ، يقال: مرّ يدْلَح بحمله إذا مرّ مُثْقلاً. والدَّجْن: إلباسُ الغيم السحاب برشٍّ ونَدىً، يقال: أدجنت السماء. وقوله تكشَّف إدجَانُها: إذا انكشف السوادُ عنها، وذلك أحسن لها، وأراد مُزْنة بيضاء. والأرْدان: ما يلي الذراعيْن جميعاً والإبطَيْن من الكُمَّيْن.

الشعر لقَيْس بن الخَطيم، والغِناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مَجْرَى الوُسْطَى.

إلى هنا انتهى الجزء الثاني من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث وأوّله: ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه.

---

(١) الحَوْذان: نبات سهلي طيب الطعم. (٢) الشطير: البعيد. (٣) والشاطر: من أعيا أهله خبثاً.

فهرس الجزء الثاني

الموضوع **الصفحة**

